لآلئ البيان

في

محبة الرحمن

جمع وترتيب

سيد بن حسين العفاني

مكتبة معاذ بن جبل

لآلئ البيان في محبة الرحمن

جمع وترتيب

سيد العفاني

مكتبة معاذ بن جبل

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحفُوظَة

الطَّبعَة الأُولَى

١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

رقم الايداع

٢٠٠٠/٣٤٠١

النَّاشِر

مكتبة معاذ بن جبل

ت: ١٤٦٢٤٧ - ١ جوَّال: ٠١٢٣٤٣٩١٦٨

القاهرة: - ت: ٥٧١٩٥٧٨

بني سويف: - ت: ٠٨٢/٣١٧٣٤٤

تَوزِيع

دار ابن الجوزي

المملكة العربية السعودية: الدمام - شارع ابن خلدون - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٨٩ - ٨٤٦٧٥٩٣،
ص ب: ٢٩٨٢ - الرمز البريدي: ٣١٤٦١ فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - ت: ٤٢٦٦٣٣٩ - الإحساء - الهفوف
- شارع الجامعة - ت ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٥١٦٥٤٩ - ٦٨١٣٧٠٦ - بيروت - هاتف: ٠٣/٨٦٩٦٠٠
- فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - القاهرة - ج.م.ع - محمول: ٠١٠٦٨٢٣٧٨٣ - تلفاكس: ٠٢٢٥٦١٤٧٣
البريد الإلكتروني: aljawzi@hotmail.com - www.jwzi.com

فهرس الموضوعات

مُقَدِّمَة

بقلم الأستاذ الدكتور
عبد الحميد هنداوي
أستاذ البلاغة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله، وبعدُ:

إنه لمن دواعي الشرف أن أقدم لهذا الكتاب الذي حوى من كنوز الأدب دُررًا وجواهر، ومن بساتين الفصاحة أقاحي وأزاهر، فصار بما حواه كأنه البحر الزاخر، وصار لانسجام ما فيه كوَشْي فاخر.

ووالله إن ما به من عيون أشعار الزهاد والعابدين، ودرر كلام الناصحين والمتقين، لما يسل السخائم، ويحلّ العقد، ويسخي الشحيح، ويشجع الجبان، ويدعو إلى مكارم الأخلاق، فللّه در جامعه من عالِمٍ نحسبه من بقية السلف الأوائل ولا نزكّي على الله أحدًا، والله حسيبه وحسيبنا ونعم الوكيل.

دكتور عبد الحميد هنداوي

مُقَدِّمَة

بقلم الأستاذ الدكتور

عبد الرحمٰن إبراهيم فودة

أستاذ البلاغة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلّمه البيان، والصلاة والسلام على رسول الله محمد أفصح من نطق وأبان، وبعد:

فقد تفضّل أخي الحبيب دكتور سيد حسين بإهدائي كتابه النفيس وطلب إليّ أن أقدّم له وهذا من حسن ظنه بي، وإنه لأمر أعتزّ به كثيرًا، وأحسب أن فيه شرفًا كبيرًا لي وفضلًا عظيمًا منه.

لقد أجمل القرآن الكريم فائدة الشعر وقيمته في سورة الشعراء في قوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٧].

ولا يخفى أن النبي ﷺ عرف قيمة الشعر وتأثيره على النفوس فقال عليه السلام: «إن من البيان لسحر، وإن من الشعر لحكمة» وكان عليه السلام يستنشد حسان بن ثابت، ويقول: «أصدق بيت قالته العرب قول لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل»، كما كان ينشد لأميّة بن أبي الصلت.

والشعر يلهب حماس الأمم لما له من تأثير في نفوس السامعين والمتلقين، وقد حفظ التاريخ قصائد بَلِيَ أصحابها ولم تبل القصائد، ولا يزال الناس يرددون أقوالهم التي أخذت بالألباب.

وعلى سبيل المثال، القصيدة التي فجّرت ثورة، وهي لأبي إسحاق الإلبيري الذي توجه بها إلى بربر صنهاجة ببلاد الأندلس؛ لأن أحد أمراء عصره في غرناطة تخيّر وزيرًا كافرًا أدى إلى اعتزاز اليهود وزهوّهم، ومعه حققوا كل مآربهم، فراح الشاعر يستحث مسلمي غرناطة الذين يعيشون في صنهاجة:

ألا قل لصنهاجة أجمعين　　بدور الندى وأسد العرين

لقد زلّ سيدكم زلة　　تقرّ بها أعين الشامتين

تخيّر كاتبه كافراً　　ولو شاء كان من المسلمين

فعزّ اليهود به وانتخوا　　وتاهوا وكانوا من الأرذلين

أثارت هذه القصيدة عاصفة من الحماسة بين البربر فأقسموا على القضاء على ذلك الوزير اليهودي، وحملت الريح أبيات أبي إسحاق إلى كل أرجاء المدينة وعكف عليها الناس ينسخونها وينشدونها ويترنمون بها ويتحينون الفرصة ليجعلوا من أفكارها واقعًا وجاءت اللحظة المنتظرة، وقضوا على ذلك الوزير اليهودي.

فللشعر إذًا تأثيره في واقع الناس.

وما أحوجنا في هذه الآونة التي فشا فيها الشعر الساقط المرذول وانتشر دعاته وكثر المدافعون عنه والمروّجون له، فلا أفكار ولا أوزان ولا تفعيلات، ويتولى نشر هذه التوافه صحف صفراء ومجلات رديئة وهيئات تدعمها ماديًا.. أقول ما أحوجنا في هذه الآونة إلى مثل هذا السفر النفيس الذي بين أيدينا بما حوى من أشعار في الإلهيات وغيرها من قصائد رائقة رائعة تجذب الناس ناحية السمو الروحي والوجداني، وتنأى بهم عن وحل الرذيلة والإخلاد إلى الأرض والشهوات، وذلك أننا نعيش زمن الغربة الأدبية حيث تسلّط على منابر الثقافة والأدب شرذمة لا يرقبون في مؤمن إلّا ولا ذمة، لا هَمّ لهم إلا الانتقاص من شريعة الله سبحانه ومن الأنبياء والمرسلين، ومن جميع

الثوابت المقررة في شريعة الله وعزاؤنا ما قاله الدكتور الطناحي رحمه الله:

«وقد رأينا كثيرًا ممن تطاولوا على الدين وهزءوا به وسخروا منه في مجالسهم أو في أعمالهم الأدبية ـ شعرًا أو نثرًا ـ قد انتهى أمرهم إلى خسارٍ وبوار، بل إن منهم من رأى فقره بين عينيه، ورأى عافيته تتفلّت من بين يديه، مع ما تراه من ظلام في وجوههم ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨](١).

لقد جمع أخونا الحبيب الدكتور سيد باقة من ألمع شعراء الإسلام المعاصرين يتقدمهم عمر بهاء الأميري مع زمرة من الشعراء الأوائل، وقد عهدنا من أخينا رهافة حسه وسلامة ذوقه شاعرًا أو مختارًا لقصائد من الشعر، ومن ثم أجدني أقول لأخي سيد:

جزاك الله ثم جزاك خيرًا، أخًا داعية مصنفًا جامعًا، صاحب همة عالية ونفس وثّابة نحو العلا، نفع الله بك وبكتبك ورزقنا وإياك الإخلاص وحسن العمل وحسن الخاتمة وجعلنا وإياك من الذابين عن شريعة وسنة نبيه محمد ﷺ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد الرحمن إبراهيم فودة
كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة
٢٢ شعبان ١٤٢١هـ
١٨ نوفمبر ٢٠٠٠م

(١) من تقديمه رحمه الله لكتاب (العلم الأعجمي في القرآن مفسَّرًا بالقرآن) تأليف رءوف أبو سعدة جـ١/١٥ وما زالت المحاولات الخبيثة تتابع، وكان منها (وليمة أعشاب البحر) التي تسفّل فيها كاتبها وتدنّى وأساء إلى الذات العلية وإلى القرآن الكريم، والله تعالى ينتقم من أهل الفساد والإفساد ويريح منهم البلاد والعباد.

تقديم

بقلم الدكتور
فتحي جمعة
الأستاذ بكلية دار العلوم
والخبير بمجمع اللغة العربية

إن الحمد لله، نحمده ونستهديه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللّه فلا مُضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

● **وبعد**

فقد كانت الكلمة الجميلة القوية دائمًا، سلاحًا من أسلحة الدعوة الإسلامية، ولهذا تبقى الحاجة ماسة في كل العصور ألى أدب إسلامي رائقٍ لمؤازرة الدعوة، والمجادلة عنها، والمجاهدة فيها .. ولا شك أن الشعر في مقدمة هذا الأدب، وعلى الدرجة العليا منه.

وحين نزلت آية الشعراء في ذمّ طائفة من أصحاب القريض، تزيّف الباطل وتَلْبسُ به

الحق، وتعتمد في شعرها على التخيل والتهويم والادعاء، جاء استثناء المؤمنين العاملين، طمأنةً لقلوب المخلصين وتسكينًا لأنفس المجاهدين:

قال - تعالى -: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾.

لقد ذهب عبد اللَّه بن رواحة - وهو الشاعر المطبوع، والقائد المجاهد المقدام - يضع خوفه بعد نزول هذه الآية، بين يدي النبي ﷺ، أن يكون أحد هؤلاء المتبوعين بالغاوين، فواساه صلوات اللَّه وسلامه عليه بأن شعره جهاده باللسان، إذ المؤمن يجاهد الكفار باللسان كما يجاهدهم بسيفه.

بل كان رسول اللَّه ﷺ يقول لحسّان رضي الله عنه مشجعًا: إن روح القدس يؤيدك، أو إن جبريل معك، أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

إن للكلمة الجميلة أثرًا عميقًا في تحريك، واستثارة النخوة وحَفْز العزائم.. وقد كان الأبطال المغاوير من الصحابة رضوان اللَّه عليهم أجمعين - يَتَدَرّعون بحماسي الشعر ضدّ الضعف، ويدافعون به مشاعر الخور أو أحاسيس الانهزام أن تتملكهم أو تَستحوذ عليهم، وقد ضربوا في ذلك أروع الأمثلة وأجلّها وأبهاها:

في يوم مُؤْتة كان البأس شديدًا على المسلمين، وقد قُتل حامل الراية الأول زيد بن حارثة رضي اللَّه عنه، فتقدم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأخذ الراية، ثم اندفع إلى القتال بَقوة وبسالة نادرة وهو يقول في رجز جميل، يقوّي النفس، ويشدّ العزم، ويجرّي على الموت، ويرغب في الشهادة، ويُغري بالجنة:

يا حبذا الجنة واقترابُها طيبة وباردًا شرابُها
والروم روم قد دنا عذابها كافرةٌ بعيدةُ أنسابها
عليّ إذْ لاقيتُها، ضرابُها

ثم قاتل حتى قُتِل رضي الله عنه.

وأخذ الراية من بعده عبد اللَّه بن رواحة، الذي اندفع بفَرَسه إلى ساحة الوغى قوياً باسلًا يرحب بموت الشهادة، ويُقبل عليه سعيداً راضياً. فيرتجز بهذه الكلمة الرائعة:

أقسمت يا نفس لتنزلنّ لتنزلنّ أو لتُكْرَهِنّهْ
إن أَجْلَب الناس وشدُّوا الرنَّه ما لي أراك تكرهين الجَنَّهْ
قد طالما كنت مطمئنهْ هل أنت إلا نطفة في شَنَّهْ
وما تمنيت فقد أَعطيت إن تفعلي فعلهما هديت

إنها بسالة وإقدام يستعين بالكلمة الشاعرة في مطاردة مشاعر الضعف والخور أو الهزيمة الداخلة أن تتملك النفس أو تتمكن من القلب.

كذلك يكون للشعر أثره في تَخْذيل القوى المتجمّعة ضدَّ فريق الإيمان، كما كان من أمر معبد الخزاعيّ إذْ نظم شعراً خاطب به أبا سفيان بن حرب ومَنْ معه مِنْ قريش، فخوّفهم من الكَرّ على المسلمين؛ لقد نجح «**معبد**» في تجسيد قوة الجيش الإسلاميّ وتنظيمه لصفوفه وعزمه على الثأر والانتقام، وقال:

كادت تُهَدّ من الأصوات راحلتي إذ سالت الأرض بالجُرْد الأبابيل
تردى بأُسدٍ كرامٍ، لا تنابلةٍ عند اللقاء ولا ميل معازيل
فقلت ويل ابن حرب من لقائكمُ إذا تغطمطت البطحاء بالجيل

أما حسّان بن ثابت رضي الله عنه، فقد قارن بين اليومين: بدرٍ وأُحُد، ووازن بين الموقفين موقف النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه ـ رضوان اللَّه عليهم ـ، وموقف الكافرين إذ قال:

سُقْتُمْ كنانة جهلًا من سفاهتكم إلى الرسول؛ فجُنْدُ اللَّه مُخزِيها

أوردتموها حياض الموت ضاحية   فالنار موعدها، والقتل لاقيها
جمعتموهم أحابيشًا بلا حَسَب   أئمة الكفر غرتكم طواغيها
ألا اعتبرتم بخيل اللَّه إذ قتلت   أهل القليب ومنْ القَيْنَةُ فيها
كم من أسير فككناه بلا ثمَنٍ   وجَزّ ناصية كنا مواليها

* * *

تلك أمثلة قليلة للأثر الذي يُحْته البيان الجميل والشعر في حياة الأمة لدى المواقف العظيمة، والأحداث الجسيمة، والمعارك الفاصلة.

ولا شك أن هذا الأثر ثابت أيضًا في عرض الدعوة والانتصار لها والجدال عنها. ولعنا الآن أَحْوج ما نكون إلى رائع البيان، وقوي الشعر؛ يجلو به غبار الأباطيل، وندفع به تُهم الضلال عن الوجه المشرق المنير للإسلام.

نعم نحن في حاجة إلى شعراء يحسّون نبض الأمة ويشعرون بآلامها فَيحيَوْنَ في همومها، فيعبرون عن ذلك أجمل تعبير، ويصورونه أصدق تصوير.

استمع إلى عبد الرحمن العشماوي وهو يخاطب دعاة القومية:

تنمو غُصون الوحدة الـ   كُبْرىَ، على جذع هزيلِ
جذع، هو القومية الْـ   غَمْياءِ عن درب الرحيلِ
أنا لست أقطف يا رفاقي   زهرة النسب الأصيلِ
لكنها قوميّةُ   بلغت حدود المستحيل
هل ألّفت أشتاتكم   يا قوم من قبل الرسول

قد يختفي في روعة الـ عنوان، تضليل الفصول
هـذي صـروح فـخاركـم هُـدِمَـتْ فلوذوا بالطُّلولِ
وابـكـوا عـلـيـهـا مـثـلـمـا يبكي الخليل على الخليل
فـلـعـل إسـرائـيـل تـنـظـر بـعـد هـذا في الحلـول

ثم استمع إليه وهو يتحدث بين يدي الملك خالد في موسم الحج سنة سَبْعٍ وتسعين وثلاثمائةٍ وألف من هجرة سيد المرسلين ﷺ؛ فيقول من قصيدته الرائعة «العبد الحزين»:

عيدُ، ما هذا الخُطَا العجِلاتُ؟
كـيـف تُـطْـوَى أمـامـك الـسـنـوات؟
عيد، هل جئت بالجديد المُهَنا؟
أم أعـيـد بـعَـوْدك الحسـرات
عُـدْتَ يـا عـيـدُ والجراح جراح
لم تُحـقَّـق لأمـتـي الأمـنـيـات

ثم يقول محدداً قيمة الشعر في إيقاظ الشعور، وبعث الأمة، والدعوة إلى التقوى بالتوحُّد والتآخي(١):

قد تضيق الألفاظ عن حمل قصدي رُبَّ صوت تخونه النبرات
هـو شِعْرٌ، فإن فقدنا التآخي فـمـاذا تـفـيـدنـا الأبـيـات

---

(١) ديوان «إلى أمتي» شعر عبد الرحمن صالح العشماوي، ص ٩٥ قصيدة «إلى دعاة القومية».

واجبٌ أن أذيب في الحق صفوي في حياة يدب فيها الممات
خُلق الشعر ناصحاً، فحريٌّ أن تُفيق القصائد الناصحات

ثم يلتفت إلى الملك خالد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية في ذلك الوقت، فيخاطبه بأبيات قوية مؤثرة معبرة، ومنها هذه القطعة التالية:

يا ابن عبد العزيز قد يبعث الشّعْرُ جراحي فتكثر الآهات
لا تلمني، فذاك فيض شعوري ومن الشعر للشعور أداةُ
إن في صورة اجتماعك هذا صورة الحشر تفتح الصفحات
هاهنا فرحة وساعات أنس ونشيد يثني عليه الرواة
وهناك السؤال، ماذا علمتم ويموت من ذاتنا إثباتُ
كل أعضائنا شهود علينا ويموت الإلحاد والأُبهات

* * *

يا ابن عبد العزيز تصفو المعاني حين تغلي في شعري الكلمات
كُنْ مع اللّه فالحياة نضال رُبَّ صوتٍ تجيبه أصواتُ
أنت أدرى فقد تحمَّلْت عبئاً والمعالي في دَرْبها صدمات

وبعد أن ينهي خطابه القوي إلى الملك، يتلفت إلى الأمّة، فيقول:

يا رفاقي وفي ضمير القوافي حَسرات، وخاطر حسرات
هو عيد لكن حملت فؤاداً فيه من غَيْرة الأبي سمات

* * *

كيف يشدو، ولليتامى الحيارى تحت ظلم من العدا أنَات
كيف يشدو ومسجد القدس يشكو وبـلادي أعـيـادهـا وَيْـلاتُ
فتذكرت في فلسطين ثكْلىَ تمضغ البؤس، والأعادي قُساةُ
نحن نشدو وهم يقيمون مُلْكاً في بلادي، ومُلْكُهُمْ عثرات
كيف يبنون في بلادي ظُلماً ومن الظلم تقشعر الرفاةُ

* * *

عيدُ إن كنت تستطيع فَبُعْدًا كيف تأتي وأمتي أشتاتُ
كيف تأتي يا عيد تطلب شدواً وبلادي يعيث فيها الطغاةُ
لست بالراهب الذي يكره الشَدْوَ ولـكـنْ لـفـرحـتـي مـيـقـاتُ
أيها العيدُ لسْتَ عيدي؛ فمَهْلًا إن عيدي أن تُرْفَع الراياتُ(١)

نحن هنا أمام شاعر شاب قوي الشعور صادق الشعور؛ يختلج كيانه كله بآلام أمّته وهمومها، وإنه ليتخذ من المناسبة الدينية الجليلة(٢) وسيلة للتنفيس عن ذاته والإفضاء بشعوره بين يَدَيْ ملك بلاده في شجاعة أدبية، وبسالة نادرة.

تلك «**قَبَسَات**» من ضياء الأدب الإسلامي، و«**قَطَفَاتُ**» مِنْ زمان الإسلام ـ ماضيه البعيد، وحاضره القريب ـ أَنْ قَدْ كان للشعر دوْمًا أثره العميق الفعَّال في حركة الأمة ومسيرتها الطويلة، التي تفرقت بها السُّبُل في منعطفات التاريخ.

---

(١) ديوان «إلى أمتي»، قصيدة العيد الحزين، ص ٧٦ ـ ٨٣.
(٢) ألقيت القصيدة في الحفل السنوي الذي أقيم بمنى في موسم الحج عام ١٣٩٧هـ.

ومن أجل ذلك يكون لعمل أخينا الكريم الدكتور / سيد حسين العفاني - جزاه اللَّه أحسن الجزاء - قيمته الكبيرة في إحياء هذا النمط من التأليف أو التصنيف، في جانب من جوانبه نحتاج إليه حاجة مستمرة متجددة؛ إذ يرمي هذا النوع من التصنيف إلى هدف جليل وغرض نبيل، وهو ترقيق القلوب وتهذيب النفوس، والسموُّ بالأرواح على الانغماس في مطالب المادة والاستغراق في شهوات الأبدان

نَعَمْ!

فما أحوجنا إلى الارتباط بالملأ الأعلى، تساميًا على الحيوانية، وارتقاء فوق البهيمة الكامنة في داخلنا، والمركوزة في طبائعنا.

نحن في حاجة دائمة إلى تغذية شعور الحب الأسمى في قلوبنا: حب اللَّه - تعالى - وحب رسوله ﷺ. ونحن كذلك في حاجة ضرورية لازمةٍ إلى أن تثبت في قلوبنا عقيدة اليوم الأخر، ويتراءى لنا، ويأخذ بأيدينا إلى ما هو خير بإذن الله.

ولقد كان هذا بحق بعض غايات أخينا العزيز الدكتور/ سيد حسين العفاني في مصنّفه الكبير، الذي جمع فيه باقةً جميلة نديّة بليلة نبيلة من أفانين الشعر الديني وأزاهيره.

وقد استطاع - جزاه اللَّه خيرًا وزاده علمًا وصدقًا - أن يجعلها مختلفة الألوان مُنَوّعة الثمار:

فتارة نرتشف من رحيق الحب العلوي. . وأخرى نطوّف في رياض الثناء على الجليل - جلَّ وعلَّا - وثالثة نحلق في آفاق التسبيح والتحميد . . ورابعة مع الافتقار والتذلل والضراعة . . وخامسة في تأمل الكون ومطالعة آيات القدرة. . وسادسة في الاعتبار بالخَلْق. . وسابعة في التوبة والاستغفار. . وثامنة في الدعاء والخوف والرجاء. وتاسعةً في الطمأنينة بذكر اللَّه - تعالى - لأن ذكره - سبحانه - عَيْشُ المحبين.

ولا ريب أنه يستوجب كل حمْدٍ وثناء جميل؛ لما بذله مَن جهد صَبَرَ فيه نفسه على القراءةِ والبحث والنظر بدأَبٍ لا يمل وعزم لا يكل؛ حتى استقام له مصنَّفٌ كبير في بضع مئين من الصفحات.

غير أن هذا العمل الكبير المشكور، يحتاج - في رأينا - إلى أمرين، ليكون أتم وأنفع وأدنى إلى الكمال والإحكام: أحدهما: أن التصنيف ينبغي أن يسلك أحد طريقين:

(١) التصنيف على أسماء الأعلام من الشعراء والأدباء مرتين تاريخياً أو أبجدياً، مع ترجمة موجزة لكل واحد منهم، وتحت كل اسم يورد ما يختاره من شعره في المناسبات أو المعاني الدينية المختلفة، على حسب ما يراه صاحب التصنيف من دواعي الاختيار.

(٢) التصنيف الموضوعي.

أي تقسم الأغراض والمعاني الدينية التي تناولها الشعراء والأدباء المسلمون في مختلف العصور إلى أبواب رئيسية تبدأ من العقيدة، وتنتهي بالمعاملات والأخلاق. وتحت كل باب، يورد طائفة مختارة من الشعر الإسلامي تمثل جميع العصور ومتعاقب الأجيال[(١)].

أما الأمر الآخر الذي نرى حاجة هذا العمل الكبير إليه: فهو كلمة تقديم بين يدي كل قصيدة، وكلمة تعليق بعدها.

كلمة التقديم تشرح الفكرة، وتهيئ نفس القارئ وعقله لِتقبّل ما يقرأ وتمثله والتفاعل معه.

(١) يقول الفقير إلى رحمة ربه سيد العفاني: لقد اخترت التصنيف الموضوعي، وبدأت بكتابي هذا في الثناء على الله ومحبته والافتقار إليه، وذكر أسمائه وصفاته، وبديع مخلوقاته، ثم نثني في كتاب آخر بالثناء على رسوله ﷺ واتباع سنته...إلخ.

وكلمة التعقيب تبيّن موقف المؤلف من الشاعر في هذا الشعر المختار؛ موافقة له أو خلافًا معه.

ولأن هذا جَهد كبير، ينبغي طَرْح البيت والبيتين والثلاثة والأربعة، والاقتصار في الاختيار على القصائد الكاملة أو المقطوعات الكبيرة التي يمكن أن نتعرف منها على منهج الشاعر وعقيدته ومذهبه(١).

وبعد

فتلك «**ملاحظ**» يسيرة، لا تنقص من قيمة هذا العمل الكبير ولا تنزل به عما يستحقَه من مكانة التقدير ومنزلة التكريم. كلا! بل هي - فيما يرى صاحبها - من وسائل الاكتمال ومظاهر الإتقان والإحكام.

وفق اللَّه أخانا الدكتور/ سيد حسين العفاني وسدد خطاه وفتح عليه ونفع به، وزاده علمًا وفضلًا، وإخلاصًا وصدقًا آمين.

وكتبه

دكتور/ فتحي محمد جمعة

كلية دار العلوم جامعة القاهرة

خبير بمجمع اللغة العربية

---

(١) جزى الله خيراً الدكتور فتحي جمعة على هذه الملاحظة.. وما تركتها إلا خوفاً من طول الكتاب في عصر ضعفت فيه الهمم، فجزاه الله من شيخ ناصح خيرًا.

مُقدِّمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(١)، [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

سبحان من رَفع شأن البيان والكتابة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، [القلم: ١]، والقسم بها، تعظيمٌ لقيمتها، وتوجيهٌ إليها، لتقوم بنقْل هذه العقيدة وما يقوم عليها من مناهج الحياة إلَى أرجاء الأرض، ثم لتنهض بقيادة البشرية قيادةً رشيدةً، وكان هذا حلقة من المنهج الإلهي لتربية هذه الأمَّة، وإعدادها للقيام الكوني الضخم الذي قدَّره لها عِلْمه المكنون.

(١) خطبة الحاجة وهي التي كان رسول الله ﷺ يبدأ بها خطبه، وقد جمع طرف أحاديثها محدث ديار الشام الشيخ الألباني رحمه الله في رسالة قصيرة.

مجّد الله قيمة القلم، فأشار إليه هذه الإشارة فِي أوَّلِ لحظةٍ من لحظات الرسالة الأخيرة للبشرية؛ فِي أوّل سورةٍ من سور القرآن الكريم: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ...﴾ وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ * ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾، [العلق: ١ - ٥]، وامتنَّ الله عَلَى الإنسان فقال ـ تعالى ـ: ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾، [الرحمن: ٤]، فكيف إذا كان هذا البيان أرقى البيان معنًى ولفظًا؟! وقد قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمةً»(١).

يقول الرافعي عن البيان: «أيُّ بيانٍ فِي خُضرة الربيع عند الحيوان من آكِل العُشْب، إلَّا بيان الصورة الواحدة فِي معدته، غير أن صُوَر الربيع فِي البيان الإنساني عَلَى اختلاف الأرض والأمم، تكاد تكون بعدد أزاهره، ويكاد النَّدى يُنضِّرها حُسْنًا كما يُنضِّره؛ ولهذا ستبقَى كلُّ حقيقةٍ من الحقائق الكبرى؛ كالإيمان، والجمال، والحُبِّ، والخير، والحق، ستبقى محتاجة فِي كلِّ عصر إِلَى كتابةٍ جديدة من أذهانٍ جديدة».

ونَقْل حقائق الدنيا نَقْلًا صحيحًا إِلَى الكتابة أو الشعر، هو انتزاعها من الحياة فِي أسلوبٍ، وإظهارُها للحياة فِي أسلوبٍ آخَر يكون أوْفى وأدَقَّ وأجملَ؛ لوَضْعِهِ كل شيءٍ فِي خاصِّ معناه، وكشْفه حقائق الدنيا تحت ظاهرها الْمُلْتَبِس، وتلك هي الصناعة الفنيَّة الكاملة، تستدرك النقْص فتُتِمُّه، وتتناول السِّرَّ فتُعْلِنه، وتَلْمَس المقيَّد فتُطلقه، وتأخُذ المُطلق فتحِدُّه، وتكشف الجمال فتُظهره، وترفع الحياة درجةً فِي المعنى، وتجعل الكلام كأنَّه وَجد لنفسه عقلاً يعيش به.

فالكاتِبُ الحقُّ لا يكتُب لِيكتُب، ولكنَّه أداة فِي يد القوة المُصوِّرة لهذا الوجود، تُصوِّر به شيئًا من أعمالها فنًّا من التصوير.

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه، عن أُبَيٍّ، والترمذي عن ابن مسعود، والطبراني فِي «الكبير» عن عمرو بن عوف، وعن أبي بكرة، وأبو نعيم فِي «الحلية» عن أبي هريرة، والخطيب فِي تاريخه عن عائشة وحسّان بن ثابت، وابن عساكر عن عمر.

لا يُخلَق الأديبُ أبدًا إلَّا وفيه أعصابُهُ الكهربائيَّة، وله في قلبه الرقيق مواضع مُهيَّأة للاحتراق، تَنفُذ إليها الأشعةُ الروحانيَّة، وتتساقط منها بالمعاني...

ويُلقى فيها مِثْل السِّرّ الذي يُلقى في الشجرة لإخراج ثمرها.

ربَّما عابوا السُّمُوَّ الأدبِيَّ بأنه قليل، ولكنّ الخير كذلك، وبأنه مخالف، ولكن الحقَّ كذلك، وبأنه محيِّر، ولكنّ الحُسن كذلك، وبأنه كثير التكاليف، ولكنَّ الحريَّة كذلك.

إن لم يكن البحرُ، فلا تنتظر اللؤلؤَ، وإن لم يكن النجمُ، فلا تنتظر الشعاعَ، وإن لم تكن شجرةُ الورد، فلا تنتظر الورد، وإن لم يكن الأديبُ أو الشاعرُ الإِسلامي، فلا تنتظر الأدب»(١).

لله ما أحلاه من أدب «حين تستقرُّ الرُّوح عَلَى منهج الإِسلام، وتنضح بتأثُّراتِها الإِسلاميَّة شِعرًا وفنًّا، وتعمل في الوقت ذاته عَلَى تحقيق هذه المشاعر النبيلة في دنيا الواقع، ولا تكتفي بخلق عوالمَ وهميَّة تعيش فيها، وتَدَع واقع الحياة كما هو مشوَّهًا قبيحًا، حين يكون للروح منهج ثابت يَهْدِف إلى غايةٍ إسلامية، وحين تنظر إِلَى الدنيا فتراها من زاوية الإِسلام، في ضوء الإِسلام، ثم تُعبِّر عن هذا كلِّه شعرًا وفنًّا.

لقد وجَّه القرآن القلوب والعقول إِلَى بدائع هذا الكون، وإلى خفايا النَّفْس البشرية، وهذه وتلك هي مادَّة الشعر والفنّ، وفي القرآن وقفاتٌ أمام بدائع الخلْق والنفْس، لم يَبلُغ إليها شعرٌ قطُّ في الشفافية والنَّفَاذ والاحتفال بتلك البدائع وذلك الجمال، ومن ثَمَّ يستثني القرآن الكريم من ذلك الوصف العامّ للشعراء: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾، [الشعراء: ٢٢٧] فهؤلاء ليسوا داخلين في ذلك الوصف العامّ، هؤلاء آمنوا فامتلأتْ قلوبُهم بعقيدةٍ، واستقامت حياتهم عَلَى منهج،

(١) بتصرف من «وحي القلم»، ١/١٥ - ١٧.

وعملوا الصالحات فاتَّجهتْ طاقاتُهم إِلَى العمل الخيِّر الجميل، ولم يكتفُوا بالتصوُّرات والأحلام ، وانتصروا من بعد ما ظُلموا، فكان لهم كفاح يَنْفُثون فيه طاقتهم، ليصلوا إلى نُصْرة الحقّ الذي اعتنقوه.

ومن هؤلاء الشعراء الذين نافحوا عن العقيدة وصاحبها، فِي إبَّان المعركة مع الشرك والمشركين، عَلَى عهد رسول الله ﷺ : حسَّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله ابن رواحة ـ رضي الله عنهم ـ، من شعراء الأنصار ومنهم: عبد الله بن الزِّبَعْرَى، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

والصُّوَرُ التي يتحقَّق بها الشِّعر الإسلامي والفنّ الإِسلامي كثيرةٌ غير هذه الصورة التي وُجِدتْ وفْقَ مقتضياتها. وحَسْبُ الشعر أو الفنِّ أن يَنبُع من تصوُّر إسلامي للحياة، فِي أيّ جانبٍ من جوانبها؛ ليكون شعرًا أو فنًّا يرضاه الإِسلام، وليس من الضروري أن يكون دفاعًا ولا دفعًا، ولا أن يكون دعوةً مباشرةً للإِسلام، ولا تمجيدًا له، أو لأيام الإِسلام ورجاله.

وإنَّ نظرَةً إِلَى سَرَيان الليل، وتنفُّس الصُّبح ممزوجةً بشعور المسلم الذي يربط هذه المشاهد بالله فِي حِسِّه؛ لَهِي الشعر الإِسلامي فِي صميمه، وإن لحظةَ إشراقٍ واتِّصالٍ بالله، أو بهذا الوجود الذي أبدعَهُ الله؛ لكفيلةٌ أن تُنشئَ شعرًا يرضاه الإِسلام.

ومَفْرِق الطريق، أن للإِسلام تصوُّرًا خاصًّا للحياة كلِّها، وللعلاقات والروابط فيها، فأيّما شعر نشأ من هذا التصوُّر؛ فهو الشعر الذي يرضاه الإِسلام». انتهى من «الظلال» (٥/٢٦٢٢).

* * *

الشِّعْرُ في السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ

- عن ابن عمر، قال: قدم رجلان من المشرق فخطبا، فعَجِبَ الناسُ لبيانهما، فقال رسول الله ﷺ: « إنَّ مِن البَيانِ لَسِحْرًا»(١).

- عن أُبيٍّ بن كعبٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: « إنَّ مِنَ الشِّعرِ حكمةً».(٢)

- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ :« أصدقُ كَلِمةٍ قالَهَا الشَّاعِر كلمةُ لبيدٍ:

ألا كلُّ شَيْءٍ مَا خلا اللهَ بَاطِلُ»(٣).

- عن عمرو بن الشَّريد عن أبيه، قال: رَدِفتُ رسولَ اللهِ ﷺ يومًا فقال: « هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أميَّة بنِ الصَّلتِ شَيْءٌ؟» قلت: نعم، قال : «هِيهِ»، فأنشدتُهُ بيتًا فقال:«هيه»، حتى أنشدتُهُ مِئةَ بيتٍ(٤).

- عن البَراءِ، قال: قال النبيُّ ﷺ يومَ قُريظةَ لحسانَ بن ثابتٍ: « اهجُ المشركين؛ فإنَّ جبريلَ معكَ». وكان رسولُ الله ﷺ يقول لحسانَ: « أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أيِّدْهُ بِروحِ القُدُس»(٥).

- عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لحسانَ: « إنَّ روحَ القُدُس لا يزال يؤيِّدكَ ما نافحتَ عن اللهِ ورسولِهِ». وقالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري.
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه مسلم.
(٥) متفق عليه.

«هَجَاهُمْ حسَّانُ فَشَفَى واشْتَفَى»(١).

ـ عن كعبِ بن مالكٍ، أنَّه قال للنبي ﷺ : إنَّ الله ـ تعالى ـ قد أنْزلَ فِي الشعر ما أنزلَ. فقال النبي ﷺ : « إنَّ المؤمنَ يُجاهدُ بسيفِهِ ولسانِهِ، والذي نفسي بيدهِ لكأنَّما ترمونهم به نَضْحَ النبل»(٢).

وفي « الاستيعاب» لابن عبد البر، أنَّه قال: يا رسولَ الله، ماذا ترى فِي الشعر؟ فقال: « إنَّ المؤمنَ يُجاهدُ بسيفِهِ ولسانِهِ».

ـ عن عائشةَ قالت: كان رسولُ الله ﷺ يضعُ لحسَّانَ منبرًا في المسجدِ يقومُ عليه قائمًا، يُفاخِرُ عن رسولِ الله ﷺ ، أو يُنافحُ، ويقول رسولُ الله ﷺ : « إنَّ اللهَ يُؤيِّدُ حسَّانَ بروحِ القدسِ ما نافحَ أو فاخرَ عن رسولِ الله ﷺ(٣) ».

ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: ذُكرَ عند رسولِ اللهِ ﷺ الشّعْرُ فقال رسولُ الله ﷺ : « هوَ كلامٌ، فحَسنُه حسنٌ، وقبيحُه قبيحٌ»(٤).

رحم الله الشافعي ولله درّه إذ يقول: « من قال الشعر رقّ طبعه».

إن أحسن وشْي رقمته الأقلام، وأبهى زهر تفتحت عنه الآكام، شعرٌ يفوح بعبير الإِسلام نفحه، ويشرق فِي سماء الطروس صبحه، كزهر الروض، أو نفحة الصبا سارية عَلَى الزند والبان.

* نريد شعراً يغرّد تغريداً عَلَى دوحة الإسلام لاينقُّ نقيق الضفادع.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البغوي فِي «شرح السنة»، ورواه أحمد وغيره بإسناد صحيح، كما قال الألباني فِي «تخريج المشكاة» (١٣٥٢/٣) ح٤٧٩٥.

(٣) رواه البخاري.

(٤) إسناده حسن: رواه الدارقطني، وقال الألباني فِي تخريج «المشكاة» ح٤٨٠٧: «إسناده حسن».

لولا النفوس التي تدرك قيمة الجمال ما وجدت عَلَى الأرض نفوس تدرك قيمة الخير، وهل هذا الخير كل قصيدة منه كأنها زهرة تفوح، أو نجم يلوح، تظهر فيه صفات الجمال والخير ينطق بأبلغ ما تفهمه النفوس من المعاني، يفيض الجمال عَلَى نفسه، فيصبح قطعة من هذا الجمال.

* أما الأجلاف من غلاظ الأكباد؛ فإنهم يرون الطبيعة ـ وهي خلق الله ـ مبتذلة، يجدون لها غلظة فِي أنفاسهم؛ كأنهم ينظرون إليها من أكبادهم كأنهم يريدون أن يتنشقوا ريح الزهرة من طينها، كل مافي خلق الله جميل غير أن الإنسان لا يتسع فِي درس علم الجمال إِلَّا بمقدار فهمه للإسلام وجماله،

* نريد شعرًا راقيًا طاهرًا؛ كالرياض المنورة بأزهارها، وكالطيور المغردة بألحانها؛ وكالأشجار المصفقة بأغصانها، وكالنجوم المتلألئة بالنور الدائم.

هذه مظاهر للجمال شتى لكننا نريدها جميعًا فِي قصيد واحد، يعرف لنور النهار عذوبة؛ كعذوبة الماء عَلَى الظمأ، ويظهر الليل؛ كأنه معرض جواهر أقيم للحور العين فِي السموات، ويبدو الفجر بألوانه، وأنواره، ونسماته؛ كأنه جنة سابحة فِي الهواء.

نريد شعرًا يرى الجمال والطهر ضرورة من ضرورات الخليقة، ومن لم يرزق الذوق والرقة من دوحة الإسلام والشعر لم ير الأشياء إِلَّا فِي أسمائها، دون حقائقها ومعانيها.

* أشواق النفس هي مادة الشعر، فليس يكون شعراً إِلَّا إذا وضع المعنى فِي الحياة التي ليس لها معنى، فكيف إذا جاء الشعر ليتكلم عن الإسلام، ويرحم الله الرافعي حين يقول:

«لو أردت أن تعرف الأديب من هو؛ لما وجدت أجمع ولا أدق فِي معناه من أن تسميه « الإنسان الكوني»، وغيره هو إنسان فقط، ومن ذلك ما يبلغ من عمق تأثُّره بجمال الأشياء ومعانيها، ثم ما يقع من اتصال الموجودات به بآلامها وأفراحها؛ إذ

كانت فيه مع خاصية الإنسان خاصية الكون الشامل، فالطبيعة تثبت بجمال فنه البديع أنه منها، وتدل السماء بما فِي صناعته من الوحي والأسرار أنه كذلك منها، وتبرهنُ الحياة بفلسفته وآرائه أنه هو أيضًا منها؛ وهذا وذاك وذلك هو الشمول الذي لا حدّ له، والاتساع الذي كلٌّ آخر فيه لشيء، أول فيه لشيء.

* وهو إنسان يُدلُّه الجمال عَلَى نفسه ليدلَّ غيرَهُ عليه، وبذلك زيد عَلَى معناه معنى، وأُضيفَ إليه فِي إحساسه قوّة إنشاء الإحساسِ فِي غيره؛ فأساس عمله دائمًا أن يزيد عَلَى كل فكرةٍ صورةً لها ، ويزيد عَلَى كل صورة فكرةً فيها، فهو يُبدع المعاني للأشكال الجامدة فيوجد الحياة فيها، ويبدع الأشكال للمعاني المجردة فيوجدها هي فِي الحياة، فكأنه خُلِقَ ليتلقى الحقيقة، ويعطيها للناس ويزيدهم فيها الشعور بجمالها الفني؛ وبالأدباء والعلماء تنمو معاني الحياة؛ كأنما أوجدتهم الحكمةُ لتنقل بهم الدنيا من حالة إلىحالة؛ وكأن هذا الكون العظيم يمرُّ فِي أدمغتهم ليحقِّق نفسَه.

* نريد الأدب الذي يأتي بعظمة الأداء صورة لعظمة الأخلاق، وبرقَّةِ البيان صورة لرقة النفس، وبدقَّته المتناهية فِي العمق صورةً لدقَّة النظرة إِلَى الحياة؛ ويُريك أن الكلامَ أمةٌ من الألفاظ عاملةٌ فِي حياة أمة من الناس ، ضابطةٌ لها المقاييس التاريخية، مُحْكمة لها الأوضاع الإنسانية، مشترِطةٌ فيها المثلَ الأعلى حاملة النور الإلَهيَّ عَلَى الأرض..

.... وإذا أردتَ الأدب الذي يُنْشِئُ الأمةَ إنشاءً ساميًا، ويدفعها إِلَى المعالي دفعًا، ويردُّها عن سَفَاسف الحياة، ويوجِّهها بدقَّة الإبرة المغناطيسية إلى الآفاق الواسعة، ويسدِّدها فِي أغراضها التاريخية العاليةِ تسديدَ القنبلة خرجت من مدفعها الضخم المحرِّر المحكم، ويملأ سرائرها يقينًا ونفوسَها حزمًا، وأبصارها نظرًا وعقولها حكمة، ويَنْفُذُ بها من مظاهر الكون إِلَى أسرار الألوهية.

* إن الشاعر هو مَنْ كان لأمته وللُغتها فِي مواهب قلمه لقَبٌ من ألقاب التاريخ.

* إن الجمال يستعلن فِي كلام شعراء الإسلام، والخيال يظهر فِي تعبيرهم والحكمة تهبط إِلَى الدنيا فِي تفكيرهم، والمثل الأعلى هم الداعون إليه، والأشواق العليا هم موقظوها.

* الشاعر الإسلامي؛ كأنه إنسان من الفلك يُخزن الأشعة ويُريقها، وفي يده الأنوار والظلال يعمل بها عمل الفجر كلما أظلمت عَلَى الناس معاني الحياة، ولا تزال الحكمة تُلقي إليه الفكرة الجميلة؛ ليعطيها هو صورة فكرتها، وتوحي إليه معنى الحق ليؤتيها هو معنى جمال الحق، هو أبدًا وراء ما لا ينتهي من جمال، أوله فِي نفسه وآخره فِي الجمال الأقدس الذي مسح عَلَى هذه النفس الجميلة السامية، فما دام فيه طهر الإسلام وشفافيته ورقة الذوق، فهو دائب يعمل ممزقاً حياته فِي سُبحات النور تمزيقاً يجتمع منه أدبه، ويجتمع منه شعره، وما شعره إِلَّا صورة حياته.» إ .هـ

* * * * *

الشِّعْرُ الإِسْلَامِيُّ

● **ولله درّ العشماوي حيث يقول:**

جوادُ شِعْرِكَ فِي الميدانِ مُنطلقٌ ... وَبَيْنَ عينيهِ مِنْ إِصْرَارِهِ أَلَقُ

صهيلُه نَغَمٌ يُصْغِي الزَّمانُ لَهُ ... وَنَقعُهُ لِحِجابِ الشَّمسِ يَخْتَرِقُ

وسِرْجهُ كَلماتٌ لا يُخَالِطُهَا ... زَيْفٌ ولَا يَرْتَمي فِي حُضْنِها نَزَقُ

تَشْدُو حَوافُره لَحْنًا يَهشُّ لَه ... قَلْبُ التُّرابِ وتَسْتَرخي لَهُ الطُّرقُ

جَوادُ شِعْرِكَ يَجْرِي النُّورُ فِي دَمِهِ ... وتَشْرَئِبُّ إِلَى غَاراتِهِ الْعُنُقُ

مُسافرٌ والأمَانِي البِيضُ لاهثةٌ وَراءهُ وبحارُ الشَّوقِ تَصْطَفِقُ
إذا تَلفَّتَ غَنَّى فَجْرُ غُرَّتِهِ لحْنَ الضِّياءِ وأَرْخى طَرْفَهُ الغَسَقُ
وسافرَ اللَّيلُ مَبْهُورًا وأَعْقَبَهُ فَجْرٌ تَحَفَّزَ لاستقبالِهِ الأُفُقُ
كَتائِبُ الأَحْرفِ البِيضاءِ قَادِمةٌ يزفُّها قَلمٌ يَزْهو بِهِ وَرَقُ
يا عازفَ الحرفِ ما كُلُّ الشُّدَاةِ شَدَوا ولا جَميعُ القَوافي رِيحُها عَبِقُ
كَمْ شاعرٍ جَعلَ الإلحادَ مَنهجَه تَواثبوا نَحْوه بِالشَّوقِ واعْتَنَقُوا
سَارُوا وفي دَرْبِهم وَحْلٌ فإنْ وَقَفُوا غَاصُوا وإنْ حرَّكوا أَقْدَامَهم زَلَقُوا
أَبْنَاءُ جِلْدَتنا لَكِنَّهُم هَجَرُوا وأَهْلُ مِلَّتِنا لَكنَّهُم مَرَقُوا(١)

شِعْرُ التَّائِهِينَ

أَدَبُ التَّائهِينَ لَيْلٌ وخَمْرٌ بَيَنَ كَأْسٍ مُحَطَّمٍ أَوْ غِيدِ
حِينَ يَغْفُو القَصِيدُ فِي حَذَرِ السُّكْـ ـرِ لخَصْرٍ مُهَفْهَفٍ ونُهُودِ
أَدَبٌ ذَلَّ فِي الفُجُورِ ونَامَت بَيْنَ أَحْضانِهِ جُفُونُ العبيدِ
يتوارَوْنَ خَلْفَ سِحْرِ شِعَارٍ كَاذِبٍ أَوْ زَخَارِفٍ ووُعُودِ
سَمِّ ما شئْت مِنْ مِثَالٍ فَهذا أَدَبُ الضَّائِعِ الشَقيِّ الجَحُودِ

(١) جولة مع جواد الشعر من ديوان «شموخ في زمن الانكسار» لعبد الرحمن العشماوي، ص٥١ - ٥٦، مكتبة الأديب.

سَوفَ يَفْنَى مَعَ الزّمانِ ويبْقى ... أَدَبُ الحَقِّ شُعْلَةً فِي الوُجُودِ(١)

هَلْ يَسْتَوِي الشِّعْرَانِ؟

شِعرٌ يموتُ وآخَرٌ يَتَسكَّعُ ... وإلى الفُتاتِ عَلَى الموائِد يُسرِعُ
هذا يَمُدُّ عَلَى السَّحابِ جَناحَهُ ... وسِواه فِي حَمَأِ الرزيلةِ يَرتَعُ
هَلْ يَسْتوي الشِّعرانِ شعرٌ مؤمنٌ ... ومُدَجَّجٌ بالكفرِ لا يتورَّعُ؟!
هَلْ يستوي السيفُ الذي هَتَكَ الدُّجى ... والآخَرُ المُتَزَلِّفُ المُتَصَنِّعُ؟
هَلْ يَستَوي البحرانِ هذا ماؤُهُ ... عذبٌ وذاك الآسنُ المستَنْقَعُ؟
ومنَ الغرائبِ أَنَّ هذا رائِجٌ ... تغدو بِهِ صحفُ الزمانِ وترجعُ
وله من العُشَّاقِ ألفُ قَبيلةٍ ... وله من الأبواقِ جيشٌ مُفزِعُ
يجثُو بأحضانِ الكبارِ مؤرَّبًا ... وإذا مَشَوْا أَوْمَتْ إليه الأصْبُعُ
إن شرَّقوا فالشَّرقُ أقدسُ قِبْلةٍ ... أو غرَّبوا فالغَربُ نِعْمَ المَوْضِعُ
يَجْرِي مع التَّيارِ يعرفُ طبْعَهُ ... وَعَلى لُحونِ الْعازِفينَ يُوَقِّعُ
يمضي إِلَى البيتِ الحرامِ ملَبِّيًا ... ويَؤُمُّ حَانَاتِ الْمَسَاءِ وَيَكْرَعُ
ما أكثرَ الراياتِ فِي أَعْراسِه ... فلِكُلِّ عُرْسٍ رايةٌ تتطَوَّعُ

---

(١) لعدنان النحوي.

والشِّعْرُ مِرآةُ الشُّعوبِ فإِنْ سَمَتْ ... فالشِّعرُ أَسْمَى ما يُقال ويُبدَعُ
وإِذا أضاءَتْ في الْوحُولِ جبينَهَا ... فالشِّعْرُ مِنْها عِنْد ذلك أَضْيَعُ
والشِّعْرُ قِنديلُ الهِدايةِ تارةً ... والشِّعرُ إعْصارٌ يَهُزُّ ويَصْرَعُ
لكِنَّنا نَأبَى القصيدةَ حُرَّةً ... ونَودُّها حَمَلاً يُطيعُ ويَسمعُ
ونَوَدُّهَا فِي الْقَصرِ جاريةً إِذَا ... دُعِيَتْ فَلا تَأْبَى ولا تَتَمَنَّعُ!
إِنَّ الْقصائِدَ كالرِّجالِ فبعضُهم ... شُمُّ الأُنُوفِ وبعضُهم مُتَمَيِّعُ
وَلَقَدْ تَمُوتُ إِذا تَموتُ شهِيدةً ... ويَزُورُها المَطَرُ الحَنونُ فَتَمْرَعُ(١)
وَقَصائدٌ مثلُ الْعَرائسِ مَهْرُهَا ... غَالٍ وأُخرى ليس فيها مَطْمَعُ
فَوْق النُّجومِ تعيشُ بعضُ قصائِدٍ ... والْبَعضُ فِي عَفَنِ القِمامَةِ يَقْبَعُ
وأَجَلُّهُنَّ قَصِيدَةٌ عربيةٌ ... فيها مِنَ الإِسلامِ شَمْسٌ تَسْطَعُ
تَأبى عَلَى أَهْلِ الغُرورِ غُرُورَهُمْ ... وتَشُدُّ مِنْ أزرِ الضَّعيفِ وتَمْنَعُ
وتَثُورُ فِي وجه الطُّغَاةِ وَتَنبري ... للظالمِينَ تَؤُزُّهُمْ وتُزَعْزِعُ
وَإِذَا أَصَابَ المسْلِمينَ مصيبَةٌ ... فَهِيَ التي منْ أجْلِهِم تَتوجَّعُ
وهِيَ الَّتي تَأْسُو الجِرَاحَ بلَيْلِهِمْ ... والفجْرُ مِنْ جُرْحِ القصيدةِ يَطْلُعُ
وهِيَ الَّتي تنهَلُّ في صَحْرَائِهِم ... مَطَرًا وتَحفِرُ فِي الصُّخورِ وتَزرَعُ

(١) مَرِع المكان والوادي يَمرع مرعًا: أخصب من كثرة الكلأ.

حَسْبُ القصائِدِ أنَّها لا تَنْحَني   إلَّا لجبَّارِ السَّمَاءِ وتَرْكَعُ[(١)]

* * * * *

الشعر - «مع اللَّه»

شَرَفُ القَوْلِ كُلُّهُ مِنْ هُدَى الحقْـ   ـقِ وسِحْرُ البَيَانِ بالتَّوْحيدِ
أَدَبٌ يَرْتَوي البَيَانُ لَدَيهِ   مِنْ حديثٍ مِنَ الكتابِ المجَيدِ
رَفَّ بالطِّيبِ عُودُهُ فَتمنَّى   كُلُّ رَوْضٍ نَدَاوَةً مِنْ عُودِ
يَنْثُرُ الجَوْهَرَ الكَرِيمَ عَلَى الدَّهْـ   ـرِ غَنِيًّا باللُّؤْلؤِ المنْضُودِ
فَأَتى الشَّاعِرُ المدِلُّ عَليْهِ   صَاغَهُ مِنْ أساوِرٍ وعُقُودِ

* * * * *

هُوَ رَفُّ النَّدى عَلَى الوَرَق الْيَا   بِسِ يْهتزُّ فِي ربيعٍ جَدِيدِ
هُوَ خَفْقُ الأَوْتَارِ بالنَّغَمِ الْحَا   نِي عَلَى بَهْجَةٍ وَفرْحَةِ عِيدِ
هُوَ زَهْوُ الصِّبَا التَّقيِّ وشَوْقٌ   مِنْ عَفافٍ وزِينَةٌ فِي بُرُودِ
هُوَ فِي الكَوْنِ آيةٌ حَوَّمَ المجْـ   ـدُ عليها رَوَائِعًا من نَشِيدِ

* * * * *

(١) محمود مفلح، ديوان «إنها الصحوة، إنها الصحوة» ط: ١، دار الوفاء ص ٨.

رَفْرَف الشَّوْقُ ، فانتقَى أَدَبُ الإِسْـ ـلامِ منْـهُ قُمْرِيَّةَ التَّغْرِيـدِ
وَهَبَ الحُبُّ عِندَه الآية الكُبْـ ـرَى وأَغْنى قُدْسيَّةَ التَّرْدِيدِ
فَـهُـوَ الـلـهُ لا إلَـهَ سِـوَاهُ هيَ أعْلَى هوًى وأحلَى نَشِيدِ
رجِّعِي يا دُنَا جَلالَ هَوَانَا واسجُدِي وانْعَمِي بهذَا السُّجُودِ
أنا عبدٌ للهِ مَا أعظَمَ الحُبْـ ـبَ وأَغْنَاهُ باليَقِينِ الشَّدِيدِ
يا أهازِيجُ يا نَشيدَ اللَّيالي رَجِّعي اللَّحْنَ أَو أَعِيدِي قَصِيدِي
أنا بالحبِّ نَشْوَةٌ فِي فَمِ الدَهْـ ـرِ ولحْنٌ مِنَ الهَوى المَنْشُودِ

خُلق القلب أديباً

عشت مع الأدب الإسلامي عمري كله، وأبكتني أبياته، وتمنيت أن أتفرغ له، ولكن شاءت إرادة الله أن يتمنى والدي ـ رحمه الله ـ حصولي على بكالوريوس الطب فأتتمته برًا به، وكان الخير في طاعته، ثم عرفت قدر هذا العلم الذي قال فيه الشافعي: «إنما ضيع المسلمون ثلث العلم بتضييعهم للطب، وتركه لليهود والنصارى»

وشاءت إرادة الله أن أتفرغ بعد ذلك للتأليف والدعوة إلى اللّه.

ولله الحمد والمنة أولاً وأخيراً.

❑ **ولله در القائل:**

خُـلِـق الـقـلْـبُ أَدِيـبَـا لم يَـكُـنْ يـومًـا طـبـيـبَـا
غـيـرَ أَنَّ الـلـهَ لَـمَّـا قَـسَـمَ الـطـبَّ نـصِـيـبَـا

أبصرَ القدرةَ فيهِ ورأى الخلقَ الْعَجِيبَا
إنْ أكنْ عِشْتُ طبيبًا فَأَنَا أحْيَا أدِيبَا
عَشِقَ الشعرَ فُؤَادِي فاكْتَوَى النَّارَ لَهِيبَا
ثُمَّ أعْطَى الله عَهْدًا عَنْ هُدَاهُ لَنْ يَئُوبَا
وتَرَاهُ والهُدَى ألْبَسَهُ بُرداً قَشِيبَا
يحمدُ الطِّبَّ وَلَكِنْ يعشَقُ الشِّعْرَ الحَبِيبَا
ويغَنِّي لِهُدَى الإِسْلَامِ خُفُوقًا وَوَجِيبَا

* * * * *

مع الله

وما أجمل أن يكون الشعر تراتيلاً للغد الآتي....وأجمل منه أن تكون باكورته «مع الله»، وأن يكون بدء جمعنا في الشعر الإسلامي تحت هذا العنوان: «مع الله»...

* **نعم «مع الله»** ... ولله در القائل: «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ ما خَلَا اللهَ بَاطِلُ»

❑ **مع الله:**

وقفت عَلَى نجوى الإله جوانحي
لذلك قلبي منزل كله ذكر
ففي صحوتي شوق وفي غفوتي هوى
وفي مشيتي علم وفي وقفتي سر

❑ مع الله:

وأخليت قلبي عن مناجاة غيره
فأصبح طوداً لا يزلزله الغير
أسارع مشتاقاً وأسكت هائماً
وأنطق إجلالاً وما عاقني سير

❑ مع الله:

إنا محبوه آثرنا الحياة له
فلا نلام عَلَى إحياء تقواهُ
إن كان حبي جنوناً بئسما زعموا
يارب زدني جنوناً أنت منحاهُ
قالوا اتخذْ لكَ جاهًا تستعينُ به
قلت اتخذت فكفوا حسبي الله

جمعه حامدًا شاكرًا مصليًا راجيًا محبة الله، وأن يكون «مع الله»

سيد بن حسين العفاني

مَعَ اللَّهِ

إِلَيْكَ وَإِلَّا لَا تُشَدُّ الرَّكَائِبُ
وَمِنكَ وَإِلّا فَالْمُؤَمِّلُ خَائِبُ
وَفِيكَ وَإِلّا فَالْغَرَامُ مُضَيَّعٌ
وَعَنْكَ وَإِلَّا فَالْمُحَدِّثُ كَاذِبُ

مَعْشَرَ الْـمُتَوَجِّهِينَ إِلَى ٱللَّهِ

❑ **مَعْشَرَ الْمُتَوَجِّهِينَ إِلَى ٱللَّهِ: بِحُبِّكُمْ مَا ضَرَّكُمْ مَا فَاتَكُمْ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا كَانَ ٱللَّهُ لَكُمْ حَظًّا، وَمَا ضَرَّكُمْ مَنْ عَادَاكُمْ إِذَا كَانَ الله لَكُمْ سِلْمًا:**

هَنِيئًا لِمَنْ أَضْحَى [١] وَأَنْتَ حَبِيبُهُ ... وَلَوْ أَنَّ لَوْعَاتِ الغَرَامِ تُذِيبُهُ
وَطُوبَى لِصَبٍّ[٢] أَنْتَ سَاكِنُ سِرِّهِ ... وَلَوْ بَانَ عَنْهُ إِلْفُهُ وَقَرِيبُهُ
وَمَا ضَرَّ صَبًّا أَنْ يَبِيتَ وَمَا لَهُ ... نَصِيبٌ مِنَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ نَصِيبُهُ
ومَنْ تَكُ رَاضٍ عَنْهُ فِي طَيِّ غَيْبِهِ ... فَمَا ضَرَّهُ فِي النَّاسِ مَنْ يَسْتَغِيبُهُ
فَيَا عِلَّةً فِي الصَّدْرِ أَنْتَ شِفَاؤُهَا ... وَيَا مَرَضًا فِي الْقَلْبِ أَنْتَ طَبِيبُهُ
عُبَيْدُكَ فِي بَابِ الرَّجَا مُتَضَرِّعٌ ... إِذَا لَمْ تُجِبْهُ أَنْتَ مَنْ ذَا يُجِيبُهُ
بَعِيدٌ عنِ الأَوْطَانِ يَبْكِي بِذِلَّةٍ ... وَهَلْ ذَاقَ طَعْمَ الذُّلِّ إِلاَّ غَرِيبُهُ
تَصَدَّقْ عَلَى مَنْ ضَاعَ مِنْهُ زَمَانُهُ ... ولَمْ يَدْرِ حَتَّىٰ لَاحَ مِنْهُ مَشِيبُهُ
غَدَا خَاسِرًا فالعَارُ يَكْفِيهِ وَٱلعَنَا ... وقَدْ آنَ مِنْ ضَوْءِ النَّهَارِ مَغِيبُهُ[٣]

---

(١) وفي رواية: أمسى.

(٢) الصَّبابةُ: رقة الشوق، والصَّبُّ: المُشتاق.

(٣) استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس.. لابن رجب الحنبلي ص١٣٩ - طبع المكتب الإسلامي - دار الخاني، الرياض.

● **وَلِلَّهِ دَرُّ القَائل:**

إِلَيكَ وَإِلَّا لَا تُشَدُّ الرَّكَائِبُ ... ومِنْكَ وَإِلَّا فَالْمُؤَمِّلُ خائِبُ
وَفِيكَ وَإِلَّا فَالغَرامُ مُضَيَّعٌ ... وَعَنْكَ وَإِلَّا فالْمُحَدِّثُ كَاذِبُ(١)

* * * * *

مَعَ ٱللَّهِ في سَبَحَاتِ الفِكَرْ ... مَعَ ٱللَّهِ في لَمَحَاتِ البَصَرْ
مَعَ ٱللَّهِ في زَفَرَاتِ الْحَشَا ... مَعَ ٱللَّهِ في نَبَضَاتِ الْبَهَرْ
مَعَ ٱللَّهِ في رَعَشَاتِ الْهَوَى ... مَعَ ٱللَّهِ في الْخَلَجاتِ الأُخَرْ

* * * * *

مَعَ ٱللَّهِ في مُطْمَئِنِّ ٱلْكَرَى ... مَعَ ٱللَّهِ عِنْدَ ٱمْتِدَادِ السَّهَرْ
مَعَ ٱللَّهِ آنَ اجتلَاءِ السَّنا ... وَنَيْلِ الْمُنَى والْهَنَاءِ الأغرْ
مَعَ ٱللَّهِ حَالَ اتِّقادِ ٱلْأَسَىٰ ... وَوَقْعِ ٱلْأَذَى وَاحْتِدَامِ الْخَطَرْ
مَعَ ٱللَّهِ في حَمْلِ عِبْءِ الضَّنَى ... مَعَ ٱللَّهِ بِالصَّبْرِ فِيمَنْ صَبَرْ
مَعَ ٱللَّهِ وَالْقَلْبُ في نَشْوَةٍ ... مَعَ ٱللَّهِ وَالنَّفْسُ تَشْكو الضَّجَرْ
مَعَ ٱللَّهِ في كُلِّ بُؤْسَىٰ وَنُعْمَىٰ ... مَعَ ٱللَّهِ في كُلِّ خَيْرٍ وَشَرْ

* * * * *

(١) النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة للشيخ محمد إسماعيل المقدم ص١١ ـ دار الإيمان.

مَعَ ٱللَّهِ في أَمْسِيَ الْمُنْقَضِي   مَعَ ٱللَّهِ فِي غَدِيَ الْمُنْتَظَرْ
مَعَ ٱللَّهِ فِي عُنْفُوَانِ الصِّبَا   مَعَ ٱللَّهِ فِي الضَّعْفِ عِنْدَ الْكِبَرْ
مَعَ ٱللَّهِ فِي الْجِسْمِ وَالرُّوحِ وَالشُّعُورِ وخَفْقِ الرُّؤى والفِكَرْ
مَعَ ٱللَّهِ قَبْلَ حَياتِي وَفِيهَا   وَمَا بَعْدَهَا ، عِنْدَ سُكْنَى الْحُفَرْ
مَعَ ٱللَّهِ فِي النَّشْرِ وَالْحَشْرِ وَالْـ   ـحِسَابِ عَلَى العَمَلِ الْمُدَّخَرْ
مَعَ ٱللَّهِ فِي فَيْءِ فِرْدَوْسِهِ   مَعَ ٱللَّهِ فِي عَوْذِنَا مِن سَقَرْ
مَعَ ٱللَّهِ فِي نَبْذِ مَا قَدْ نَهَى   مَعَ ٱللَّهِ بِالسَّمْعِ فِيما أَمَرْ
مَعَ ٱللَّهِ فِي الْجِدِّ مِنْ أَمْرِنا   مَعَ ٱللَّهِ فِي جَلَسَاتِ السَّمَرْ
مَعَ ٱللَّهِ فِي خَلَوَاتِ اللَّيَالِي   مَعَ ٱللَّهِ فِي الرَّهْطِ وَالْمُؤْتَمَرْ
مَعَ ٱللَّهِ فِي حُبِّ أَهْلِ التُّقَىٰ   مَعَ ٱللَّهِ فِي كُرْهِ مَنْ قَدْ فَجَرْ
مَعَ ٱللَّهِ فِي مُدْلَهِمِّ الدُّجَى   مَعَ ٱللَّهِ عِنْدَ انْبِلَاجِ السَّحَرْ
مَعَ ٱللَّهِ فِي لَأْلَآتِ النُّجُومِ   وَحَبْكِ الْغُيُومِ، وَضَوْءِ الْقَمَرْ
مَعَ ٱللَّهِ وَالشَّمسُ تَكْسُو الدُّنَىٰ   مَعَ ٱللَّهِ وَالشُّهْبُ كَرٌّ وَفَرْ
مَعَ ٱللَّهِ عِنْدَ هَزِيمِ الرُّعُودِ   وَلَمْعِ الْبُرُوقِ وَدَفْقِ الْمَطَرْ
مَعَ ٱللَّهِ فِي الفَلَكِ الْمُسْتَطِير   وَفِي الشَّمْسِ تَجْرِي إِلَىٰ مُسْتَقَرْ
مَعَ ٱللَّهِ فِي ٱلْأَرْضِ فِي سَهْلِهَا   وَأَوْدَائِهَا وَالرَّوَاسِي الْكُبَرْ
مَعَ ٱللَّهِ فِي البَحْرِ مِلْحٍ أُجَاجٍ   مَعَ ٱللَّهِ فِي سَلْسَبِيلِ النَّهَرْ

مَعَ ٱللَّهِ فِي نَأَمَاتِ الْوُجودِ   مَعَ ٱللَّهِ فِي كُلِّ مَا قَدْ فَطَرْ
مَعَ ٱللَّهِ فِي سَكَنَاتِ الْحَيَاةِ   مَعَ ٱللَّهِ فِي حَرَكَاتِ الْحَجَرْ
مَعَ ٱللَّهِ فِي نَسَمَاتِ الرِّيَاحِ   اللَّوَاقِحِ تَخْطُرُ بَيْنَ الشَّجَرْ
مَعَ ٱللَّهِ فِي نَفَحَاتِ الشَّذَا   مَعَ ٱللَّهِ مِلْءَ ثُغُورِ الزَّهَرْ
مَعَ ٱللَّهِ فِي الْحَقْلِ حُلْوِ الْجَنَى   مَعَ ٱللَّهِ فِي ٱلرَّوْضِ دَانِي الثَّمَرْ

* * * * *

مَعَ ٱللَّهِ سَامِعِ صَوْتِ الدَّبِيبِ   مِنَ النَّمْلِ أَنَّى وَأَيَّانَ مَرْ
مَعَ ٱللَّهِ وَالنَّحْلُ يَحْسُو الرَّحِيقَ   وَيَحْمِي جَنَاهُ بِوَخْزِ الْإِبَرْ
مَعَ ٱللَّهِ فِي رَفْرَفَاتِ الْفَرَاشِ   تَلَامَعُ فِي الشَّمْسِ مِثْلَ الدُّرَرْ
مَعَ ٱللَّهِ وَالطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا   وَتَنْعَمُ بِالرِّزْقِ مُنْذُ الْبُكَرْ
مَعَ ٱللَّهِ فِي سَيْرِ وَحْشِ الْفَلَاةِ   بِهَدْيِ الْغَرَائِزِ تَقْضِي الْوَطَرْ

* * * * *

مَعَ ٱللَّهِ يَنْفُخُ مِن رُوحِهِ   عَلَى حَمَإٍ فَيَكُونُ الْبَشَرْ
مَعَ ٱللَّهِ مَا اخْتَلَجَتْ نُطْفَةٌ   بِرُوحٍ خَفِيٍّ ومَا دَرَّ دَرْ
مَعَ ٱللَّهِ فِيمَا سَيَذْرَأُ مِنْ   نُفُوسٍ وفيما مَضَى وَانْدَثَرْ
مَعَ ٱللَّهِ ما اخْتَلَفَتْ في الأَنَامِ   طَبَائِعُ أُنْثَاهُمُ وَالذَّكَرْ

مَعَ ٱللَّهِ مَا افْتَرَقَتْ فِي الْوَرَى ... لُغَاهُمْ وَأَلْوَانُهُمْ وَالصُّوَرْ
مَعَ ٱللَّهِ نَوَّعَ أَشْكَالَهُمْ ... وَخَصَّ أَنَامِلَهُمْ بِالأَثَرْ
مَعَ ٱللَّهِ مَيَّزَ أَذْوَاقَهُمْ ... فَكُلٌّ لَهُ فِي هَوَاهُ نَظَرْ

* * * * *

مَعَ ٱللَّهِ فِي سَبْرِ كُنْهِ الوُجُودِ ... وَرُوحِ الْحَيَاةِ وَسِرِّ القَدَرْ
مَعَ ٱللَّهِ فِي عَالَمِ الْمُدْرَكَاتِ ... وَفِي الْغَيْبِ مِنْ كَائِنَاتٍ أُخَرْ
مَعَ ٱللَّهِ فِيمَا بَدَا وَانْتَشَرْ ... مَعَ ٱللَّهِ فِيمَا انْطَوَى وَاسْتَتَرْ
مَعَ ٱللَّهِ وَفْقَ نَوَامِيسِهِ ... مَعَ ٱللَّهِ رَهْنَ القَضَا وَالقَدَرْ

* * * * *

مَعَ ٱللَّهِ فِي بَعْثِهِ الْمُرْسَلِينَ ... هُدَاةً دُعَاةً إِلَى مَا أَمَرْ
مَعَ ٱللَّهِ فِي وَحْيِ قُرْآنِهِ ... مَعَ ٱللَّه فِي آيِهِ وَالسُّوَرْ
مَعَ ٱللَّهِ فِي قَصَصِ الأَوَّلِينَ ... وَفِي قَصَصِ الأَوَّلِينَ الْعِبَرْ
مَعَ ٱللَّهِ طَوْعًا مَعَ ٱللَّهِ سَوْقًا ... فَمَا مِنْ مَلَاذٍ وَلَا مِنْ وَزَرْ
مَعَ ٱللَّهِ وَالفَيْضُ مِنْ قُدْسِهِ ... يُنِيرُ بَصِيرَتَنَا وَالْبَصَرْ
وَيَدْفَعُ أَعْمَاقَ إِيمَانِنَا ... فِرَارًا إِلَيْهِ وَنِعْمَ الْمَفَرْ
فَنُبْصِرُهُ جَلَّ مِنْ خَالِقٍ ... بِآلَائِهِ الْبَارِعَاتِ الْغُرَرْ

وَنَـحْـيَـا بِـهِ ثُـمَّ نَـحْـيَـا بِـهِ وَنَحْيَا وَنَحْيَا وَنَحْيا الدَّهْـرْ(١)

* * * * *

● وَلِلَّهِ دَرُّ الْأَمِيرِيِّ حِينَ يَقُولُ:

مَا بَيْنَ تَسْبِيحِ ضَوْءِ البَدْرِ مُؤْتَلِقًا وَبَيْنَ تَسْبِيحِ مَوْجِ الْبَحْرِ هَدَّارا

وَقَفْتُ فِي رَكَعَاتِ الْفَجْرِ مُنْتَشِيًا أُسَبِّحُ ٱللَّهَ تِكْرارًا وَتِكْرَارا

وَرَحْمَةُ ٱللَّهِ فِي نَفْسِي لَوَامِعُهَا تَمْحُو ذُنُوبِيَ جَلَّ اللَّهُ غَفَّارَا

وَالْقَلْبُ يَذْكُرُ فِي خَفْقٍ تَسَارُعُهُ يَزْدَادُ يَغْمُرُنِي سَعْدًا وَأَنْوَارَا

حَتَّى شَعَرْتُ بِفَيْضِ الذَّاتِ وَانْبَلَجَتْ رُوحِي، وَرُحْتُ مَعَ الْأَفْلَاكِ دَوَّارَا

● وَلِلَّهِ دَرُّهُ حِينَ يَقُولُ:

يَلُوحُ لِأَغْوَارِي بِأَقْبَاسِ فَيْضِـهِ فَتَهْتَزُّ أَغْوَارِي بِأَقْبَاسِهِ هَزًّا

وَتَبْدُو لِيَ الْأَكْوَانُ فِي دَوَرَانِهَا حِكَايَاتِ إِبْدَاعٍ وَبَارِئُهَا مَغْزَى

* * * * *

(١) قصيدة «مع الله» لعمر بهاء الدين الأميري من ديوان «مع الله».

❑ «مِنْ دُرَرِ زَيْدِ بْنِ عَمْرو بْنِ نُفَيْلٍ»

«إِلَى اللَّهِ أُهْدِي مِدْحَتِي وَثَنَائِيَا»

- **يَا طِيبَ هَـٰذِهِ العِبَارَاتِ الْوَضِيئَةِ وَالثَّنَاءِ الْعَطِرِ، مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ وَلِسَانٍ حَنِيفِيٍّ ذَاكِرٍ، أَصَابَ الْحَقَّ قَبْلَ الْبِعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ حِينَ ضَلَّتْ عَنْهُ عُقُولُ قَوْمٍ بَعْدَهَا.**

إِلَى ٱللَّهِ أُهْدِي مِدْحَتِي وثَنَائِيَا ... وَقَوْلًا رَضِيًّا لَا يَنِي ٱلدَّهْرَ بَاقِيَا
إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ ... إِلَهٌ وَلَا رَبٌّ يَكُونُ مُدَانِيَا
أَلَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِيَّاكَ وَالرَّدَى ... فَإِنَّكَ لَا تُخْفِي مِنَ اللَّهِ خَافِيَا
وَإِيَّاكَ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ ... فَإِنَّ سَبِيلَ الرُّشْدِ أَصْبَحَ بَادِيَا
حَنَانَيْكَ[1] إِنَّ الْجِنَّ كَانَتْ رَجَاءَهُمْ ... وَأَنْتَ إِلَـٰهِي رَبَّنَا وَرَجَائِيَا
رَضِيتُ بِكَ اللَّهُمَّ رَبًّا فَلَنْ أُرَى ... أَدِينُ إِلَـٰهًا غَيْرَكَ اللَّهُ ثَانِيَا
وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلِ مَنٍّ وَرَحْمَةٍ ... بَعَثْتَ إِلَى مُوسَى رَسُولًا مُنَادِيَا
فَقُلْتَ لَهُ اذْهَبْ وَهَارُونَ فَادْعُوَا ... إِلَى اللَّهِ فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ طَاغِيَا
وَقُولَا لَهُ آأَنْتَ سَوَّيْتَ هَـٰذِهِ ... بِلَا وَتَدٍ حَتَّى اطْمَأَنَّتْ كَمَا هِيَا
وَقُولَا لَهُ آأَنْتَ رَفَّعْتَ هَـٰذِهِ ... بِلَا عَمَدٍ أَرْفِقْ إِذًا بِكَ بَانِيَا

---

(١) حَنَانَيْكَ: يُرِيدُ: حناناً بعد حنان. ويجوز أن يريد: حناناً في الدنيا، وحناناً في الآخرة.

وَقُولَا لَهُ آأَنْتَ سَوَّيْتَ وَسْطَها ... مُنِيرًا إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيْلُ هَادِيَا
وَقُولَا لَهُ مَنْ يُرسِلُ الشَّمْسَ غَدْوَةً ... فَيُصْبِحُ مَا مَسَّتْ مِنَ الأَرْضِ ضَاحِيَا
وَقُولَا لَهُ مَنْ يُنْبِتُ الحَبَّ فِي الثَّرَى ... فَيُصْبِحُ مِنْهُ البَقْلُ يَهْتَزُّ رَابِيَا
وَيُخْرِجُ مِنْهُ حَبَّهُ فِي رُءُوسِهِ ... وَفِي ذَاكَ آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ وَاعِيَا
وَأَنْتَ بِفَضْلٍ مِنْكَ نَجَّيْتَ يُونُسًا ... وَقَدْ بَاتَ فِي أَضْعَافِ(١) حُوتٍ لَيَالِيَا
وَأَنْبَتَّ يَقْطِينًا(٢) عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ ... مِنَ اللَّهِ لَوْلَا ذَاكَ أَصْبَحَ ضَاحِيًا(٣)
وَإِنِّي لَوْ سَبَّحْتُ بِٱسْمِكَ رَبَّنَا ... لِأُكْثَرَ إِلَّا مَا غَفَرْتَ خَطَائِيَا(٤)
فَرَبَّ العِبَادِ أَلْقِ سَيْبًا(٥) وَرَحْمَةً ... عَلَيَّ وَبَارِكْ فِي بَنِيَّ وَمَالِيَا(٦)

❑ وما أَعْطَرَ كَلَامَهُ حِينَ يَقُولُ:

وَأَسْلَمتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ ... لَهُ الأَرضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثِقَالَا

---

(١) أَضْعَاف حُوتٍ: جوف الحُوت.
(٢) اليَقْطِين: كلُّ شيءٍ ذهب بسطًا في الأرض، ومنه القرع.
(٣) ضاحيا: عاريًا بارزاً للشمس.
(٤) معناه: لا أعتمد ـ وإن صليت ـ إلا عَلَى دعائك واستغفارك من خطاياي، و«ما» بعد «إلَّا» زائدة، و«لو سبَّحْتُ» اعتراض بين اسم إن وخبرها.
(٥) السَّيْبُ: العطاء.
(٦) البداية والنهاية لابن كثير (٣٢/١)، وقد قيل: إن هذه الأبيات لأمية بن أبي الصَّلت، ومن الأبيات التي ذكرها أبو الفرج لزيد:
أَدِينُ إِلَهًا يُسْتَجَارُ وَلَا أَرَى ... أَدِينُ لِمَنْ لَمْ يَسْمَعِ الدَّهْرَ دَاعِيَا

دَحَاهَا فَلَمَّا رآها ٱسْتَوَتْ عَلَى المَاءِ أَرْسى عليها الجِبَالا
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسلمتْ له المُزْنُ تَحْمِل عَذْبًا زُلَالَا
إذا هِيَ سِيقَتْ إِلَى بَلْدةٍ أَطَاعَتْ فَصَبَّتْ عليها سِجالا

* * * * *

الإمام محمد بن إبراهيم الوزير
إمام اليمن من سادات المحبين

● **قرأ رحمه الله هذا البيت:**

مَنْ فَاتَهُ مِنْكَ وَقْتٌ حَظُّهُ النَّدَمُ وَمَنْ تَكُن هَمَّهُ تَسْمو بِهِ الهِمَمُ[١]

● **فنسج عَلَى مِنْوَالِهِ:**

وَنَاظِرٌ فِي سِوى مَرْآكَ حُقَّ لَهُ
يَفِيضُ مَدْمَعُهُ بِالدَّمْعِ وَهْوَ دَمُ
نَسِيتُ كُلَّ طَرِيقٍ كُنْتُ أَعْرِفُهُ
إِلَّا طَرِيقًا يُؤَدِّينِي لِبَابِكُمُ[٢]
فَسَلِّني كُلَّ حَالٍ كُنْتُ آلَفُهُ
فِي وَصْلِهِ القَطْعُ ما بَيْنِي وبَيْنَكُمُ[٣]

---

(١) الوقت في اصطلاح الخواص زمن الإقبال عَلَى الله. والندم التوبة عن فوان وقت المراقبة. ومن يكن الله همه وغاية مرامه القرب منه؛ فلا تزال همته تدنيه من مولاه، وتسمو به إلى المناجاة. ففي الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي بتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي بسمع به وبصره الذي يبصر به».

(٢) كان بعض السلف يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام، ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ الآية.

(٣) سأل الله أن يسلبه عن وصل كل قاطع عنه وعن القرب من رضوانه، فالقواطع عن الله كثيرة أعظمها الدنيا.

وَٱجْعَلْهُ لِي غَيْرَ مَفْتُونٍ بِهِ أَبَدًا
حَتَّى يُوَفَّى لي حَظِّي بِفَضْلِكُمْ(١)
أَدْعو وأَرْجو مَعَ التَّفْويضِ مُرْتَضِيًا
لِمَا قَضَيْتُمْ بِهِ طَوْعًا لِأَمْرِكُمُ
وَذَاكَ لِي قُرْبَةٌ مِنْكُم بِفَضْلِكُمُ
وَلَنْ أَخِيبَ وَأَشْقَى فِي دُعَائِكُمُ
وَلِي بِكُمْ عِوَضٌ عَنْ كُلِّ مُفْتَقَدٍ
ولَا تُسَاوي الأَمَانِي لَحْظَ طَيْفِكُمُ(٢)
وَإِنَّ تَقطيعَ قَلْبِي فِي وَفَاقِكُمُ
خَيْرٌ لَهُ مِن نَعِيمٍ فِي فِراقِكُمُ
لَكِنَّ عَفْوَكُمُ والفَضْلَ أَوْسَعُ لِي
فَلَاطِفُوا بِعظيمِ الفَضْلِ عَبْدَكُمُ

* * * * *

مُحِبٌّ خَلا بالحِبِّ خَلْوةَ وَاحِدٍ خَلَا بِحَبِيبٍ والظَّلَامُ لَهُ سِتْرُ
يَقُولُ بَذَلْتُ الحُبَّ يا مُنْتَهَى المُنَى وَيَا نُورَ قَلْبِي أَنْتَ لِي سَيِّدي ذُخْرُ

---

(١) سأله أن يجعل الحال الذي ألفه غير فاتن له، أو لا يكون هو مفتونًا بالحال الذي كان عليه ومشغولا به عن الله ـ تعالى ـ كما سأل الله أن يوفي حظه حتى الممات.

(٢) إن في الله عوضاً عن كل هالك وخلفاً من كل فائت، وإن رؤية من يحبه في منامه أحب إليه من نيل كل أمنية.

فلا تُخْزِني يا رَبُّ وٱرْحَمْ تَضرُّعِي ... فَقَدْ وعَظيمِ العَفْوِ أَثْقَلَني الوِزْرُ
وَقَدْ خِفْتُ مِنْ يَوْمِ المَعَادِ مَخَافَةً ... تَيَقَّنْتُ أَنِّي لَيْسَ لي فِيهِما عُذْرُ
بِفَضْلِكَ زِدْني مِنْكَ قُرْبًا وَأَدْنِني ... إِلَيْكَ دُنُوًّا لا يُغَيِّرُهُ الدَّهْرُ
شِفَائي مَقامي فِي الهوى وَهْوَ قَاتِلي ... وبَيْنَ سِقامي والشِّفَا يَنْفَذُ العُمْرُ
وفِي كَبِدِي مِمَّا أُقَاسِي مِنَ الهَوى ... ومِنْ زَفَرَاتِ الحُبِّ يا واجِدِي جَمْرُ
غَزَا الحُبُّ قَلْبِي قَاصِدًا بِجُيُوشِه ... لِيَأْسِرَهُ قَسْرًا فَأَذْهَلَهُ الأَسْرُ
وَحَقِّكَ لا أَنْسَاكَ مَا دُمْتُ بَاقِيًا ... وَهَلْ يَتَسَلَّى مِنْ مَحَبَّتِهِ فَخْرُ؟(١)

* * * * *

❑ المحَبَّةُ الصَّادِقَةُ تنسَخُ مِنْ قلبِ المحُبِّ كُلَّ مَحبَّةٍ لِسوى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

لَقَدْ كَانَ يَسْبِي القلبَ فِي كلِّ ليلةٍ ... ثَمَانونَ بَلْ تِسْعُونَ نَفْسًا وَأَرجَحُ
يَهِيمُ بِهَذَا ثُمَّ يَأْلَفُ غَيْرَهُ ... ويَسْلُوهُمُ مِنْ فَوْرِهِ حِينَ يُصْبِحُ
وقَدْ كانَ قلبي ضائِعًا قَبْلَ حُبِّكُمْ ... فكانَ بِحُبِّ الخلقِ يَلهو ويَمْرَحُ
فَلَمَّا دَعَا قَلْبِي هَواكَ أَجَابَهُ ... فلستُ أراهُ عن خِبائِكَ يَبْرَحُ
حُرِمْتُ مُنَائي مِنْكَ إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا ... وَإِنْ كُنْتُ في الدُّنْيا بِغَيْرِكَ أَفْرَحُ
وَإِنْ كَانَ شَيْءٌ فِي الْوُجُودِ سِوَاكُمُ ... يَقَرُّ بِه القلبُ الجريحُ ويَفْرَحُ

(١) استنشاق نسيم الأنس ص١٣٩ - ١٤٠.

إذا لَعِبتْ أَيْدِي الهَوى بِمُحِبِّكُمْ فَليسَ لهُ عن بابِكُمْ مُتَزَحْزَحُ
فَإِنْ أَدْرَكَتْهُ غُرْبَةٌ عَنْ دِيارِكُمْ فَحُبُّكُمْ بَيْنَ الحشا لَيْسَ يَبْرَحُ
وَكَمْ مُشْتَرٍ فِي الخَلْقِ قد سامَ قَلْبَهُ فلم يَرَهُ إِلَّا لِحُبِّكَ يَصْلُحُ
هَوىٰ غيرِكُمْ نارٌ تَلَظَّى ومَحْبِسٌ وحُبُّكُمُ الفِرْدَوْسُ بَل هُوَ أَفْسَحُ
فَيا ضَيْمَ قلبٍ قد تَعَلَّقَ غَيْرَكُمُ ويا رحمةً مِمَّا يَجُولُ ويَكْدَحُ(١)

رحمك الله يا سَمنون.

* * * * *

❑ **وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:**

فَالخَوْفُ أَوْلَى بِالمُسِيءِ إِذَا تَأَلَّهَ وَالحَزَنْ
وَالحُبُّ يَجْمُلُ بِالتُّقَىٰ وَبِالنَّقَاءِ مِنَ الدَّرَنْ
لَكِنْ إِذَا مَا لَمْ يُحِبُّكُمُ المُسِيءُ فَمَنْ إِذَنْ
أَيُحِبُّ شَيْئًا غَيْرَكُمْ وَحَيَاتِكُمْ كَلَّا وَلَنْ
أَيُحِبُّ مَنْ تَأْتِي مَحَبَّتُهُ بِأَنْوَاعِ المِحَنْ
والسَّعْدُ فِيها ذَابِحٌ وَالقَلْبُ فِيهَا مُرْتَهَنْ
دُونَ الَّذِي فِي حُبِّهِ نَيْلُ السَّعَادَةِ والمِنَنْ
وَمَحِلُّ بَدْرِ كَمَالِهَا سَعْدُ السُّعُودِ هُوَ الوَطَنْ

(١) لسمنون المُحِبِّ، طريق الهجرتين لابن قيِّم الجوزية ص١٧ - ١٨، الطبعة السلفية.

وَالقَلْبُ حِينَ يَحِلُّ فِي تِـلـكَ المَنَـازِلِ وَالـدِّمَـنْ
يُمْسِي وَيُصْبِحُ مِنْ رِضَا هُ وَمِـنْ مُـنَاهُ فِي وَطَـنْ
أَيُحِـبُّـهُـمْ قَـلْـبٌ وَيَـخْـ ـشَى أَنْ يُضَامَ؟ فَلَا إِذَنْ[1]

● وَمَا أَحْلَى قَوْلَ القَائِلِ:

لَمَّا عَلِمْتُ بِأَنَّ قَلْبِي فَارِغٌ مِمَّنْ سِوَاكَ مَلأْتُه بِهَواكَا
وَمَلأْتُ كُلِّي مِنْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْ مِنِّي مَكانًا خاليًا لِسِوَاكا
فالقَلْبُ فيكَ هُيَامُهُ وغَرامُهُ والرُّوحُ لا تَنْفَكُّ عَنْ ذِكْرَاكا
والسَّمْعُ لا يُصْغِي إِلَى مُتَكَلِّمٍ إِلَّا إِذَا ما حَدَّثُوا بِحُلاكا
والطَّرْفُ حَيْثُ أُجِيلُهُ مُتَلَفِّتًا فِي كُلِّ شَيءٍ يَجْتَلِي مَعْناكا

● وَقَوْلَ مَنْ قَالَ:

لا أَذَاقَ الـلـهُ عَـيْنًا أَبْـصَـرَتْ
غَـيْـرَكُـمْ يَـا قُـوتَ قَـلْـبِـي سَـكَـنَـا
لَا ولَا كَـانَـتْ قُـلوبٌ سَـكَـنَـتْ
عِـنْـدَ ذِكْـرَاكُـمْ ولا نَـالَـتْ مُـنَـى

● وَهَكَذا تَكُونُ المَحَبَّةُ:

مَا عَنْكَ يَشْغَلُنِي مَالٌ ولا وَلَدٌ
نَسِيتُ بِٱسْمِكَ ذِكْرَ المَالِ والوَلَدِ

---

(١) طريق الهجرتين، لابن قيِّم الجوزيَّة، ص٣٣٣.

فَلَوْ سَفَكْتُ دَمِي فِي التُّرْبِ لانْكَتَبَتْ
بِـهِ حُـرُوفُـكَ لَمْ تَـنْـقُـصْ وَلَمْ تَـزِدِ

● **وهَـٰذَا شَأْنُ المُحِبِّينَ:**

أَرْحَمْ حُشَاشَةَ نَفْسٍ فِيكَ قَدْ ذَهَبَتْ قَبْلَ المَمَاتِ فَهَذَا آخِرُ الرَّمَقِ
وَلَوْ مَضَى الكُلُّ مِنِّي لَمْ يَكُنْ عَجَبًا وَإِنَّمَا عَجَبِي لِلْبَعْضِ كَيْفَ بَقِي

● **وكَمَالُ الحُبِّ الصَّومُ عَن ما سِوى اللَّهِ:**

كَـبُـرَتْ هِـمَّـةُ عَـبْـدٍ طَـمِعَـتْ فِي أَنْ تَـرَاكَـا
مَنْ يَصُمْ عَنْ مُفْطِرَاتٍ فَـصِـيَـامِي عَـنْ سِـوَاكَـا

● **قَالَ الشَّاعِرُ: -**

يَا ذَا الذِي أَنِسَ الفُؤَادُ بِذِكْرِهِ أَنْتَ الذِي مَا إِنْ سِوَاهُ أُرِيدُ
تَفْنَى اللَّيَالِي والزَّمَانُ بِأَسْرِهِ وَهَوَاكَ غَضٌّ فِي الفُؤَادِ جَدِيدُ

❑ **والمحِبُّ لا يُشغَلُ بِغَيرِ مَحْبُوبِهِ:**

وشُغِلْتُ عن فَهمِ الحَدِيثِ سِوىٰ مَا كَانَ عَنْكَ فَإِنَّهُ شُغْلِي
وَأُدِيمُ لَحْظَ مُـحَـدِّثِـي لِـيَـرَى أَنْ قَدْ عَقِلْتُ وَعِنْدَكُمْ عَقْلِي

● **وَقَالَ مُحِبٌّ لِلَّهِ:**

واللَّهِ ما طَلُعَتْ شَمْسٌ وَلَا غَرُبَتْ إِلَّا وَحُبُّكَ مَقْرُونٌ بِأَنْفَاسِي
وَلَا جَلَسْتُ إِلَى قَوْمٍ أُحَدِّثُهُمْ إِلَّا وَأَنْتَ حَدِيثِي بَيْنَ جُلَّاسِي

● وكَانَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابنُ تَيمية يَتَمَثَّلُ كثيرًا بِهَذَا البَيْتِ:

وَأَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ البُيُوتِ لَعَلَّنِي أُحَدِّثُ عَنْكَ القَلْبَ بالسِّرِ خَالِيَا

❑ وكان سَمْنُونُ يَقُولُ:

يَا عَيْنُ سُحِّي أَبَــدَا يَا نَفْسُ مُوتِي كَمَــدَا

ولا تُحِبِّــي أَحَــدَا إِلَّا الجليـلَ الـصَّمَــدَا

● لِسانُ حَالِ أَحَدِهِمْ:

قَدْ صِيغَ قَلْبي عَلَى مِقْدَارِ حُبِّهِمُ فما لِحُبِّ سِوَاهُمْ فِيهِ مُتَّسَعُ

● والآخَرُ يَقُولُ:

سَهَرُ العُيُونِ لِغَيْرِ وَجْهِكَ بَاطِلٌ وَبُكَاؤُهُنَّ لِغَيْرِ فَقْدِكَ ضَائِعُ

● فَيُجَاوِبُهُ ذُو قَدَمٍ رَاسِخٍ فِي مَحَبَّةِ رَبِّهِ:

ليسَ لِي عَنْكَ ما حَيِيتُ بَرَاحٌ أَنْتَ مِنِّي مُمَكَّنٌ فِي الفُؤادِ

● وهذا فعلُ المحبَّةِ فِي قُلوبِ الصادقين:

لا كان مَنْ لِسِواكَ مِنْهُ قلبُهُ ولَكَ اللسانُ مَعَ الودادِ الكاذبِ

أو:

لا كان مَنْ لِسِواكَ فِيهِ بَقِيَّةٌ فيها يُقَسِّمُ فِكْرَه ويَسُوسُ

● يقولُ الإمامُ ابنُ الوزيرِ:

مَيْلُ القُلُوبِ إِلَى سِوَاكَ حَرَامُ والغَانِيَاتُ جَمِيعُهَا أَصْنَامُ

فاغْفِرْ لِقَلْبِي حُبَّ غَيْرِكَ ضَلَّةً واغْسِلْهُ عَنْهُ كَأَنَّهُ أَحْلَامُ

وَأَفِضْ عَلَيَّ سِجَالَ حُبِّكَ رَحْمَةً فلكَ الأَيَادِي العَمُّ والإِنْعَامُ(١)

● **وقال ـ رحمه الله ـ: أنشدني شيخُنا العلامةُ ابنُ ظهيرةَ بمكةَ المكرمة:**

إِذا مَرِضْنَا تَدَاوَيْنَا بِذِكْرِكُمُ ونترُكُ الذِّكْرَ أَحْيانًا فَنَنْتَكِسُ(٢)

● **فزدت عليه:**

حياتُنا إِن ذَكَرْناكُمْ وَلَوْ نَفَسًا
ومَوتُنا إِنْ خَلا مِنَّا لَكُمْ نَفَسُ

وذِكْرُنا فرعُ ذِكراكُمْ لَنَا كَرَمًا
ذِكرًا هو الشمسُ مِنْهُ ذكرُنا قَبَسُ(٣)

وَذَاكَ فِي سُورَةِ الأَحْزَابِ يُخرِجَنَا
جُودًا إِلَى النُّورِ لمَّا عَمَّنا الغَلَسُ(٤)

فَسَاعِدُونا عَلَى ذِكْرَاكُمُ أَبَدًا
عسى يُدال عَلَى استيحاشِنَا الأَنَسُ(٥)

* * * * *

---

(١) من ديوان مجمع الحقائق والرقائق في ممادح رب الخلائق لابن الصنعاني ـ انظر كتاب «مدائح إلهية» ص٣٨.

(٢) النُّكْسُ والنُّكَاسُ بضمها: عود المرض بعد النَّقَهِ. كما في القاموس.

(٣) يريد قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، فالذكر منه كَرَمًا وإِكْرَامًا لعبدِهِ، وهو كالشَّمسِ ينوِّر قلوبَ المذكورين، وذكر العبد رَبَّه شعبة منه وفرع عليه.

(٤) إشارة إِلَى قوله ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ والغَلس: الظُّلمةُ.

(٥) بضم الهمزة وبالتحريك ـ أي فتح النون ـ ضد الوحشة. ويُدال بضم حرف المضارعة: يُبدل.

● وانظر إِلَى مَنْ رقَّ وراقَ، وذاق وأذاقَ، فإِنَّه عَلَى قدرِ الأذْواقِ تكونُ الأشْواقُ فِي مَوْكِبِ المُحِبِّين؛ انظر إِلَى أبي مَدْيَنَ الغوْثِ يقولُ:

تَضِيقُ بنا الدُّنْيا إذا غِبْتُمُو عَنَّا وتَزْهَقُ بالأشواقِ أرواحُنا مِنَّا

بِعَادُكُمْ مَوْتٌ وقُرْبُكُمُو حَيَا وَإِنْ غِبْتُمُو عَنَّا ولو نَفسًا مِتْنَا

نَعِيشُ بذِكْرَاكُمْ إِذَا لَمْ نَرَاكُمُو أَلَا إِنَّ تَذْكَارَ الأَحِبَّةِ يُنْعِشْنَا

يُحَرِّكُنا ذِكْرُ الأحاديثِ عنكمُو ولولا هَوَاكُمْ فِي الحشا ما تَحَرَّكْنَا

ولَوْلَا مَعانيكمْ تَرَاها قُلوبُنا إِذَا نَحْنُ أيقاظٌ وفي الليل إن نِمْنَا

نموتُ أَسًى من بُعدِكُمْ وصَبابةً ولكنَّ فِي المعنى مَعَانِيكمو مَعْنَا

إذا لم تَذُقْ ما ذاقتِ النَّاسُ فِي الهَوَى فباللَّهِ يا خالي الحَشَا لا تُعَنِّفْنَا

أما تَنْظُرُ الْطَّيْرَ المُقَفَّصَ يا فتى إذا ذَكَر الأوطانَ حَنَّ إِلَى المَغْنَى

وَفَرَّجَ بالتَّغْريدِ ما فِي فؤادِهِ فَيفْلق أربابَ القُلوبِ إذا غَنَّى

كذلِكَ أَرْوَاحُ المُحِبِّينَ يا فتى تُهَزْهِزُهَا الأشواقُ للعالمِ الأَسْنى

فيا عَاذِلي كَرِّرْ عَلَيَّ حَدِيثَهُمْ فأعينُنَا مِنْهُمْ وَأَعينُهمْ مِنَّا(١)

* * * * *

قال نافعٌ - وكان من عُبَّادِ الجزيرة - : «ليتَ رَبِّي جعَلَ ثَوابِي مِنْ عَمَلِي نَظْرَةً مِنِّي إِليهِ ثم يقولَ لِي: يا نافِعُ كُنْ تُرابًا».

(١) أبو مَدْيَنَ الغَوْث للدكتور عبد الحليم محمود ص١١٩ - ١٢١ باختصار - دار المعارف.

● **وفي هذا المعنى يَقُولُ القَائِلُ:**

وَحُرْمَةِ الودِّ مَا لِي عَنْكُمْ عِوَضُ ... وَلَيْسَ لِي فِي سِوَاكُمْ سَادِتِي غَرَضُ
وَقَدْ شَرَطْتُ عَلَى قَوْمٍ صَحِبْتُهُمُ ... بِأَنَّ قَلْبِي لَكُمْ مِنْ دُونِهِمْ قَرَضُوا
وَمِنْ حَدِيثِي بِكُمْ قَالوا به مَرَضُ ... فَقُلْتُ لا زَالَ عَنِّي ذَلِكَ المَرَضُ(١)

● **وأنشد بعضُ العارفين:**

يا حبيبَ القلوبِ ما لي سِواكا ... اِرْحَم اليومَ مُذْنِبًا قَدْ أَتَاكا
أَنْتَ سُؤْلِي وَمُنْيَتِي وسُرُورِي ... قَدْ أَبَى القَلْبُ أن يُحبَّ سِواكَا
يَا مُرادِي وَسَيِّدي واْعْتِمَادِي ... طَالَ شَوْقِي مَتَى يَكُونُ لُقَاكا(٢)

● **ولِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:**

هَجَرْتُ الورى فِي حُبِّ من جَادَ بِالنِّعَمْ ... وَعُفْتُ الكَرَىٰ شَوْقًا إِلَيْهِ فَلَمْ أَنَمْ
وَمَوَّهْتُ(٣) دَهْرِي بالجُنُونِ عنِ الوَرَىٰ ... لِأَكْتُمَ مَا بِي مِنْ هَوَاهُ فما انْكَتَمْ
فَلَمَّا رأَيْتُ الشَّوقَ والحُبَّ بَائِحًا ... كَشَفْتُ قِنَاعِي ثُمَّ قُلْتُ: نَعَمْ نَعَمْ

---

(١) ، (٢) استنشاق نسيم الأنس ص٨٥.
(٣) مَوَّه الشيء: أي طلاه بفضة أو ذهب، وتحت ذلك نحاس أو حديد، ومنه التمويه: أي التلبيس. والمراد هنا: أنفيت هذا الحب عن الخلق وذلك بالتظاهر بالجنون.

فَإِنْ قِيلَ مَجْنُونٌ فَقَد جَنَّنِي الهَوَى
وإِنْ قِيلَ مِسْقَامٌ فَمَا بِيَ مِنْ سُقَمْ
لَقَدْ لَامَنِي الوَاشُونَ فِيكَ جَهَالَةً
فَقُلْتُ لِطَرْفِي أَوْضِحَ العُذْرُ فَاحْتَشِمْ
فَعَاتَبَهُمْ طَرْفِي بِغَيْرِ تَكَلُّمِ
وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الهَوَىٰ يُورِثُ السَّقَمْ
فَبِالْحِلْمِ يَا ذَا المَنِّ لا تُبْعِدَنَّنِي
وَقَرِّبْ مَزَارِي مِنْكَ يَا بَارِئَ النَّسَمْ(١)

* * * * *

● وقال ابنُ الوزيرِ الصَنْعَانِيّ:

إِلَيْكَ وَجَّهْتُ يا مَوْلَاي آمالي
فاسمعْ دُعائيَ وارْحَمْ ضَعْفَ أَحْوالي
أرجُوكَ مولَايَ لا نَفْسِي ولا وَلَدِي
ولا صَدِيقي ولا أهْلِي ولا مالي
لَمَّا عَرَفْتُكَ لم أنظُرْ إِلَى أَحَدِ
فَلا الرَّعيةَ أرجوها ولا الوالي

---

(١) استنشاق نسيم الأنس ص١٣٥.

فلا تَكِلْنِي إِلَى مَنْ ليسَ يَكْلَؤُنِي
وكُنْ كَفِيلي فأَنْتَ الكَافلُ الكالي(١)

ولْتَسْقِنِي كأسَ حُبٍّ مِنْ وِدَادِكَ يا
مَوْلايَ فَهْوَ شَرَابٌ سَلْسلٌ حالي

فلا وحقِّكَ ما للقلبِ من شَغَفٍ
إِلَّا بُحبِّكَ فاَشرحْ لي به بالي

وفيه سلوانُ قلبي عن عَلائِقِهِ
وسَلْسَبِيلي وسُلْوائِي وَسَلْسَالي

وَمِنْهُ أَحْيَى ومِنْ فَقْدِي له مَرَضِي
ومَرْهَمي أبَدًا مِنْهُ وإِبلالِي(٢)

أَنا الفقيرُ إِلَى مَوْلايَ يَرْحَمُنِي
إذا تَقَضَّى بهَوْلِ المَوْتِ إِمْهَالِي

أَنَا الفقيرُ إِلَى مَوْلايَ يَرْحَمُنِي
فِي بَطْنِ لَحْدٍ وَحِيشٍ مُظْلم خالِي

هُنَاكَ لَحْمِي لدُودِ القَبْرِ فَاكِهَةٌ
والعَظْمُ مِنِّي رَمِيمٌ فِي الثَّرى بَالي

(١) كلأه: إذا حفظه.
(٢) الإبلال: الشفاء من المرض.

أَنَا الفقيرُ إِلَى مَوْلايَ يَرْحَمُنِي
يَوْمَ القِيامَةِ من عُنْفٍ وأَهوالِ
وأَنْ أَكُونَ بَعيدًا مِن تَعَطُّفِهِ
مُقَطِّعًا عَنهُ فِي الآبادِ آمالي(١)
أَنَا الفقيرُ إِلَى مَوْلايَ يَحْشُرُنِي
فِي زُمْرةِ المُصطفَى المختارِ والآلِ
صَلَّى الإلَهُ عَلَى أرواحِهِمْ أَبدًا
ضَعْفًا عَلَى قَدْرِ زَخَّار وهطَّالِ(٢)

● وقال رحمهُ اللَّهُ(٣):

وَأَنْتَ لي عِوضٌ عن كُلِّ مُفْتَقَدٍ ... مالي وأهلي وخِلَّاني وجِيراني(٤)
وأُنْسُ غَيْرِكَ مِثْلُ الطَّيْفِ عَنْ كَثَبٍ ... يَفْنَى وَلَيْس بِوافٍ ذَلِكَ الفاني
كَانَتْ لِقَلْبِيَ أَشْجَانٌ مفَرَّقَةٌ ... فَٱسْتَجْمَعَتْ بِكَ فَضْلًا كُلُّ أَشْجَانِي
فَأَسْكَرَ القلْبَ تَفْوِيضًا وطِيبَ رضًى ... إِذَا تَعَرَّضَ فِيهِ الصَّحْوُ أَشْجَاني(٥)

(١) الآباد جمع أبد: وهو الدهر.
(٢) زخّار: صفة للبحر، والهطّال: صفة للغيث.
(٣) ديوان ابن الوزير ص١٥،١٦.
(٤) خُلّان: جمع خليل.
(٥) في نسخة: فضلاً منكَ أشجاني.

رِضًى يُبَرِّدُ حَرَّ النَّارِ إِنْ لَفَحَتْ عِنْدَ الوُرُودِ وَيُولِي دَارَ رُضْوانِ
وَقَدْ أَتى في صَحِيحِ النَّقْلِ أَنَّ جَزَا الــرِّضَىٰ رِضًا فارْضَ وامْنَحْني بِرِضْوَانِ
كَـذَاكَ رَاضِيـةً مَـرْضِـيَّةً وَرَدَتْ بِذَاكَ في خَيْرِ تَفْسِيرٍ لِقُرآنِ
وَقَدْ عَقَدتُ عَلَى هذا الضَّمِيرِ كما مَنَنْتَ إِلَّا بِتلوِيني وَنِسْيَانِي(١)
فَٱرْفَعْهُمَا مُنْعِمًا وَٱغْسِلْ كُدُورَهُما عن واثِقٍ بِكَ في سِرٍّ وإِعلانِ

* * * * *

(١) عَلَى هذا: أي الرضا من الله، أي: جزمت به جزمًا لا يخلّ إلا أن أبتلى بالتلوّن وانقلب القلب والنسيان، ونسأل الله أن يرفعه.

حَدِيثُ الرُّوحِ

مُحَمَّد إِقْبَال

حَدِيثُ الرُّوحِ للأَرْواحِ يَسْرِي وتُدْرِكُهُ القلوبُ بِلَا عَنَاءِ
هَتَفْتُ بِه فَطَار بِلا جَناحٍ وشَقَّ أَنينُه صَدْرَ الفَضاءِ
ومَعْدِنه تُرَابِيٌّ وَلَكِنْ جَرَتْ فِي لَفْظِهِ لغَةُ السَّماءِ
لقد فاضَتْ دُمُوعُ العِشْقِ فيه حَديثًا كان عُلَوِيُّ النَّداءِ
فَحَلَّقَ فِي رُبَا الأفلاكِ حَتَّى أَهاجَ العَالَم الأعلى بُكَائِي

* * * * *

تَحَاوَرَتِ النُّجومُ وقُلْنَ صَوْتٌ بِقُرْبِ العريشِ مَوْصُولُ الدُّعَاءِ
وَجَاوَبَت المَجَرَّةُ عَلَّ طَيْفًا سَرى بَينَ الكواكِبِ فِي خَفَاءِ
وقالَ البدرُ هذا قَلْبُ شاكٍ يُواصِلُ شَدْوَهُ عِندَ المساءِ
ولَمْ يَعْرِفْ سِوى رَضوانَ صَوتِي وما أَحْرَاهُ عِندِي بالوَفاءِ

* * * * *

شَكْوَايَ أَمْ نَجْوَايَ فِي هَذَا الدُّجى ونُجومُ لَيْلِي حُسَّدِي أم عُوَّدِي
أَمْسَيْتُ فِي الماضي أَعِيشُ كأَنَّنِي قَطَعَ الزَّمَانُ طريقَ أَمْسِي عن غَدِي

والطَّيرُ صَادِقَةٌ عَلَى أَغْصَانِهَا ... تُبْكي الرُّبى بأنِينِها المُتَجَدِّدِ
قد طالَ تَسْهِيدي وطَالَ نَشِيدُها ... ومَدَامِعي كالظِلِّ في الغُصْنِ النَّدِي
فإلى مَتى صَمْتي كَأَنيِّ زَهْرةٌ ... خَرْسَاءُ لَمْ تُرْزَقْ بَراعهُ مُنْشِد

* * * * *

فَيْثَارَتِي مُلِئَتْ بِأَنَّاتِ الجَوى ... لَا بُدَّ للمكْبُوتِ من فَيَضَانِ
صَعَدتْ إِلَى شَفتِي خواطِرُ مُهْجَتِي ... ليبَينَ عَنْهَا مَنْطقي ولِسانِي
أنا ما تَعَدّيْتُ القناعةَ والرِّضا ... لكِنَّما هِيَ قِصَّةُ الأَشْجَانِ
يَشْكو لك اللهَمَّ قلبٌ لم يعشْ ... إِلَّا لحمدِ عُلاكَ فِي الأكوانِ

* * * * *

مَنْ كانَ يهتفُ بٱسْمِ ذَاتِكَ قَبْلَنَا ... مَنْ كَانَ يَدعو الواحدَ القهّارَا
عَبدُوا الكواكبَ والنُّجومَ جهالةً ... لم يَبْلُغُوا من هَديها أَنْوَارا
هَلْ أعلنَ التوحيدَ داعٍ قَبْلَنَا ... وهَدَى القلوبَ إليكَ والأنظارَا
ندعو جَهارًا لا إله سِوى الذي ... صَنَع الوجودَ وقدَّرَ الأقدارا

* * * * *

إذَا الإيمانُ ضاعَ فلا أمانٌ ... ولا دُنْيا لمنْ لمْ يُحيي دِينا
ومَنْ رَضِيَ الحياةَ بغيرِ دِينٍ ... فقد جَعَلَ الفَنَاءَ لها قَرِينا

وفي التوحيدِ للهِمَمِ اتحادٌ ولَنْ تَبْنُوا العُلَا مُتَفَرِّقِينَا

* * * * *

أَلَمْ يُبْعَثْ لأمَّتِكُمْ نَبِيٌّ يُوَحِّدُكُمْ عَلَى نَهْجِ الوِئَامِ
ومُصْحَفُكُمْ وقِبْلَتُكُمْ جَمِيعًا مَنَارٌ للأُخُوَّةِ والسَّلامِ
وفَوْقَ الكُلِّ رَحْمَانٌ رَحِيمٌ إِلهٌ وَاحِدٌ رَبُّ الأَنَامِ(١)

* * * * *

● ولِلَّهِ درُّ القائل:

وَرَبٌّ عليمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ يُذَلُّ لِعِزَّتِهِ الكَابِرُ
يَدِينُ لَهُ النَّجْمُ فِي سَبْحِهِ يَدِينُ له الفَلَكُ الدَّائِرُ
يَدِينُ لَهُ الفَرْخُ فِي عُشِّهِ ونِسْرُ السَّمَا الجَارِحُ الكَاسِرُ
تَدِينُ البِحَارُ وَحِيتَانُهَا ومَاءُ سَحَابَاتِهَا القَاطِرُ
تَدِينُ لَهُ الأُسْدُ فِي غَابِهَا وَظَبْيُ الفَلا الشَارِدُ النَّافِرُ
يَدِينُ لَهُ الذَّرُّ فِي سَعْيِهِ يَدِينُ لَهُ الزَّاحِفُ النَّاشِرُ
تَدِينُ النِّجَادُ تَدِينُ الوِهَادُ يَدِينُ لَهُ البَرُّ والفَاجِرُ
يَدِينُ الجَلِيُّ يَدِينُ الخَفِيُّ يَدِينُ لَهُ الجَهْرُ وَالخَاطِرُ
تَدِينُ الحياةُ يَدِينُ الوجودُ يَدِينُ المُقَدَّرُ والحَاضِرُ

---

(١) نظمها بالعربية الشاعر الشيخ الصاوي شعلان. انظر كتاب «محمد إقبال» للدكتور خالد عباس أسدي ص٨٩ - ٩٠.

وكُلُّ العِبادِ إليهِ رُجوعُ وفوقَ العِبادِ هُوَ القَاهِرُ

* * *

● **قَالَ ابنُ الوزيرِ الصَّنْعَانِيُّ - رحمهُ اللَّهُ - في حُبِّ اللَّهِ:**

أَلَا حَبَّذَا حُبُّ الَّذِي الموتُ لُقْيَاهُ(*)
وحُبُّ الَّذي دارُ البَقا مِنَ عَطَايَاهُ

وحُبُّ الذي تَلْقَاهُ في كُلِّ سَاعَةٍ
وفي الليلِ تَلْقَاهُ وفي القَفْرِ تَلْقَاهُ(١)

وفي البحرِ تلقاه إذا هَاجَ وَٱرْتَمَى
وفي القبرِ تلقاهُ وفي الحَشْرِ تلقاهُ

وحبُّ الذي نَرْجوهُ يَكْشفُ كُلَّ ما
نخافُ ويُعطي كُلَّ مَا نَترَجَّاهُ

وحبُّ الذي يَسعَى إِلَى العَبْدِ إِنْ مَشَىٰ
بَطِيئًا فيا بُشْرَىٰ المُشَاةِ بمسْعَاهُ

وحبُّ مَلِيكٍ كُلَّمَا شَاءَ قَالَ كُنْ
رَحِيمٍ حَمِيدٍ كُلُّ مَنْ سَالَ لَبَّاهُ(٢)

(*) ثبت في الأحاديث الصحاح تسمية فراق الدنيا بالموت وبلقاء الله كما جاء في حديث: «من أحب لقاء الله أحبّ الله لقاءه..».

(١) ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.

(٢) ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

إِذَا ضَعُفَ الإنسانُ أو قَلَّ مَالُه
تَجَنَّبهُ مَنْ كَانَ يَرْجُوهُ إِلَّا هُو
فبالضَعْفِ والإقْلالِ يَزْدَادُ رَحْمةً
وقُربًا ويُنْجيهِ وَيَمْحُو خَطَايَاهُ
ويُدْخِلُهُ جَنَّاتِهِ قَبْلَ أَهْلِهَا
بِخَمْسِ مِئِينِ حِينَ قَدَّمَ بَلْوَاهُ[1]
ويَجْزِيهِ إِنْ يَرْضَ الرِّضَا وَبِصَبْرِهِ
بِغَيرِ حِسَابٍ فِي الكِتَابِ يُوفَّاهُ
فَلَا العجزُ يَخشاهُ المُرَجِّي لِفَضْلِهِ
ولا قِلَّةُ المعروفِ والفضلِ يَخشاهُ
يُنِيلُ الذي يدعوهُ ما لا يَضُرُّهُ
مُعِيضًا له عَمَّا يَضُرُّ بِعُقْبَاهُ
ويَصْرِفُ ما قد خَافَ إِلَّا الذي لَهُ
بِهِ الحظُّ والنَّفْعُ العَظِيمُ فَيُؤْتَاهُ
فَبَاطِنُهُ فِي الشَّرِّ خَيْرٌ ونِعْمَةٌ
وَظَاهِرهُ بَلْوَىٰ لِيُجْزَىٰ بِبَلْوَاهُ
وَحُبُّ الذي يَمْحُو الذُّنُوبَ جَمِيعَهَا
بِتَوْبِ وباسْتِغْفَارِهِ وَبِرُحْمَاهُ

(١) كلما ضعف العبد انكسر وكان أقرب إِلَى الله، لأنه بضعفه وفقره ينكسر قلبه.

وحُبُّ الذي يُخْشَى مَعَ الحِلْمِ بَأْسُهُ
فَيَعْفُو عَلَى مَنْ قَدْ عَصَى حِينَ يَخْشَاهُ

وحُبُّ الذي يُعْصَى فَيَسْتُرُ مَنْ عَصَىٰ
وَيَرْزُقُهُ بَعْدَ المَعَاصِي وَيَرْعَاهُ

وإِنْ طَالَ فِي العِصْيَانِ إِسْرَافُ مُؤْمِنٍ
أَتَاهُ بِأَلْطَافٍ بِهَا يَتَلاقَاهُ

وإِنْ عَاقَبَ العبدَ المسيءَ بِفْعلِهِ
فَمِنْ حِكَمٍ لِلَّهِ يَعْلَمُهَا اللَّهُ

وَإِنْ تابَ لم يُغْلِقْ عَنِ التَّوْبِ بَابَهُ
وَلَـٰكِنْ يُلَبِّيهِ سَرِيعًا وَيَرْضَاهُ

أَلَا حَبَّذَا حُبُّ الذي جَمَعَ الثَّنَا
وَأَفْعَالُهُ حُسْنَى جَمِيعًا وَأَسْمَاهُ

وَمِنْ عَدْلِهِ كالفَضْلِ فِي الحَمْدِ والثَّنَا
وَعَقَّبَهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَثْنَاهُ(١)

وَصَلِّ إِلهِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
عَلَى المُصْطَفى والآلِ سُكَّانِ أَحْشَاهُ(٢)

* * * * *

(١) أي أنه يحمده العباد عَلَى السراء وهو الفضل، والضرّاء وهو العدل. وقوله «وعقبه»: أي العدل.
(٢) كأنه يشير إلى أن الأولاد ثمرة الفؤاد فهم سكانه.

● يقولُ طَبيبُ القلوبِ وحَادي الأرواحِ إلَى بلادِ الأفراحِ ابنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ ـ رحمهُ اللَّهُ:

فَمَا كُلُّ عَيْنٍ بِالحبيبِ قَرِيرةٌ ولا كُلُّ مَنْ نُودِي يُجيبُ المُنَادِيَا
وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِي هُدَاكَ فَخَلِّهِ يُجِبْ كُلَّ مَنْ أَضْحَى إِلَى الغَيِّ دَاعِيَا
وقُلْ لِلعُيونِ الرُّمْدِ إِيَّاكِ أَنْ تَرَيْ سنا الشَّمْسِ فَٱسْتَغْشِي ظَلَامَ اللَّيَالِيَا
وَسَامِحْ نُفُوسًا لَمْ يَهَبْهَا لِحُبِّهِمْ وَدَعْهَا وَمَا ٱخْتَارَتْ ولا تَكُ جَافِيا
وقُلْ لِلّذِي قَدْ غَابَ يَكْفِي عُقُوبَةً مَغِيبُكَ عَنْ ذَا الشَّأْنِ لَوْ كُنْتَ وَاعِيا
وَوَاللَّهِ لَوْ أَضْحَى نَصِيبُكَ وَافِرًا رَحِمْتَ عَدوًّا حَاسِدًا لَكَ قَالِيا
أَلَمْ تَرَ آثَارَ القَطِيعَةِ قَدْ بَدَتْ عَلَى حَالِهِ فَٱرْحَمْهُ إِنْ كُنْتَ رَائِيا
خَفَافِيشُ أَعْشَاهَا النَّهَارُ بِضَوْئِهِ ولاءَمَهَا قِطْعٌ مِنَ اللَّيلِ بَادِيَا
فَجَالَتْ وَصَالَتْ فِيهِ حَتَّى إِذَا النَّهَـ ـارُ بَدَا اسْتَخْفَتْ وَأَعْطَتْ تَوَارِيا
إِذَا ظُلْمَةُ الليلِ انْجَلَتِ بِضِيائِهَا يَعودُ لِعَيْنَيْهِ ظَلامًا كَمَا هِيا
فيا مِحْنَةَ الحَسْنَاءِ تُهْدَىٰ إِلَى ٱمْرِئٍ ضَرِيرٍ وعِنِّينٍ مِنَ الوَجْدِ خَالِيَا
فُضُنَّ بِها إِنْ كُنْتَ تَعْرِفُ قَدْرَهَا إِلَى أَنْ تَرَىٰ كُفْئًا أَتَاكَ مُوافِيا
فَمَا مَهْرُهَا شَيْءٌ سِوى الرُّوحِ أَيُّها الْـ جبَـانُ تَأَخَّرْ لَسْتَ كُفُئًا مُسَاوِيا
فكُنْ أبدًا حَيْثُ ٱسْتَقَلَّتْ رَكَائِبُ الْـ ـمَحَبَّةِ فِي ظَهْرِ العَزْمِ سَارِيا
وَأَدْلِجْ ولا تَخْشَ الظلامَ فَإِنَّهُ سَيَكْفِيكَ وَجْهُ الحِبِّ فِي الليلِ هَادِيَا

وسُقْهَا بذِكْرَاهُ مَطَايَاكَ إِنَّهُ سَيَكْفِي المَطَايَا طِيبُ ذِكْرَاهُ حَادِيَا
وَعِدْهَا بِرُوحِ الوَصْلِ تُعْطِيكَ سَيْرَهَا فَمَا شئتَ وٱسْتَبْقِ العِظَامَ البَوالِيا
وَأَقْدِمْ فإِمَّا مُنْيَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ تُرِيحُكَ مِنْ عَيْشٍ بِهِ لَسْتَ رَاضِيا
فَمَا ثَمَّ إِلَّا الوصَلُ أَو كَلَفٌ بِهِمْ وَحَسْبُكَ فَوْزًا ذَاكَ إِنْ كُنْتَ وَاعِيا
أَمَا سَئِمَتْ مِنْ عَيْشِهَا نَفْسُ وَالِهٍ تَبِيتُ بِنَارِ البُعْدِ تَلْقَى المَكَاوِيَا
أَمَا مَوْتُهُ فِيهِمْ حَيَاةٌ؟ وَذُلُّهُ هُوَ العِزُّ والتَوْفِيقُ مَا زَالَ غَالِيا
ولمَّا ادَّعَيْتُ الحُبَّ قَالَتْ كَذِبْتَنِي فَمَا لِي أَرَى الأَعْضَاءَ مِنْكَ كَوَاسِيا
فَلا حُبَّ حَتَّى يَلْصَقُ القَلْبُ بِالحَشَا وَتَذْبُلَ حَتَّى لَا تُجِيبَ المُنَادِيا
وَتَنْحَلُ حَتَّى لا يُبقِّي لَكَ الهَوَىٰ سِوى مُقْلَةٍ تَبْكِي بِهَا وتُنَاجِيا

* * * * *

- **ولِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:**

إِذَا الورودُ خَلَتْ مِنْ طِيبِ نَفْحَتِهَا فلا تُزَاحِمْ بها فِي الأرضِ بُسْتَانا
إِذَا الوجوهُ خَلَتْ مِنْ نورِ سَجْدَتِهَا لَمْ تَسْتَحِقَّ غَدَاةَ الموتِ أَكْفَانَا
إِذَا القلوبُ خَلَتْ مِنْ ذِكْرِ خَالِقِهَا فَهْي الصُّخورُ التي تَحْتَلُّ أَبْدَانا
إِذَا خلا المرءُ مِنْ فَهْمٍ وَمَعْرِفةٍ ظَلمتَ نَفْسَكَ لو تَدعوهُ إِنْسَانا

* * *

● ولِلَّه درُّ القَائل:

لَيْسَ مَنْ بَاتَ قَرِيرًا عَيْنُهُ   مِثْلَ مَنْ أَصْبَحَ قَفْرًا دَارِسَا
لَيسَ مَنْ أُكْرِمَ بالوصلِ كَمَنْ   ظَلَّ يَهْذِي بِلَعَلَّ وَعَسَى
لَيْسَ مَنْ أُلبسَ أَثْوَابَ التُّقَى   مِثْلَ مَنْ أُلبسَ ثَوْبًا دَنِسا
ليسَ مَنْ سِيرَ به مِثْلُ الذي   بَاتَ يَرْعَى لِلحِمَى مُبْتَئِسا
لَيْسَ مَنْ شَاهَدَ صُبْحًا وَاضِحًا   مِثْلُ مَنْ شَاهَدَ ليلًا غَلَسَا
ليسَ مَنْ بُوِّئَ رَوْضَاتِ الحِمَىٰ   مِثْلُ مَنْ أُسْكِنَ قَفْرًا يَابِسا
لَيسَ مَنْ أَشْبَهَ غُصْنًا يَانِعًا   مِثْلُ مَنْ أَشْبَهَ عُودًا يَابِسا

● ولِلَّهِ دَرُّ القَائلِ:

هَلْ يَسْتَوِي مَنْ رَسُولُ اللَّهِ قَائِدُهُ
دَوْمًا وَآخَرُ هَادِيهِ أَبُو لَهَبِ

* * *

عَبِيرُ المُحِبِّينَ لِلَّهِ

طَابَ فِي نَشْرِهِ عَبِيرُ غَرَامِي فَتَضَافَيْتُ والهَوى يَهْدِيني
وحَيَاتِي حَيَاةُ عَالِمِ قَوْمٍ عَرَفَ الحَقَّ. دُونَ أَيِّ فُتُونِ
ومُقَامِي مُقَامُ صَبٍّ مُعَنَّى ثابتِ الجَأْشِ صَادِقِ التَمْكِينِ
دَعَوَاتِي مَنَ الضِّيَاءِ ضِيَاءٌ صِرْتُ كَالفَرْقَدَيْنِ فِي التَبْيِينِ
إِنْ سَكَنْتُ الثَّرى بِجِسْمِي فَرُوحِي فِي سَمَاءِ الهُدَى ونُورِ اليَقِينِ
يَرْمُسُ النَّاسُ فِي القُبُورِ وَرَمْسِي حُبُّ رَبِّي وَفَضْلُهُ يَكْفِينِي
طَالَ نَوْحِي وَلَسْتُ إِلَّا مُحِبًّا سَمِعَ الطَّيْرَ مِنْ أَعَالِي الغُصُونِ
وَسَمِعْتُ الطُّيُورَ وَهِيَ تُنَاجِي والتَّنَاجِي يُثِيرُ شَجْوَ الحَنِينِ
فَتَنَاجَيْتُ بِالأَغَارِيدِ حَتَّى هَامَتِ الطَّيْرُ مِنْ سَمَاعِ حَنِينِي
لَمْ أُمَتِّعْ بِغَيْرِ رَبِّيَ قَلْبِي وَلِهَذَا مَاءُ الهُدَى يَرْوِينِي
وَأَنَا الثَّابِتُ المُحِبُّ دَوَامًا لَسْتُ أَخْشَى عَذْلَ مَنْ عَذَلُونِي
لَوْ يَذُوقُونَ بَعْضَ مَا ذُقْتُ فِيهِ خَفَّفُوا عَذْلَهُمْ وَقَدْ عَذَرُونِي
أُخْضِعُ الرَّاسِيَاتِ مِنْ كَلِمِ العِشْـ ـقِ فَتَعْنو الجِبَالُ عِنْدَ أَنِينِي
فَمَرَامِي وَجْهُ الحَبِيبِ وَإِنْ مِـ ـتُّ شَهِيدًا ففي الرِّحَابِ ذَرُونِي
أَمَلِي فِيهِ أَنْ يُكَفِّرَ عَنِّي مَا تَجَاوَزْتُ مِنْ حُدُودِ الدِّينِ

أَنَا إِنْ كُنْتُ مُذْنِبًا وَأَثِيمًا   إِنَّمَا ذُو الجَلَالِ لَا يُرْدِينِي
أَنَا إِنْ كُنْتُ مُذْنِبًا وَأَثِيمًا   فَرَحِيمُ العِبَادِ لا يُخْزِينِي
أَنَا إِنْ كُنْتُ مُذْنِبًا وَأَثِيمًا   فَرِضَا اللَّهِ سَوْفَ لا يُخْطِينِي
أَنَا إِنْ كُنْتُ مُذْنِبًا وَأَثِيمًا   فَإِلَهِي مِنَ الضَّنَى يَشْفِينِي
أَنَا إِنْ كُنْتُ مُذْنِبًا وَأَثِيمًا   إِنَّمَا رَحْمَةُ الإِلَهِ تَقِينِي
عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ قَلْبِي ضَعِيفٌ   فَرَوَانِي بِمَاءِ عَيْنِ اليَقِينِ

* * * * *

- **ولِلَّهِ دَرُّ القَائلِ:**

الحُبَّ إِنَ مَلَكَ النُّفُوسَ أَعَزَّهَا   والعَاشِقونَ بِربِّهُمْ عُلَمَاءُ
والأَصْلُ فِي الدُّنيا المَحَبَّةُ والهُدَى   لَوْلَا الهُدَى لَمْ تُخْلَقِ الأَشْيَاءُ
فَإِذَا اتَّقَيْنَا اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ   قُضِيَتْ حَوائِجُنَا وَسَالَ المَاءُ
مَنْ يَصْدُقُوا فَازُوا وَمَنْ سَهِرُوا عَلَوْا   وَلَهُمْ أَضَاءَتْ فِي الدُّجَى الزَّهْرَاءُ
مَنْ لَمْ يَذُوقُوا ذِكْرَ خَلَّاقِ السَّمَا   هُمْ والبَهَائِمُ فِي المَقَامِ سَواءُ
بَلْ رُبَّمَا فَطِنَ البَهِيمُ لِربِّهِ   والغَافِلونَ عَنِ الهُدَى بُلَهَاءُ
كُونوا عَلَى هَذْي الطَّرِيقِ يُعِزُّكُمْ   رَبُّ الورَى هَذَا هُوَ الإِهْدَاءُ
لَيْسَ العَطَاءُ المَالُ عِندَ أُولِي النُّهَى   العِلْمُ عِنْدَ المُوقِنِينَ عَطَاءُ

* * * * *

رَضِينَا بِمَا يُرْضِيكَ أَنْتَ مُنَانَا ... وَإِنْ نَطْلُب اللُّقْيَا فَأَنْتَ عُلَانَا
وكُلُّ فُؤَادٍ غَافِلٍ عَنْكَ صَخْرَةٌ ... وَلَكِنَّهُ إِنْ ذَاقَ ذِكْرَكَ لَانَا
وَنَفْسٌ هَوَتْ فِي الغَيِّ مِنْ بَدْءِ أَمْرِهَا ... إِذَا ذَكَرتْ يَوْمًا تَنَالُ أَمَانَا
وبالذِّكْرِ كَانَتْ أَرْضَ تِبْرٍ لِأَهْلِهَا ... وبالذكْرِ تُكْسَىٰ عِزَّةً وَحَنَانا
وَمَنْ يَذْكُرِ الرَّحْمَنَ بالقَلْبِ صَادِقًا ... عَلا فَوْقَ أَعْنَاقِ المُلوكِ مَكَانا
ورُبَّ فَتًى فِي النَّاسِ رَثَّتْ ثِيَابُهُ ... وَلَكِنَّهُ سَادَ الضُّحَى لَمَعَانا
إِذَا كُنْتَ تَهْوَىٰ اللهَ نِلْتَ مَكَانَةً ... وَإِنْ كُنْتَ تَهْوَى النَّاسَ نِلْتَ هَوانا
ورُوحِيَ تَسْتَغْنِي عَنِ النَّاسِ بِٱسْمِهِ ... وَقَلْبِي تَدَانَى بالهَوَى وَتَفَانَىٰ
ونَحْنُ قُلُوبٌ طَهَّرَ اللهُ أَصْلَهَا ... وَرَبُّ السَّمَا بِالمَكْرُمَاتِ كَسَانا
وَلَمْ نَتَكَلَّمْ إِنَّمَا فَاضَ حُبُّنَا ... شُهُودًا فَأَرْسَلْنَا العُلُومَ بَيَانَا
أَلَا أَيُّهَا اللَّاحِي تَجَرَّعْ كُؤوسَنَا ... لِتُصْبِحَ مِنَّا إِنْ سُقِيتَ سَقَانَا
وَتَعْرِفَ عَنَّا وُدَّنَا وَغَرَامَنَا ... وَتُدْرِكَ مِنَّا عِلْمَنَا وَهَوانا
تَجَلَّتْ لَنَا الأَنْوَارُ مِنْ عَالَمِ البَقَا ... فَهَامَتْ بِهَا أَرْوَاحُنَا ونُهَانا
فَنَيْنَا بِهَا حُبًّا فَطَابَتْ حَيَاتُنَا ... رَأَيْنَا بِهَا عِنْدَ الفَنَاءِ بَقَانَا

* * * * *

● **وما أجمل قول القائل:**

سَأَلْتُ فَوَفَّانِي رَجَوْتُ فَزَادَنِيَ ... وَإِنَّ كَرِيمَ الكَفِّ مَا خَابَ سَائِلُهْ
أَحِنُّ عَلَى ذُلٍّ وَأَهْوَى عَلَى هُدًى ... وَأَسْرِي عَلَى عِلْمٍ بِقَلْبِي أُوَاصِلُهْ
وَهَلْ يُدْرِكُ الْآيَاتِ إِلَّا رِجَالُهَا ... وَهَلْ يَعْرِفُ الوِجْدَانَ إِلَّا مُزَاوِلُهْ
وَذُو الوَجْدِ لَا يُغْضِي عَنِ الحُبِّ لَحْظَةً ... بِهِ عَاشَ حَتَّى لَوْ أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ
فَقُلْ لِلَّذِي لَمْ يَشْهَدِ الحَقَّ لَا تَحُدْ ... عَنِ الحَقِّ إِنَّ الحَقَّ قَدْ خَابَ جَاهِلُهْ
شَهِدْنا وَشَاهَدْنَا وَطَابَتْ نُفُوسُنَا ... فَهَامَتْ بِهِ أَرْوَاحُنَا إِذْ نُسَائِلُهْ
أُسَامِرُ لَيْلِي خَالِيًا بِشُهودِهِ ... وَقَلْبِي بِنُورِ الحَقِّ فَاضَتْ مَنَاهِلُهْ

* * * * *

● **وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:**

آنسَ اللَّهُ مُهْجَتي بِعُلُومٍ ... مَزَجَتْنِي بِهَا فَكُنْتُ وِعَاهَا
طَافَ بِي النُّورُ فالمَعَارِفُ بحْرِي ... تَلْفُظُ الدُّرَّ وَهِيَ لَا تَتَنَاهَىٰ
وَارتِقَاءُ الْأَرْوَاحِ فِي مَوْرِدِ الْعِلْـ ... ـمِ يُصَفِّي الْأَرْوَاحَ مِنْ دُنْيَاهَا
وانْعِدَامُ الأَهْوَاءِ وَالْحِسِّ مِنْهَا ... هُوَ مَعْنَى السُّمُوِّ فِي مَسْرَاهَا
يَا سُرورِي بِقَوْلِه يَا عِبَادي ... أَنَا فِي سَمْعِهَا أَنالُ رِضَاهَا

* * * * *

● **وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:**

وَقفَتْ عَلَى نَجْوَى الإِلَهِ جَوَانِحي ... كَذَلِكَ قَلْبِي مَنْزِلٌ كُلُّهُ ذِكْرُ

وَأخْلَيْتُ قَلْبِي مِنْ مُنَاجَاةِ غَيْرِهِ | فَأَصْبَحَ طَوْدًا لَا يُزَلْزِلُهُ الغَيْرُ
أُسَارِعُ مُشْتَاقًا وَأَسْكُتُ هَائِمًا | وَأَنْطِقُ إِجْلالًا وَمَا عَافَنِي سَيْرُ
فَفِي صَحْوَتِي شَوْقٌ وَفِي غَفْوَتِي هَوًى | وَفِي مِشْيَتِي عِلْمٌ وفِي وَقْفَتِي سِرُّ

* * * * *

● ومَا أعذبَ قول الشَّاعر:

شَرَابُ الحُبِّ يُعْرَفُ بِالْمَذَاقِ | وَمَا كُلُّ السُّقَاةِ لَهُ بِسَاقِي
ولَيْسَ أَخُو غَرَامٍ مِنْ مُنَاهُ | لِقَاءُ الغِيدِ أَوْ كَأْسٍ دِهَاقِ
ولَيْسَ بِعَاشِقٍ مَنْ لا تَرَاهُ | مِنَ الشَّهَوَاتِ طُهْرٌ وَالنِّفَاقِ
إِذَا مَا عِشْتُ لَا أَنْسَى إِلَهِي | بِهِ أَسْمُو مِنَ الأُخْرَى المَرَاقِي
أُحِبُّ اللهَ عَنْ أَدَبٍ وَصِدْقٍ | ولَا أَرْضَى سِوَى التَّقْوَى خَلاقِي
يَعِزُّ عَلَيَّ تَرْكُ الحُبِّ عِنْدِي | وَلَوْ بَلَغَتْ بِيَ الرُّوحُ التَّرَاقِي
تَرَكْتُ جَمِيعَ خَلْقِ اللهِ دُونِي | شُغِلْتُ عَنِ الخَلائِقِ باشْتِيَاقِي
أَلَا يَا سَاقِيَ العُشَّاقِ مَهْلًا | تَعَالَ امْلَأْ كُؤُوسَكَ مِنْ حِقَاقِي
غَرَامِي قَدْ مَزَجْتُ بِهِ رَجَائِي | عَلَى خَوْفٍ فَمِنْ خَوْفِي مَذَاقِي
وَرُوحِي أَدْرَكَتْ مَعْنَى التَّجَلِّي | فَمِنْهُ أَرَى اصْطِبَاحِي واغْتِبَاقِي
وَمَنْ عَرَفَ المَحَبَّةَ عَنْ يَقِينٍ | حَرَامٌ أَنْ يَمِيلَ إِلَى فِرَاقِ

أَطُوفُ عَلى الرِّحَابِ بِكُلِّ ذُلٍّ   مُرِيدًا وَاليَقِينُ بِهِ انْسِيَاقِي
وَكَيْفَ أُحِبُّ غَيْرَ اللهِ يَوْمًا   وَلَيْسَ سِواهُ فِي الأَكْوَانِ بَاقِ

* * * * *

❏ **وانظر إلى رِقة تنساب لفظاً:**

إِنَّا مُحبُّوهُ آثَرْنَا الحَيَاةَ لَهُ   فَلا نُلامُ عَلَى إِحْيَاءِ تَقْواهُ
إِنْ كَانَ حُبِّي جُنُونًا بئْسَما زَعَمُوا   يَا رَبِّ زِدْنِي جُنُونًا أَنْتَ مَنْحَاهُ
قَالُوا اتَّخِذْ لَكَ جَاهًا تَسْتَعِينُ بِهِ   قُلْتُ اتَّخَذْتُ فَكُفُّوا حَسْبِي اللهُ

* * * * *

● **يقول محب لله:**

لَا تُحَارِبْ بالعَذْلِ قَلْبَ مُحِبٍّ   عَالَجَ الشَّوْقَ عُمْرَهُ وَلْهَانَا
وَتَلَطَّفْ بِهِ فَقَدْ حَكَمَ الشَّوْقُ   عَلَيْهِ فَلَنْ يَفِيقَ جِنَانَا
اعْذُرُونِي أَوِ اعْذِلُونِي فَإِنِّي   لَسْتُ أَخْشَى المَلَامَ مِن حَيْثُ كَانَا
إِنَّمَا اللَّوْمُ فِي المَحَبَّةِ عِنْدِي   لاَ يَزِيدُ المُحِبَّ إِلَّا افْتِتَانَا
جَرِّبِ الحُبَّ مِثْلَمَا جَرَّبَ العَا   شِقُ تَلْقَ المَلامَ يُذْكِي هَوَانَا
قَدْ رَضِينَا باللهِ لَا بِسواهُ   مَا لَقِينَا لَمَّا رَضِينَاه هَوَانَا
قَدْ تَنَاءَيْتُ عَنْ سِوَاهُ بِكُلِّي   وَتَلَقَّيْتُ سِرَّهُ إِحْسَانَا

* * * * *

سَمِعْتُ بَأَنَّ امْرَءاً صَادَ ذِئْبَا فَأَوْلاهُ عَطْفًا وَأَصْفاهُ حُبًّا
فَلَمَّا نَمَا الذِّئْبُ وَاسْتَأْسَدَا بِأَنْيَابِه مزَّقَ السَّيِّدَا
وَقِيْل لِذَاكَ الْجَرِيْحِ الْمُصَابِ حَلِيْفَ الرَّدَى مَنْ يُرَبِّي الذِّئَابْ
وَنَفسُكَ ذِئْبٌ فَحَاذِر هَوَاهَا فإِنَّ الْمَنَايَا سَرَتْ في مُنَاهَا

* * * * *

أُسَاةُ جِسْمَكَ شَتَّى حِيْنَ تَطْلُبُهُمْ
فَمَنْ لِرُوحِكَ بِالنُّطْسِ الْمُدَاوِينَا

* * * * *

● **يقول الشَّاعر:**

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلهُ شَبَّ عَلَى
حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ
فَرَاعِهَا وَهْيَ فِي الْأَعْمَالِ سائِمَةٌ
وَإِنْ هِي اسْتَحْلَتِ الْمَرْعَى فَلاَ تَسِمِ
كَمْ حَسُنَتْ لَذَّةٌ لِلْمَرءِ قَاتِلَةٌ
مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدَرِ أَنَّ السَّمَ فِي الدَّسَمِ

* * * * *

أخي: هكذا يكون العيش:

قَتَلْتُ هَوَى نَفْسِي فَعِشْتُ بِلَا نَفْسِ
وَجَافَيْتُ أُنْسي فَانْحَدرتُ إِلَى الأَنْسِ
وَلَمْ أُبْدِ أَمْرِيْ لِلعِبادِ فَطَالَمَا
كَتَمْتُ الَّذِي ألقى عَنِ الجِنِّ وَالإِنْسِ
وَأَدْرَكْتُ بِالْوجْدَانِ سرَّ أَحِبَّتي
وَعَايَنْتُ آياتِ الْيقِينِ بِلَا لَبْسِ
وَعِشْتُ زَمانِي لسْتُ أحفلُ بِالْورَى
وَكَيْفَ وَقَلْبي هَامَ فِي مَشْهَدِ الْقُدسِ
تعَشَّقتُ نورَ اللَّهِ وَهوَ بَصيرتِي
وَقَدْ وَضَحَ الْبُرْهَانُ مِنْ آيةِ الْكُرْسِي
وَمَا اتَّخَذَتْ رُوحي سِوَى اللَّهِ غَايةً
فتَمَّ الْهُدَى للرُّوحِ وَالقَلْبِ وَالحِسِّ
وَإِنْ شَرِبَ النَّاسُ الطَّلَا وَتَصَبَّبُوا
فَسُنَّةُ خَيْرِ الخَلْقِ فِي شُرْبِهَا كَأسِي
وَعَلَّمْتُ غَيْرِي مَا أفَدْتُ مِنَ الْهُدَى
فَلَمْ يَبقَ ذو فَهمٍ لَديَّ عَلَى طَمَسِ

وَلَمْ أَعشَقِ الدُّنْيَا فَتِلْكَ مَجَازَةٌ
تُهيِّئُ للأخرى وفي فَوْتِهَا عُرْسِي

* * * * *

❑ يقول الشَّاعر عن المحبين:

وَلنَا مِنْ نُورِ حَضْرَتِهِ أَمَلٌ فِي يَوْمِ رُؤْيَتِهِ
قَدْ رَجَوْنَا فَيْضَ رَحْمَتِهِ وتَلاحَقْنَا بِسَاحَتِهِ
فَلَقِينَا أَطْيَبَ الأَمَلِ

ادَّخَرْنَا ذِكْرَهُ عَددَا واتَّخَذْنَا وُدَّهُ مَددَا
وَمَدَدْنا لِلعَطَاءِ يَدَا فَأفَاضَتْ بِاليَقِينِ يدَا
خَالِقي فَالكُلُّ فِي نَهَلِ

رَائِدي فِي حُبِّهِ سَهَرِي وَبِهَذا تَمَّ لِي ظَفَرِي
يا فُؤَادِي كُنْ عَلى حَذَرِ مِنْ حِسَابِ اللهِ واعْتَبِرِ
بالَّذي قَدْ مَرَّ مِنْ دُوَلِ

طُولَ لِيْلِي فِي مَحَبَّتِكُمْ أَتَحَلَّى مِنْ جَلالَتِكُمْ
قَدْ غَرِقْنَا فِي مَوَدَّتِكُمْ وانْتَظَمْنَا فِي حِمَايَتِكُمْ
فِي جَلالٍ صَيِّبٍ هَطِلِ

يَا حَبِيبي أَنْتَ مُحْتَسَبِي أَنتَ ربِّي مُنْتَهَى طَلَبِي

أَنْتَ يَا رَبَّ السَّمَا أَرَبي　　أَنْتَ يا خَلَّاقُ مُنْتَسَبِي
أَنْتَ لي يَا ذَا الجَلَالِ وَلِي

قَدْ تَعَاهَدْنَا بِمُهْجَتِنَا　　وَتَحَمَّلْنَا بِرِقَّتِنَا
وتَأَهَّبْنَا بخَشْيَتِنَا　　وتَوَجَّهْنَا بِذِلَّتِنَا
وَعَنْ الأَعْتَابِ لَمْ نَمِلِ

ولَنَا مِنْ رَبِّنَا كَرَمُ　　وَعَلَيْنَا تُسْكَبُ النِّعَمُ
نَحْنُ بِالْإِيمَانِ نَعْتَنِمُ　　وبِوَجْهِ اللهِ نَعْتَصِمُ
وَلنَا الإِخْلَاصُ في الْعَمَلِ

رَاحَتِي فِي الحُبِّ وَجْهَتُكُمْ　　مَطْلَبِي فِي العُمْرِ رُؤْيَتُكُمْ
مَقْصِدِي فِي المَوْتِ رَحْمَتُكُمْ　　قدَ دَعَتْنِي اليومَ خَشيَتُكُمْ
لَكُمو وَالْقَلْبُ في وَجَلِ

لَمْ تَغِبْ عَنِّي مَشَاهِدُكُمْ　　طَالمَا رُوحِي تُعَاهِدُكُمْ
وتُزَكِّينِي مَقَاصِدُكُمْ　　وتُجَلِّينِي مَوَارِدُكُمْ
فَأَرَى مِنْ ضَوْئِهَا أَمَلِي

* * *

يَا لَيْلُ الصَّبُّ مَتَى غَدُهُ

يَا لَيْلُ الصَّبُّ مَتَى غَدُهُ لِمَرِيضٍ مَلَّتْ عُوَّدُهُ
مَا كَانَ هَوَايَ لِغَانِيَةٍ أَوْ كَانَ لِظَبْيٍ أَعْهَدُهُ
بَلْ لاسمِ اللّهِ وَفِي اسمِ اللَّهِ وَباسمِ اللهِ أُوَحِّدُهُ
فَيُرِينِي الْعَفْوَ فَأَعْبُدُهُ وَيُرِينِي الْفَضْلَ فَأَحْمَدُهُ
إِنْ عَزَّ النَّاسُ بِمَا لَهُمُو عِزِّي دِيْنٌ أَتَعَهَّدُهُ
أَنَا فَانٍ مِنِّي عَنِّي بَلْ بِكَ بَاقٍ يَسْلَمُ سُؤْدُدُهُ
وَلَدَيْكَ هُدَايَ وَمِنْكَ مُنَايَ وَمِنْكَ عَطَائِي أَشْهَدُهُ
فَمَتَى أَلْقَاكَ وَبِي شَغَفٌ أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ

* * * * *

رَبِّ رُحماكَ![1]

لَكَ مَحيَايَ خَالِصًا.. وَمَماتِي يَا إِلهِي.. وَيَا عَظِيمَ الصِّفاتِ
لكَ سَعْيي.. وَفِيكَ غَايةُ حُبِّي وَنَجَاوَى ضَرَاعَتِي.. وَصَلاتِي
وَسُجودِي.. مِعْرَاجُ رُوحِي وَعَقْلِي وَانْعِتاقِي.. وَلَذَّتي.. وَحَياتِي
وَكَأَنِّي فِي بَحْرِ نُورِك طَيْفٌ هَائِمُ الشَّوْقِ.. واكِفُ العَبَراتِ
وَكَأَنَّ الوُجودَ مِحْرابُ تَقْديـــسٍ وَذِكْرٍ.. أَفْنَى بهِ عَنْ ذَاتِي
وَأَرى الْكَوْنَ.. وَالْفَضَاءَ.. كِتَابًا سُطِّرَتْ فيهِ أَرْوَعُ الآيَاتِ
كُلُّ شيءٍ مِرْآتُهُ عَنْكَ تَحْكي وَتُرِينا الإِبْداعَ.. وَالْمُعْجِزَاتِ
وَلِسانُ الوُجودِ يَلْهَجُ بالحَمْدِ.. اعْترافًا مِنْهُ بِفَيْضِ الهِباتِ

* * * * *

رَبِّ رُحْمَاكَ!.. كُلُّ نَبْضَةِ عِرْقٍ مِنْ فُؤادي تَجِيشُ بالدَّعَواتِ
قَصَّرَتْ هِمَّتِي.. وَهِيضَ جَنَاحِي أَيْنَ مِنّي النُّهُوضُ بِالْوَاجِبَاتِ
أَيْنَ بَذْلي مِنْ أَجْلِكَ النَّفْسَ وَالمَا لَ.. وَمَعْنَى تَجَرُّدِي.. وَثَبَاتِي
طَالَمَا قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسي.. فَعَفْوًا وَأَعِنِّي رَبِّي عَلَى الطَّاعَاتِ
وَرَجَائِي.. وَحُسْنُ ظَنِّي.. وَصِدْقِي هُوَ يَوْمَ الحِسَابِ حَبْلُ نَجَاتِي

* * *

(١) لأحمد محمد الصديق من ديوان «جراح وكلمات».

الْحُبُّ الْبَاقِي

أَنَا مِنْ مَعِينِكَ يَا إِلَهِي أَسْتَقِي ... وَأَهِيمُ حُبًّا بِالجَمَالِ المُطْلَقِ
وَأُذيبُ فِيْكَ حَشاشَتي وَصَبابَتي ... شِعْرًا.. يُؤَجِّجُ لَوْعَتي وَتَحَرُّقي
مَوْلَايَ.. ذِكْرُكَ في فُؤَادِي نَشْوَةٌ ... عُلْوِيَّةٌ.. فاضَتْ كَنَهْرٍ مُغْدِقِ
يَزْكُو بِهِ عَقْلي.. وَتَصْفو مُهْجَتي ... يَا نِعْمَ ذاكَ الطُّهْرُ وَالْوِرْدُ النَّقي
مِنَنٌ تَجودُ بِهَا عَلَيَّ كثيرَةٌ ... وَجَزيلُ فَضْلِكَ يا عَظيمُ مُطَوِّقي
أَسْبَغْتَها.. في ظاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ ... مِنْ أَخْمُصي.. حتَّى ذُؤابَةِ مَفْرِقي
يا ربِّ أَلْهِمْني الْوَفاءَ بشُكْرِهَا ... وَأَتِمَّ نِعْمَةَ جُودِكَ المُتَدَفِّقِ
وَاجْعَلْ حَياتي طاعَةً مَوْصولَةً ... أبدًا.. وَسَدِّدْ في سبيلكَ مَنْطِقي
نورُ الهِدايَةِ مِنْ فُيوضِكَ نَفْحَةٌ ... سَطَعَتْ بِجَوْهَرِ حُبِّكَ المُتَأَلِّقِ
فَإِذَا سَجَدْتُ.. فَفِي رِحابِكَ هَامَتي ... تَهْوِي.. وَلَكِنْ نَحْوَ عِزِّكَ تَرْتَقِي
ما ضَاقَ إِلَّا وَهُوَ فِيكَ مُوَسَّعٌ ... عَيْشي.. وَمَنْ يا رَبِّ غَيْرُكَ مُعْتِقي
فاخْتُمْ بِعُقْبى الخَيْرِ دُنْيايَ الَّتي ... قَدْ أَثْقَلَتْني بالعَناءِ المُرْهِقِ
مَا لي سِوى ظَنِّي بحُسْنِ مَغَبَّةٍ ... يا مَنْ لَهُ حُبِّي.. وَصِدْقُ تَعَلُّقي
حَبْلُ المَوَدَّةِ فِيكَ مَوْثوقُ العُرى ... لكنَّ حَبْلَ سِوَاكَ غَيْرُ مُوَثَّقِ[1]

---

(١) لأحمد محمد الصديق من ديوان «جراح وكلمات».

ابنُ القَيِّم

حَادِي الأرْوَاحِ والثَّناءِ عَلَى اللهِ

● **لِلَّهِ مَا أَرَقَّ حَدِيثَ ابنِ القَيِّمِ.. وَيَرِقُّ، وَيَرِقُّ، وَيحْلُو حَدِيثُهُ حِينَ يُثْنِي عَلَى مَوْلَاهُ عَزَّوَجَلَّ، وَيَسْتَمْطِرُ الدَّمْعَ حِينَ يَذْكُرُ أَسْمَاءَ اللهِ وَصِفَاتِهِ:**

فَهُوَ العَلِيُّ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ ... إِذْ يَسْتَحِيلُ خِلافُ ذَا بِبَيَانِ
وَهُوَ الَّذِي حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى ... قَدْ قَامَ بِالتَّدْبِيرِ لِلأَكْوانِ
حَيٌّ مُرِيدٌ قَادِرٌ مُتَكَلِّمٌ ... ذُوْ رَحْمَةٍ وإِرَادَةٍ وحَنَانِ
هُوَ أَوَّلٌ هُوَ آخِرٌ هُوَ ظَاهِرٌ ... هُوَ بَاطِنٌ هَي أَرْبَعٌ بِوَزانِ
مَا قَبْلَهُ شَيءٌ كَذَا ما بَعْدَهُ ... شَيْءٌ تَعَالى اللهُ ذُو السُّلْطَانِ
مَا فَوقَهُ شيءٌ كَذَا ما دُوْنَهُ ... شيءٌ وَذَا تَفْسِيرُ ذِيْ البُرهَانِ
فانْظُرْ إِلى تَفْسِيْرِهِ بِتَدَبُّرٍ ... وتَبَصُّرٍ وتَعَقُّلٍ لِمَعَانِ
وانْظُرْ إلى ما فِيهِ مِنْ أنْواعِ مَعْـ ... ـرِفَةٍ لِخَالِقنَا الْعَظِيمِ الشَّانِ
وهُوَ العَلِيُّ فَكُلُّ أنواعِ العُلُوِّ لَهُ ... فثَابِتَةٌ بِلا نُكْرانِ
وَهُوَ الْعَظِيمُ بِكُلِ مَعْنَىً يُوجِبُ التَّـ ... ـعْظِيْمَ لَا يُحْصِيْهِ مِن إِنْسَانِ
وَهُوَ الجَلِيلُ فَكُلُّ أوْصَافِ الجَلَا ... لِ لَهُ مَحَقَّقَةٌ بِلاَ بُطْلانِ

وَهُوَ الجَمِيلُ عَلَى الحَقِيقَةِ كَيْفَ لَا وَجَمَالُ سَائِرِ هَذِهِ الأَكْوانِ
مِن بَعْضِ آثارِ الجَمِيلِ فَرَبُّها أوْلَى وأجْدَرُ عَندَ ذِيَ العِرفانِ
فَجمَالُهُ بالذَّاتِ والأَوْصَافِ وَالأَفْعَالِ وَالأَسْمَاءِ وَالبُرْهَانِ
لَا شَيْءَ يُشْبِهُ ذَاتَهُ وَصِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ عَنْ إفْكِ ذِي البُهْتَانِ
وهُوَ المَجِيدُ صِفاتُهُ أوْصَافُ تَعْظِيمٍ فَشَأْنُ الوَصْفِ أعْظَمُ شَانِ
وهُوَ السَّمِيعُ يَرى ويَسْمَعُ كُلَّ مَا فِي الكَونِ مِنْ سِرٍّ ومِنْ إعْلانِ
ولِكُلِ صَوْتٍ مِنْهُ سَمْعٌ حَاضِرٌ فالسِّرُ والإعْلانُ مُسْتَوِيَانِ
والسَّمْعُ مِنْهُ واسِعُ الأصْوابِ لا يَخفَى عَليه بَعِيْدُها والدَّاني
وَهُوَ البَصِيرُ يَرى دَبِيْبَ النَمْلَةِ السْـ ـسَوْدَاءِ تَحْتَ الصَّخْرِ وَالصَّوَانِ
ويَرَى مَجارِي القُوتِ فِي أعْضَائِهَا ويَرَى بَياضَ عُروقِها بعِيانِ
ويَرَى خِياناتِ العُيونِ بِلَحْظِهَا ويَرَى كَذَاكَ تَقَلُّبَ الأَجْفَانِ
وهُوَ العَليمُ أحَاطَ عِلْمًا بِالَّذي فِي الكَوْنِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إعْلانِ
وبكُلِّ شيءٍ عِلْمُهُ سُبْحَانَهُ فَهْوَ المُحِيطُ ولَيْسَ ذَا نِسْيَانِ
وَكَذاكَ يَعْلمُ مَا يَكونُ غدًا وَمَا قَدْ كَانَ والموجودَ فِي ذَا الآنِ
وَكَذَاكَ أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْـ ـفَ يَكُوْنُ ذَاكَ الأَمْرُ ذَا إمْكَانِ

* * * * *

وَهُوَ الحَمِيدُ فَكُلُ حَمْدٍ وَاقِعٍ أَوْ كَانَ مَفْرُوْضًا مَدَى الأزْمَانِ

مَلأَ الْوجُودَ جَميْعَهُ ونَظِيْرَهُ مِنْ غَيرِ ما عَدٍ ولا حُسْبَانِ
هُوَ أهْلُهُ سُبْحَانَهُ وبحَمْدِهِ كُلُ المَحَامِدِ وَصْفُ ذِي الْإِحسَانِ
وهُوَ الْمُكَلِّمُ عَبْدَهُ مُوْسَى بتَكْـ ـلِيمِ الخِطابِ وَقَبْلَهُ الْأَبوانِ
كَلِماتُهُ جَلَّتْ عن الإِحْصَاءِ والتَّعْـدَادِ بَلْ عَن حَصْرِ ذِي الحسْبَانِ
لَوْ أنَّ أشْجَارَ البِلادِ جَمِيعَهَا الْأَقْلَامُ تَكْتُبُهَا بكُلِّ بَنَانِ
والبَحْرَ تُلْقَى فِيهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ لِكِتابَةِ الْكَلِمَاتِ كُلَّ زَمَانِ
نَفِدَتْ وَلَمْ تَنْفَدْ بِهَا كَلِمَاتُهُ لَيْسَ الْكَلامُ مِن الإلهِ بِفَانِ
وهُوَ القَدِيرُ ولَيْسَ يُعْجِزُهُ إِذَا مَا رَامَ شَيْئًا قَطُّ ذُو سُلْطَانِ
وَهُوَ القَوِيُّ لَهُ القُوَى جَمْعًا تَعَا لَى اللَّه رَبُّ النَّاسِ وَالْأَكْوانِ
وهُوَ الغَنيُّ بذَاتِهِ فغِنَاهُ ذَا تِيٌّ لَهُ كَالْجُودِ وَالإِحْسَانِ
وهُوَ العَزِيزُ فَلَنْ يُرامَ جَنَابُهُ أنَّى يُرامُ جَنَابُ ذِي السُّلْطَانِ
وهُوَ الْعَزِيزُ الْقَاهِرُ الْغَلَّابُ لمْ يَغْلِبْهُ شَيءٌ هَذِهِ صِفَتَانِ
وهُوَ الْعَزِيزُ بِقُوَّةٍ هِيَ وَصْفُهُ فَالِعَزُّ حِينَئِذٍ ثَلَاثُ مَعَانِ
وَهْيَ الَّتي كَمُلَتْ لَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ عَادِمِ النُّقْصَانِ
وَهُوَ الْحَكِيمُ وذَاكَ مِن أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ أيْضًا مَا هُمَا عَدَمَانِ
حُكْمٌ وَإِحْكَامٌ فَكُلٌّ مِنْهُمَا نَوْعَانِ أيْضًا ثَابتَا البُرْهَانِ
والحُكْمُ شَرْعِيٌّ وَكَونيٌّ وَلَا يَتَلازَمانِ وَمَا هُمَا سِيَّانِ

بَلْ ذَاكَ يُوجَدُ دُونَ هَذا مُفردًا والعَكْسُ أيْضًا ثُمَّ يَجْتَمِعَانِ
لَنْ يَخْلُوَ المربُوبُ مِن إحْدَاهُمَا أوْ مِنْهُمَا بَلْ لَيْسَ يَنْتَفِيَانِ
لَكنَّمَا الشَّرْعِيُّ مَحْبُوبٌ لَهُ أبَدًا ولَنْ يَخْلُو مِنَ الأكْوانِ
هُوَ أمْرُهُ الدِينيُّ جاءَتْ رُسْلُهُ بِقِيَامِهِ في سَائِرِ الأزْمَانِ
لَكِنَّما الْكَوْنِيُّ فَهْوَ قَضَاؤُهُ في خَلْقِهِ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
هُو كُلُّه حَقٌّ وعَدْلٌ ذُوْ رِضًى والشَّأْنُ في المَقْضِيِّ كُلُّ الشَّانِ
فَلِذَاكَ نَرْضَى بِالقَضَاءِ ونَسْخَطُ الْـمَقْـضِـيَّ حِيْنَ يَكُونُ بِالْعِصْيَانِ
فَاللهُ يَرْضَى بِالْقَضَاءِ ويَسْخَطُ الْـمَقْـضِـيَّ مَـا الأمْـرَانِ مُـتَّـحِـدَانِ
فَقَضَاؤُهُ صِفَةٌ بِهِ قَامَتْ وَمَا الْمَقْضِيُّ إلَّا صَنْعَةُ الْإِنْسَانِ
وَالْكَوْنُ مَحْبُوبٌ وَمَبْغُوضٌ لَهُ وَكِلاهُمَا بِمَشِيئَةِ الرَّحْمَنِ
هَذَا البَيَانُ يُزِيْلُ لَبْسًا طَالَمَا هَلَكَتْ عَلَيْهِ النَّاسُ كُلَّ زَمَانِ
وَيَحِلُّ مَا قَدْ عَقَّدَوْا بِأُصُوْلِهِم وَبُحُوثِهِمْ فَافْهَمْهُ فَهْمَ بَيَانِ
مَنْ وَافقَ الكَونيَّ وَافَقَ سُخْطَهُ أَوْ لَمْ يُوافَقْ طَاعَةَ الدَّيَانِ
فَلِذَاكَ لاَ يَعْدُوهُ ذَمٌّ أوْ فَوَا تُ الحَمْدِ مَعْ أجْرٍ وَمَعْ رِضْوانِ
وَمُوَافِقُ الدِيْنِيِّ لَا يَعْدُوْهُ أجْـ ـرٌ بَلْ لَهُ عِنْدَ الصَّوَابِ اثْنَانِ
وَالْحِكْمَةُ العُلْيا عَلَى نوعَينِ أيْـضًا حُصِّلَا بِقَواطِعِ البُرْهَانِ
إحْدَاهُمَا في خَلْقِهِ سُبْحَانَهُ نوعَانِ أيْضًا لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

إحْكَامُ هَذَا الخَلْقِ إذْ إيْجَادُهُ   في غَايةِ الْإِحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ
وصُدُورُهُ مِنْ أَجْلِ غَايَاتٍ لَهُ   وَلَهُ عَلَيْهَا حَمْدُ كُلِّ لِسَانِ
وَالْحِكْمَةُ الْأُخْرَى فَحِكْمَةُ شَرْعِهِ   أيْضًا وَفِيهَا ذَانِكَ الْوَصْفَانِ
غَايَاتُهَا الَّلائِي حُمِدْنَ وَكَوْنُهَا   في غَايَةِ الْإِتْقَانِ وَالْإِحْسانِ

* * * * *

وهُوَ الحَيِيُّ فَلَيْسَ يَفْضَحُ عَبْدَهُ   عِنْدَ التَّجَاهُرِ مِنْهُ بِالعِصْيَانِ
لَكِنَّهُ يُلْقِي عَلَيْهِ سِتْرَهُ   فَهُوَ السَّتِيرُ وَصَاحِبُ الغُفْرَانِ
وَهُوَ الحكِيمُ فَلَا يُعَاجِلُ عَبْدَهُ   بِعُقُوبَةٍ لِيَتُوبَ مِنْ عِصْيانِ
وَهُوَ الْعَفُوُّ فَعَفْوُهُ وَسَعَ الْوَرَى   لَوْلَاهُ غَارَ الأَرْضُ بالسُّكَّانِ
وَهُوَ الصَّبُورُ عَلَى أذَى أعْدَائِهِ   شَتَمُوهُ بَلْ نَسَبُوهُ لِلْبُهْتَانِ
قَالُوا لَهُ ولَدٌ وَلَيْسَ يُعِيدُنَا   شَتْمًا وتَكْذِيبًا مِنَ الْإِنْسانِ
هَذَا وَذَاكَ بِسَمْعِهِ وَبِعِلْمِهِ   لَوْ شَاءَ عَاجَلهُم بِكُلِّ هَوَانِ
لَكِنْ يُعَافِيهِمِ ويَرْزُقُهُمْ وهُمْ   يُؤْذُونَهُ بالشِّرْكِ وَالْكُفْرَانِ

* * * * *

وَهوَ الرَّقِيْبُ عَلَى الخَواطِرِ واللَّوَا   حِظِ كَيْفَ بِالْأَفْعَالِ بِالْأَرْكَانِ
وَهُوَ الحَفِيظُ عَلَيْهِمُ وَهُوَ الْكَفِيـ   ـلُ بِحِفْظِهِمْ مِنْ كُلِّ أمْرٍ عَانِ

وهُوَ اللَّطِيفُ بِعَبْدِهِ وَلِعَبْدِهِ وَاللُّطْفُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ
إِدْرَاكُ أَسْـرَارِ الأُمُـورِ بِـخِـبْـرَةٍ وَاللُّطْفُ عِنْدَ مَوَاقِعِ الإِحْسانِ
فَيُرِيْـكَ عِـزَّتَـهُ ويُبْـدِي لُـطْـفَـهُ وَالْعَبْدُ فِي الغَفَلَاتِ عَنْ ذَا الشَّانِ

* * * * *

وَهُوَ الرَّفِيقُ يُحِبُّ أَهْلَ الرِّفْقِ بَلْ يُعْطِيهُمْ بالرِّفْقِ فَوْقَ أَمَانِ
وهُوَ القَرِيْبُ وقُرْبُهُ الْمُخْتَصُّ بالدَّا عِي وعَـابِـدِهِ عَـلَـى الإِيمَـانِ
وهُوَ الْمُجِيبُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُو أُجِبْـ ـهُ أَنَا الْمُجِيْبُ لِكُلِّ مَن نَادَانِي
وَهُوَ الْمُجِيبُ لِدَعْوَةِ المُضْطَرِّ إِذْ يَدْعُوْهُ فِي سِرٍ وفِي إِعْلانِ
وهُوَ الْجَوَادُ فَجُودُهُ عَمَّ الوُجُو دَ جَمِيعَهُ بالْفَضْلِ وَالإِحْسَانِ
وهُوَ الجَوَادُ فَلا يُخَيِّبُ سَائِلًا وَلَـوَ أَنَّـهُ مِـن أُمَّـةِ الْكُـفْـرانِ
وَهُوَ الْمُغِيثُ لِكُلِّ مخْلُوقَاتِهِ وَكَذَا يُجِيْبُ إِغَاثَةَ اللَّهْفَانِ

* * * * *

وَهُـوَ الْـوَدُوْدُ يُـحِبُّـهُـم ويُـحِبُّـهُ أَحْـبَـابُـهُ وَالْـفَـضْـلُ لِـلْـمَـنَّـانِ
وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ المَحَبَّةَ فِي قُلُو بِـهُـمْ وَجَـازَاهُـم بِـحُـبٍّ ثَـانِ
هَذَا هُوَ الإِحْسَانُ حَقًّا لَا مُعَا وَضَـةً وَلَا لِـتَـوقُّـعِ الـشُّـكْـرَانِ
لَكِن يُحِبُّ شَكُورَهُم وَشُكُورَهُمْ لَا لاحْتِيَاجٍ مِنْهُ لِلشُّكْرَانِ

وَهُوَ الشَّكُورُ فَلَنْ يُضَيِّعَ سَعْيَهُمْ   لَكِنْ يُضَاعِفُهُ بِلَا حُسْبَانِ
ما لِلْعِبَادِ عليْه حَقٌّ وَاجِبٌ   هُوَ أوْجَبَ الْأَجرَ العَظِيمَ الشَّانِ
كَلَّا وَلَا عَمَلٌ لَدَيْهِ ضَائعٌ   إِنْ كَانَ بِالإِخْلَاصِ وَالْإِحْسَانِ
إِنْ عُذِّبُوا فِبعَدْلِهِ أوْ نُعِّمُوا   فَبفَضْلِهِ وَالحَمْدُ للرَّحْمَنِ

* * * * *

وهُوَ الْغَفُورُ فَلَوْ أُتِي بِقُرَابِهَا   مِن غَيْرِ شِرْكٍ بَلْ مِنَ الْعِصيانِ
لاقَاهُ بالغُفْرانِ مِلءَ قُرَابِها   سُبْحَانَهُ هُوَ وَاسِعُ الغُفْرانِ
وكَذلِكَ التَّوابُ مِنْ أوْصَافِهِ   والتَّوبُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ
إذْنٌ بِتَوبةِ عَبْدِهِ وقَبُولِهَا   بَعْدَ المَتَابِ بِمِنَّةِ المَنَّانِ

* * * * *

وَهُوَ الإِلَهُ السَّيِّدُ الصَمَدُ الَّذِي   صَمَدَتْ إِليهِ الخَلْقُ بالإِذْعانِ
الكَامِلُ الأَوْصَافِ مِنْ كُلِّ الوُجُو   هِ كَمَالُهُ ما فِيهِ مِنْ نُقْصَانِ
وكَذلِكَ القَهَّارُ مِنْ أوْصَافِهِ   فالخَلْقُ مَقْهُورُونَ بالسُّلْطَانِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيًّا عَزِيزًا قادِرًا   مَا كَانَ مِنْ قَهْرٍ وَلَا سُلْطانِ
وَكَذلِكَ الجَبَّارُ مِنْ أوْصَافِهِ   والجَبْرُ فِي أوْصَافِهِ قِسْمَانِ
جَبْرُ الضَّعيفِ وَكُلُّ قَلْبٍ قَدْ غَدَا   ذَا كَسْرةٍ فَالجَبْرُ مِنْهُ دَانِ

الثَّاني جبْرُ الْقَهْرِ بالعِزِّ الذي لَا يَنْبَغِي لِسِواهُ مِنْ إنْسانِ
ولَـهُ مَـسَـمَّـىً ثـالـثٌ وهُـوَ الـعُـلُـوُّ فَلَيْسَ يَدْنُو مِنْهُ مِنْ إِنْسَانِ
مِـنْ قَـوْلِـهِـمْ جَـبَّـارَةٌ لِـلْـنَّـخْـلِـةِ العُلْيَا التي فاتَتْ لِكُلِّ بَنانِ

* * * * *

وهُوَ الحَسِيبُ كِفَايةً وحِمَايةً والحَسْبُ كَافي العَبْدِ كُلَّ أوانِ
وهُـوَ الـرَّشـيـدُ فَـقَـوْلُـهُ وفِـعَـالُـهُ رُشْـدٌ وَرَبُّـكَ مُـرْشِـدُ الحَيْـرَانِ
وكِـلاهُـمـا حَـقٌّ فـهـذا وَصْـفُـهُ والفِعْلُ للإِرْشَادِ ذَاكَ الثاني
والعَدْلُ مِنْ أوْصَافِهِ فِي فِعْلِهِ وَمَـقَـالِـهِ والحُكْـمُ بـالمِيـزانِ
فَعَلى الصِّراطِ المُسْتَقيمِ إلهنَا قَولًا وفِعْلًا ذَاكَ فِي القُرآنِ

* * * * *

هَـذا ومِـنْ أوْصَـافِـهِ الـقُـدُّوسُ ذُو الـتَّـنْزِيْـهِ بـالـتَّـعْـظِـيـمِ لـلـرَّحْـمَـنِ
وهُوَ السَّلامُ عَلَى الحَقِيقَةِ سَالِمٌ مِنْ كُلِّ تَمْثِيلٍ ومِنْ نُقْصَانِ
والـبَـرُّ فِي أوْصَـافِـهِ سُـبْـحَـانَـهُ هُوَ كَثْرَةُ الخَيْراتِ والإِحْسَانِ
صَدَرَتْ عن البِرِّ الذي هُوَ وَصْفُهُ فـالـبِـرُّ حِـيْـنَـئِـذٍ لَـه نَـوعـانِ
وَصْفٌ وفِعْلٌ فَهُوَ بَرٌّ مُحْسِنٌ مُوْلِي الجَمِيلَ ودَائِمُ الإِحْسانِ
وكَـذلِكَ الـوَهَّـابُ مِن أَسْـمَـائِـهِ فانْظُرْ مَوَاهِبَهُ مَدَى الأَزمَانِ
أهْلُ السَّمواتِ العُلَى والأَرْضِ عَنْ تِلكَ المَواهِبِ لَيْسَ يَنْفَكَّانِ

وكَذلِكَ الفَتَّاحُ مِنْ أَسْمَائِهِ ... والفَتْحُ في أوْصَافِهِ أمْرَانِ
فَتْحٌ بِحُكْمٍ وهُوَ شَرْعُ إلهنا ... والفَتحُ بالأَقْدَارِ فَتْحٌ ثانِ
والرَبُّ فَتَّاحٌ بِذَيْنِ كِليهما ... عَدْلًا وإحْسَانًا مِنَ الرَّحْمَنِ
وكَذلِكَ الرَّزَّاقُ مِنْ أوْصَافِهِ ... والرِّزْقُ مِنْ أَفْعَالِهِ نَوعانِ
رِزْقٌ عَلَى يَدِ عَبْدِهِ ورَسُولِهِ ... نوعانِ أيْضًا ذانِ مَعْرُوفانِ
رِزْقُ القُلُوبِ العِلْمُ والإيمانُ ... والرِّزْقُ المُعَدُّ لِهذِهِ الأبْدانِ
هَذا هُوَ الرِّزْقُ الحَلالُ وَرَبُّنَا ... رَزَّاقُهُ والفَضْلُ لِلْمَنَّانِ
والثَّانِي سَوْقُ القُوتِ للأَعْضاءِ في ... تِلْكَ المَجارِي سَوقُهُ بِوَازانِ
هذا يكونُ مِن الحَلالِ كما يكو ... نُ مِن الحَرامِ كِلاهُمَا رِزْقانِ
واللهُ رَازِقُهُ بِهَذا الاعْتَبا ... رِ ولَيْسَ بالإطْلَاقِ دُوْنَ بَيَانِ

* * * * *

هَذَا ومِنْ أوْصَافِهِ القَيُّومُ ... والقَيُّومُ في أوْصَافِهِ أمْرَانِ
إحْدَاهُمَا القَيُّومُ قَامَ بِنَفْسِهِ ... والكونُ قَامَ بِهِ هُمَا الأمْرَانِ
فالأوَّلُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنْ غَيْرِهِ ... والفَقْرُ مِنْ كُلٍّ إليهِ الثانِي
والوصفُ بالقَيومِ ذُو شأنٍ عَظِيْـ ... ـمٍ هكذا مَوْصُوفُهُ أيْضًا الشَّانِ
والحَيُّ يَتْلُوهُ فأوْصَافُ الكَما ... لِ هُمَا لِأُفْقِ سَمَائِها قُطْبانِ

فالحَيُّ والقَيُّومُ لَنْ تَتَخَلَّفَ الأوْصَافُ أصلًا عَنهُمَا بِبَيانِ
هُوَ قَابِضٌ هو باسطٌ هُوَ خَافِضٌ هُوَ رَافِعٌ بالعَدْلِ والمِيزانِ
وهُوَ المُعِزُّ لأَهْلِ طَاعَتِهِ وذَا عِزٌّ حَقِيقِيٌّ بلا بُطْلانِ
وهُوَ المُذِلُّ لِمَنْ يَشَاءُ بِذِلَّةِ الدَّا رَيْنِ ذِلُ شَقَا وذِلُ هَوانِ
هُوَ مَانِعٌ مُعْطِيْ فهذا فَضْلُهُ والمَنْعُ عَيْنُ العَدْلِ لِلْمَنَّانِ
يُعْطِي بِرَحْمَتِهِ ويَمْنَعُ مَنْ يَشَا ءُ بِحِكْمَتِهِ واللهُ ذُو سُلْطَانِ
والنُّورُ مِنْ أَسْمَائِهِ أيْضًا ومِنْ أوْصَافِهِ سُبْحَانَ ذِي البُرهَانِ
قالَ ابنُ مَسْعُودٍ كَلَامًا قَدْ حَكا هُ الدَّارِمِي عَنْهُ بِلا نُكْرانِ
ما عِنْدَهُ لَيْلٌ يَكونُ ولا نَها رٌ قُلْتُ تَحتَ الفُلْكِ يُوْجَدُ ذَانِ
نُورُ السَّمواتِ العُلَى مِنْ نُورِهِ والأرْضِ كَيْفَ النَّجمِ والقَمَرانِ
مِن نُورِ وَجْهِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ وكَذا حَكَاهُ الحَافِظُ الطَبرانِي
فِبهِ اسْتنارَ العَرْشُ والكُرسِيُّ مَعْ سَبْعِ الطِباقِ وسَائِرِ الأكْوانِ
وكِتابُهُ نُورٌ كَذلِكَ شَرْعُهُ نُورٌ كَذَا المبعوثُ بالفُرْقانِ
وكَذلِكَ الإيمانُ فِي قَلبِ الفَتى نُورٌ عَلَى نُورٍ مَعَ القُرْآنِ
وحِجَابُهُ نُورٌ فَلَوْ كَشَفَ الحِجَا بَ لأحْرَقَ السُبحَاتُ للأكْوانِ
وإِذَا أتَى لِلْفَصْلِ يُشْرِقُ نُورُهُ فِي الأَرْضِ يَوْمَ قِيَامَةِ الأَبْدانِ

وكَذاكَ دَارُ الربِّ جناتُ العُلَى ... نُورٌ تَلَألأَ لَيْسَ ذَا بُطْلَانِ
والنُّورُ ذُو نَوعَيْنِ مَخْلُوقٌ ... وَوَصْفٌ ما هُمَا وَاللهُ مُتَّحِدَانِ
وكَذَلِكَ المخلُوقُ ذُو نَوعَينِ ... مَحْسُوسَ ومَعْقُولٌ هُمَا شَيْئَانِ
احْذَرْ تَزِلَّ فَتَحْتَ رِجْلِكَ هُوَّةٌ ... كَمْ قَدْ هَوى فِيها عَلَى الأَزْمَانِ
مِنْ عَابِدٍ بالجَهْلِ زَلَّتْ رِجْلُهُ ... فَهَوى إِلى قَعْرِ الحَضِيْضِ الدَّاني
لاحَتْ لَهُ أَنْوَارُ آثارِ العِبَا ... دَةِ ظنَّها الأَنْوارَ لِلْرَّحْمَنِ
فأَتَى بكُلِّ مُصيبَةٍ وبَليَّةٍ ... ما شِئْتَ مِن شَطْحٍ ومِن هَذَيانِ
وكَذَا الحُلوليُّ الذي هو خِدْنُهُ ... مِنْ هَهُنَا حَقًّا هُما أَخَوَانِ
ويُقَابلُ الرَجُلين ذُو التَّعطِيل والـ ... حُجْبِ الكَثِيفَةِ مَا هُما سِيَّانِ
ذَا في كَثافَةِ طَبْعِهِ وظَلَامِهِ ... وبِظُلْمَةِ التَّعْطِيلِ هَذا الثاني
والنُّورُ مَحْجوبٌ فَلا هَذا ولا ... هَذَا لَهُ مِن ظُلمَةٍ يَرَيانِ(١)

* * * * *

(١) من «النونيّة» الكَافِيَة الشَّافِيَهِ فِي الانْتِصارِ لِلفِرْقَةِ النَّاجية لابْنِ القَيِّمِ.

مَـعَ اللَّهِ

عَفْوهُ يَسْتَغرقُ الذُّنُوبَ
فكيف حُبُّه؟!
وَحُبُّهُ يُدْهِشُ العقولَ فَكيف وُدُّه
وَوُدُّه يُنسِي ما دونه فكيف لطفُه؟!

* * * * *

يُسبِّحه النَّباتُ جَمْعُه وفريدُه، والشَّجرُ عَتيقُه وجديدُه، تمجدُه رهبانُ الطِّيورِ في صوامعِ الأشجارِ فيُطرب السَّامع تمجيدُه، كلّما درس الهزَار درسَ شُكرِهِ، فالبلبلُ بِالحمدِ مُعيده، وَكلّما أقامَ خطيبُ الحمامِ النَّوحَ على منابرِ الدَّوْحِ هيَّج المستهامَ تَغريدُه، أوَ لَمْ يروا كَيف يُبدئ اللَّهُ الخلقَ ثُمَّ يُعِيدُه؟!

* * * * *

- **ولِلَّهِ دَرُّ ابنِ القَيِّمْ حِينَ يَقُولُ:**

يَكْفِيكَ مَن وَسِع الخَلائِقَ رَحْمَةً ... وَكَفايَةً ذُو الفَضْلِ وَالإِحْسانِ
يَكْفِيكَ مَنْ لم تَخلُ مِنْ إِحْسَانِهِ ... في طَرْفَةٍ كَتَقَلُّبِ الأَجْفَانِ
يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ أَلْطَافُهُ ... تَأْتِي إِلَيْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ
يَكفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ فِي سِتْرِهِ ... ويَراكَ حِينَ تَجِيءُ بالعِصيانِ
يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ فِي حِفْظِهِ ... وَوِقَايةٍ مِنْهُ مَدَى الأَزْمَانِ
يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ فِي فَضْلِهِ ... مُتَقَلِّبًا فِي السِّرِ والإِعْلانِ
يَدْعُوهُ أَهْلُ الأَرْضِ مَعْ أَهْلِ السَّما ... ءِ فكُلُّ يَوْمٍ رَبُّنا فِي شانِ
وهُوَ الكَفِيلُ بِكُلِّ ما يَدْعُونَهُ ... لا يَعْتَري جَدْوَاهُ مِن نُقْصَانِ[1]

* * * * *

- **وَمَا أَجْمَلَ قَوْلَ القائِلِ:**

تَبارَكَ مَنْ شُكْرُ الوَرَى عَنْهُ يَقْصُرُ ... لِكَوْنِ أيَادِيْ جُوْدِهِ لَيْسَ تُحْصَرُ
وَشَاكِرُهَا يَحْتَاجُ شُكْرًا لِشُكْرِهَا ... كَذَلِكَ شُكْرُ الشُّكْرِ يَحْتَاجُ يُشْكَرُ
فَفِيْ كُلِّ شُكْرٍ نِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ ... بِغَيْرِ تَنَاءٍ دُوْنَهَا الشُّكْرُ يَصْغُرُ
فَمَنْ رَامَ يَقْضِي حَقَّ وَاجِبِ شُكْرِهَا ... تَحَمَّلَ ضِمْنَ الشُّكْرِ مَا هُو أَكْبَرُ
تُسَبِّحُهُ الحِيْتَانُ فِي المَا وفي الْفَلَا ... وُحُوْشٌ وَطَيْرٌ فِي الهَوَاءِ مُسَخَّرُ

(١) من «النونيّة» الكَافِية الشَّافِيَة في الانْتِصارِ لِلفِرقَةِ النَّاجية لابْنِ القَيِّمِ.

وَفِي الفُلْكِ وَالأَمْلَاكِ كُلٌّ مُسَبِّحٌ ... نَهَارًا وَلَيْلًا دَائِمًا لَيْسَ يَفْتُرُ
تُسَبِّحُ كُلُّ الكَائِنَاتِ بِحَمْدِهِ ... سَمَاءٌ وَأَرْضٌ وَالجِبَالُ وَأَبْحُرُ
جَمِيْعًا وَمَنْ فِيْهِنَّ وَالكُلُّ خَاشِعٌ ... لِهَيْبَتِهِ العُظْمَى وَلَا يَتَكَبَّرُ
لَهُ كُلُّ ذرَّاتِ الوُجُوْدِ شَوَاهِدٌ ... عَلَى أَنَّهُ البَارِيْ الإِلَهُ المُصَوِّرُ
دَحَا الأَرْضَ وَالسَّبْعَ السَّمَاوَاتِ شَادَهَا ... وَأَتْقَنَهَا لِلْعَالمِيْنَ لِيَنْظُرُوا
وَأَبْدَعَ حُسْنَ الصُّنْعِ فِي مَلَكُوْتِهَا ... وَفِي مَلَكُوْتِ الأَرْضِ كَيْ يَتَفَكَّرُوا
وَأَوْتَدَهَا بِالرَّاسِيَاتِ فَلَمْ تَمِدْ ... وَشَقَّقَ أَنْهَارًا بِهَا تَتَفَجَّرُ
وَأَخْرَجَ مَرْعَاها وَبَثَّ دوَابَهَا ... وَلِلْكُلِّ يَأْتِي مِنْهُ رِزْقٌ مُقَدَّرُ
مِنْ الحَبِّ ثُمَّ الأَبِّ والقَضْبِ وَالكَلَا ... وَنخْلٍ وَأَعْنَابٍ فَوَاكِهُ تُثْمِرُ
فَأَضْحَتْ بِحُسْنِ الزَّهْرِ تَزْهُرُ رِيَاضُهَا ... وَفِي حُلَلٍ نسجُ الرَّبِيْعِ تَبَخْتَرُ
وَزَانَ سَمَاءً بِالمَصَابِيْحِ أَصْبَحَتْ ... وأَمْسَتْ بِبَاهِيْ الحُسْنِ تَزْهُوْ وَتَزْهَرُ
تَرَاهَا إِذَا جَنَّ الدُّجى قَدْ تَقَلَّدَتْ ... قَلَائِدَ دُرِّيٍّ لِدُرٍّ تُحَقِّرُ
فَيَا نَاظِرًا زَهْرَ البَسَاتِيْنِ دُوْنَهَا ... أَظُنُّكَ أَعْمَى لَيْسَ لِلْحُسْنِ تُبْصِرُ

* * * *

سُبْحَانَ اللهِ

● **قَالَ أَبو الْعَتَاهِيةِ:**

سُبْحَانَ مَنْ يُعْطِي الْمُنَى بِخَوَاطِرٍ   فِي النَّفْسِ لَمْ يَنْطِقْ بِهِنَّ لِسَانُ
سُبْحَانَ مَنْ لَا شَيْءَ يَحْجُبُ عِلْمَهُ   فَالسِرُّ أَجْمَعُ عِنْدَهُ إِعْلانُ
سُبْحَانَ مَنْ هُوَ لَا يَزَالُ مُسَبَّحًا   أَبَدًا وَلَيْسَ لِغَيْرِهِ السُّبْحَانُ
سُبْحَانَ مَنْ تَجْرِي قَضَايَاهُ عَلَى   مَا شَاءَ مِنْهَا غَائِبٌ وَعَيَانُ
سُبْحَانَ مَنْ هُوَ لَا يَزَالُ وَرِزْقُهُ   لِلْعَالَمِينَ بِهِ عَلَيْهِ ضَمَانُ
سُبْحَانَ مَنْ فِي ذِكْرِهِ طُرُقُ الرِضَى   مِنْهُ وَفِيهِ الرَّوْحُ وَالرَّيْحَانُ
مَلِكٌ عَزِيزٌ لَا يُفَارِقُ عِزَّهُ   يُعْصَى وَيُرْجَى عِنْدَهُ الْغُفْرَانُ
مَلِكٌ لَهُ ظَهْرُ الْقَضَاءِ وَبَطْنُهُ   لَمْ تُبْلِ جِدَّةَ مُلْكِهِ الْأَزْمَانُ
مَلِكٌ هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي مِنْ حِلْمِهِ   يُعْصَى بِحُسْنِ بَلَائِهِ وَيُخَانُ
يَبْلَى لِكُلِّ مُسَلَّطٍ سُلْطَانُهُ   وَاللهُ لَا يَبْلَى لَهُ سُلْطَانُ
كَمْ يَسْتَصِمُّ الْغَافِلُونَ وَقَدْ دُعُوا   وَغَدَا وَرَاحَ عَلَيْهِم الْحِدْثَانُ

* * * * *

قِفْ بِالخُضُوعِ

قِفْ بالخُضُوعِ ونَادِ يا أَللَّهُ ... إِنَّ الكَرِيمَ يُجِيبُ مَنْ نَادَاهُ
وَاطْلُبْ بِطَاعَتِهِ رِضَاهُ فَلَمْ يَزَلْ ... بالجُودِ يُرضِي طَالِبينَ رِضَاهُ
وَاسْأَلْهُ مَغْفِرَةً وَفَضْلًا إِنَّهُ ... مَبْسُوطَتَانِ لِسَائِلِيهِ يَدَاهُ[(١)]
وَاقصِدْهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ فَكلُّ مَنْ ... يَرْجُوهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ كَفَاهُ[(٢)]
شَمِلَتْ لَطَائِفُهُ الخَلَائِقَ كلَّهَا ... مَا لِلْخَلَائِقِ كَافِلٌ إِلَّا هُو
فَعَزِيزُهَا وَذَلِيلُهَا وَغَنِيُّهَا ... وَفَقِيرُهَا لَا يَرْتَجُونَ سِوَاهُ[(٣)]
مَلِكٌ تَدِينُ لَهُ المُلُوكُ وَيَلْتَجِي ... يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقْرُهُم بغِنَاهُ[(٤)]
هُوَ أَوَّلٌ هُوَ آخِرٌ هُوَ ظَاهِرٌ ... هُوَ بَاطِنٌ لَيْسَ الْعُيُونُ تَرَاهُ[(٥)]
حَجَبَتْهُ أَسْرَارُ الجَلَالِ فَدُونَهُ ... تَقِفُ الظُّنُونُ وَتَخْرُسُ الأَفْوَاهُ[(٦)]
صَمَدٌ بَلَا كُفْءٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ ... أَبَدًا فَمَا النُّظَرَاءُ وَالأَشْبَاهُ[(٧)]

---

(١) «مبسوطتان لسائليه يداه» مبالغة في الوصف بالجود.
(٢) (كفاه) لم يحوجه إلى غيره.
(٣) (سواه) أي غيره.
(٤) (تدين) تذل وتستعبد.
(٥) (ظاهر) ليس فوقه شيء (باطن) ليس دونه شيء.
(٦) (حجبته) سترته (الجلال) أي العظمة.
(٧) (صمد) مقصود في الحوائج (بلا كفء) بغير نظير (ولا كيفية) يعني بلا تشبيه ولا تمثيل.

شَهِدَتْ غَرَائِبُ صُنْعِهِ بُوجُودِهِ لَوْلَاهُ مَا شَهِدَتْ بِهِ لَوْلَاهُ(١)
وَإِلَيْهِ أَذْعَنَتِ العُقُولُ فَآمَنَتْ بالْغَيْبِ تُؤْثِرُ حُبَّهَا إِيَّاهُ(٢)
سُبْحَانَ مَنْ عَنَتِ الْوُجوهُ لِوَجْهِهِ وَلَهُ سُجُودُ أَوْجُهٍ وَجِبَاهُ(٣)
طَوْعًا وَكَرْهًا خَاضِعِينَ لِعِزِّهِ وَلَهُ عَلَيْهَا الطَّوْعُ وَالإِكْرَاهُ
سَلْ عَنْهُ ذَرَّاتِ الْوُجُودِ فَإِنَّهَا تَدْعُوهُ مَعْبُودًا لَهَا رَبَّاهُ
مَا كَانَ يُعْبَدُ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ وَالْكُلُّ تَحْتَ الْقَهْرِ وَهْوَ إِلهُ
أَبْدَى بِمُحْكَمِ صُنْعِهِ مِنْ نُطْفَةٍ بَشَرًا سَوِيًّا جَلَّ مَنْ سَوَّاهُ(٤)
وَبَنَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَا وَالْعَرْشَ وَالْـ كُرْسِيَّ ثُمَّ عَلَا عَلَيْهِ عُلَاهُ
وَدَحَا بِسَاطَ الْأَرْضِ فَرْشًا مُثْبَتًا بالرَّاسِيَاتِ وَبِالنَّبَاتِ حَلَاهُ(٥)
تَجْرِي الرِّيَاحُ عَلَى اخْتِلَافِ هُبُوبِهَا عَنْ إِذْنِهِ وَالْفُلْكُ وَالْأَمْوَاهُ(٦)
رَبٌّ رَحِيمٌ مُشْفِقٌ مُتَعَطِّفٌ لَا يَنْتَهِي بِالْحَصْرِ مَا أَعْطَاهُ
كَمْ نِعْمَةٍ أَوْلَى وَكَمْ مِنْ كُرْبَةٍ أَجْلَى وَكَمْ مِنْ مُبْتَلِي عافاهُ(٧)

---

(١) (لولاه) توكيد للأولى.
(٢) (أذعنت) خضعت وذَلَّت. (تؤثر) تفضل.
(٣) (سبحان من عنت الوجوه لوجهه) أي التنزيه لله الذي خضعت الوجوه له ـ تعالى ـ.
(٤) (أبدى) أظهر. (بشرًا سويًا) تام الخلق.
(٥) (ودحا) أي بسط. (بالراسيات) أي بالجبال الثوابت؛ (حلاه) زينه.
(٦) (والأمواه) جمع ماء لأن الهمزة في المفرد مبدلة من الهاء، وأصله: موه ـ بالتحريك.
(٧) (مبتلي) مريض. (عافاه) أبرأه.

وَإذا بُلِيتَ بِغُرْبَةٍ أو كُرْبَةٍ فادْعُ الْإلهَ ونادِ: ياأللهُ

لَا مُحْسِنُ الظَّنِّ الْجَمِيلِ بِهِ يَرَى سُوءًا وَلَا رَاجِيهِ خَابَ رَجَاهُ

وَلِحِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يُعْصَى فَلَمْ يَعْجَلْ عَلَى عَبْدٍ عَصَى مَوْلَاهُ

يأتِيهِ مُعْتَذِرًا فَيَقْبَلُ عُذْرَهُ كَرَمًا وَيَغْفِرُ عَمْدَهُ وَخَطَاهُ(١)

يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الجمَالِ وَذَا الْبَقَا يَا مُنْعِمًا عَمَّ الْأَنَامَ نَدَاهُ(٢)

يَا مَنْ هُوَ المعروفُ بالمعروفِ يا غَوثاهُ يا مولاهُ يا مولاهُ

* * * * *

(١) (وخطاه) أي خطأه وهو ضد الصواب.

(٢) (يا ذا الجلال) يا صاحب العظمة (وذا الجمال) أي صاحب صفات الجمال من علم وحياة وقدرة وإرادة وغيرها (نداه) جوده.

لَكَ الْحَمْدُ

لَكَ الْحَمْدُ يَا مُسْتَوْجِبَ الْحَمْدِ دَائمًا
عَلَى كلِّ حَالٍ حَمْدُ فَانٍ لِدَائِمِ(١)
وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ تَسْبِيحَ شَاكِرٍ
لِمَعْرُوفِكَ المَعْرُوفِ يَا ذَا المَرَاحِمِ(٢)
فَكَمْ لَكَ مِنْ سِتْرٍ عَلَى كُلِّ خَاطِئٍ
وَكَمْ لَكَ مِنْ بِرٍّ عَلى كُلِّ ظَالِمِ(٣)
وَجُودُكَ مَوْجُودٌ وَفَضْلُكَ فَائِضٌ
وَأَنْتَ الَّذِي تُرْجَى لِكَشْفِ الْعَظَائمِ(٤)
وَبَابُكَ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ مُؤَمِّلٍ
وَبِرُّكَ مَمْنُوحٌ لِكلِّ مُصَارِمِ(٥)

---

(١) (لك الحمد) أي الثناء. (يا مستوجب الحمد) يا مستحقه.
(فان) هالك (لدائم) لباق.

(٢) (وسبحانك اللَّهُمَّ) أي تنزيهاً لك يا الله. (تسبيح) أي تنزيه.
(شاكر) معترف لك بالإحسان. (المراحم) جمع مرحمة وهي العطف والمغفرة.

(٣) (خاطئ) آثم (ظالم) خارج عن حد الاعتدال بالتقصير أو تجاوز الحد.

(٤) (فائض) أي كثير (لكشف العظائم) أي الشدائد واحدها: عظيمة.

(٥) (مُؤَمِّلٍ) أي راجٍ. (ممنوح) أي مُعْطَى. (مصارِم) مقاطع.

فَيَا فالِقَ الْإِصْبَاحِ وَالْحَبِّ وَالنَّوَى
وَيَا قَاسِمَ الْأَرْزَاقِ بَيْنَ الْعَوَالِمِ(١)

وَيَا كَافِلَ الحِيتَانِ فِي لُجِّ بَحْرِهَا
وَيَا مُؤْنِسًا فِي الْأُفْقِ وَحْشَ الْبَهَائِمِ(٢)

وَيَا مُحْصِيَ الْأَوْرَاقِ وَالنَّبْتِ وَالْحَصَى
وَرَمْلِ الْفَلَا عَدًّا وَقَطْرِ الْغَمَائِمِ(٣)

إِلَيْكَ تَوَسَّلْنَا بِكَ اغْفِرْ ذُنُوبَنَا
وَخَفِّفْ عَنِ الْعَاصِينَ ثِقْلَ المَظَالِمِ(٤)

وحَبِّبْ إِلَيْنَا الحَقَّ وَاعْصِمْ قُلُوبَنَا
مِنَ الزَّيْغِ وَالْأَهْوَاءِ يَا خَيْرَ عَاصِمِ(٥)

وَدَمِّرْ أعادِينا بِسُلْطَانِكَ الَّذِي
أذَلَّ وَأَفْنى كلَّ عَاتٍ وَغَاشِمِ(٦)

---

(١) (فالق) أي شاق. (الإصباح) مصدر بمعنى الصبح، أي شاق عمود الصبح، وهو أول ما يبدو من نور النهار عند ظلمة الليل. (والحب) أي عن النبات (والنوى) أي عن النخيل (الأرزاق) جمع رزق وهو ما يُنتفع به، يشير إِلَى قوله ـ تعالى ـ: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾، (العوالِم) بكسر اللام جمع عالَم ـ بفتحها ـ وهو الخلق.

(٢) (ويا كافل) أي يا عائل (الحيتان) جمع حوت وهي السمك. وقال ابن فارس: الحوت العظيم من السمك والمراد هنا الأول. (في لُج بحرها) أي معظمه وهو بضم اللام (في الأفق) أي الناحية أو مهب الجنوب والشمال والدبور والصبا.

(٣) (الفلا) جمع فلاة وهي الصحراء (الغمائم) جمع غمامة وهي السحابة أو البيضاء.

(٤) (العاصين) المذنبين.

(٥) (واعصم قلوبنا) أي احفظها (من الزيغ) أي الميل (والأهواء) جمع هوى وهو هوى النفس.

(٦) (دمّر) أي: أهلك، (بسلطانك) أي: بعزك وقهرك. (عات) متمرد. (غاشم) أي ظالم.

وَمُنَّ عَلَيْنَا يَوْمَ يَنْكَشِفُ الْغِطَا
بِسَتْرِ خَطَايَانَا وَمَحْوِ الْجَرَائِمِ[١]
وَصَلِّ عَلَى خَيْرِ الْبَرَايَا نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ المَبْعُوثِ صَفْوَةِ آدَمِ[٢]

● **وَلَهُ فِي الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ والتَّضَرُّعِ:**

إِلَيْهِ بِهِ سُبْحَانَهُ أَتَوَسَّلُ
وَأَرْجُو الَّذِي يُرْجَى لَدَيْهِ وَأَسْأَلُ[٣]
وَأُحْسِنُ قَصْدِي فِي خُضُوعِي وَذِلَّتِي
لَهُ وَعَلَيْهِ وَحْدَهُ أَتَوَكَّلُ[٤]
وَأَصْحَبُ آمالِي إِلى فَضْلِ جُودِهِ
وَأُنْزِلُ حَاجَاتِي بِمَنْ لَيْسَ يَبْخَلُ[٥]
فَسُبْحَانَهُ مِنْ أَوَّل وَهْوَ آخِرٌ
وَسُبْحَانَهُ مِنْ آخِرٍ وَهْوَ أَوَّلُ[٦]

---

(١) (ومُنَّ) أي أَنْعم (يَنْكَشِفُ الغِطا) يرتفع الستر (ومحو الجرائم) أي إزالتها.

(٢) (البرايا) المخلوقات (صفوة آدم) أي المختار من بنيه ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ.

(٣) (أتوسل) أي أتقرب.

(٤) (أتوكل) أي أعتمد.

(٥) (فضل جوده) وفي رواية: إِلَى عَمِّ جودِه. يقال: عَمَّمُ بالعَطِيةِّ عمًّا: شمِلَهُم، فعَمَّ جودُه، من إضافة الصفة إِلَى الموصوف، أي: جوده العام.

(٦) (من أول) هو الذي ليس قبله شيء آخر، أي ليس بعده شيء.

وَسُبْحَانَ مَنْ تَعْنُو الْوُجُوهُ لِوَجْهِهِ
وَمَـنْ كُـلُّ ذِي عِـزٍّ لَـهُ يَـتَـذَلَّـلُ(١)

وَمَنْ هُوَ فَرْدٌ لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا
شَـبِيـهٌ وَلَا مِـثْـلٌ بِـهِ يَـتَـمَـثَّـلُ(٢)

وَمَنْ كَلَّتِ الْأَفْهَامُ عَنْ وَصْفِ ذَاتِهِ
فَلَيْسَ لَهَا فِي الْكَيْفِ وَالْأَيْنِ مَدْخَلُ(٣)

تَكَفَّلَ فَضْلًا لَا وُجُوبًا بِرِزْقِهِ
عَـلَـى الْخَلْـقِ فَـهْـوَ الـرَّازِقُ الْمُتَـكَـفِّـلُ

وَلَمْ يَأْخُذِ الْعَبْدَ الْمُسِيءَ بِذَنْبِهِ
وَلَـكِـنَّـهُ يُـرْجِـي لأَمْـرٍ وَيُمْـهِـلُ(٤)

حَـلِـيـمٌ عَـظِـيـمٌ رَاحِـمٌ مَـتَـكَـرِّمٌ
رَؤُوفٌ رَحِـيـمٌ وَاهِـبٌ مُـتَـطَـوِّلُ(٥)

---

(١) (تعنو) أي تخضع (لوجهه) أي لذاته سبحانه وتعالى.

(٢) (فرد) أي واحد في الذات وفي الصفات والأفعال.
(لا نظير له) أي في الذات والصفات والأفعال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

(٣) (كَلَّت) تَعِبت (الأفهام) يعني العقول.

(٤) (يُرْجِي) أي يُؤَخِّر.

(٥) (حليم) هو الذي يسامح الجاني مع استحقاقه العقوبة والمؤاخذة بالذنب، فهو الذي لا يستفزه غضب ولا يستعجل بالعقوبة عَلَى من عصاه.
(متطول) متفضل.

جَوَادٌ مَجِيدٌ مُشْفِقٌ مُتَعَطِّفٌ
جَلِيلٌ جَمِيلٌ مُنْعِمٌ مُتَفَضِّلُ[١]

لَهُ الرَّاسِيَاتُ الشُّمُّ تَهْبِطُ خَشْيَةً
وَتَنْشَقُّ عَنْ مَاءٍ يَسِيحُ وَيَخْضَلُ[٢]

وَأنْشَأ مِنْ لَا شْيءَ سُحْبًا هَوَاطِلًا
يُسَبِّحُ فِيهَا رَعْدُهَا وَيُهَلِّلُ[٣]

وَأحْيَا نَوَاحِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
بِمُنْسَجِمٍ غَيْثًا مِنَ السُّحْبِ يَهْمُلُ[٤]

وَأجْرَى بِلَا نَفْخٍ رِيَاحًا لَوَاقِحًا
تَسِيرُ بِلَا شَخْصٍ يُحَاطُ وَيُعْقَلُ[٥]

فَسُبْحَانَ مُجْرِي الرِّيحِ فِي كلِّ مَوْضِعٍ
لِتَبْلُغَ كلَّ الْعَالَمِينَ وَتَشْمَلُ

---

(١) (جواد) كريم (مجيد) واسع الكرم (جَليل) هو الذي عظم شأنه وظهر أمره، فلا يوازيه غيره ولا يدانيه أحد في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال.

(٢) (الراسيات الشم) أي الجبال العالية (تهبط) تنزل من علو إلَى أسفل، يشير إلَى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (ويخضل) يبل، يقال: أخضله بلّه فخضل، كفرح.

(٣) (سحباً هواطلاً) أي متتابعة المطر.

(٤) (غيثًا) أي مطرًا، وهو حال من فاعل يهمل (السحب) الغمام (يهمل) يفيض.

(٥) (رياحًا لواقحًا) أي تلقح السحاب فيمتلئ ماء.

عَلَى أنَّه فِي عِزِّ سُلْطَانِهِ يَرَى
وَيَسْمَعُ مِنَّا مَا نَجِدُّ وَنَهْزِلُ

يُحِيطُ بِمَا تُخْفِي الضَّمَائِرُ عِلْمُهُ
وَيَدْرِي دَبِيبَ النَّمْلِ وَاللَّيْلُ ألْيَلُ(١)

وَيُحْصِي عَدِيدَ القَطْرِ وَالرَّمْلِ وَالحَصَى
وَمَا هُوَ أدْنَى مِنْهُ عَدًّا وَأكْمَلُ(٢)

وَيَعْلَمُ مَا قَدْرُ الجِبَالِ وَوَزْنُهَا
مَثَاقِيلُ ذَرٍّ أوْ أخَفُّ وَأثْقَلُ

حَنَانَيْكَ يَا مَنْ فَضْلُهُ الجَمُّ فَائِضٌ
وَمَنْ جُودُهُ المَوْجُودُ لِلْخَلْق يَشْمَلُ(٣)

وَيَا غَافِرَ الزَّلَّاتِ وَهْيَ عَظِيمَةٌ
وَيَا نَافِذَ التَّدْبِيرِ مَا شَاء يَفْعَلُ(٤)

وَيَا فَالِقَ الإصْبَاحِ وَالحَبِّ وَالنَّوَى
وَيَا بَاعِثَ الأشْبَاحِ فِي الحَشْرِ تَنْسَلُ(٥)

---

(١) (ويدري) أي يعلم (والليل أليل) أي شديد الظلمة.

(٢) (أدنى) أقل.

(٣) (حَنَانَيْكَ) أي رحمتك (فضله الجم) الكثير، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي كثيرًا (جوده) أي كرمه.

(٤) (ويا غافر الزلات) أي الذنوب.

(٥) (فالق) أي شاق. (الإصباح) مصدر بمعنى الصبح، أيّ شاق عمود الصبح، وهو أول ما يبدو من نور النهار عند ظلمة الليل (والحب) أي عن النبات (والنوى) أي عن النخل (ويا باعث الأشباح) أي محيي الخلق بعد موتهم (فِي الحشر) سوق الخلق إِلَى موقف الحساب ثم إِلَى الجنة أو النار (تنسل) تسرع.

أَجِبْ دَعْوَتي يَا سَيِّدِي وَاقْضِ حَاجَتِي
سَرِيعًا فَشَأنُ الْعَبْدِ يَدْعُو وَيَعْجَلُ
فَمَا حَاجَتِي إِلَّا الَّتِي قدْ عَلِمْتَهَا
وَإِنْ عَظُمَتْ عِنْدِي فَعِنْدَكَ تَسْهُلُ
تَوَلَّ ابْنَ يَحْيَى الشَّارِقِيَّ مُحَمَّدًا
وَأبْلِغْهُ فِي الدَّارَيْنِ مَا كَانَ يَأْمَلُ(١)
وَأسْبِلْ عَلَيْنَا السِّتْرَ مِنْ كلِّ نَكْبَةٍ
فَسِتْرُكَ مَسْدُولٌ عَلَى الْخَلْقِ مُسْبَلُ(٢)
وَأكْرِمْهُ بِالْقُرْآنِ وَاجْعَلْهُ حُجَّةً
لَهُ شَافِعًا إِذْ لَا شَفَاعَةَ تُقْبَلُ(٣)
فَيَا طُولَ مَا يَتْلُوهُ يَرْجُو بِضَاعَةً
مُضَاعَفَةً يَوْمَ الْجَزَا لَيْسَ تُهْمَلُ(٤)
وَلَاطِفْهُ وَارْحَمْ مَنْ يَلِيهِ رَحَامَةً
وَصَحْبًا فَإِنَّ الْبَعْضَ لِلْبَعْض يَحْمِلُ(٥)

---

(١) (يأمل) يرجو.
(٢) (من كل نكبة) هي واحدة نكبات الدهر (مسبل) مرخى.
(٣) (بالقرآن) هو الكلام المنزل عَلَى سيدنا محمد ﷺ المنقول عنه تواترًا والمكتوب بالمصاحف.
(٤) (يتلوه) يقرؤه (بضاعة) هي في الأصل: الطائفة من المال يبعثها الإنسان للتجارة، والمراد هنا: الطائفة من الأعمال الصالحة (يوم الجزا) أي يوم القيامة.
(٥) (يليه) يقرب منه (رحامة) كسحابة، أي: قرابة.

أجِرْهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَمِنْ نَكَبَاتِهَا
وَلَا تُخْزِهِمْ يَوْمَ الْعِشَارُ تُعَطَّلُ(١)

وَقَائِلُهَا فَاغْفِرْ خَطَايَاهُ إِنَّهُ
أسِيرٌ بِأَثْقَالِ الذُّنُوبِ مُكَبَّلُ(٢)

أَتَاكَ وَلَا قَلْبٌ سَلِيمٌ مُطَهَّرٌ
وَلَا عَمَلٌ تَرْضَى بِهِ كَانَ يَفْعَلُ

وَلَا يَرْتَجِي مِنْ عِنْدِ غَيْرِكَ رَحْمَةً
وَلَا يَبْتَغِي فَضْلًا لِمَنْ يَتَفَضَّلُ

بَلَى جَاءَ مِسْكِينًا مُقِرًّا بِذَنْبِهِ
ذُنُوبٌ وَأَوْزَارٌ عَلَى الظَّهْرِ تُحْمَلُ(٣)

فَحَقِّقْ رَجَائِي فِيكَ يَا غَايَةَ الْمُنَى
فَأَنْتَ لِمَنْ يَرْجُوكَ حِصْنٌ وَمَوْئِلُ(٤)

وَإِنْ فُتِحَتْ جَنَّاتُ عَدْنٍ لِدَاخِلٍ
فَقُلْ يَا عِبَادِي هَذِهِ الْجَنَّةُ ادْخُلُوا

فَجُودُكَ يَا ذَا الْكِبرِيَاءِ مُؤَمَّلٌ
وَحَبْلُكَ لِلرَّاجِينَ بِالْخَيْرِ يُوصَلُ(٥)

---

(١) (العشار) النُوق الحوامل (تعطل) تترك بلا راع أو بلا حلب لما دهاهم من الأمر.

(٢) (أسير) و(مكبل) محبوس يطلب من الله ـ تعالى ـ العفو عن الذنوب وترك العقاب.

(٣) (تحمل) قال المفسرون في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾: تأتيهم عند البعث في أقبح شيء صورة، وأنتنه ريحًا فتركبهم. وفقنا الله إلى طاعته وجنّبنا معصيته.

(٤) (موئل) أي ملجأ.

(٥) (يا ذا الكبرياء) يا صاحب العظمة (مؤمل) مرجو.

وَصَلِّ وَسَلِّمْ كُلَّ لَمْحَةِ نَاظِرِ
عَلَى أَحْمَدَ مَا حَنَّ رَعْدٌ مُجَلْجِلُ(١)
صَلَاةً تُحَاكِي الشَّمْسَ نُورًا وَرِفْعَةً
وَتَفْضَحُ أَنْوَارَ الرِّيَاضِ وَتُخْجِلُ(٢)
تَخُصُّ حَبِيبَ الزَّائِرِينَ وَتَنْثَنِي
عَلَى آلِهِ إِذْ هُمْ أَعَزُّ وَأَفْضَلُ(٣)

وَلِبَعْضِ الصَّالِحِينَ فِي الثَّنَاءِ عَلَى اللهِ:

يا فَاطِرَ الخَلْقِ البَدِيْعِ وكَافِلًا رِزْقَ الجَمِيْعِ سَحَابُ جُوْدِكَ هَاطِلُ
يا مُسْبِغَ البِرِّ الجَزِيْلِ ومُسْبِلَ السَّتْرِ الجَمِيْلِ عَمِيْمُ طَوْلِكَ طَائِلُ
يا عَالِمَ السِّرِ الخَفِيِّ ومُنْجِزَ الْـ ـوَعْدِ الوَفِيِّ قَضَاءُ حُكْمِكَ عَادِلُ
عَظُمَتْ صِفَاتُكَ يا عَظِيْمُ فَجَلَّ أَنْ يُحْصِي الثَّنَاءَ عَلَيْكَ فِيْهَا قَائِلُ
الذَّنْبُ أَنْتَ لَهُ بِمَنِّكَ غَافِرٌ ولِتَوْبَةِ العَاصِي بِحِلْمِكَ قَابِلُ
رَبٌّ يُرَبِّي العَالَمِيْنَ بِبِرِّهِ وَنَوَالُهُ أَبَدًا إِلَيهِمْ وَاصِلُ
تَعْصِيهِ وهْوَ يسُوقُ نَحْوَكَ دَائِمًا مَا لا تَكُونُ لِبَعْضِهِ تَسْتَاهِلُ

---

(١) (لمحة ناظر) أي رؤية مبصر (مجلجل) يقال: جلجل الرعد: صوَّت شديدًا فهو مجلجل - بالكسر.

(٢) (تحاكي) تُماثِل (نورًا) ضياء (رفعة) علوًا (تفضح) تكشف أنوار الرياض أي أزهار الأشجار، (وتخجل) أي تحير وتدهش من الاستحياء.

(٣) (حبيب الزائرين) أي سيدنا محمد ﷺ.

مُـتَـفَـضِّـلٌ أَبَـدًا وأَنْـتَ لِجُوْدِهِ ... بِقَبَائِحِ العِصْيَانِ مِنْكَ تُقَابِلُ
وإذا دَجَى لَيْلُ الخُطُوبِ وأَظْلَمَتْ ... سُبْلُ الخَلاصِ وخَابَ فِيْهَا الآمِلُ
وأيسْتَ مِن وَجْهِ النَّجَاةِ فَمَا لَهَا ... سَببٌ ولَا يَدْنُو لَهَا مُتَنَاوِلُ
يَأْتِيْكَ مِن أَلْطَافِهِ الفَرَجُ الذِيْ ... لَمْ تَحْتَسِبْهُ وأَنْتَ عَنْهُ غَافِلُ
يا مُوْجِدَ الأَشْيَاءِ مَنْ أَلْقَى إِلَى ... أبْوَابِ غَيرِك فَهُوَ غِرٌّ جَاهِلُ
ومَنِ اسْتَرَاحَ بِغَيرِ ذِكْرِكَ أَوْ رَجَا ... أحَدًا سِوَاكَ فَذَاكَ ظِلٌّ زَائِلُ
عَـمَـلٌ أُرِيـدَ بِـه سِـوَاكَ فَـإِنَّـهُ ... عَمَلٌ وإنْ زَعَمَ المُرَائِي بَاطِلُ
وإِذَا رَضِيْتَ فَكُلُ شَيْءٍ هَيِّـنٌ ... وإِذَا حَصَلْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ حَاصِلُ
أَنَا عَبْدُ سُوءٍ آبِقٌ كَلٌّ عَلَى ... مَـوْلَاهُ أَوْزَارَ الـكَـبَـائِرِ حَـامِـلُ
قد أَثْقَلَتْ ظَهرِي الذُنُوبُ وَسَوَّدَتْ ... صُحُفِي العُيُوبُ وسِتْرُ عَفْوِكَ شَامِلُ
هَا قَدْ أَتَيْتُ وَحُسْنُ ظَنِّيْ شَافِعِيْ ... وَوَسَائِلِـيْ نَـدَمٌ ودَمْـعٌ سَـائِلُ
فاغْفِرْ لِعَبْدِكَ مَا مَضَى وَارْزُقْهُ تَوْ ... فِيقًا لِمَا تَرْضَى فَفَضْلُكَ كَامِلُ
وافْعَلْ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُ جَمِيلِهِ ... والظَّنُّ كُلَّ الظَّنِّ أَنَّكَ فَاعِلُ

● **وَقَالَ آخرُ:**

بِذِكْرِكَ يَا مَوْلَى الْوَرَى نَتَنَعَّمُ ... وقَدْ خَابَ قَومٌ عَنْ سَبِيْلِكَ قَدْ عَمُوا
شَهِدْنَا يَقِيْنًا أَنَّ عِلْمَكُ واسِعٌ ... فَأَنْتَ تَرى مَا فِي القُلوبِ وَتَعْلَمُ
إلـهِي تَحَمَّـلْنَـا ذُنُوبًا عَظِيـمَـةً ... أَسَأْنا وقَصَّرْنا وجُودُكَ أَعْظَمُ

سَتَرْنَا مَعَاصِينَا عَنِ الخَلقِ غَفْلَةً ... وأَنتَ تَرانَا ثُمَّ تَعْفُو وتَرْحَمُ
وَحقِّكَ ما فِيْنَا مُسِيءٌ يَسُرُّهُ ... صُدُودُكَ عَنْهُ بَلْ يَخَافُ ويَنْدَمُ
سَكَتْنَا عَنِ الشَّكْوَى حَياءً وَهَيْبَةً ... وَحَاجَاتُنَا بالْمُقْتَضَى تَتَكَلَّمُ
إذَا كَانَ ذُلُّ العَبْدِ بِالحَالِ نَاطِقًا ... فَهَلْ يَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ عَنْهُ وَيَكْتُمُ
إِلَهِي فَجُدْ واصْفحَ وأَصْلِحْ قلُوبَنا ... فأنْتَ الذِي تُولِي الجَمِيلَ وَتُكْرِمُ
وأَنْتَ الذِي قَرَّبْتَ قَوْمًا فَوَافَقُوا ... وَوَفَّقْتَهُم حتَّى أَنابُوا وسَلَّمُوْا
وَقُلْتَ اسْتَقَامُوا مِنَّةً وَتَكَرُّمًا ... فأنْتَ الذي قَوَّمْتَهُم فَتَقَوَّمُوا
لَهُمْ فِي الدُّجى أُنْسٌ بِذِكْرِكَ دَائِمًا ... فهُمْ فِي اللَّيالِي ساجِدُونَ وقُوَّمُ
نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ نَظْرَةً بِتَعَطُّفٍ ... فَعَاشُوا بِهَا والنَّاسُ سَكرَى وَنُوَّمُ
لكَ الحَمْدُ عَامِلْنا بِمَا أَنتَ أَهْلُهُ ... وَسَامِحْ وسَلِّمْنَا فأنْتَ الْمُسَلِّمُ

* * * * *

• **ولله درُّ القائل:**

يَا مَنْ إِلَيْهِ جَمِيعُ الخَلْقِ يبتهِلُوا ... وَكُلُّ حَيٍّ عَلى رُحْمَاهُ يَتَّكِلُ
يَا مَنْ نَأى فَرَأى مَا في القُلُوبِ ومَا ... تَحْتَ الثَّرَى وَحِجَابُ اللَّيْلِ مُنْسَدِلُ
يَا مَنْ دَنَا فَنَأى عَنْ أنْ يُحِيْطَ بِهِ الْـ ... ـأَفْكَارُ طُرًّا أوِ الأَوْهَامُ وَالعِلَلُ
أنْتَ المُنَادَى بِهِ في كُلِّ حَادِثَةٍ ... وأنْتَ مَلْجأُ مَنْ ضَاقَتْ بِهِ الحِيَلُ
أنْتَ الغِيَاثُ لِمَنْ سُدَّتْ مَذَاهِبُهُ ... أنْتَ الدَّلِيلُ لِمَنْ ضَلَّتْ بِهِ السُّبُلُ

إنَّـا قَـصَـدْنَـاكَ وَالآمـالُ واقِـعَـةٌ عَلَيكَ والكُلُّ مَلْهُوفٌ ومُبْتَهِلُ
فإنْ غَفْرتَ فَعَنْ طَوْلٍ وَعَنْ كَرَمٍ وَإِنْ سَطَوْتَ فأنْتَ الحَاكِمُ الْعَدِلُ

● **وقـال آخـر :**

يا مَنْ يُغِيْثُ الوَرَى مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا اِرْحَمْ عِبادًا أَكُفَّ الفَقْرِ قَدْ بَسَطُوا
عَوَّدْتَهُمْ بَسْطَ أرْزَاقٍ بلا سَبَبٍ سِوَى جَميلِ رَجَاءٍ نحوَهُ انْبَسَطُوا
وَعَدْتَ بالفَضْلِ فِي وِرْدٍ وفي صَدَرٍ بالجُودِ إنْ أَقْسَطُوا والحِلْمِ إنْ قَسَطُوا
عَوارِفُ ارْتَبَطَتْ شُمُّ الأُنوفِ بها وكلُّ صَعْبٍ بقَيْدِ الجُودِ يَرْتَبِطُ
يا مَنْ تَعَرَّفَ بالمَعروفِ فاعْتَرَفَتْ بجَمِّ إنْعامِهِ الأطرافُ والوَسَطُ
وعـالِمًا بـخَـفِـيَّـات الأُمـورِ فـلا وَهْمٌ يَجُوزُ عليهِ لا ولا غَلَطُ
عَبْدٌ فَقِيرٌ بِبَابِ الجُودِ مُنْكَسِرًا مِنْ شأنِهِ أنْ يُوافي حِينَ يَنْضَغِطُ
مَهْمَا أَتَى لِيَمُدَّ الكفَّ أَخْجَلَهُ قَبَائِحُ وخَطَايَا أَمْرُها فَرَطُ
يا وَاسِعًا ضَاقَ خَطْوُ الخَلْقِ عنْ نِعَمٍ مِنْهُ إذا خَطبُوا فِي شُكْرِها خَبَطُوا
وناشِرًا بِيَدِ الإِجْمالِ رَحْمَتَهُ فَلَيْسَ يَلْحَقُ مِنْهُ مُسْرِفًا قَنَطُ
ارْحَمْ عِبادًا بَضَنْكِ العَيْشِ ما لَهُمُو غَيرُ الدُجُنَّةِ لُحْفٌ والثَّرى بُسُطُ
لكنَّهم مِنْ ذُرَى عَلْياكَ فِي نَمَطٍ سَامٍ رفِيْعِ الذُرَى ما فَوقَه نَمَطُ
وَمَنْ يَكُنْ بالّذي يَهْواهُ مُجْتَمِعًا فما يُبالي أَقامَ الحَيُّ أَمْ شَحَطُوا
نَحْنُ العَبِيْدُ وأَنْتَ المَلِكُ لَيْسَ سِوَى وَكُلُ شَيءٍ يُرَجَّى بَعْدَ ذا شَطَطُ

● **وقال آخرُ:**

لَكَ الحَمْدُ وَالنَّعْمَاءُ وَالمُلْكُ رَبَّنَا وَلَا شَيْءَ أَعْلَا مِنْكَ مَجْدًا وَأَمْجَدُ
مَلِيْكٌ عَلى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيْمِنٌ لِعِزَّتِهِ تَعْنُو الوُجُوْهُ وَتَسْجُدُ
فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَقْدُرُ الخَلْقُ قَدْرَهُ وَمَنْ هُوَ فَوْقِ العَرْشِ فَرْدٌ مُوَحَّدُ
وَمَنْ لَمْ تُنَازِعْهُ الخَلَائِقُ مُلْكَهُ وَإِنْ لَمْ تُفَرِّدْهُ العِبَادُ فَمُفْرَدُ
مَلِيْكُ السَّمَاوَاتِ الشِّدَادِ وَأَرْضِهَا وَلَيْسَ بِشَيءٍ عَنْ قَضَاهُ تَأَوُّدُ
هَوَ اللهُ بَارِي الخَلْقِ، وَالخَلْقُ كُلُّهُمْ إِمَاءٌ لهُ طَوْعًا جَمِيْعًا وَأَعْبُدُ
وَأَنَّى يَكُوْنُ الخَلْقُ كَالخَالِقِ الَّذِيْ يُمِيتُ وَيُحْيِي دَائِبًا لَيْسَ يَهْمَدُ
تُسَبِّحُهُ الطَّيْرُ الجَوَانِحُ فِي الخَفَا وَإِذْ هِيَ فِي جَوِّ السَّمَاءِ تُصَعِّدُ
وَمِنْ خَوْفِ رَبِّي سَبَّحَ الرَّعْدُ فَوْقَنَا وَسَبَّحَهُ الأَشْجَارُ وَالوَحْشُ أَبَّدُ

* * * * *

● **وقال آخرُ:**

صَرَفْتُ إِلى رَبِّ الأنامِ مَطَالِبِي وَوَجَّهْتُ وَجْهِي نَحْوَهُ وَمَآرِبِي
إِلَى المَلِكِ الأعْلَى الذَي لَيْسَ فَوقَهُ مَلِيكٌ يُرَجَّى سَيْبُهُ فِي المَتَاعِبِ
إِلَى الصَّمَد البَرِّ الَّذي فاضَ جُوْدُهُ وعَمَّ الوَرَى طُرًّا بِجَزْلِ المَوَاهِبِ
مُقِيلِي إِذَا زَلَّتْ بِيَ النَّعْلُ عَاثِرًا وأَسْمَحُ غَفَّارٍ وأكْرمُ وَاهِبِ
فَمَا زَالَ يُولِينِي الجَمِيْلَ تَلَطُّفًا ويَدْفَعُ عَنِّي مِن صُدُورِ النَّوائِبِ

ويَرْزُقُنِي طِفْلًا وكَهْلًا وقَبْلَهَا … جَنِينًا ويَحْمِيني وَبِيَّ المَكَاسِبِ
إذَا أَغْلَقَ الأَمْلاكُ دُوْني قُصُورَهُمْ … ونَهْنَهَ عَنْ غِشْيانِهِمْ زَجْرُ حَاجِبِ
فَزِعْتُ إلى بَابِ المُهَيْمِن طَارِقًا … مُدِلًّا أُنادي بِاسْمِهِ غَيْرَ هَائِبِ
فَلَمْ أَلْفِ حُجَّابًا وَلَمْ أخْشَ مِنْعَةً … ولَوْ كَانَ سُؤْلِي فَوْقَ هَامِ الكَواكِبِ
كَرِيمٌ يُلَبِّي عَبْدَهُ كُلَّمَا دَعَا … نَهَارًا ولَيْلًا في الدُّجَى وَالغَيَاهِبِ
سَأَسْأَلُهُ مَا شِئْتُ إنَّ يَمِينَهُ … تَسِحُّ دِفَاقًا باللُّهَى والرَّغَائِبِ
فَحَسْبِيَ رَبِّي في الهَزَاهِزِ مَلْجَأً … وحِرْزًا إذَا خِيْفَتْ سِهَامُ النَّوَائِبِ

● **آخَرُ:**

يَا خَالِقِي عَبدُكَ الخاطِي الحَزِينُ لَقَدْ … أَتَاكَ مُنْكَسِرًا فاجْبُرْ لِمُنْكَسِرِ
مُسْتَغْفِرًا من ذُنُوبٍ لَا عِدَادَ لَهَا … بِعَفْوِكَ الجَمِّ يَا رَحْمنُ لا تَذَرِ
فلَا تَدَعْنِي مَلِيكَ العَرْشِ مُطَّرِحًا … بَيْنَ النَّوَائِبِ والأَسْدَامِ والغِيَرِ
حَسْبِي لَدَى المُوبِقَاتِ الصُّمِّ أنْتَ فَلَا … نَرجُو سِوَاكَ لِنَيْلِ السُّؤْلِ والوطرِ
عَلَيْكَ يا ذَا العَطَا والمَنِّ مُعْتَمَدِي … في كُلِّ خَطْبٍ أتَى بالغَيْرِ والضَّرَرِ
فاغْفِرْ وَأَكْرِمْ عُبَيْدًا ما لَهُ عَمَلٌ … مِنَ الصَّوَالِحِ يا رَحْمنُ في العُمُرِ
لَكِنَّهُ تَائِبٌ مِمَّا جَنَاهُ فَقَدْ … أَتَاكَ مُسْتَغْفِرًا يَخْشَى مِنَ السَّفَرِ
فإنْ رَحِمْتَ عَلَى مَنْ جَاءَ مُفْتَقِرًا … فأنْتَ أَهْلٌ بِهِ يا ربِّ فاغْتَفِرِ
وإنْ تُعَذِّبْ فإني أَهْلُ ذَاكَ وذَا … عَدْلٌ قَوِيمٌ بِلَا لَوْمٍ ولَا نُكُرِ

ثُمَّ الصَّلاةُ عَلَى خَيرِ الخَلِيقَةِ مَنْ ... كَفَاهُ مُعْجِزَةً الشَّقُّ فِي القَمَرِ
وآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطُّهْرِ قَاطِبَةً ... وصَحْبِهِ المُكْرَمِينَ السَّادَةِ الغُرَرِ
ما هَبَّتِ الرِّيحُ واهْتَزَّ النَبَاتُ بِهَا ... وما تَغَنَّتْ حَمَامُ الأَيْكِ فِي السَّحَرِ

* * * * *

أَبَدًا تحِنُّ إليكمُ الأَرْوَاحُ

أَبَدًا تَحِنُّ إليكمُ الأَرْوَاحُ ... وحَدِيثُكُمْ رَيْحَانُها والرَّاحُ
وقُلوبُ أَهْلِ وِدادِكُمْ تشتاقكُمْ ... وإِلى بهاءِ جَمَالِكُمْ تَرْتَاحُ
صَافَاهُمُو فَصَفَوْا لَهُ، فَقُلوبُهُمْ ... فِي نُورِها المِشْكَاةُ والمِصْبَاحُ
وتَمَتَّعُوا فالوَقْتُ طَابَ بِقُرْبِكُمْ ... رَاقَ الشَّرَابُ ورَاقَتِ الأقداحُ
سَمَحُوا بِأَنْفُسِهِم وما بَخِلُوا بها ... لمَّا دَرَوْا أن السَّماحَ رَبَاحُ
ودعاهُمُو داعي الحقائقِ دَعْوةً ... فَغَدَوا بها مُسْتَأْنِسِينَ ورَاحُوا
رَكِبُوا عَلَى سُفُنِ الوَفَا، ودُمُوعُهُمْ ... بَحْرٌ، وشِدَّةُ شَوْقِهِمْ مَلَّاحُ
واللَّهِ ما طَلَبُوا الوقوفَ ببابِهِ ... حَتَّى دُعُوا، وأَتَاهُمُو المِفْتَاحُ
لا يطْرَبونَ بِغَيرِ ذِكْرِ حبيبِهِمْ ... أبدًا، فكُلُّ زَمانِهِمْ أفْرَاحُ

* * *

● **ولله دَرُّ القَائِلِ مُثْنِيًا عَلَى رَبِّهِ:**

وَبِأَمْرِكُمْ يَنْشَا السَّحَابُ وبِاسْمِكُمْ ... يُمْحَى العِقَابُ وتُغْفَرُ الزلَّاتُ
واهًا عَلَى أَحْوَالِ قَوْمٍ أَعْرَضُوا ... عن بَابِكُمْ كَمْ فَاتَهُمْ خيْراتُ
وحَيَاتِكُمْ مَنْ فَاتَهُ مِنْ أُنْسِكُمْ ... وَقْتٌ فَكُلُّ العُمْرِ مِنْهُ فَوَاتُ
يَا مُعْرِضِينَ عَنِ الكَرِيمِ تَعَرَّضُوا ... فَلِرَبِّكُمْ فِي دَهْرِكُم نَفَحَاتُ

* * * * *

ذُو النُّونِ المِصْرِيُّ
المحِبُّ لِرَبِّهِ المثْني عَلَيْهِ

● قَالَ ذُو النُّونِ - رَحِمهُ اللهُ -:

إذا ارتَحَلَ الكِرامُ إليكَ يومًا   لِيَلْتَمِسُوكَ حَالًا بعدَ حالِ
فَإنَّ رِحَالَنَا حطَّتْ لِتَرْضَى   بِحِلْمِكَ عن حُلولٍ وارتحالِ
أَنَخْنَا فِي فنَائِك يَا إلهي   إلَيْكَ مُعَرَّضِينَ بلا اغْتِلالِ
فَسُسْنَا كَيْفَ شئتَ ولا تكِلْنَا   إلَى تَدْبِيرِنا يَا ذَا المَعَالِي

* * * * *

● ويَقُولُ - رَحِمهُ اللهُ -:

أَمُوتُ ومَا مَاتَتْ إليكَ صَبابَتي
ولا رَوِيتْ مِنْ صِدْقِ حُبِّكَ أوْطَارِي
مُنايَ المُنى كُلُّ المُنى أنتَ لِي مُنًى
وأنتَ الغِنَى كُلُّ الغِنَى عِنْدَ إقْتَارِي
وأَنْتَ مَدَىٰ سُؤْلِي وغَايةُ رَغْبَتِي
ومَوْضِعُ شَكْوَايَ ومَكْنونُ إضْمَارِي
وبَيْنَ ضُلوعِي مِنْكَ مَا لَكَ قَدْ بَدَا
ولَمْ يَبْدُ بادِيهِ لأهلٍ ولا جارِ

أَلَسْتَ دَلِيلَ الرَّكْبِ إنْ هُمْ تَحَيَّرُوا
ومنقذَ مَنْ أَشْفَى عَلَى جُرُفٍ هارِ
أنَرْتَ الهُدَى للمُهْتَدِينَ ولَمْ يَكُنْ
مِنَ النُّورِ فِي أيْديهِمُ عُشْرُ مِعْشَارِ
فَنَلْنِي بعفوٍ منكَ أحْيَى بِقُرْبِهِ
أغِثْنِي بيُسْرٍ مِنْكَ يَطْرُدُ إعْسَارِي

* * * * *

● وَيقُولُ عَنِ المَحَبَّةِ :

شَواهِدُ أَهْلِ الحُبِّ بادٍ دَليلُها بأَعْلَامِ صِدْقٍ ما يَضِلُّ سَبيلُها
جُسُومُ أُوْلِي صِدْقِ المَحَبَّةِ والرِّضَى يُبَيِّنُ عَنْ صِدْقِ الوِدَادِ نُحُولُها
إِذَا نَاجَتِ الأَفْهَامُ أُنْسَ نُفوسِهِمْ بِأَلْسِنَةٍ يَخْفَى عَلَى النَّاسِ قِيلُها
وضَجَّتْ نُفوسُ المُسْتَهَامِينَ وَاشْتَكَتْ جوًى كَانَ عَنْ أَجْسَامِها شربيلُها
يَحِنُّونَ حُزْنًا ضَاعَفَ الخَوْفُ شَجْوَهُ وَنِيرَانُ شَوْقٍ كالسَّعِيرِ عَلِيلُها
وسَارُوا عَلَى حُبِّ الرَّشَادِ إِلى العُلَا تَقُومُ بِهِمْ تَقْوَاهُ وَهْوَ دَليلُها
فحَطُّوا بِدَارِ القُدْسِ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ وفاز بِزُلفى ذِي الجَلَالِ حُلُولُها

* * *

❑ **وانْظُرْ إِلَيْهِ كَيْفَ يَسْتَمْطِرُ الدَّمْعَ حِينَ يَقُولُ:**

رَبٌّ تَعَالَى فَلا شَيءَ يُحِيطُ بِهِ ... وَهْوَ المحِيطُ بِنَا في كُلِّ مُرْتَصَدِ
لا الأَيْنُ والكَيْفُ والحَيْثُ بِمُدْرِكِهِ ... ولا يُحَدُّ بِمِقْدَارٍ ولا أَمَدِ
وكَيْفَ يُدْرِكُهُ حَدٌّ وَلَمْ تَرَهُ ... عَيْنٌ وَلَيْسَ لَهُ في المِثْلِ مِنْ أَحَدِ
أَمْ كَيْفَ يَبْلُغُهُ وَهْمٌ بِلَا شَبَهٍ ... وقَدْ تَعَالَى عَنِ الأَشْبَاهِ والوَلَدِ
مَنْ أَنْشَأَ الْكونَ قَبْلَ الكَوْنِ مُبْتَدِعًا ... مِنْ غَيْرِ شَيءٍ قَدِيمٍ كَانَ في الأَبَدِ
ودَهَّرَ الدَّهْرَ وَالأَوْقَاتَ واخْتَلَفَتْ ... بِمَا يَشَاءُ فَلَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَزِدِ
إِذْ لَا سَمَاءٌ ولا أَرْضٌ ولا شَبَحٌ ... في الكَونِ سُبْحَانهُ مِنْ قاهِرٍ صَمَدِ
مَا ازْدَادَ بِالخَلْقِ مُلْكًا حِينَ أَنْشَأَهُمْ ... ولا يُرِيدُ بِهَا دَفْعًا لِمُضْطَهِدِ
وكَيْفَ وَهْوَ غَنِيٌّ لا افْتِقَارَ بِهِ ... والخَلْقُ تَضْطَّرُ بِالتَصْرِيفِ والأَوَدِ
ولَمْ يَدَعْ خَلْقَ مَا لَمْ يُبْدِ خِلْقَتَهُ ... عَجْزًا عَلَى سُرْعَةٍ مِنْهُ ولا تُؤَدِ
إِحَاطَةٌ بِجَمِيعِ الغَيْبِ عَنْ قَدَرٍ ... أَحْصَى بِهَا كُلَّ مَوْجُودٍ ومُفْتَقَدِ
وكُلُّهُمْ باضْطِرارِ الفَقْرِ مُعْتَرِفٌ ... إِلَى فَواضِلِهِ في كُلِّ مُعْتَمَدِ
العَالِمُ الشَّيْءَ فِي تَصْرِيفِ حَالَتِهِ ... مَا عَادَ مِنْهُ ومَا يَمْضِي فَلَمْ يَعُدِ
ويَعْلَمُ السِرَّ مِنْ نَجْوى القُلوبِ ومَا ... يَخْفَى عَلَيْهِ خَفِيٌّ جَالَ فِي خَلَدِ
ويَسْمَعُ الحِسَّ مِنْ كُلِّ الوَرَى وَيَرَى ... مَدَارِجَ الذَرِّ فِي صَفْوَانِهِ الجَلَدِ
ومَا تَوَارَى مِنَ الأَبْصَارِ فِي ظُلَمٍ ... تَحْتَ الثَّرَى وَقَرارِ اليَمِّ والثَّمَدِ

الأَوَّلُ الآخِرُ الفَرْدُ المُهَيْمِنُ لَمْ يَعْزُبْ وَلَمْ يَنْسَ مِنْ قُرْبٍ ولَا بُعَدِ
عَالٍ عَلِيٌّ عَلِيمٌ لا زَوَالَ لَهُ وَلَمْ يَزَلْ أَزَلِيًّا غَيْرَ ذِي فَقَدِ
وجَلَّ فِي الوَصْفِ عَنْ كُنْهِ الصِّفَاتِ وعَنْ مَقَالِ ذِي الشَكِّ والإِلْحَادِ والعَنَدِ
مَنْ لَمْ يُجَازَى بِنُعْمَى مِنْ فَوَاضِلِهِ وَلَمْ يَنَلْهُ بِمَدْحٍ وَصْفُ مُجْتَهِدِ
وكُلُّ فِكْرَةِ مَخْلُوقٍ إِذَا اجْتَهَدَتْ بِمَدْحِهِ لَم تَنَلْ إِلَّا إِلَى الأَبَدِ
مُسَبَّحٌ بِلُغَاتِ العَارِفَاتِ بِهِ لَمْ تَدْرِ مَا غَيْرَهُ رَبًّا وَلَمْ تَجِدِ
الفَالِقُ النُّورَ والظَّلْمَاءَ وَهْيَ عَلَى مَاءٍ تَقَاذَفُ بِالأَمْوَاجِ والزَّبَدِ
إِذْ مَدَّهَا مَدَّ فَوْقَ الرِّيحِ مَنْشَأَهَا فَسَبَّحَتْ وَهْيَ فَوْقَ المَاءِ فِي أَمَدِ
وَشَدَّهَا بالجِبَالِ الصُمِّ فاضْطَأَدَتْ أَرْكَانُها بِشِدَادِ الصَّخْرِ والجَلَدِ
بَرَا السَّمَاوَاتِ سَقْفًا ثُمَّ أَنْشَأَهَا سَبْعًا طِبَاقًا بِلَا عَوْنٍ وَلَا عَمَدِ
تُقِلُّهُنَّ مَعَ الأَرْضِينَ قَدْرَتُهُ وكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَثْقُلْ ولَمْ يَؤُدِ
وبَثَّ فِيها صُنُوفًا مِنْ بَدَائِعِهِ مِنَ الخَلَائِقِ مِنْ مَثْنَى وَمِنْ وَحَدِ
مِنْ كُلِّ شَيءٍ بَرَا أَصْنَافَهُ وَذَرَا أَسْبَاحَهُ بَيْنَ مَكْسُورٍ وَمُنْجَرِدِ
فِيهَا المَلَائِكُ بِالتَّسْبِيحِ خَاضِعَةٌ لا يَسْأَمُونَ لِطُولِ الدَّهْرِ والأَمَدِ
بَرَا السَّمَاءَ بُروجًا مِنْ كَوَاكِبِها تَجْرِينَ مِنْ فَلَكِ الأَفْلَاكِ فِي كَبَدِ
مِنْهَا جَوَارٍ وَمِنْهَا رَاكِدٌ أَبَدًا والقُطْبُ فِي مَرْكَزٍ مِنْهُنَّ كَالوَتَدِ

والشُّهْبُ تَحْرِقُ فِيهِا يَبْتَدِرْنَ إِلَى قَذْفِ الشَّيَاطِينِ مِنْ جِنَّاتِهَا المُرُدِ
وكُلُّ مُسْتَرِقٍ لِلسَّمْعِ يَتْبَعُهُ مِنْهَا شِهَابُ نُجُومٍ دَائِمُ الرَّصَدِ
ويَرْفَعُ الغَيْمَ أَسْتَارًا لَهَا فَتَرَى فِيها الصَّوَاعِقَ بَيْنَ المَاءِ والبَرَدِ
عَلَى هَوَاءٍ رَقِيقٍ فِي لَطَافِتِهِ يُحْيِي بِهِ كُلَّ ذِي رُوحٍ وَذِي جَسَدِ
وصَيَّرَ المَوْتَ فَوْقَ الخَلْقِ لَا لَجَأٌ مِنْهُ ولَا هَرَبٌ مِنْهُ إِلَى سَنَدِ
فالمَوْتُ مَيْتٌ وكُلٌّ هَالِكُونَ خَلا وَجْهِ الإِلَهِ الكَرِيمِ الدَّائِمِ الصَّمَدِ
أَفْنَى القُرُونَ وأَفْنَى كُلَّ ذِي عُمُرٍ كَعُمْرِ نُوحٍ وَلُقْمَانٍ أَخِي لُبَدِ
يَا رَبُّ إِنَّكَ ذُو عَفْوٍ ومَغْفِرَةٍ فَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِ المَوْقِفِ النَّكِدِ
واجْعَلْ إِلَى جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ مَوْئِلَنَا مَعَ النَّبِيِّينَ والأَبْرَارِ فِي الخَلَدِ
سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزِّ مِنْ مَلِكٍ مَنِ اهْتَدَى بِهُدَى رَبِّ الْعِبَادِ هُدِي

* * * * *

- **يَقُولُ آخَـــرُ:**

كَـبُـرَتْ هِـمَّـةُ عَـبْـدٍ طَـمَـعَـتْ فِي أَنْ تَـرَاكَـا
مَنْ يَصُمْ عَنْ مُفْطِرَاتٍ فَـصِـيَـامِـي عَـنْ سَـوَاكَـا

- **وَيَقُولُ آخَرُ :**

وقَدْ صُمْتُ عَنْ لَذَّاتِ دَهْرِيَ كُلِّها وَيَوْمُ لِقَاكُمْ ذَاكَ فِطْرُ صِيَامِي

* * * * *

ويَقُولُونَ في الثَّناءِ عَلَى اللَّهِ

❑ اسْمَعْ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ:

أَقُولُ إذا هَبَطْتُ أَرْضًا مَخُوفَةً حَنَانَيْكَ لا تُظْهِرْ عَلَيْنا الأَعَادِيا
حَنَانَيْكَ إِنَّ الجِنَّ كَانَتْ رَجَاءَهُمْ وَأَنْتَ إِلَهِي رَبُّنَا وَرَجَائِيَا
أَدِينُ لِرَبٍّ يَسْتَجِيبُ ولَا أُرَى أَدِينُ لِمَنْ لا يَسْمَعُ الدَّهْرَ دَاعِيا
أَقُولُ إِذا صَلَّيْتُ في كُلِّ بُقْعَةٍ تَبَارَكْتَ قَدْ أَكْثَرْتُ بَاسْمِكَ دَاعِيا

* * * * *

● ويقولُ أَيْضًا:

سُبحانَ ذِي العَرْشِ سُبْحَانًا نَعُوذُ بِهِ وَقَبْلُ قَدْ سَبَّحَ الجُودِيُّ والجُمُدُ
مُسَخَّرٌ كُلُّ مَا تَحْتَ السَّمَاءِ لَهُ لا يَنْبَغِي أَنْ يُنَاوِي مُلْكَهُ أَحَدُ

* * * * *

❑ ويقولُ قسُّ بنُ سَاعِدَةَ الإِيادِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ:

هَاجَ للقلبِ مِنْ هَواهُ ادِّكَارُ ولَيَالٍ خِلالَهُنَّ نَهَارُ
وجِبَالٌ شَوامِخٌ رَاسِيَاتٌ وبِحَارٌ مِيَاهُهُنَّ غِزَارُ
ونُجُومٌ يَحُثُّهَا قَمَرُ اللَّيْـ ـلِ وشَمْسٌ في كُلِّ يَوْمٍ تُدَارُ
والذي قد ذَكَرْتُ دَلَّ عَلَى اللَّـ ـهِ نُفُوسًا لَهَا هُدًى واعْتِبَارُ

● ويقولُ آخَرُ:

ولَهُ الطَّيْرُ تَسْتَرِيحُ وتَأْوِي ... في وُكُورٍ مِنْ آمِنَاتِ الجِبَالِ
ولَهُ الوَحْشُ فِي الفَلاةِ تَرَاها ... فِي حَفافٍ وفِي ظِلالِ الرِّمَالِ

* * * * * *

❑ وانْظُرْ إِلى هَذا التَّسْبِيحِ الجَمِيلِ:

سُبْحَانَ مَنْ لَوْ سَجَدْنَا بالعيُونِ لَهُ ... عَلَى شَبَا الشَّوْكِ والمُحْمَى مِنَ الإِبَرِ
لَمْ نَبلُغِ العُشْرَ مِنْ مِعْشَارِ نِعْمَتِهِ ... ولا العُشَيْرَ ولا عُشْرًا مِنَ العُشَرِ
هُو الرَّفِيعُ فلا الأبصارُ تُدْرِكُهُ ... سُبحانَهُ مِنْ مَلِيكٍ نافِذِ القَدَرِ
سُبحانَ مَنْ هُوَ أُنْسِي إِذْ خَلَوْتُ بِهِ ... فِي جَوْفِ لَيْلِي، وفِي الظَّلْمَاءِ والسَّحَرِ
أَنْتَ الحَبِيبُ وَأَنْتَ الحِبُّ يَا أَمَلِي ... مَنْ لِي سِوَاكَ ومَنْ أَرْجوهُ يا ذُخرِي

● ثُمَّ يقولُ :

كَمْ قَدْ زَلَلْتُ فلَمْ أذْكُرْكَ فِي زَلَلِي
وأَنْتَ يا سَيِّدِي فِي الغَيْبِ تَذْكُرُنِي
كَمْ أكْشِفُ السِّتْرَ جَهْلًا عِنْدَ مَعْصِيتِي
وأَنْتَ تَلْطُفُ بِي حَقًّا وتَسْتُرُنِي
لأَبْكِيَنَّ بِدَمْعِ العَيْنِ مِنْ أَسَفٍ
لأَبْكِيَنَّ بُكَاءَ الوَالِهِ الحَزِنِ

* * * * *

❏ **ويقولُ الشَّاعِرُ فِي آياتِ اللهِ فِي الكَوْنِ:**

وحينَ يُسَاقُ السَّحَابُ الجَوَادُ لِيُحِيِيَ فِي الأَرْضِ مَوْتَى القُبُورِ
وفي الشَّمْسِ لُفَّتْ بِخِدْرِ الحَيَاءِ تُنَادِي الأَحِبَّةَ عِنْدَ البُكُورِ
وفي النَّخْلِ دَانٍ بِقِنْوَانِهِ وفي النَّحْلِ يَجْمَعُ حُلْوَ العَبِيرِ

* * * * *

● **ويقولُ الشَّاعِرُ:**

عَالَمٌ سَابِحٌ وكَوْنٌ يَدُورُ وسَحَابٌ يُطْوَى وأَرْضٌ تَمُورُ
يَا لَفَجْرٍ يَنْسَابُ فِي مُقْلَةِ اللَّيْـ ـلِ فَيَعْلُو التَّهْلِيلُ والتَّكْبِيرُ
كُلَّمَا أَرْسَلَ الصَّبَاحُ شُعَاعًا أَذَّنَ الدِّيكُ وَانْتَشَى العُصْفورُ
وبَدَتْ صَفْحَةٌ مِنَ الحُسْنِ فيها أَسْطُرٌ خَطَّها البَدِيعُ القَدِيرُ
زَخْرَفَ الزَّهْرُ «لَوْحةً» مِنْ جَمَالٍ وتَغَنَّى فِي رَوْضِهِ الشُّحْرُوُرُ
وغَفَا الوَرْدُ فِي رَوَاءِ العَذَارَى والنَّدَى فِيهِ لُؤْلُؤٌ مَنْثُورُ
واللُّجَيْنُ المُنْسَابُ فَوْقَ الرَّوَابِي رَقَّ لَحْنًا وطَابَ مِنْهُ الخَرِيرُ
فِتْنَةٌ تُبْهِرُ العُيُونَ وحُسْنٌ وبَهَاءٌ تَغَارُ مِنْهُ البُدُورُ

* * * * *

❑ ويقولُ الشَّاعِرُ عَنِ المُحِبِينَ:

وَلَهُ خَصَائِصُ يَكْلُفُونَ بِحُبِّهِ   اِخْتَارَهُمْ مِنْ سَالِفِ الأَزْمَانِ
اِخْتَارَهُمْ مِنْ قَبْلِ فِطْرَةِ خَلْقِهِ   بِـوَدَائِـعٍ وَفَـوَائِـدٍ وَبَـيَـانِ

* * * * *

● ويقولُ آخَــرُ:

غَرَسْتَ الحُبَّ غَرْسًا فِي فُؤَادِي   فَلَا أَسْلُو إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ
وأَحْيَيْتَ الفُؤَادَ بِطِيبِ حُبٍّ   فَشَوْقِي زَائِدٌ والحُبُّ بَادِ

* * * * *

● ويقولُ آخَرٌ:

قَوْمٌ هُمومُهُمْ بِاللهِ قَدْ عَلِقَتْ   فما لَهُمْ هِمَمٌ تَسْمُو إِلَى أَحَدِ
مَا إِنْ تَنَازَعَهُم دُنْيَا ولا شَرَفٌ   مِنَ المَطَاعِمِ واللَّذَّاتِ والوَلَدِ
ولا لِلِبْسِ ثِيَابٍ فَائِقٍ أَنِقٍ   ولا لِرُوحِ سُرُورٍ حَلَّ فِي بَلَدِ
إِلَّا مُسَارَعَةً فِي إِثْرِ مَنْزِلَةٍ   قَدْ قَارَبَ الخَطْوُ فِيها بَاعِدَ الأَبَدِ
فَمَطْلَبُ القَوْمِ مَوْلَاهُمْ وَسَيِّدُهُمْ   يا حُسْنَ مَطْلَبِهِمْ للوَاحِدِ الصَّمَدِ

* * * * *

❑ ويقولُ الشَّاعِرُ عَنِ المحُبِّينَ:

هُـمـومُـهُـمُ جَـوَّالَـةٌ بِمُـعَـسْـكَـرِ
بِـهِ أَهْلُ وُدِّ الـلـهِ كَـالأَنْجُـمِ الـزُّهْـرِ
فَمَا عَرَّسُوا إِلَّا بِقُرْبِ حَبِيبِهِمْ
وما عَرَّجُوا عَنْ مَسِّ بُؤْسٍ ولا ضُرِّ
سُكُونٌ إِلى رُوحِ اليَقِينِ وطِيبِهِ
كَمَا سَكَنَ الطِّفْلُ الرَّضِيعُ إِلَى الحِجْرِ

* * * * *

يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِيُّ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ المُحِبِّينَ

● **يقولُ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ:**

أَمُوتُ بِدَاءٍ لا يُصَابُ دَوَائِيَا ... ولَا فَرَجٌ مِمَّا أَرَى فِي بَلائِيَا
يَقُولُونَ: يَحْيَى جُنَّ مِنْ بَعْدِ صِحَّةٍ ... ولَا يَعْلَمُ العُذَّالُ مَا فِي حَشَائِيَا
إِذا كَانَ دَاءُ المَرْءِ حُبُّ مَلِيكِهِ ... فَمَنْ غَيْرُهُ يَرْجُو طَبِيبًا مُدَاوِيَا
ذَرُونِي وشَأْنِي لا تَزِيدُونِ كُرْبَةً ... وخَلُّوا عِنَانِي نَحْوَ مَوْلَى المَوَالِيَا
أَلَا فَاهْجُرُونِي وارْغَبُوا فِي قَطِيعَتِي ... ولَا تَكْشِفُوا عَمَّا يُجَنِّي فُؤَادِيَا
كِلُونِي إِلَى المَوْلَى وكُفُّوا مَلامَتِي ... لِآنَسَ بِالْمَوْلَى عَلَى كُلِّ مَا بِيَا

* * * * *

❑ **ويقولُ الشَّاعِرُ:**

يَا سُرورِي ومُنْيَتِي وعِمَادِي ... وأَنِيسِي وعُدَّتِي ومُرَادِي
أَنْتَ رُوحُ الفُؤَادِ أَنْتَ رَجَائِي ... أَنْتَ لِي مُؤْنِسِي وشَوْقُكَ زَادِي
كَمْ بَدَتْ مِنَّةٌ وكَمْ لَكَ عِنْدِي ... مِنْ عَطَاءٍ ونِعْمَةٍ وأَيَادِي
حُبُّكَ الآنَ بُغْيَتِي ونَعِيمِي ... وجَلَاءٌ لِعَيْنِ قَلْبِي الصَّادِي
لَيْسَ لِي عَنْكَ مَا حَيِيتُ بَرَاحٌ ... أَنْتَ مِنِّي مُمَكَّنٌ فِي الفُؤَادِ

* * * * *

❑ ويقولُ الشَّاعِرُ:

لَمَّا عَلِمْتُ بَأَنَّ قَلْبِيَ فَارِغٌ ... مِمَّنْ سِوَاكَ، مَلأْتُهُ بِهَوَاكَا
وَمَلأْتُ كُلِّي مِنْكَ، حَتَّى لَمْ أَدَعْ ... مِنِّي مَكَانًا خَالِيًا لِسِوَاكَا
فَالقَلْبُ فِيكَ هُيَامُهُ وغَرَامُهُ ... والرُّوحُ لا تَنْفَكُّ عَنْ ذِكْرَاكَا
والسَّمْعُ لا يُصْغِي إِلَى مُتَكَلِّمٍ ... إِلَّا إِذَا مَا حَدَّثُوا بِحُلاَكَا
والطَّرْفُ حَيْثُ أُجِيلُهُ مَتَلَفِّتًا ... فِي كُلِّ شَيءٍ يَجْتَلِي مَعْنَاكَا

* * * * *

❑ انْظُرْ يَا أَخِي إِلَى آيَاتِ اللهِ، مَنْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ بِنُورِ حِكْمَتِهِ، وَمَنِ السَّمَاوَاتُ حَبَابٌ مِنْ بَحْرِ قُدْرَتِهِ:

فَفِي مَسَارِحِ غِزْلَانِ الخَمَائِلِ فِي ... بَرْدِ الأَصائِلِ والإِصْبَاحِ فِي البَلَجِ
وفِي مَسَاقِطِ أَنْدَاءِ الغَمَامِ عَلَى ... بِسَاطِ نُورٍ مِنَ الأَزْهَارِ مُنْتَسَجِ
وفِي مَسَاحِبِ أَذْيَالِ النَّسِيمِ إِذَا ... أَهْدَى إِلَيَّ سُحَيْرًا أَطْيَبَ الأَرَجِ

* * * * *

لَا شريكَ لَه

عَلَّمتني الحيَاةُ أَنَّ ابتِغَاءَ اللَّهِ فَذًّا في كُلِّ شأْنٍ وَقَصْدِ
يُبْلِغُ المرْءَ سُؤْلَهَ ومُنَاهُ وسِواهُ - مَهْمَا ادَّعَى - ليْسَ يُجْدِي
كَمْ تَحَرَّقْتُ مِنْ لَواعِجِ وَجْدي ثُمَّ، باللهِ، كان يَسْكُنُ وَجْدي
وَلَكَمْ ضِقْتُ بالتَّوَحُّدِ ذَرْعًا ثُمّ باللهِ لذَّ لي العَيْشُ وَحْدِي
كَمْ طَلَبْتُ العُلا، وأنْفَقْتُ فيها عُنْفُوانَ الصِّبا، وَغَايَةَ جُهْدِي
فاسْتَحالَتْ عَلَيَّ، حَتَّى طَلَبْتُ اللَّهَ - عَبْدًا حُرًّا - وإذْ هِيَ عِنْدي
كَمْ بَذَلْتُ الحَيَاةَ.. أَسْعَى وأَسْعَى أَسْتَحِثُّ الخُطا لِمَجْدٍ وَسَعْدِ
دُونَ جَدْوى.. حَتَّى تَجَلَّى إلهي بِرِضَاهُ، فكانَ سَعْدي وَمَجْدي
أَيُّها التَّاجِرُ المُراوِغُ دُنْيا هُ لِتَصْطادَها بصَفْقَةِ عَقْدِ
دَعْكَ مِنْ وَهْمِها وَزُورِ جَداها فَجَناها مُرٌّ بِقِشْرَةِ شَهْدِ
واتَّجِرْ مَرَّةً مَعَ اللهِ تَغْنَمْ فَوْقَ دُنيا الفَناءِ جَنَّةَ خُلْدِ[١]

* * * * *

(١) من ديوان قلبٌ ورَبٌّ «للشاعر عمر بهاء الدِّين الأميريّ» ص٣٥ - ٣٧.

لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى

﴿الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾

● قالَ الشاعِرُ أَحْمدُ مُخَيْمَرٌ:

رَبِّي رَحِيمٌ وَرَحْمنٌ، وَرَحْمَتُهُ   تَطْوِي الوُجُودَ، وتُغْني كُلَّ مُحْتَاجِ
ورَحْمَةُ اللهِ لَوْلَاهَا لَمَا سَبَحَتْ   أَرْضٌ بِجَوٍّ، ولا جَاشَتْ بِأَمْوَاجِ
ولا تَحَرَّكَتِ الأَقْمَارُ جَارِيَةً   لِمُسْتَقَرٍّ بَأَفْلَاكٍ وَأَبْرَاجِ
مَنْ نَالَهَا فَهْوَ نَاجٍ يَوْمَ مَحْشَرِهِ   بِها، ومَنْ لَمْ يَنَلْهَا لَيْسَ بِالنَّاجِي

* * * * *

أَلْمَلِكُ اللهُ، والأَكْوَانُ خُدَّامُ   عَبِيدُهُ وَهْوَ لِلأَشْيَاءِ عَلَّامُ
كُلُّ المُلُوكِ وَكُلُّ الأَغْنِيَا صُوَرٌ   فِي طَيِّ قَبْضَتِهِ، واللهُ قَوَّامُ
أَقَامَهُمْ فِي مَقَامِ الامْتِحَانِ، وَهُمْ   لَمْ يَفْقَهوا سِرَّهُ والكُلُّ نُوَّامُ

* * * * *

﴿ المَلِكُ القُدُّوسُ ﴾

يأَيُّهَا المَلِكُ القُدُّوسُ رُحْمَاكَا   ضَاعَ الوُجُودُ وضَلَّ الخَلْقُ لَوْلَاكَا
رَاجِينَ بَاكِينَ والظَّلْمَاءُ سَاكِنَةٌ   حُبًّا لِذِكْرِكَ أَوْ شَوْقًا لِنَجْوَاكَا

* * * * *

● وقالَ الشَّاعِرُ:

المَلِكُ القُدوَّسُ في صِفَاتِهِ وذَاتِهِ مُقَدَّسٌ سُبْحَانَهُ
بِالحَقِّ والعَدْلِ أَقَامَ مُلْكَهُ وحِينَ سَوَّاهُ أَعَزَّ شَانَهُ
فَكُلُّ شَيءٍ عَارِفٌ جَلالَهُ وكُلُّ شَيءٍ طَالِبٌ غُفْرَانَهُ

* * * * * *

﴿ السَّلامُ ﴾

● قال أحْمَدُ مُخيْمَرٌ:

سَلامٌ لِكُلِّ الكَائِنَاتِ، مُدَبِّرٌ
بِحكْمَتِكَ العُلْيَا لِكُلِّ الخَلائِقِ
ولَوْلاكَ لَمْ تُشْرِقْ شُمُوسٌ، ولَمْ تَسِرْ
بِطَاعَةِ مَخْلُوقٍ، وقُدْرَةِ خَالِقِ
وقَدْ صَوَّرَتْها قُدْرَةُ الحَقِّ، فانْتهَتْ
كما شِئْتَ سِرًّا في حِجَابِ الحَقَائِقِ

* * * * *

﴿ المُؤْمِنُ ﴾

لِلحَقِّ والتَّوْحِيدِ تَهدِينَا إِذَا حَاقَ الضَّلالُ بِنَا فَأَنْتَ المُؤْمِنُ
وعلى الصِّراطِ إِذَا تَجَمَّعَ أَهْلُهُ لَنْ يَستَطِيعَ الفَوْزَ إِلَّا المحْسِنُ

* * * * *

﴿ المُهَيْمِنُ ﴾

● **قال الشاعِرُ أَحْمَدُ مُخَيْمَرٌ:**

فِي قَبْضَةِ الحَقِّ هَذَا الكَوْنُ أَجْمَعُهُ ... جَلَّ المُهَيْمِنُ إِنْ أَعْطَى وإِنْ مَنَعَا
قَدْ سَبَّحَتْ بِاسْمِهِ الأَشْيَاءُ عَارِفَةً ... بِأَنَّ ذِكْرَ اسْمِهِ أَمْنٌ لِمَنْ فَزِعَا
ومُلْكُهُ وَاسِعٌ، تَطْوِيهِ قُدْرَتُهُ ... مَنْ شَاءَ يَنْفُذُ مِنْ أَقْطَارِهِ رَجَعا

● **وقالَ الشَّاعِرُ:**

جَلَّ المُهَيْمِنُ رَبًّا لا شَرِيكَ لَهُ ... وجَلَّ إِنْ لَمْ يَهَبْ شَيْئًا، وَإِنْ وَهَبا
مَا شَاءَ كَانَ، ومَا فِي الكَوْنِ خَافِيةٌ ... تَخْفَى عَلى عِلْمِهِ بَدْءًا ومُنْقَلَبا
إِنَّا إِلَيْهِ أَنَبْنا خَاشِعِينَ لَهُ ... وجَاعِلِينَ لَهُ مِنْ ذِكْرِهِ سَبَبا
لاَ شيءَ فِي مُلْكِهِ، أَوْ عَنْ إِرَادَتِهِ ... بِمُسْتَطِيعٍ خُرُوجًا أَيْنمَا ذَهبَا

* * * * *

﴿ العَزِيزُ ﴾

● **قَالَ الشَّاعِرُ:**

أَنْتَ العَزِيزُ ولَا عَزِيزَ سِوَاكَا ... كُلُّ الخَلَائِقِ يَطْلبُونَ رِضَاكَا
يَا مَنْ لَهُ الزُّلْفَى، ولَيْسَ بِهَيِّنٍ ... أَنْ يَعْرِفُوكَ، ومُسْتَحِيلٌ ذَاكَا

● **ويقولُ عَنِ اسْمِ «العَزِيزِ»:**

عَزِيزٌ وكُلُّ العَالَمِينَ عَبِيدُ ... تَفَرَّدَ فَوْقَ العَرْشِ، فَهْوَ مَجِيدُ

لَهُ المُلْكُ، تَعْنو الكَائِنَاتُ لِنُورِهِ قَرِيبٌ إِلَيْهَا في الوُجُودِ، بَعِيدُ
لَهُ الأَمْرُ، لا شيءَ مِنَ الخَلْقِ كُلِّهِمْ يُرِيدُ إِذَا كَانَ العَزِيزُ يُرِيدُ

* * * * *

﴿ المُتَكَبِّرُ ﴾

● قَالَ الشَّاعِرُ:

مُتَفَرِّدٌ بِالكِبْرِيَاءِ فَلَيْسَ يُشْبِهُهُ أَحَدْ
لَوْ شَاءَ أَغْلَقَ بَابَهُ عَمَّنْ عَصَاهُ وَمنْ جَحَدْ
مُتَوَحِّدٌ مُتَكَبِّرٌ سُبْحَانَهُ الفَرْدُ الصَّمَدْ
ولَهُ الكَمَالُ بِغَيرِ حَدٍّ والوُجُودُ بِلَا عَدَدْ
طُوبَى لِعَبْدٍ صَالِحٍ لِجَلَالِ سَيِّدِهِ سَجَدْ

● ويقولُ:

مُتَكَبِّرٌ سُبْحَانَهُ مُتَفَرِّدٌ
بِالكِبْرِيَاءِ لَهُ الجَلَالُ الأَكْبَرُ
كُلُّ الخَلائِقِ يَعْرِفُونَ بِأَنَّهُ
رَبُّ الوُجُودِ عَلَى الوُجُودِ مُسَيْطِرُ

* * * * *

﴿ الخَالِقُ ﴾

● قَالَ الشَّاعِرُ:

خَلَقَ الأَشْيَاءَ بِقُدْرَتِهِ وبِنُورِ الحِكْمَةِ صَوَّرَهَا
وَبَراهَا وِفْقَ مَشِيئَتِهِ وبِغَيْرِ مِثَالٍ قَدَّرَهَا
فَالمَاءُ لِسِرٍّ حَرَّكَهُ والرِّيحُ لأَمْرٍ سَيَّرَهَا
ونُجُومُ اللَّيْلِ إِذَا طَلَعَتْ مِنْ أَجْلِ هُدَاكُمْ نَوَّرَهَا

* * * * *

﴿البَارِئُ، المُصَوِّرُ﴾

● قَالَ الشَّاعِرُ:

يا خَالِقَ النُّطْفَةِ الأُولَى وبَارِئَها بِلَا مِثَالٍ تَعَالَى الخَالِقُ البَارِي
مُصَوِّرٌ كُلَّ شَيءٍ وِفْقَ حِكْمَتِهِ فَالمَاءُ والطِّينُ غَيْرُ النُّورِ والنَّارِ

* * * * *

﴿ الفَتَّاحُ ﴾

● قَالَ الشَّاعِرُ:

لِكُلِّ أَمْرٍ عَصِيٍّ أَنْتَ فَتَّاحُ والرُّوحُ عِنْدَ حُصُولِ الفَتْحِ تَرْتَاحُ
وَلِلْمَطَالِبِ أَبْوابٌ مُغَلَّقَةٌ لَهَا مِنَ الصَّبْرِ عِنْدَ الضِيقِ مِفْتَاحُ
طُوبَى لِمَنْ صَبَرُوا، والصَّابِرونَ لَهُمْ يَوْمَ الخُلُودِ أَقَاصِيصٌ وأَفْرَاحُ

* * * * *

﴿ العَلِيمُ ﴾

• قالَ الشَّاعِرُ أَحْمَدُ مُخَيْمَرٌ:

عَلِيمٌ مُحِيطٌ بِالوُجودِ بِعِلْمِهِ وخَالِقُهُ بِالعِلْمِ مِنْ قَبْلِ خَلْقِهِ
فَإِنْ تَبْغِ عِرْفَانَ الحَقِيقَةِ فَاقْتَرِبْ وَإِنْ ضِقْتَ ذَرْعًا بِالحِجَابِ فَأَلْقِهِ
وعَارِفُ مَا يَأْتِي بِهِ الغَدُ مُودَعًا بِأَلْوَاحِ غَيْبٍ نَاطِقَاتٍ بِصِدْقِهِ
وَمَا عِلْمُهُ إِلَّا حَقِيقَةُ ذَاتِهِ لِغَيْرِ حُدودٍ عِنْدَ عَارِفِ حَقِّهِ

* * * * *

﴿ اللَّطِيفُ ﴾

• قالَ الشَّاعِرُ :

❑ وفي مُناجاةِ اللهِ اللَّطِيفِ ـ سُبْحَانَهُ ـ قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ هَذِهِ الأَبْيَاتَ:

الطِّفْلَ أَلْهَمْتَهُ أَنْ يَرْضَعَ اللَّبَنَا والطَّيْرَ عَلَّمْتَهُ أَنْ يَسْكُنَ الفَنَنَا
والنَّمْلَ تُوحي لَهُ أَلَّا يَكُونَ بِهَا كَسْلَانَ، والنَّحْلَ أَنْ يَبْني لَهُ سَكَنا
وكُلُّ شَيءٍ بِهِ مِنْ نُورِ لُطْفِكَ يَا لَطِيفُ ما رَاحَ مِنْهُ يَحْمِلُ الْمِنَنَا
سُبْحَانَ ذَاتِكَ مَا تَبْدُو دَقَائِقُهُ إِلَّا لِمَنْ دَفَعُوا مِنْ طَاعَةٍ ثمنا

* * * * * *

● وقَالَ الشَّاعِرُ:

أَنْتَ اللَّطِيفُ وَظِلُّ لُطفِكَ غَامِرٌ مُدَّتْ لِكُلِّ الكَائِنَاتِ غُصُونُهُ
كُلُّ الوجُودِ مُرَتَّبٌ ومُنَظَّمٌ واللُّطْفُ مِنْ خَلَلِ الفَسادِ يَصُونُهُ

● قَالَ أَحمْدُ مُخَيْمَرٌ:

لَطِيفٌ بِالوجودِ وبِالبَرَايَا مُحيطٌ بالدَّقَائِقِ والخَفَايا
ولولا لُطْفُهُ خَسِروا وضَلُّوا ومَا سَلكوا الطَّرِيقَ إلى العَطَايا
بَكَيْنَا بالدُّمُوعِ رَجَاءَ لُطْفٍ يُرِينا سِرَّ غُفْرَانِ الخَطَايا

* * * * *

﴿ الحَلِيمُ ﴾

● قَالَ مُخَيْمَرٌ:

عَنِ العَاصِينَ قَدْ سَكَتَ الحَلِيمُ ولَوْلَا حِلْمُهُ ذُلُّوا وضِيمُوا
وَيُمْهِلُهُمْ بِقُدْرَتِهِ لِيَوْمٍ يُطَالِعُ صُبْحَهُ هَوْلٌ عَظِيمُ
فما للظَّالمِينَ بِهِ أَنِيسٌ ولا لِلْكَافِرينَ بِهِ رَحِيمُ

* * * * *

﴿ العَظِيمُ ﴾

● قَالَ مُخَيْمَرٌ:

عَظِيمٌ لا تُحِيطُ بِهِ الظنونُ بِقَبْضَتِهِ التَّحَرُّكُ والسُّكُونُ
تَعَالَى اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ مُقَدِّرُهُ إلى وَقْتٍ يَكُونُ

إِذَا مَا فُزْتَ مِنْهُ بالتَّجَلِّي فكُلُّ شَدَائِدِ الدُّنْيَا تَهُونُ

﴿ الحَفِيظُ ﴾

● **قال الشَّاعِرُ مُخَيْمَرٌ:**

جَلَّ الحَفِيظُ فَلَوْلَا لُطْفُ قُدْرَتِهِ ضَاعَ الوُجُودُ وضَلَّ النَّجْمُ والفَلَكُ
حَتَّى القُطَيْرةُ مِنْ مَاءٍ إِذَا نَزَلَتْ مِنَ السَّحَابِ لها فِي حِفْظِها مَلَكُ

* * * * *

● **وقال الشَّاعِرُ:**

يا حَافِظًا لوجودِ العَالَمِينَ، فَمَا يَحِيدُ عَنْ غَايَةٍ نَقْصًا وخُسْرانَا
وحافِظَ الخَلْقِ أنَ يُلقوا بأَنْفُسِهِمْ إِلى الْهَلاكِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدانا
خَلَقْتَ فيهِمْ عُيونًا يُبْصِرونَ بِها وقَدْ خَلَقْتَ بِهِمْ لِلسَّمْعِ آذَانَا
لَوْ لَمْ تَكُنْ أَنْتَ يَا رَبَّاهُ حَافِظَهُمْ لَمْ تَشْهَدِ الأَرْضُ فَوْقَ الأَرْضِ إِنْسانا

* * * * *

﴿ الكَرِيمُ ﴾

● **وقال الشَّاعرُ أَحْمَدُ مُخَيْمَرٌ:**

أَنْتَ الكَرِيمُ فَلَوْلا رَحْمَةٌ سَبَقَتْ لَمْ يُعْطَ شَرْبَةَ مَاءٍ جَاحِدٌ عَاصِي
تُعْطِي بِغَيْرِ حِسابٍ لا تَضِنُّ ولَا يَغِيبُ لُطْفُكَ عَنْ دَانٍ وعَنْ قَاصِي
وجَنَّةُ الخُلْدِ تُعْطِيها لِمَنْ حَمَلوا عِبْءَ الحَقِيقَةِ فِي صَبْرٍ وإِخْلاصِ

﴿ الرَّقِيبُ ﴾

● قَالَ الشَّاعِرُ مُخَيْمَرٌ:

رَقِيبٌ عَلى كُلِّ الوجودِ، وسَاهِرٌ   عَلى الفَلَكِ الدَّوَّارِ نَجْمًا وكَوْكَبَا
رَقِيبٌ عَلَى كُلِّ النُّفوسِ، وإنْ تَلُذْ   بِصَمْتٍ، ولَمْ تَجْهَرْ بِسِرٍّ تَغَيَّبَا
رَقِيبٌ، تَعَالَى مَالِكُ المُلْكِ، مُبْصِرٌ   بِهِ كُلُّ شَيءٍ، ظَاهِرًا أو مُحَجَّبَا

● وقَال الشَّاعِرُ:

لَكَ الحَمْدُ رَبِّي، خَلَقْتَ الوُجُودَ
وأَنْتَ عَلَيْهِ حَفِيظٌ رَقِيبُ
فلا الأرْضُ تَغْفُلُ عَنْ سَيْرِهَا
ولا الشَّمْسُ فِي كُلِّ صُبْحٍ تَغِيبُ

* * * * *

﴿ المُجِيبُ ﴾

● قال مُخَيْمَرٌ:

مُجِيبَ السَّائِلِينَ حَمَلْتُ ذَنْبي   وَسِرْتُ عَلى الطَّرِيقِ إِلى حِمَاكَا
وَرُحْتُ أَدُقُّ بَابَكَ مُسْتَجِيرًا   ومُعْتَذِرًا ومُنْتَظِرًا رِضَاكَا
دَعَوْتُكَ يَا مُفَرِّجَ كُلِّ كَرْبٍ   وَلَسْتَ تَرُدُّ مَكْرُوبًا دَعَاكَا
وتُبْتُ إِلَيْكَ تَوْبَةَ مَنْ تَرَاهُ   غَرِيقًا فِي الدُّمُوعِ ولَا يَرَاكَا

* * * * *

﴿ الحكِيمُ ﴾

• والشَّاعِرُ يقولُ عَنِ اسْمِ الحكِيم:

حَكِيمٌ عَلِيمٌ بالوُجودِ مُحَرِّكٌ
لِأَفْلَاكِهِ مُعْلٍ سَمَاوَاتِهِ السَّبْعَا

دَعَا كُلَّ مَا فِيهِ فَأَحْسَنَ خَلْقَهُ
بِحِكْمَتِهِ العُلْيَا وأَبْدَعَهُ صُنْعًا

ومَهَّدَ فِيهِ الأَرْضَ وَهْدًا وَرَبْوَةً
ونَضَّرَهَا رَوْضًا، وفَجَّرَهَا نَبْعَا

فَسَبَّحَ حتَّى الوَحْشُ فِي ظِلِّ غَابِهِ
وظَبْيُ الفَلَا فِي البِيدِ، والذِّئْبُ فِي المَرْعَى

* * * * *

﴿ الوَدُودُ ﴾

• وللشَّاعِرِ مُخيمَرٍ أَبْياتٌ عَنِ الوَدُودِ جَاءَ فِيها:

وَدُودٌ تُحِبُّ الخَيْرَ لِلْخَلْقِ كُلِّهِمْ   وتُثْنِي عَلَيْهِمْ، والثَّنَاءُ جمِيلُ
وَدُودٌ، بِلَا مَيْلٍ وَدُودٌ، بِلَا هَوًى   فَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْ سِوَاكَ، جَلِيلُ
لَكَ الحَمْدُ مَنْ تَرْضَى عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ   عَزِيزٌ، وَمَنْ لَمْ تَرْضَ عَنْهُ ذَلِيلُ
وَدُودٌ، قَرِيبٌ مِنْ عِبادِكَ، مَالِكٌ   مَفَاتِيحَ غَيْبٍ، مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
جَلِيلٌ وَوَهَّابٌ، كَرِيمٌ ومُنْعِمٌ   رَحِيمٌ ومَعْبُودُ الجَلَالِ مَجِيدُ

تُسَبِّحُ كُلُّ الكَائِنَاتِ بِحَمْدِهِ   وتَطْوِي جَنَاحَ الذُلِّ وَهْوَ شَهِيدُ
فَلَيْسَ لِشيءٍ فِي الوجُودِ إِرَادَةٌ   إِذَا كَانَ رَبُّ العَالَمِينَ يُرِيدُ

* * * * *

﴿ الحَقُّ ﴾

● قَالَ مُخَيْمَرٌ :

هُوَ الحَقُّ والأَشْيَاءُ وَهْمٌ وَبَاطِلُ   وَكُلُّ وجُودٍ غَيْرَهُ فَهْوَ زَائِلُ
تَبَارَكَ رَبِّي، ما تَزَالُ بَحَمْدِهِ   تُسَبِّحُ أَفْلاكٌ وتَدْعو مَحَافِلُ
سَهِرْنَا لَهُ فِي حُبِّهِ، ونُجُومُهُ   أَمَامَ دُعَاءِ السَّاهِرِينَ مَشَاعِلُ
لَقَدْ طَالَ بِالرَّكْبِ المَسِيرُ، ولَيْلُهُ   مَتَّى يَا فِجَاجَ الشَّوْقِ تَدْنو المَنَازِلُ

* * * * *

يَا إِلَهَ العَالَمِينَ حَنِينِي   دَائِمٌ والقَلْبُ شَاكٍ عَلِيلُ
سَالَ دَمْعِي يَا إِلَهِي ولَوْلا   غُرْبَتِي مَا كَانَ دَمْعِي يَسِيلُ
غُرْبتِي نَجْوَى ونيرَانُ شَوْقٍ   وَأَسَى بَاكٍ ولَيْلٌ طَوِيلُ
ولَكَ الأَمْرُ ومَا لِي رَجَاءٌ   غَيْرَ أَنْ تَسْعَى إِلَيْكَ السَّبِيلُ
وإِذَا ضَاقَتْ فَنَجوى دُعَائِي   حَسْبِيَ اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ

* * * * *

هَذِهِ الشَّمْسُ تُرْسِلُ النُّورَ والدِفْ   ءَ فَحَيُّوا إِلَهَنَا شَاكِرِينَا

حِينَ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍ لَهَا تُبْـ ـصِرُ مِنْ دُونِهِ القَوِيَّ المَتِينَا
لَمْ تَزَلْ باقْتِدَارِهِ تَصْنَعُ الصُّبْـ ـحَ وتُلْقِي عَلَى الفَضَاءِ السِّنينَا
والنُّجُومُ الزُّهْرُ الَّتي تَمْلَأُ اللَّيْـ ـلَ وتَهْدِي مَسَالِكَ الحَائِرينا
هُوَ سُبْحَانَهُ مُحَرِّكُها مَا سِكُهَا أَنْ تُحَطِّمَ العَالَمِينا

* * * * *

﴿ المُحْصِي ﴾

● **قالَ مُخَيْمَرٌ:**

كُلُّ مَعْلُومٍ ففي عِلْمِكَ كَانَا أَنْتَ مُحْصِيهِ زَمَانًا ومَكانَا
أَنْتَ سُبْحَانَكَ أَدْرَى بالذي فِيهِ ذَرَّاتٍ دِقَاقًا وَكِيَانَا
جَلَّ عِلْمُ اللهِ فِي الذَرَّةِ كَمْ مِنْ بُدَيْرَاتٍ وأَجْسَامٍ تَفَانى
يَضْرِبُ الجُدْرَانَ مِنْهَا خَطْوُهَا وتَجُوبُ الأُفْقَ فِيها دَوَرَانَا
أَنْتَ مُحْصِيهَا، وهَادِيها إِلى نَشْوَةِ التَّسْبِيحِ قَلْبًا ولِسَانَا

* * * * *

﴿ الحَيُّ ﴾

● **قالَ أَحْمَدُ مُخيْمَرٌ - رَحِمَهُ اللهُ -:**

خَالِقُ المَوْتِ والحَيَاةِ هُوَ الحَيُّ مُفِيضُ الحَيَاةِ فِي الأَشْيَاءِ
فِي الغُصُونِ الخُضْرِ الجَمِيلَةِ، فِي الطَّيْرِ المُغَنِّي، فِي الغَابَةِ الشَّجْرَاءِ

فِي الكَلَامِ الجَمِيلِ، مِنْ فَمِ إِنْسَا   نٍ جَمِيلٍ عَذْبٍ شَفِيفِ الصَّفَاءِ
فالحَيَاةُ الَّتِي نَرَى قَبَسٌ مِنْ   نُورِهِ فِيهِ لَمْسَةٌ لِلْبَقَاءِ
نُورُهُ فِي الوُجودِ مَا غَابَ فَوْقَ الْأَرْضِ حَيٌّ عَنْهُ، ولَا فِي السَّمَاءِ

* * * * *

لَسْتَ سُبْحَانَكَ مُحْتَاجًا إِلَى   أَحَدٍ والكُلُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْكْ
يَا عَلِيمَ السِّرِّ فِي أَغْوَارِهِ   كَيْفَ لِلأَسْرَارِ أَنْ تَخْفَى عَلَيْكْ
كُلُّ شَيءٍ بِكَ بَاقٍ دَائِمٌ   والذِي تَقْضِيهِ مَكْتُوبٌ لَدَيْكْ
يَا مُضِيءَ النَّجْمِ يَا قَيُّومُ يَا   نَاقِلَ الأَطْيَارِ مِنْ أَيْكٍ لأَيْكْ

* * * * *

﴿ الوَاجِدُ ﴾

وَاجِدٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى   كُلَّ أَسْبَابِ الكَمَالِ القَدِيمِ
وَاجِدٌ دُونَ احْتِيَاجٍ لِشيءٍ   وَاجِدٌ عِلْمَ العَلِيمِ الحَكِيمِ
لَوْ سَمِعْتَ الطَّيْرَ، غَنَّتْ وَقَالَتْ   جَلَّ رَبِّي مِنْ عَلِيٍّ عَظِيمِ
فَاعْبُدوهُ واسْأَلُوهُ وتُوبُوا   واطْلبُوهَ عَفْوَ العَفُوِّ الرَّحِيمِ
لا يَنَالُ الخَيْرَ فِي النَّاسِ إِلَّا   «مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ»

* * * * *

﴿ المَاجِدُ ﴾

• قال مُخَيْمَـــرٌ :

المَاجِدُ المَعْبُودُ قُدِّسَ كَامِلًا   يَعْلُو عَلَى كُلِّ الوُجُودِ كَمَالُهُ
رَبٌّ غَنِيٌّ عَالِمٌ ذُو قُدْرَةٍ   مُتَفَرِّدٌ بِالذَّاتِ جَلَّ جَلَالُهُ
التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ دُعَاهُمو   لِلصَّالِحَاتِ عَطَاؤُه وَنَوالُهُ
وتَضَرَّعَتْ زُلْفَى إِلَيْهِ نُجُومُهُ   وشُمُوسُهُ، وبِحَارُهُ، وجِبَالُهُ
وإِذَا الصَّبَاحُ أَطَلَّ فَهْوُ بَهَاؤُهُ   وإِذَا الوُجُودُ أَضَاءَ فَهْوَ جَمَالُهُ

* * * * *

﴿ الصَّمَدُ ﴾

• قَـــالَ مُخَيْـمَــرٌ :

أَمَامَ بَابِكَ كُلُّ الخَلْقِ قَدْ وَقَفُوا   وَهُمْ يُنَادُونَ: يَا فَتَّاحُ يَا صَمَدُ
فَأَنْتَ وَحْدَكَ تُعْطِي السَّائِلِينَ، وَلَا   تَرُدُّ عَنْ بَابِكَ المَقْصُودِ مَنْ قَصَدوا
والخَيْرُ عِنْدَكَ مَبْذُولٌ لِطَالِبِهِ   حَتَّى لِمَنْ كَفَرُوا، حَتَّى لِمَنْ جَحَدُوا
إِنْ أَنْتَ يَا رَبُّ لَمْ تَرْحَمْ ضَرَاعَتَهُمْ   فَلَيْسَ يَرْحَمُهُمْ مِنْ بَيْنِهِمْ أَحَدُ

* * * * *

﴿ القَادِرُ، المُقْتَدِرُ ﴾

• قَـــالَ مُخَيْـمَــرٌ :

جَــلَّ رَبِّـي الـقَــادِرُ المُقْـتَــدِرُ   مَنْ عَلَى الخَلْقِ سِوَاهُ يَقْدِرُ

خَالِقُ الأَفْلَاكِ والنَّجْمِ، وَمَا تَحْمِلُ الأَرْضُ وتَطْوِي الأَعْصُرُ
بَاعِثُ المَوْتَى ومُحْيِيهَا إِلَى مَوْعِدٍ فِيهِ البَرَايَا تُحْشَرُ
مُبْدِعٌ آيَاتُهُ شَاهِدَةٌ أَنَّهُ مِنْ كَلِّ شَيْءٍ أَكْبَرُ
فَاعْبُدُوهُ، واشْكُروا آلَاءَهُ فَازَ بِالجَنَّةِ عَبْدٌ يَشْكُرُ

* * * * *

﴿ الظَّاهِرُ البَاطِنُ ﴾

لِأَنَّكَ ظَاهِرٌ فِي كُلِّ شَيءٍ خَفِيتَ عَنِ الخَلَائِقِ فِي ظُهُورِكْ
وأَنْتَ البَاطِنُ الأَزَلِيُّ، تَاهَتْ سَفَائِنُ لِلْحَقِيقَةِ فِي بُحُورِكْ
ومَا شَهِدَتْ سِوَى لألاءِ نُورٍ يَمُدُّ ٱلبَاقِيَاتِ عَلَى دُهُورِكْ
ونُورُكَ أَيُّهَا المَوْلَى حِجَابٌ يُوارِي بالصَّفَاءِ صَفَاءَ نُورِكْ
تَحَيَّرَ عَاشِقُوهُ، وقَدْ تَجَلَّى فَمَا عَرَفُوا شُمُوسَكَ مِنْ بُدُورِكْ

* * * * *

﴿ المُدَبِّرُ ﴾

مُدَبِّرٌ أَنْتَ لِلْأَكْوَانِ تَحْفَظُهَا بِقُدْرَةٍ وبِتَدْبِيرٍ تُصَرِّفُهَا
وأَنْتَ وَحْدَكَ فِي الآزَالِ تُبْدِعُهَا وأَنْتَ وَحْدَكَ فِي الآبَادِ تَخْلِفُهَا
وأَنْتَ وَحْدَكَ مُبْقِيهَا لِغَايَتِهَا فَأَنْتَ وَحْدَكَ وَالِيهَا وَمُنْصِفُهَا
إِنْ سَبَّحَتْ لَكَ فالتَسْبِيحُ لَذَّتُها وشَوْقُها لَكَ طُولَ الدَّهْرِ يَعْطِفُهَا

سُبْحَانَ ذَاتِكَ يَا مَنْ لا شَبِيهَ لَهُ ... دَقَائِقُ السِّرِّ فِيها أَنْتَ تَعْرِفُهَا

* * * * *

﴿ المُتَعَالِ ﴾

● **قَالَ مُخَيْمَرٌ:**

تَعَالَيْتَ أنتَ الواحدُ المُتَعَالي ... تَبَارَكْتَ مَوْصُوفًا بِكُلِّ كَمَالِ

وكُلُّ عليٍّ فِي الوُجُودِ عَلِمْتُهُ ... فَدُونَكَ فِي قُدْسِيَّةٍ وَجَلالِ

تَعَالِيكَ يَا رَبَّ الخَلِيقَةِ مُطْلَقٌ ... بِغَيرِ حُدُودٌ، أَوْ بِغَيْرِ مِثَالِ

لِأَنَّكَ سِرُّ البَدْءِ، مَالِكُ أَمْرِهِ ... وحَافِظُهُ مِنْ ضَيْعَةٍ وزَوَالِ

وما الكَوْنُ فِي بَدْءٍ وعِنْدَ نِهَايَةٍ ... سِوَاكَ جَمَالٌ مُشْرِقٌ بِجَمَالِ

وقُدْرَتُكَ العُظْمَى عَلَيْهِ مَشِيئَةٌ ... فما اعْتَرَضَتْ أَعْيَانُهُ بِجِدَالِ

* * * * *

﴿ الْبَرُّ ﴾

● **قَالَ مُخَيْمَرٌ:**

وَهَبْتَ لِكُلِّ الخَلْقِ بِرًّا وَرَحْمَةً
وقد زِدْتَ فِي النُّعْمَى لِمَنْ زَادَ فِي الشُّكْرِ
وَلَمْ تَنْسَ حَتَّى الدُّودَ فِي الصَّخْرِ سَارِبًا
ولَا الطَّيْرَ فِي جَوٍّ، ولَا الوَحْشَ فِي قَفْرِ

لِأَنَّكَ أَنْتَ البَرُّ بِالخَلْقِ كُلِّهِمْ
ومُرْشِدُهُمْ لِلنُّورِ فِي ظُلْمَةِ الكُفْرِ
ومِنْ أَجْلِهِمْ أَرْسَلْتَ رُسْلَكَ بِالهُدَى
لِكَيْ يَطْرُقُوا بَابَ العِنَايَةِ بِالعُذْرِ
وَزَيَّنْتَ وَجْهَ الأَرْضِ فِي الصُّبْحِ بالسَّنَى
لِيَسْعَوْا، وفِي الظَّلْمَاءِ بالأَنْجُمِ الزُّهْرِ

* * * * *

﴿ التَّوابُ ﴾

● قَالَ مُخَيْمَرٌ :

مَنْ أَذْنَبوا تَابُوا.. فَإِنْ رَجَعُوا   لِلذَّنْبِ يَوْمًا.. كُنْتَ تَوَّابا
وتَسُوقُ آيَاتِ الهُدَى.. لِيَرَوْا   بَعْدَ الذُّنُوبِ لِتَوْبَةٍ بَابا
وتُنَبِّهُ العَاصِينَ.. كَي يَجِدُوا   لِلْعَفْوِ بَعْدَ الذَّنْبِ أَسْبَابَا

* * * * *

﴿ العَفُوُّ ﴾

● قَالَ مُخَيْمَرٌ :

أَرَاكَ عَفُوًّا يا إِلَهِي عَنِ الذِي   يَتُوبُ، وتَمْحُو مَا جَنَاهُ مِنَ الذَّنْبِ
يَكَادُ مِنَ الإِحْسَاسِ بالذَّنْبِ خَائِفًا   تُقَلِّبُهُ الآثَامُ جَنْبًا إِلى جَنْبِ

وتَسْمَعُهُ فِي اللَّيْلِ يَدْعُوكَ بَاكِيًا فَتُدْنِيهِ مِنْ عَفْوٍ، وتُرْضِيهِ مِنْ قُرْبِ
وتَجْمَعُ أَفْوَاجَ المَلائِكِ حَوْلَهُ لِكَي يَشْهَدوا عَبْدًا قَرِيبًا مِنَ الرَّبِ

* * * * *

﴿ الرَّءُوفُ ﴾

● قَالَ مُخَيْمَرٌ :

رَءُوفٌ رَحِيمٌ بالعِبَادِ كَأَنَّهُمْ بَنُوهُ وَلَمْ يُولَدْ إِلَهِي وَلَمْ يَلِدْ
ورَأْفَتُهُ بِالعَبْدِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ ضَعِيفٌ ومُحْتَاجٌ إِلى بَابِهِ قَصَدْ
إِذَا تَابَ خَصَّتْهُ المَلائِكُ بِالرِّضَا وإِنْ طَرَقَ الأَبْوابَ لِلْعَفْوِ لَمْ يُرَدْ

* * * * *

● وقالَ الشَّاعِرُ أَيْضًا:

رَحِيمٌ بِكُلِّ الخَلْقِ حَتَّى كَأَنَّهُمْ بَنُوهُ وهُمْ مِنْ صُنْعِهِ وابْتِدَاعِهِ
فَإِنْ جَاءَهُ عَاصٍ فَرَأْفَتُهُ بِهِ تُرِيهِ سَبيلَ العَفْوِ عِنْدَ اجْتِمَاعِهِ
وإِنْ يَدْعُهُ شَاكٍ شَفَاهُ وإِنْ يَجِدْ فَقِيرًا يُنَادِي سِرُّهُ بِسَمَاعِهِ
ومِنْ رَأْفَةِ الرَّحْمَنِ أَطْلَعَ شَمْسَهُ لِتُرْسِلَ فَيْضَ النُّورِ فَوْقَ تِلاعِهِ
وزَيَّنَ بِالنَّجْمِ الظَّلامَ لِيَهْتَدِي بِهِ سَالِكٌ مُسْتَرْشِدٌ بِالتِمَاعِهِ
وأَلْهَمَ مَنْ يَخْتَارُ أَيْنَ طَرِيقُهُ وعَلَّمَ مَنْ يَرْتَابُ حُسْنَ اقْتِنَاعِهِ

* * * * *

﴿ مَالِكُ المُلْكِ ﴾

● قَالَ مُخَيْمَرٌ - رَحِمَهُ اللهُ -:

يَا مَالِكَ المُلْكِ يَا مَنْ لَا شَرِيكَ لَهُ
وَلَيْسَ يُشْبِهُهُ شَيءٌ وإِنْ عَظُمَا

الكَوْنُ أُنْشُودَةٌ مُذْ كَانَ رَائِعَةٌ
وأَنْتَ نَاظِمُهَا جَلَّ الذي نَظَمَا

دَقِيقَةُ الوَزْنِ والآزَالُ قَدْ تَرَكَتْ
ظِلًّا عَلَيْهَا حَبَاهَا الحُسْنَ والعَظَمَا

مَنْ أَنْتَ تعْطِيهِ زادًا لَا يجُوعُ ومَنْ
تَسْقِيهِ شربَةَ مَاءٍ لَا يُحِسُّ ظَمَا

﴿ الْجَامِعُ ﴾

● قال الشَّاعِرُ مُخَيْمَرٌ:

يَا جَامِعًا بَيْنَ السَّمَاءِ وأَرْضِهَا ... وبِحارِهَا مِنْ فَوْقِها وهَوَائِها

يَا جَامِعًا بَيْنَ القُلُوبِ عَلَى الَّذِي ... خَبَأْتَهُ فِي الظُّلُمَاتِ مِنْ أَهْوائِها

يَا جامِعًا بَيْنَ الحَيَاةِ وبَيْنَ مَا ... قَدَّرْتَهُ مِنْ مَوْتِها وفَنَائِها

الحِكْمَةُ العُلْيَا، بِذَاتِكَ آلفَتْ ... ذَا كُلَّهُ بِجَلَالِهَا وَبَهَائِهَا

وبِقُدْرَةٍ تَسَعُ الوجودَ جَمِيعَهُ ... بالرَّغْمِ مِنْهُ مُسَلِّمٌ بِقَضَائِها

* * * * *

﴿ الْهَادِي ﴾[١]

يا هَادِي النَّحْلِ إلى بَيْتِهِ　　وهَادِيَ الطِّفْلِ إلى ثَدْيِهِ
وهَادِيَ العَقْلِ إلى ذَاتِهِ　　فهَامَ بالمَنْشُورِ مِنْ هَدْيِهِ
ورَاحَ يَدْعُوكَ .. بِتَسْبيحِهِ　　في قُرْبِهِ مِنْكَ، وفي نَأْيِهِ
يَسْعَى إِلَى الأَسْرَارِ في حُجْبِهَا　　لِيَجْنِيَ الفَرْحَةَ مِنْ سَعْيِهِ
لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ فَأَنْتَ الذي　　تَهْدِيهِ بالحِكْمَةِ مِنْ غَيِّهِ
خَلَقْتَهُ نُورًا وإِنْ لَمْ يَجِدْ　　سَنَاهُ.. فِيمَا ظَنَّ مِنْ رَأْيِهِ

* * * * *

﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ ﴾[١]

لا شيءَ مِثْلَكَ في وصْفٍ ولا ذَاتِ　　يا خَالِقَ الأَرْضِ بِدْعًا، والسَمَاوَاتِ
ولَيْسَ قَبْلَكَ شَيءٌ، كَيْ نُسَمِّيَهِ　　ولَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ فِي النِّهَايَاتِ
والكَوْنُ مُبْتَدَعٌ، إِذْ أَنْتَ مُوجِدُهُ　　بِلَا مِثَالٍ شَبِيهٍ في البدايَاتِ
بِقُدْرَةٍ مَا لَهَا حَدٌّ تُنَظِّمُهُ　　عَلَى الحَقِيقَةِ في ماضٍ وفي آتِ

* * * * *

---

(١) للشاعر أحمد مخيمر.

لَكَ الْحَمْدُ

لَكَ الحمدُ حمدًا نَسْتَلِذُّ بِه ذِكْرَا
وإِنْ كنتُ لا أُحْصِي ثناءً ولا شُكْرَا

لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا طَيِّبًا يَمْلأُ السَّمَا
وَأَقْطَارَهَا وَالأَرْضَ وَالْبَرَّ وَالْبَحْرَا(١)

لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا سرْمَدِيًّا مُبارَكًا
يَقِلُّ مِدَادُ الْبَحْرِ عَنْ كُنْهِهِ حَصْرَا(٢)

لَكَ الْحَمْدُ تَعْظِيمًا لِوَجْهِكَ قَائمًا
بِحَقِّكَ في السَّرَّاء مِنِّي وَفي الضَّرَّا(٣)

لَكَ الْحَمْدُ مَقْرُونًا بِشُكْرِكَ دائِمًا
لَكَ الْحَمْدُ فِي الْأولَى لَكَ الْحَمْدُ في الْأُخْرَى

لَكَ الْحَمْدُ مَوْصُولًا بِغيرِ نِهَايَةٍ
وَأَنْتَ إِلهي مَا أَحَقَّ وَمَا أَحْرَى(٤)

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْكِبْرِيَاء وَمَنْ يَكُنْ
بَحَمْدِكَ ذَا شُكْرٍ فَقَدْ أَحْرَزَ الشُّكْرَا(٥)

---

(١) (وأقطارها) أي نواحيها وجوانبها.

(٢) (سرمديًا) دائمًا (عن كنهه) أي نهايته.

(٣) (لوجهك) لذاتك.

(٤) (وما أحرى) أي وما أجدر.

(٥) (يا ذا الكبرياء) يا صاحب العظمة (أحرز) حاز.

لك الْحَمْدُ حَمْدًا لا يُعَدُّ لحَاصِرٍ
أَيُحْصِي الْحَصَى وَالنَّبْتَ وَالرَّمْلَ وَالْقَطْرَا

لَكَ الْحَمْدُ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً عَلَى
لَطَائِفَ مَا أَحْلَى لَدَيْنَا وَمَا أَمْرَا[١]

لَكَ الْحَمْدُ مَا أَوْلَاكَ بِالْحَمْدِ وَالثَّنَا
عَلَى نِعَمٍ أَتْبَعْتَهَا نِعَمًا تَتْرَى[٢]

لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا أَنْتَ وَفَّقْتَنَا لَهُ
وَعَلَّمْتَنَا مِنْ حَمْدِكَ النَّظْمَ وَالنَّثْرَا

لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا نَبْتَغِيهِ وَسِيلَةً
إِلَيْكَ لِتَجْدِيدِ اللَّطَائِفِ وَالْبُشْرَى[٣]

لَكَ الْحَمْدُ كَمْ قَلَّدْتَنَا مِنْ صَنِيعَةٍ
وَأَبْدَلْتَنَا بِالْعُسْرِ يَا سَيِّدِي يُسْرَا[٤]

لَكَ الْحَمْدُ كَمْ مِنْ عَثْرَةٍ قَدْ أَقَلْتَنَا
وَمِنْ زَلَّةٍ أَلْبَسْتَنَا مَعَهَا سِتْرَا[٥]

---

(١) (وما أمرا) أي أهنأ.
(٢) (ما أولاك) ما أحقك (تترى) يتبع بعضها بعضًا.
(٣) (نبتغيه وسيلة) أي نطلبه قربة.
(٤) (صنيعة) نعمة (يا سيدي) يا مولاي.
(٥) (عثرة) أي زلة.

لَكَ الْحَمْدُ كَمْ خَصَّصْتَنِي وَرَفَعْتَنِي
عَلَى نُظَرَائِي مِنْ بَنِي زَمَنِي قَدْرَا[(١)]

لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا فِيهِ وِرْدِي وَمَشْرَعِي
إِذَا خَابَتِ الآمَالُ فِي السَّنَةِ الْغَبْرَا[(٢)]

لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا يَنْسَخُ الْفَقْرَ بِالْغِنَى
إِذَا حُزْتُ يَا مَوْلَايَ بَعْدَ الْغِنَى فَقْرَا[(٣)]

* * *

---

(١) (نظرائي) أي أمثالي.

(٢) (وردي) الورد: ضد الصدر.
(ومشرعي) هو مورد الشارب؛ أعني طريقهم. (خابت الآمال) لم تنل ما طلبت.
(في السنة الغبرا) أي المجدية.

(٣) (ينسخ) يزيل. (إذا حزت) أي ضممت، وفي رواية: إذا خفت.

قصيدة أَنَا الْعَبْدُ

جمال الدين الصرصري(١)

أنا العَبْدُ الَّذي كَسَبَ الذُّنُوبَا وصَدَّتْهُ الأمَانِي أنْ يَتُوبَا
أنا العَبْدُ الَّذي أضْحَى حَزِينًا علـى زَلَّاتِهِ قَلقًا كئيبَا
أنا العَبْدُ الَّذِي سُطِرَتْ عَلَيْهِ صَحَائِفُ لَمْ يَخَفْ فِيهَا الرَّقِيبَا
أنا العَبْدُ الْمُسِيءُ عَصَيتُ سِرًّا فَمَا لِي الآن لا أُبْدِي النَّحِيبَا
أنا العَبْدُ المُفَرِّطُ ضَاعَ عُمْرِي فَلَمْ أرْعَ الشَّبِيبَةَ والمشِيبَا
أنا العَبْدُ الغَرِيقُ بِلُجِّ بَحْرٍ أَصِيحُ لَرُبَّمَا أَلْقَى مُجِيبَا
أنا العَبْدُ السَّقِيمُ مِنَ الخَطَايَا وَقَدْ أَقْبَلْتُ أَلتَمِسُ الطَّبِيبَا
أنا العَبْدُ المُخَلَّفُ عَنْ أُنَاسٍ حَوَوْا مِنْ كُلِّ مَعْرُوفٍ نَصِيبَا
أنا العَبْدُ الشَّرِيدُ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَقَدْ وَافيْتُ بَابَكُمْ مُنِيبَا
أنا العَبْدُ الفَقِيرُ مَدَدْتُ كَفِّي إلَيْكُم فَادْفَعُوا عَنِّي الخُطُوبَا
أنا الغَدَّارُ كَمْ عَاهَدْتُ عَهْدًا وَكُنْتُ عَلَى الوَفَاءِ بِهِ كَذُوبَا

---

(١) هو يحيى بن يوسف الأنصاري، أبو زكريا جمال الدين الصرصري، شاعر من أهل صرصر، «عَلَى مقربة من بغداد». سكن بغداد وكان جيد التصنيف له ديوان شعر، قتله التتار حين دخلوا بغداد.
انظر البداية والنهاية ٢١١/١٣، والنجوم الزاهرة ٦٦/٧، والآداب الشرعية لابن مفلح ٦٤/٣.

أنا المَقْطُوعُ فَارْحَمْنِي وَصِلْنِي وَيَسِّر مِنْكَ لِي فَرَجًا قَرِيبا
أنا المُضْطَرُّ أَرْجُو مِنْكَ عفوًا وَمَنْ يَرْجُو رِضَاكَ فَلَنْ يَخِيبَا

* * * * *

فَيَا أَسَفَى عَلَى عُمْرٍ تَقَضَّى وَلَمْ أَكْسِبْ بِهِ إِلَّا الذُّنُوبَا
وَأَحْذَرُ أَنْ يُعَاجِلَنِي مَمَاتٌ يُحَيِّرُ هَوْلُ مَصْرَعِهِ اللَّبِيبَا
وَيَا حُزْنَاهُ مِنْ حَشْرِي ونَشْرِي بِيَوْمٍ يَجْعَلُ الولدانَ شِيبَا
تَفَطَّرَتِ السَّمَاءُ بِهِ وَمَارَتْ وَأَصْبَحَتِ الجِبالُ بِهِ كَثِيبَا
إِذَا مَا قُمْتُ حَيْرانًا ظَمِيئًا حَسِيرَ الطَّرْفِ عُرْيَانًا سَلِيبَا
وَيَا خَجلاهُ مِنْ قُبْحِ اكْتِسَابِي إِذا مَا أَبْدَتِ الصُّحُفُ العُيُوبَا
وَذِلَّةِ مَوْقِفٍ وَحِسَابِ عَدْلٍ أَكُونُ به عَلَى نَفْسِي حَسِيبَا
وَيَا حَذَرَاهُ مِنْ نَارٍ تَلَظَّى إِذَا زفرتْ وَأَقْلَقَتِ القُلُوبَا
تَكَادُ إذا بَدَتْ تَنْشَقُّ غَيْظًا على مَنْ كان ظَلَّامًا مُرِيبَا
فَيَا مَنْ مَدَّ في كَسْبِ الخَطَايَا خُطًى آنَ الآوانُ لِأَنْ تَتُوبا
ألا فَاقْلَعْ وَتُبْ واجْهَد فإنَّا رَأَيْنا كُلَّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبَا
وَأَقْبِلْ صَادِقًا في العزْمِ واقصُدْ جَنَابًا لِلْمُنِيبِ له رَحِيبَا
وَكُنْ لِلصَّالِحِينَ أخًا وخِلًّا وكُنْ في هذه الدُّنيا غَرِيبَا

* * * * *

مُنَاجَاةٌ

للشافعي

إليكَ إلهَ الخَلْقِ أرفعُ رَغْبَتِي   وإنْ كُنتُ يا ذا المنِّ والجودِ مُجْرِمَا
ولَمَّا قسا قَلْبي وضَاقتْ مَذاهبي   جعلْتُ الرَّجا مني لعفْوِكَ سُلَّمَا
تعَاظَمني ذنبي فلما قَرنتُه   بعفوكَ ربِّي كان عفوُكَ أعْظَمَا
وما زلْتَ ذا عَفْوٍ عن الذَّنبِ لم تَزلْ   تجودُ وتعفو منَّةً وتكرُّمَا
ولولاك ما يقْوى بإبليسَ عابدٌ   وَكَيْفَ وقد أغْوَى صفيَّكَ آدمَا
فإن تعفُ عَنِّي تعفُ عن مُتمرِّدٍ   ظلُومٍ غشُومٍ لا يزايلُ مأْثَمَا
وإن تَنْتَقِمْ منِّي فلسْتُ بآيسٍ   ولو أُدْخِلَتْ نفسي بِجُرمي جَهنَّمَا
فَجُرمي عظيمٌ من قديمٍ وحادثٍ   وعفْوُك يأتي العبدَ أعلى وأجْسَمَا
تعَاظمني ذنبي فأقبلتُ خاشعًا   ولولا الرِّضَا ما كُنتَ يا ربِّ مُنعمَا
حَوَالَيَّ فضلُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ جانبٍ   ونورٌ مِنَ الرَّحْمَـٰنِ يفترشُ السَّمَا
وفي القَلْبِ إشراقُ المُحِبِّ بوَصلِهِ   إذا قاربَ البُشْرى وجازَ إلى الحمَى
حَوَالَيَّ إينَاسٌ مِنَ اللَّه وحْدَهُ   يُطالعني في ظُلمةِ القلْبِ أنجُمَا
أصونُ وِدادي أن يُدنِّسَهُ الهوى   وأحفظُ عهدَ الحبِّ أن يتثلَّمَا
ففي يقْظتي شوقٌ وفي غَفْوتي مُنًى   تُلاحقُ خَطْوي نشوةً وترنُّمَا

وَمَنْ يعتصمْ باللَّه يسلمْ مِنَ الْوَرَى ... ومَنْ يرجُهُ هيهاتَ أَنْ يتندَّمَا
إِليكَ إِلهَ الخلقِ أرفَعُ رغْبتي ... وإِنْ كُنتُ يا ذا المنِّ والجودِ مُجْرِمَا

❑ **ومنها[(١)]:**

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أصيرُ لجنَّةٍ ... أُهَنَّا وَإِمَّا لِلسَّعِيرِ فَأُنْدَمَا
فَلِلَّهِ دَرُّ العارِفِ النَّدْبِ إِنَّهُ ... تَسُحُّ لِفَرْطِ الوَجْدِ أجفانُه دَمَا
يُقِيمُ إِذَا مَا اللَّيلُ جَنَّ ظَلَامُهُ ... عَلَى نفسِهِ من شِدَّةِ الخوفِ مَأْتَمَا
فَصِيحًا إذا ما كانَ في ذِكْرِ رَبِّهِ ... وفيما سواهُ في الورى كان مُعْجِمَا
ويذكُرُ أَيَّامًا مَضَتْ من شَبابِهِ ... وما كانَ فيها بالجهالةِ أَجْرَمَا
فصارَ قَرِينَ الهَمِّ طُولَ نَهارِهِ ... وَيخْدُمُ مولاهُ إذا اللَّيلُ أظْلَمَا
يقولُ: حَبيبي أنتَ سُؤْلي وبُغْيَتي ... كفى بِكَ للراجينَ سُؤْلًا ومَغْنَمَا
ألستَ الَّذي غَذَّيْتَني وكَفَلْتَني ... وما زلتَ مَنَّانًا عَلَيَّ ومُنْعِمَا
عَسى مَنْ لَهُ الإحسانُ يَغْفِرُ زَلَّتي ... ويسترُ أوزاري وَمَا قَدْ تَقَدَّمَا

* * * * *

❑ **ولله درّه يدعو فيقول:**

«اللَّهُمَّ، امنن علينا بصفاء المعرفة، وهب لنا تصحيح المعاملة فيما بيننا

---

(١) من كتاب «شعر الإمام الشافعي» لعبد العزيز سيد الأهل، ص٦٠ نقلاً عن الروضُ الفائق ومعجم الأدباء.

وبينك على السنة، وارزقنا صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك، وامنن علينا بكل ما يقرّبنا إليك، مقروناً بعوافي الدارين، برحمتك يا أرحم الراحمين».

❑ ثـــمَّ أنشـــــد:

بِموقفِ ذُلٍّ دُونَ عِزَّتِكَ العُظْمَى
بِمَخْفِيِّ سِرٍّ لا أُحيطُ بِه عِلْمَا
بإطراقِ رأسي باعتِرَافي بذلَّتِي
بِمَدِّ يدي أَسْتَمْطِرُ الجودَ والرُّحْمَى
بأسمائكَ الحُسْنى الَّتي بَعضُ وَصْفِها
لِعزَّتِها يَستغرقُ النَّثرَ والنَّظْمَا
بِعهدٍ قَديمٍ مِنْ «ألستُ بربِّكم»
بِمَنْ كان مَجْهُولًا فعَلَّمْتَهُ الأسْمَا
أذِقْنَا شَرابَ الأُنسِ يا مَنْ إذا سَقى
مُحِبًّا شَرَابًا لا يُضامُ ولا يَظْمَا

●

* * * *

مُنَىٰ الْقَلْبِ

أُناجيك في ليلي وفي العين أَدمُعُ ... وما ليَ إِلَّا رحمةٌ منكَ تَشْفَعُ
أَأَدْعوكَ جهرًا أَم أُناجيكَ خُفيةً؟ ... وأَنتَ لزحف «الظلِّ» و«النَّملِ» تسمعُ
وأَخشعُ في ذُلي لديْكَ فَأَنْثَني ... وفي النفس إِحساسٌ من العزِّ أَرفَعُ
وأَحْسَبُ أَني قدْ بلغْتُ تجليًا ... وإذ بيَ في درعٍ من الطِّينِ أُصْرَعُ
فؤاديَ في كفَّيْكَ لَيْسَ ينالُهُ ... سِوَاكَ فمنْ لِلقلبِ إِلَّاكَ مرجِعُ؟
وعينيَ كمْ جالَتْ دموعٌ حبيسةٌ ... بمقلتِها ترجو انسكابًا فَتُمْنَعُ
بذلتُ قُصارى الجهدِ أَرجو مكانةً ... لديكَ متى يا ربِّ لِلنُّورِ أَرجِعُ؟
صبرتُ وهلْ أَقوى على الصَّبرِ بعدما ... غدوتُ كليلًا ليس في القوسِ مَنزِعُ
إِلهيَ إِنْ كانتْ ذُنوبي كَثيرةً ... فعفوُكَ يَاأَللهُ للذنبِ أَوْسَعُ
مُنَى القلبِ أَنْ يحيا صفاءً مُجَنَّحًا ... لدى نوركَ القدسيِّ يسمو ويخشَعُ
لِأُرسلَ رُوحي عبرَ أُفقٍ من الرِّضى ... فيبقى لروحي في «الحقيقةِ» موضِعُ
وأهجُرُ لغوَ النَّاسِ للنَّاسِ علَّني ... أَعيشُ مَع «التَّنزيلِ» أَتلو وأَركَعُ
أَشُمُّ عبيرَ الحَقِّ والرَّوضُ مُجْدِبٌ ... وأُبصرُ نورًا من يقينِكَ يسطَعُ
وأَسمعُ ترتيلَ الملائكِ تارةً ... وطورًا تسابيحَ النَّبيينَ أَسْمَعُ
أَأُحرَمُ حاشا جودَكَ الغامرَ الَّذي ... تُبَاهِي بِهِ الآفاقُ والكونُ أَجْمَعُ

ولكنَّهُ عُجْبٌ منَ الطِّين في دَمي ... يُريدُ مَع الدُّنيا التَّجلي ويطمَعُ![(١)]

* * * * *

حتَّى ترْضَى

لكَ الحَمْدُ طَوْعًا .. لكَ الحَمْدُ فَرْضاً ... وَثيقًا عَميقًا.. سَماءً وأرْضَا
لكَ الْحَمْدُ صَمْتًا.. لكَ الْحَمْدُ ذِكْرًا ... لكَ الْحَمْدُ خَفْقًا حَثيثًا.. ونَبْضَا
لكَ الْحَمْدُ مِلْءَ خلايا جَناني ... وكُلِّ كِياني.. رُنُوًّا وَغَمْضَا
إلهي وجَاهي إلَيْك اتِّجاهي ... وَطيدًا مَديدًا .. لِتَرْضى فأرْضَى
فأنْتَ قُوامي... وأنتَ انسجامي ... مَعَ الكَوْنِ والأمْرُ لَوْلاكَ فَوْضَى[(٢)]

شَفَاعَةُ الْحُبِّ

نُورَ عَينيَّ وقَلْبي ... وهُدى عَقْلي ودَرْبي
ورِضا نَفْسي وصَفْوَ الرُّوحِ ، مهما اشتدَّ كَرْبي
أجْهَش الوَجْدُ بأعما ... قي ونحْبي.. طالَ نحبِي
غُرْبَتي تحْتَدُّ.. تمْتَدُّ فطِرْ بي.. ثُمَّ طِرْ بي
لِلسّماواتِ... وآنِس ... غُرْبَتي الحرَّى بِقُرْبِ

---

(١) من ديوان «في رحاب الأقصى»، ليوسف العظم ص١٧٧ - ١٧٩.
(٢) من ديوان «قلب ورب» لعمر بهاء الدين الأميري ص١٩٧ - ١٩٨.

أَدَبــي يــا أرَبــي ســا ... ءَ وذنــبــي.. زادَ ذَنــبــي
فَـبِـخَـمْـرِ الحُبِّ تُـسْـتَـقْـ ... ـطَرُ مِـنْ أعـمـاقِ صَـبٍّ
ثَـمِـلَـتْ ذاتـي.. فَـنَـادَيْـ ... ـتُـكَ نـاجَـيْـتُـكَ.. دَأْبِـي
طَـمَـعًـا بـالحُبِّ لا شَـكْـ ... ـوى ولا طـائِـفَ عَـتْـبِ
يـا حَـبـيـبـي... أنـا عَـبْـدٌ ... يـا حَـبـيـبـي أَنْـتَ رَبِّـي
أنـتَ في خَـفْـقِ جَـنـانـي ... وكِـيـانـي مِـلْءَ قَـلْـبـي
فـإذا جـاوَزْتُ حَـدِّي ... أفـلا يَـشْـفَـعُ حُـبِّـي؟![1]

* * * * *

زِدْنِي هُيَامَا

ضَـراعَـتِـي إِلـيـكَ، نـورَ الـسَّـمـا ... والأرض، خـلَّاقـي ومـولايـا
ضـراعـةٌ يـشـدو بـهـا دائـبًـا ... في صـمـتِـهِ نَـبْـضُ خَـلَايَـايَـا
وأنـتَ أنـتَ الـلَّـه أدنـى إِلـى ... نَـفْـسِـيَ مِـنْ نَـفْـسِـي ونجـوايَـا
وأنـتَ مَـنْ أبـدعـنـي عـاشـقًـا ... لِـلـحُـسْـنِ مُـنْـذ قـدَّرَ مـحـيَـايَـا
زِدْنـي هُـيـامًـا بِـكَ واجـمـعْ عَـلَـى ... حُـبِّـيـكَ أُولايَ وأُخـرايَـا[2]

(١) من ديوان «قلب ورب» للأميري ص٢٢٧ ـ ٢٧٩.
(٢) من ديوان «إشراق» للأميري، ص١٥٧ ـ ١٥٩.

عِزَّةُ ٱلتَّذَلُّلِ(١)

يا مَلاذًا يا لِواذًا(٢) يا سَنًا ... ذَرَّةٌ مِنْ وَمْضِهِ تجلو الحَلَكْ
أمَلَ الأكْوانِ بالخَيْرِ فما ... خابَ في الأكوانِ عَبْدٌ أمَّلَكْ
وأنا يا ربِّ... عِزِّي أنَّني ... كُلَّما زَلَّت مَعاني الذَّاتِ لَكْ
زادَ شأْني وٱرتقى شأْوي(٣) عُلًا ... مُشْرَئِبًّا(٤).. فَلَكًا إثْرَ فَلَكْ
وبنَفْسي في تَعَالي نَفَسي ... وكأنِّي طائرٌ فَوْق مَلَكْ
سَبَحاتٌ لا تَنِي(٥) مُصْعِدَةً ... وبها التَّقْديسُ بالحَمْدِ ٱشتبكْ
فَتَقَبَّلْني عَلَى ذَنْبي فَفي ... خَفْقِ قلبي حُبُّكَ الأسمى سَلَكْ(٦)

* * * * *

(١) انظر كتاب «محمد إقبال»، للدكتور خالد عباس أسدي ص٨٠ - ٩٠.
(٢) لواذاً: لاذ بالشيء: لجأ إليه واستغاث.
(٣) شأوي: الشَّأْوُ: الأمدُ والغاية.
(٤) مُشْرئبًّا: مُتطاولًا مُتَطلِّعًا.
(٥) لا تني: وني: ضعُفَ.
(٦) من ديوان «قلب ورب» للأميري ص١٧٢ - ١٧٤.

إِلَٰهِي ...

تـوحَّـدْتُ والـكـونُ في رَهْـبَـةٍ   تلفُّ رؤى اللَّيلةِ الساجيَهْ
وقِـيـثـارةُ الـرِّيـحِ في وَحـشـةٍ   تُـغـمـغـمُ ألحانَـهـا الـبـاكـيَـهْ
وقد نـشرَ الغيمُ فـوقَ الدُّنا   سِتارًا من الحُمرةِ الـوانـيـهْ
تُمَـزِّعُ أحْـيـادَهُ أنجُـمٌ   تُـطـلُّ وتَـلْـمَـعُ في الحاشـيـهْ
وفي الجوِّ لَبْسٌ يُشيعُ الوَنى   ويُـسـريـه هَـوْنًـا بـأعـراقِـيَـهْ
كأنَّ السَّمَاوَاتِ والأرضَ بَاتَا   مـزيـجًـا مـعـالِمُهُ واهـيَـهْ
وآفـاقُـهُ حـائـراتُ المدى   تـسـرَّبْنَ في رحـلـةٍ نـائـيـهْ

* * * * *

توحَّدتُ في سَرْحةٍ مِنْ سِنًا   كـبَـرْقٍ تـوهَّـجَ في ذاتِـيَـهْ
فـنـاجـيـتُ ربِّـي ونـاديـتُـه   ومَنْ مِنْ إِلـهيَ أولى بِيَهْ؟
إِلـهـي أيـا عـالِمًا راحـمًـا   ويا مُغدِقَ النِّعمةِ الناميَهْ
إِلـهي.. بِفَيضِ الجَدا والنَّدى   بـآلائـكَ الـبَـرَّةِ الـغـالِـيَـهْ
بِـنَـشْـوةِ وَجْـدٍ تَـهُـزُّ الحشـا   بـعـاطـفـةٍ ثَـرَّةٍ سـامـيَـهْ
إِلـهـي بـيـقـظـة روحٍ دعـا   سميعًا، وعينُ الدُّجى غافيَهْ
إِلـهـي بـسـرِّ الجوَى والـهـوى   يُـهـيـج جـوارحـيَ الـعـانـيَـهْ

بِنارِ النَّوى في ضُلوعي زكتْ بـأنَّـاتِ صَـدْرِي بـآهـاتِـيَـهْ
ولِلكبتِ في غَوْر نفسي جُذًى وحُـمَّـى تَـعِـيـثُ بـأوصـالـيَـهْ
إلـهي بـإقبـالِ لُبِّي وَقَلْبـي وخـفـقـتُـهُ لَـهِـجـتْ ضـاويَـهْ
تُـرِدِّدُ ذِكْـرَك فـي بَـهْـجَـةٍ تُـرِدِّدُ خـاشـعـةً راجـيَـهْ
وتَـصْـعَـدُ حَـمْـدًا نقيًّا إليكَ يُمـازِجُ ذرَّاتِ أنـفـاسـيَـهْ
إلـهيَ أَفـرِغْ مِنَ الصَّبرِ بَرْدًا عَلَىٰ كُلِّ جـارحـةٍ لاظـيَـهْ
وهَبْ لِفُؤادي سَكِينةَ قُرْبٍ تَبُلُّ صدَى الغُلَّةِ الصَّاديَهْ
إلـهيَ وٱمـلأْ حَـيـاتـي جَـدًا فقدْ ضِقْتُ بالأنْهُرِ الخاويَهْ
وَضَعْ عزمةً مِنْكَ في كاهِلي لأمضيَ في حَمْلِ أعبائيَهْ
فلا يُـهـدَرُ الخيرُ في فِطرتي بحَومة دُنْيا الورَى الباغيَهْ
وأحـسِـنْ نجاتيَ مِنْ لَـوثـهـا ومـن وَضَرِ النَّزوةِ الغـاويَـهْ

* * * * *

إلـهي بـنـفـحـةِ رُوحِـكَ أحيَـا فما لي وما للدُّنا الفانيَهْ
فأَشْرِقْ عليَّ.. عَلَىٰ سرِّ نَفْسِي لأسمُو بِرُوحِي عَلَى جِسْمِيَهْ
وأنـفـضَ عَـنِّـيَ رَيْـنَ الـثَّـرى فيَزْكُـو ويَـنْـشَـطُ إيمـانـيَـهْ
وجَـنِّـدْ كِـيـانـي وَقَـدْ صُـغْـتَـهُ فَأَحْكَمْتَ، لِلدَّعوةِ البانيه

أرُدُّ بِـهَـا الـشـرَّ خـيـرًا وبِـرًّا   بِـقُـوَّتِـكَ الـفـذَّةِ الـهـاديَـهْ
وأرقَى عُقابَ العُلا مُصْعِدًا   وأُملي بحُكمكَ أحكاميَهْ
أَصُونُ الأمـانـةَ حَـمَّـلْتَنِيهَـا   وعَزمُك يَنْفُثُ في عَزميَهْ
وأرعَـى الخِلافـةَ أوْرَثْـتَنِيـهَـا   وأَحْفَظُ في الكوْنِ أقداسيَهْ
أُقِيمُ صُروحَكَ رَغْمَ الرَّدَى   عَصِيًّا عَلَى الزَّعزعِ العاتِيَهْ
لقدَ نَامَ قومُ الرِّسالةِ عَنْهَا   وخالَ العِدَا نومةً قاضيَهْ
إلهي فَكُنْ لي أكنْ صَيحةَ النُّشـور لأبعـثَـهـم   ثـانـيَـهْ
وأحـشـدَ لـلـحـقِّ أجـنـادَهُ   وأجـمـعَ أشـتـاتَـهُ الـنـائِـيـهْ
وأنـشُـرَ رايـةَ تمـجـيـدِهِ   على الأرضِ دانيةً قاصيَهْ

* * * * *

إلهيَ وجَّهتُ وجهي إليْكَ   وسلَمتُ تسليمةً رانيَهْ
فوجِّهْ خُطَايَ إلى قَصدِهَا   وحقِّقْ مُنايَ وأحلامِيَهْ
وهبْ ليَ في كُلِّ حالٍ رضًا   فإنَّ رضاكَ هُوَ الْعافيَهْ

* * * * *

إلـهـي لجأتُ إلَـى مَـوئـلٍ   عَـزيـزٍ مَـنـازِلُـهُ عـالـيَـهْ
لجأتُ لجأتُ.. بِـذلَّـةِ ذَنْـبِـي   وعـزَّةِ حُـبِّـي وتسليمِيَهْ

وإنّـي لأطـمـعُ في مَـطْـمـعٍ عـظيـمٍ رَحيـمٍ علـيمٍ بِيَـهْ
تَـشَـبَّـثْـتُ مِـنْـهُ بـألـطَـافِـهِ وأنـوارِهِ والـدُّنـا داجـيَـهْ
تعلَّقْتُ بين السَّما والثَّرى لأخـرُجَ لـلـهِ عـن ذاتِـيَـهْ

* * * * *

إلـهي فـأكـرمْ لجوئي إليـكَ وجُـدْ بـطُـمَـأْنـينةٍ بـاقِـيَـهْ
وهبْ لي مِنَ الْعَزمِ ما أرتَجِي وحـقِّـقْ بِـفَـضْـلِـك آمـالِـيَـهْ
إذا لم تشَأْ لي فَلَنْ لَنْ أشاءَ سُـدًى أَنَـا لـولاك يـا رَبِّـيَـهْ
قصدْتُ حماك بقلبٍ شغوفٍ وعُـذْتُ بِحُبِّيكَ أن تَرمِيَـهْ
فطهِّرْ سُلوكيَ في حاضري ونـزِّهْ قـوابـلَ أيـامـيَـهْ
ومُـدَّ لِـقَـلْـبِـي رِشـاءَ الـرِّضـا ولا تَرمِ بي في شَفا هاويَهْ(١)

* * * * *

● **ويقولُ الشَّـاعِرُ:**

لا تَطْلُبَنْ مِن غيرِ ربكِ حَاجَةً إنْ كُنْتَ بالرَّحمـٰن ذَا إيمانِ
ومَن الَّذي يَسْتَبْدِلُ الضُّعفاءَ والْـ ـفُـقَـراءَ والبُـخَـلاءَ بـالـرَّحْـمَـٰنِ
أو يَشتَرِي الظُّلماتِ بالأنوارِ أو يَرضَى يَعُودُ بأَخْسَرِ الخُسرانِ
فَوِّضْ إلى المعبودِ أمرَكَ كلَّه وافزعْ إلى المولى بِغيرِ تَواني

---

(١) من ديوان «إشراق» لعمر بهاء الدين الأميري.

واقْرَعْ إذا نَامَ الأنامُ وغَلَّقُوا أبوابَهُمْ بابَ النوالِ الهانِي
بابَ الَّذي بَسَط اليدَينِ بِلَيلِهِ ونهارِهِ لِتَدارُكِ العِصيانِ
وَيَداهُ مَبْسُوطانِ لِلإحسانِ ما قُبِضَتْ يَدٌ خوفًا مِن النُّقْصَانِ
بابَ الَّذي إنْ لَمْ تَسَلْهُ فَضْلَهُ يَغْضَبْ فَكَيفَ يَرُدُّ بالحِرمانِ
بابَ المجيبِ إذا دَعاهُ مُرْتَجٍ لَاجٍ إليهِ ما لَه مِن ثاني
الواعدُ العبدَ الإجابةَ إنْ دَعا في آيَتَيْ بُشْرَى مِن القرآن
بابَ الَّذِي نَبَّا الرسولُ بقُربِهِ لِيُبَشِّرَ الجُهَلَا مِن العُبْدانِ
بَابٌ إذا لم تأتِهِ مُتَذَلِّلًا لَمْ تَحْظَ بالإيمانِ والغُفرانِ
وخَسرتَ في كلِّ الأمورِ فَلَمْ تَفُزْ بمُنًى وَعُدْتَ بِخَيْبَةٍ وهَوَانِ
بابَ الَّذي يُغْنِيكَ عن زَيْدٍ وعن عَمرٍو وعن ثانٍ وعن أعْوانِ
بابَ الَّذِي إنْ يُعْطِ كُلًّا سُؤْلَهُ لم يُلْفَ مُنْتَقَصًا مَدَى الأزمانِ
بابَ الَّذِي لَوْ يَتَّقِيهِ الخلقُ ما زَادوهُ في مُلْكٍ ولا سُلطانِ

* * * * *

يَا مَنْ يُجِيبُ دُعَا الْمُضطَرِّ في الظُّلَمِ
يَا كَاشِفَ الضُّرِّ وَالبَلْوَى مَعَ السِّقَمِ
قَدْ نَامَ وَفْدُكَ حَوْلَ البَيْتِ وَانْتَبَهُوا
وَأَنْتَ عَيْنُكَ يَا قَيُّومُ لَمْ تَنَمِ

هَبْ لِي بِجُودِكَ فَضْلَ العَفْوِ عَنْ جُرَمِي
يَا مَنْ إليه أشَارَ الخَلْقُ في الحَرَمِ
إنْ كَانَ عَفْوُكَ لَا يُدْرِكُهُ ذُو سَرَفٍ
فَمَنْ يَجُودُ عَلى العَاصِينَ بالكَرَمِ

* * * * *

❏ قال الإمام ابن الوزير الصنعاني في التضرُّع والرجاء:

أرجِّيك إذ كنتَ أهلَ الرَّجَا وأخشاك أنِّي مِن الظالمينَا
وأسألُكَ العفوَ إذ كنتُ قد علمْتُ بحُبِّكَ للسَّائلينَا
وأنَّكَ أنتَ القريبُ المجيـ ـبُ أَعْلَمْتَنَا ذاك علمًا يقينَا
وفوضْتُ أمريَ بعدَ الدُّعَا بحقٍّ إلى أحكمِ الحاكِمينَا
إذا شئْتَ عافيْتَني مِنْ ذُنُوبي وسامَحْتَ يا أرحمَ الراحِمينَا
وهذَا الَّذِي أنْتَ أهْلٌ له وأنْتَ تَحُثُّ به المحسِنينَا
وأنتَ الَّذِي قُلْتَ لا تَقْنَطُوا خِطَابًا خصصْتَ به المسرِفينَا(١)
وقيَّدْتَ تعذيبَ أهْلِ النِّفَاقِ وأطلقْتَ وعدكَ للصَّادقينَا(٢)

---

(١) إشارة إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ سورة الزمر.

(٢) أشار إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، سورة الأحزاب: آية:٢٤.

وتُبْتَ على عابِدِي العجْلِ كَيْ يكونوا بذاكَ من الشاكِرِينَا(١)
فكيف يكونُ امرُؤٌ مسلمٌ أَسَا بَعد هذَا من القَانطينَا
وإن شئْتَ عذَّبتني عادِلًا عذابًا عظيمًا أليمًا مُهينَا
وهذَا الَّذِي أَنَا أهلٌ له لأني أثيمٌ من الآثمينَا
فأرجو بِعِزِّكَ يَا سيِّدِي وَضَعْفِي وكونِكَ أنت المعِينَا
يكونُ الَّذِي أَنْتَ أهلٌ له وأولَى بحمدِكَ في الحامِدِينَا
بذاك أمرْتَ العبيدَ الضِّعَافَ وأثنيْتَ منهُمْ على الكاظِمِينَا
وأنتَ بفضلِكَ أطمعتَ في كتابِكَ في عفوِكَ الخالطِينَا(٢)
وجاء بيانُهُم في الصحِيحِ وفي النَّظَرِ الحقِّ للنَّاظِرِينَا
وما صحَّ أنهُمُ التائِبُونَ فالسابِقُونَ مِنَ التَّائِبِينَا
وأطمعتَ في العفْوِ في آيَتَيْنِ لمن لا يُعَدُّ من المشْرِكِينَا(٣)
لذاكَ يَوَدُّونَ لو أنَّهم كانُوا لربِّهِمُ مسلِمِينَا(٤)

---

(١) ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ * ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، البقرة، آية: ٥١ ـ ٥٢.
(٢) إشارة إِلَى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾.... إلى آخر الآية.
(٣) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ سورة النساء. آية: ١١٦.
(٤) قال الشارح: البيت هكذا في ديوانه، وفيه الزحاف يجتنب لو قال:
لذاك يودون لو أنهم لربهم أصبحوا مسلمينا
والبيت إشارة إِلَى قوله ـ تعالى ـ: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾.

وخصَّصْتَ في الذكْرِ أهلَ اليمِيـ ... ـنِ مِمَّنْ غدا بالخَطَايَا رهِينَا

وكـفَّـرْتَ أسْـوَأَ أعـمَـالِـهِـمْ ... إذا صدَّقوا الرُّسُلَ الصَّادِقِينَا

وعدَّدْتَ يا ربِّ في المصْطَفَيْـ ... ـنَ قَوْمًا لأنفسِهِمْ ظَالِمِينَا(١)

وأنْتَ وعدْتَ الرَّسُولَ الأَمِينَا ... مقامًا حَميدًا يسُرُّ الأمِينَا

ولا سِـيَّـمَـا في أَحِـبَّـائِـهِ ... وفي نـاصِرِيهِ وفي الأقْـربِينَا

كـمـا قَـالَـهُ لأبـي طـالِـبٍ ... إذا كانَ بالعهْدِ سَمْحًا مُبينَا(٢)

فكـيْـفَ بمنْ لم يـزَلْ مؤْمنًـا ... يَحُثُّ على حُبِّكَ المؤْمِنِينَا

ويـسْـمَـحُ إن ظـلَـمُـوا حَـقَّـهُ ... ويدْعُو ويعْفُو عَنِ الظالمِينَا

ويـغْـدُو بـإِحْـسَـانِـهِ فـارِحًـا ... وبالذَّنبِ حِلْفَ همومٍ حزينَا

ويـنْـصُـرُ مـا قُـلْـتَـهُ مـفْـرَدًا ... كما قد علِمْتُ عن الناصِرِينَا

ولِـلَّـهِ في ذا أتمُّ الـثـنَـا ... هـداني وكـنْـتُ غـويًّـا مبـينَا

وَقَى وكفَى وهْوَ نعْمُ الوكِيلُ ... وكـانَ قـويًّـا عـزيـزًا مـتـينَا

له الشُّكْرُ حتَّى على شُكْرِهِ ... لقد مَنَّ فيه على الشَّاكِرِينَا

* * * * *

---

(١) ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ فالظالم لنفسه من المصطفين يتوب الله عليه ـ إن شاء.

(٢) اشارة إِلَى قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأبي طالب: «قل: لا إله إلا الله؛ أشهد لك بها يوم القيامة» وقوله: «لأستغفر لك ما لم أنه عنك».

□ **وقال ـ رحمه اللَّه ـ: ومن قديم ما قلت في الرجاء:**

قد قلتُ إذ عَذَلُوني في الرَّجاءِ لَكُمْ ... وقطَّعوا أَمَلِي فيكُمْ وأطمَاعِي
لَا تَعْذِلُوني وخلُّوني على عِلَلِي ... فالقَلْبُ قلبيَ والأوْجَاعُ أوجَاعِي
إنِّي أحبُّ على ظُلْمِي ومَعْصِيتِي ... أَدعُو الكريمَ الَّذِي لَا يحْرِمُ الدَّاعِي
وأرتَجِيهِ لِأَوْزَارِي يُكَفِّرُهَا ... فإنَّه مُطْمِعٌ لي أَيَّ إطْمَاعِ
لَمَّا هَدَانِي إلى التَّوحيدِ مُبْتَدِيًا ... بِهِ ومَنَّ بإيمانِي وإِسْمَاعِي(١)
وَمَنَّ بالخوفِ منهُ والرَّجَاءِ لهُ ... وبالتَّلَذُّذِ في ليلي برَجَّاعِي(٢)
وَبالتَوَكُّلِ والتَّفْوِيضِ إنَّهُمَا ... لمنْتَهَى كلِّ فكرٍ لي وَإِزْمَاعِي
حَسْبِي الَّذِي ابْتَدَأَ الأَشْيَاءَ عن حِكَمٍ ... لِلْحَمْدِ والفَضْلِ محمُودًا بإِجْمَاعِي

* * * * *

● **وقال ـ رحمه الله ـ في الرجاء، وحسن الظن بالله:**

عُذَّلِي عابُوا رجائِي ... عُذَّلِي حارُوا وتاهُوا
كيفَ لا أرجُو الَّذِي لَا ... يغْفِرُ الذنْبَ سوَاهُ
جاءَ في القرآنِ مَنْصُو ... صًا وَكُلٌّ قد رَوَاهُ(٣)
وَهْوَ أعلى رتبةِ المدْ ... حِ لعفوٍ هُوَ ما هُو

(١) قال الله ـ تعالى ـ: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾، وقال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.
(٢) ترجيع الدعاء والتضرع.
(٣) يريد ذكر العفو والغفران، ويمدح الله بهما في عدة أبيات.

قُصِرَ العَفْوُ عليهِ فانظرُوا ذَا المدْحَ ما هُو[(١)]
هُوَ حَقٌّ أو مُحَالٌ أو صحيحٌ أو سِوَاهُ
لا وَمَنْ لا يَغْفِرُ الذَّنْـبَ وَإنْ جَلَّ سِوَاهُ
إنَّه لَلْحَقُّ صِدْقًا وصَدُوقٌ مَنْ رَوَاهُ
وسعيدٌ مَنْ تَلَقَّاهُ بِصِدْقٍ ورَجَاهُ
وظلُومٌ من يُسَمِّيهِ مُنًا خابَ مناهُ
الأماني ردَّه الحَقُّ اجتهادًا بهواهُ
إذْ يَرَى أهدَى مِنَ القُرْآنِ نَهْجًا ما رَآهُ
وَيَرَى الباطِلَ في مَفْهُومِهِ مَهْمَا تَلَاهُ
غيرَ أَنَّ اللَّهَ للعَبْدِ بِخَوفٍ ابتلاهُ
يحْمَدُ اللَّهَ عَلَى الخَوْفِ فمولانَا قَضَاهُ
ما قضَى الخوْفَ عَلَيْنَا غيرَ نحظَى برضَاهُ
مَنْ رَجَا خافَ مِنَ اللَّهِ ومنْ خَافَ رَجَاهُ
ولذا اخْتَصَّ أُولُو العِلْمِ وَمَنْ قَدْ إصْطَفَاهُ
بمَزِيدِ الخوْفِ للَّهِ مَعَ وَعْدِ رِضَاهُ
لو رَجَا الكافِرُ أو خَافَ وَقَاهُ وكَفَاهُ[(٢)]
ذَا رَجَائِي فيهِ وَالْإِرْجَاءُ زورٌ لا أرَاهُ

---

(١) يشير إِلَى قول الله: ﴿لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.
(٢) فإنه لو رجا لآمن، فإنه لا يرجوه إلا من يؤمن به، ولا يخافه إلا ذلك.

فاعرِفِ الإرجَاءَ تعْلَمْ أَنَّ رجْوَاهُ سوَاهُ(١)

● **وقال ـ رحمه الله ـ:**

إليْكَ جميعُ الأمْرِ يُرْجَعُ كلُّهُ
ومنْكَ الأمَانِي تُرْتَجَى والْبَشَائِرُ(٢)
وبعضُ أيَادِيكَ الْعَوَالمُ والَّذِي
بِهَا والْبحَارُ والثِّقَالُ المَوَاطِرُ(٣)
ومنْكَ الْعَطَا والمنْعُ والأمْرُ كُلُّهُ
إليك وَمَا في الْكَوْنِ غَيْرُكَ قادِرُ(٤)
فمنْ شاءَ فَلْيَمْنَعْ سِوَاكَ فلا أَذًى
إذَا يَبِسَ الضَّحْضَاحُ فالبحْرُ زاخِرُ(٥)

---

(١) حددوا الرجاء بحدود: الأول: ترقب الانتفاع مما سبق له من سبب ما، وقيل: تعلق القلب بحصول محبوب مستقبلاً، وقيل: ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة، وقيل: هو سرور الفؤاد بحسن الميعاد، وقيل: طمع الإنعام مع ترقب الانتقام، وأما الإرجاء فإنه التأخير، قال أهل الإرجاء: إن الله أخر عذاب المؤمنين فلا عذاب عليهم.

(٢) قال الله ـ سبحانه ـ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾،
وقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ * فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾.

(٣) الثقال: السحاب، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾.

(٤) هو من قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «اللَّهُمَّ لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت»، وقوله: (وما في الكون غيرك قادر)؛ لأن كل قادر من العباد فالله أعطاه القدرة، فما في الكون قادر بذاته سواه.

(٥) إن منع غيرك لا يؤذيني فإن منعه منع ضحضاح، وهو بضائين معجمتين وحاءين مهملتين، وهو الماء القليل، فإذا يبس الماء القليل فالبحر ـ وهو عطاء الله وجوده ـ زاخر كثير لا نهاية له.

وعفْوُكَ يا رَبَّ الخلائِقِ واسِعٌ
تَضِيعُ الخطَايَا عندَهُ والكَبَائِرُ
فَلَوْ يَعْلَمُ الخَلْقُ الَّذِي أنْتَ أهْلُهُ
مِنَ العفْوِ لم يَقْنُطْ مِنَ الْعَفْوِ فاجِرُ
ورحْمَتُكَ العظْمَى كتَبْتَ بسبْقِهَا
كتابًا كرِيمًا فَهْوَ عِندَكَ حاضِرُ
وَأَنْتَ تُحِبُّ الحمْدَ والمدْحَ والثَّنَا
ووصْفُ مُحبٍّ الحمْدِ والمدْحِ ظاهِرُ
فوعدُكَ أوْلَى من وَعِيدِكَ بالْوَفَا
لذاكَ وحَظُّ الفضلِ للعدْلِ قَاهِرُ
وقد جَاءَتِ البُشْرَى وصحَّتْ بأَنَّنَا
لنا ظَنُّنا فالظَّنُّ أَنَّك غافِرُ
ولي حينَ يشتَدُّ الوعِيدُ ذخِيرَةٌ
سرِيرَةُ حبٍّ يومَ تُبْلَى السَّرَائِرُ
تجَلى همومي في فُؤَادِي قَرَارَهَا
وأرجُو بَقَاهَا يوْمَ تفْنَى الذَّخَائِرُ
وَديعَتُكُمْ أَنْ تحفَظُوهَا فَإِنَّهَا
صَنِيعَتُكُمْ والجُودُ بالحفْظِ آمِرُ

* * * * *

● **ولله درّه إذ يقول في «الخوف والرجاء»:**

إذَا خافَ الخَلِيلُ وخَافَ مُوسَى وآدمُ والمسيحُ وخَافَ نُوحُ
ولم يَتَشَفَّعُوا لِلْخَلْقِ خوفًا فَمَا لِيَ لا أخَافُ ولا أَنُوحُ
كَذَاكَ مِنَ الحِجَارَةِ هابِطَاتٌ لِخَشْيَتِهِ وأملاكٍ ورُوحُ
فهَذَا خَوْفُ مَنْ لم يَعْصِ قطعًا فكَيْفَ المسْرِفُ العاصِي الجَمُوحُ
ولستُ بقَانِطٍ وٱللَّهُ حَسْبِي ولا أَغْدُو بِذَاكَ ولا أَرُوحُ
وَلَمْ يَفُتِ الهُدَى عُبَّادَ عِجْلٍ بتَوْبَةِ ربِّهِمْ وهُوَ المَنُوحُ(١)
وأطمَعَ أكْفَرَ الكُفَّارِ فِيهَا بِشَرْطٍ في الوعِيدِ له وضُوحُ(٢)
وعقَّبَهُ بذكْرِ التَّوْبِ مِنْهَا ورجَّحَهُ بطِيبِ ثنًا يفُوحُ
غَدَا في سورَةِ الأحزَابِ نصًّا فليسَ لمسرِفٍ عنهُ نُزُوحُ
وكم لِي منْ مَرَاهِمَ في التَّرجِّي وبالإسْرَافِ تُنْتَقَضُ القُرُوحُ(٣)
أَخَافُ وأرتَجِي أضْعَافَ خَوْفِي لأَنَّ ٱللَّهَ وهَّابٌ سمُوحُ

---

(١) «المانح المعطي» يريد أن مما ينفي القنوط أن عُبَّادَ ٱلعجل الذين قالوا: ﴿قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾ قبل الله توبتهم، كما قال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾.

(٢) أكفر الكفار هم المنافقون، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

(٣) القروح: الجراحات والآلام، المفرد: قرح؛ بالفتح والضم.

عــفــوٌّ قــادِرٌ مــلِــكٌ غــنِــيٌّ رءوفٌ واسعٌ مولًى صفوحُ
يُـعـافي عـبـدَهُ حينًا ويـعْـفُـو ومنْهُ يُرْتَجَى التَّوْبُ النصُوحُ
وإن يَـعْـدِلْ يـعـذِّبْـنَـا حَـمِـيدًا وأدمُـعُـنَـا بـرجْـوَاهُ سـفُـوحُ
ولـسْـنَـا قـائِـمِـينَ لـه بِـحَـقٍّ وإن جرحَتْ عَوَاتِقَنَا المُسُوحُ[1]

* * * * *

وَسَـبَّـحَـهُ الـنِّينانُ والـبَـحْـرُ زَاخِـرًا
وَمَا طَمَّ مِنْ شَيءٍ وَمَا هُوَ مُقْلَدُ

* * * * *

● **قال آخــــر:**

يا نَفْسُ قدْ طَابَ في إمْهَالِكِ العَمَلُ
فاسْتدْرِكِي قَبْلَ أَنْ يَدْنُو لَكِ الأجَلُ
إلَى مَتَى أَنْتِ في لَهْوٍ وفي لَعِبٍ
يَـغُـرُّكِ الخَادِعَـانِ الحِرْصُ وَالأمَـلُ
وَأَنْتِ في سُكْرِ لَهْوٍ لَيْسَ يَدْفَعُهُ
عَنْ قَلْبِكِ النَّاصِحَانِ العُتْبُ وَالْعَذَلُ
فَـزوَّدِي لِـطَـرِيقٍ أنْـتِ سَـالِـكَـةٌ
فِيهَـا فَـعَـمَّـا قَـلِـيـلٍ يَـأْتِـكِ الْمَثَـلُ

---

(١) المسوح: ما يلبسه العبّاد من ثياب الصوف.

ولا يَغُرَّكِ أيَّامُ الشَّبَابِ فَفِي
أعْقَابِهَا الْمُوبِقَانِ الشَّيْبُ وَالأجَلُ
يَا نَفْسُ تُوْبِي مِنَ العِصْيَانِ وَاجْتَهِدي
ولا يَغُرَّنَّكِ الإبْعَادُ وَالْمَلَلُ
ثُمَّ احْذَرِي مَوْقِفًا صَعْبًا لِشِدَّتِهِ
يَغْشَى الوَرَى الْمُتْلِفَانِ الحُزْنُ وَالوَجَلُ
وَيُخْتَمُ الفَمُ وَالأعْضَاءُ نَاطِقَةٌ
وَيَظْهَرُ الْمُفْصِحَانِ الخَطُّ وَالخَطَلُ
وَيَحْكُمُ اللهُ بَيْنَ الخَلْقِ مَعْدِلَةً
فَتُذْكَرُ الحَالَتَانِ البِرُّ وَالزَّلَلُ

* * * *

لَكَ الحَمْدُ يَا ذَا الجُودِ والمجْدِ والعُلَا

لَكَ الحَمْدُ يَا ذَا الجُودِ والمجْدِ والعُلَا تبَارَكْتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ
إلهي وَخلَّاقِي وَسُؤْلِي وَمَوْئِلي إليْكَ لدَى الإعْسَارِ واليُسْرِ أفْزَعُ
إلـهي لَئِنْ خَيَّبْتَني وَطَرَدْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذي عَمَّا أُحَاذِرُ يَنْفَعُ
إلهِي لَئِنْ جَلَّتْ وَجَمَّتْ خَطِيئَتي فَعَفْوُكَ عَن ذَنْبِي أجَلُّ وَأوْسَعُ
إلهِي لَئِنْ أَعْطَيْتُ نَفْسِيَ سُؤْلَهَا فَهَا أنا في رَوْضِ النَّدَامَةِ أرْتَعُ
إلهِي تَرَى حَالِي وَفَقْرِي وَفَاقَتي وأَنْتَ مُنَاجَاتِي الخَفِيَّةَ تَسمَعُ
إلهِي فلا تَقْطَعْ رَجَائِي وَلَا تُزِغْ فُؤَادِي فَلِي فِي سَيْبِ جُودِكَ مَطْمَعُ
إلهِي أجِرْنِي مِنْ عَذَابك إنَّنِي أسِيرٌ ذليلٌ خائِفٌ لَك أخضعُ
إلهِي فَآنِسْنِي بِتَلْقِينِ حُجَّتِي إذا كَانَ لي في القَبْرِ مَثْوًى وَمَضْجَعُ
إلهِي لَئِنْ عَذَّبتَني ألْفَ حَجَّةً فَحَبْلُ رَجَائِي مِنْكَ لا يَتَقَطَّعُ
إلهِي أذِقْني طَعْمَ عَفْوِكَ يَوْمَ لَا بَنُونَ وَلا مَالٌ هُنَالِكَ يَنْفَعُ
إلهِي لَئِنْ لَم تَرْعَني كُنْتُ ضَائِعًا وإنْ كُنْتَ تَرْعَانِي فَلَسْتُ أُضَيَّعُ
إلهِي إذا لَمْ تَعْفُ عَن غَيْرِ مُحْسنٍ فَمَنْ لِمُسِيءٍ بالْهَوَى يَتمتَّعُ
إلهِي لَئِنْ قَصَّرْتُ فِي طَلَبِ التُّقَى فَلَسْتُ سِوَى أَبْوَابِ فَضْلِكَ أَقْرَعُ
إلهِي أَقِلْنِي عثْرَتِي وَامْحُ زَلَّتِي فَإِنِّي مُقِرٌّ خَائِفٌ مُتَضَرِّعُ

إِلهِي لَئِنْ خَيَّبْتَنِي وَطَرَدْتَنِي فَمَا حِيلَتِي يَا رَبُّ أَمْ كَيْفَ أصنَعُ
إِلهِي حلِيفُ الحُبِّ باللَّيْلِ سَاهِرٌ يُنَاجِي وَيَبْكِي والغَفُولُ يُهَجِّعُ
إِلهِي لَئِنْ تَعْفُ فَعَفْوُكَ مُنْقِذِي وإِنِّيَ يا رَبَّ الوَرَى لَكَ أَخْضَعُ

* * * * *

مَا لِي مَعَ الله فِي الدَّارَيْنِ مِنْ سَبَبٍ إِلَّا الشَّهَادَةَ أُخْفِيهَا وَأُبْدِيهَا
وَسِيلَةٌ لِيَ عِنْدَ اللهِ خَالِصَةٌ عَنْ كلِّ مَا لَا يُؤدِّيهَا أُؤَدِّيهَا
تِجَارَةٌ أَشْتَرِيهَا غَيْرَ بَائِرَةٍ تُضاعِفُ الرِّبْحَ أَضْعَافًا لِشَارِيهَا
دَلَّالُها الْمُصْطَفَى وَاللهُ بَائِعُهَا مِمَّنْ يُحِبُّ وَجِبْرِيلُ مُنَادِيهَا

* * * * *

● **وقال البرعي - رحمه الله -:**

أَغِيبُ وَذُو اللَّطَائِفِ لَا يَغِيبُ وَأَرْجُوهُ رَجَاءً لَا يَخِيبُ
وَأَسْأَلُهُ السَّلامَةَ مِنْ زَمَانٍ بُلِيتُ بِهِ نَوَائِبُهُ تُشِيبُ
وَأُنْزِلُ حَاجَتِي فِي كُلِّ حَالٍ إِلَى مَنْ تَطْمَئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ
وَلَا أَرْجُو سِوَاهُ إِذَا دَهَانِي زَمَانُ الْجَوْرِ والجَارُ الْمُرِيبُ
فَكَمْ لِلَّهِ مِنْ تَدْبِيرِ أَمْرٍ طَوَتْهُ عنِ الْمُشَاهَدَةِ الْغُيُوبُ
وَكَمْ فِي الغَيْبِ مِنْ تَيْسِيرِ عُسْرٍ ومِنْ تَفْرِيجِ نَائبَةٍ تَنُوبُ

ومِنْ كَرَمٍ وَمِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ وَمِنْ فَرَجٍ تَزُولُ بِهِ الْكرُوبُ
وَمَا لِي غَيْرَ بَابِ ٱللَّهِ بَابٌ وَلَا مَولًى سِوَاهُ وَلَا حَبِيبُ
كَرِيمٌ مُنْعِمٌ بَرٌّ لَطِيفٌ جَمِيلُ السَّتْرِ لِلدَّاعِي مُجِيبُ
حَلِيمٌ لَا يُعَاجِلُ بِالخَطَايَا رَحِيمٌ غَيْثُ رَحْمَتِهِ يَصُوبُ
فَيَا مَلِكَ الْمُلُوكِ أَقِلْ عِثَارِي فَإِنِّي عَنْكَ أَنْأَتْنِي الذُّنوبُ
وَأَمْرَضَنِي الْهَوَى لِهَوانِ حَظِّي وَلَكِنْ لَيْسَ غَيْرَكَ لِي طَبِيبُ
وَعَانَدَنِي الزَّمَانُ وَعِيلَ صَبْرِي وَضَاقَ بِعَبْدِكَ الْبَلَدُ الرَّحِيبُ
فآمِنْ رَوْعَتِي وَاكْبِتْ حَسُودًا فَإِنَّ النَّائبَاتِ لَهَا نُيُوبُ
وَآنِسْنِي بِأَوْلَادِي وَأَهْلِي فَقَدْ يَسْتَوْحِشُ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ
وَلِي شَجَنٌ بِأَطْفَالٍ صِغَارٍ أَكَادُ إِذَا ذَكَرْتُهُمُ أَذُوبُ
وَلَكِنِّي نَبَذْتُ زِمَامَ أَمْرِي لِمَنْ تَدْبِيرُهُ فِينَا عَجِيبُ
هُوَ الرَّحْمَنُ حَوْلِي وَاعْتِصَامِي بِهِ وَإِلَيْهِ مُبْتَهِلًا أُتِيبُ
إِلهِي أَنْتَ تَعْلَمُ كَيْفَ حَالِي فَهَلْ يَا سَيِّدِي فَرَجٌ قَرِيبُ
فَيَا دَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ فَرِّجْ هُمُومًا فِي الْفُؤَادِ لَهَا دَبِيبُ
وَصِلْ حَبْلِي بِحَبْلِ رِضَاكَ وَانْظُرْ إِلَيَّ وَتُبْ عَلَيَّ عَسَى أَتُوبُ
وَرَاعِ حِمَايَتِي وَتَوَلَّ نَصْرِي وَشُدَّ عُرَايَ إِنْ عَرَتِ الخُطُوبُ

وَأفْنِ عِدَايَ وَاقْرُنْ نَجْمَ حَظِّي ... بِسَعْدٍ مَا لِطَالِعِهِ غُرُوبُ
وَألْهِمْنِي لِذِكْرِكَ طُولَ عُمْرِي ... فَإِنَّ بِذِكْرِكَ الدُّنْيَا تَطِيبُ
وَقُلْ عَبْدُ الرَّحِيمِ وَمَنْ يَلِيهِ ... لَهُمْ فِي رِيفِ رَأْفَتِنَا نَصِيبُ
فَظَنِّي فِيكَ يَا سَنَدِي جَمِيلٌ ... وَمَرْعَى ذَوْدِ آمَالِي خَصِيبُ
وَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ مَا ... تَرَنَّمَ فِي الْأَرَاكِ الْعَنْدَلِيبُ

* * * * *

● **قال الأميري ـ رحمه الله ـ:**

كُلَّمَا أمعنَ الدُّجَى وتحالَكْ ... شِمْتُ في غورِهِ الرهيبِ جلالَكْ
وتراءَتْ لعينِ قَلْبي بَرَايَا ... مِنْ جمَالٍ آنستُ فيهَا جَمَالَكْ
وترامَى لمسمَعِ الرُّوحِ همْسٌ ... مِنْ شِفَاهِ النُّجُومِ يتلُو الثَّنَا لَكْ
واعترَانِي تَوَلُّهٌ وخُشُوعٌ ... واحتواني الشعورُ أنِّي حِيَالَكْ
ما تمالَكْتُ أن يخِرَّ كِيَانِي ... ساجِدًا واجِدًا، وَمَنْ يَتَمَالَكْ؟![1]

● **ورحم الله الإمام السهيلي إذ يقول:**[2]

يا مَنْ يَرَى ما في الضميرِ ويَسْمَعُ ... أَنْتَ المُعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوقَّعُ
يا مَنْ يُرَجَّى للشدائدِ كُلِّها ... يا مَنْ إليه المُشْتَكَى والمَفْزَعُ

---

(١) من ديوانه «مع الله»، ص٥١.
(٢) الروض الأُنُف، للسهيلي ص٢٦، دار الكتب الحديثة.

يا مَن خزائِنُ مُلْكِهِ في قولِ كُنْ ... أُمنُنْ فإنَّ الخيرَ عندَكَ أَجْمَعُ
ما لي سِوى فَقْري إليكَ وَسيلَةٌ ... فبالافتقارِ إليكَ فَقْرِي أَرْفَعُ
ما لي سوى قَرْعِي لبابِك حِيلةٌ ... فَلَئِنْ رُدِدْتُ فأيَّ بابٍ أَقْرَعُ
وَمَنِ الَّذِي أدْعو وأهتفُ باسمِهِ ... إنْ كانَ فضلُكَ عَنْ فَقيرٍ يُمْنَعُ؟!
حاشا لمجدِك أَن تُقَنِّطَ عاصِيًا ... والفضلُ أجزلُ والمواهبُ أوسَعُ
ثُمَّ الصلاةُ عَلَى النَّبيِّ وآلِهِ ... خيرِ الأنامِ ومَنْ به يُسْتَشْفَعُ

* * * * *

ٱلثَّنَاءُ عَلَى ٱللَّهِ

عَسَى مِنْ خَفِيِّ اللُّطْفِ سُبْحَانَهُ لُطْفُ ... بِعَطْفَةِ بِرٍّ فَالْكَرِيمُ لَهُ عَطْفُ(١)
عَسَى مِنْ لَطِيفِ الصُّنْعِ نَظْرَةُ رَحْمَةٍ ... إِلَى مَنْ جَفَاهُ الْأَهْلُ وَالصَّحْبُ وَالإِلْفُ(٢)
عَسَى فَرَجٌ يَأتِي بِهِ ٱللَّهُ عَاجِلًا ... يُسَرُّ بِهِ الْمَلْهُوفُ إنْ عَمَّهُ اللَّهْفُ(٣)

---

(١) (اللطف) الرفق بعبيده، (لطف) رفق. (بعطفة بر) بشفقة حنان.
(٢) (جفاه) الجفاء: نقيض الصلة، ويقصر يقال: جفاه جفوًا وجفاء، (والإلف) أي الأليف.
(٣) (الملهوف) أي المظلوم. (إن عمه) أي شمله، وفي رواية: إذ عمه.

عَسَى لِغَرِيبِ الدَّار تَدْبِيرُ رَأفَةٍ
وَبِرٌّ مِنَ الْبَارِي إِذَا الْعَيْشُ لَمْ يَصْفُ[(١)]

عَسَى نَفْحَةٌ فَرْدِيَّةٌ صَمَدِيَّةٌ
بهَا تَنْقَضِي الحَاجَاتُ وَالشَّمْلُ يَلْتَفُّ[(٢)]

فَإِنِّيَ وَالشَّكْوَى إِلَى ٱللَّهِ كَالَّذِي
رَمَى نَفْسَهُ فِي لُجَّةٍ مَوْجُهَا يَطْفُو[(٣)]

فَمِنْ مِحَنِ الأَيَّامِ قَلْبِي مُعَذَّبٌ
أَلَمَّ بِرُوحِي قَبْلَ حَتْفِ الْفَنَا حَتْفُ[(٤)]

وَمِنْ فُرْقَةِ الأَحْبَابِ قَلْبِي مُقَسَّمٌ
ثَلَاثٌ وَأَرْبَاعٌ وَنِصْفٌ وَلَا نِصْفُ

ولَكِنَّ مِثْلِي يَذْخَرُ الصَّبْرَ لِلأَسَى
وَإِنْ أَبَتِ الأَحْزَانُ وَالأَرْبُعُ الذُّرْفُ[(٥)]

---

(١) (من الباري) من الله ـ تعالى ـ (إذا العيش لم يصف) إذا لم تصف الحياة. وفي رواية: إذ العيش.

(٢) (نفحة) رحمة، (فردية صمدية) يعني ربانية. (يلتف) يجتمع.

(٣) (في لجة) هي معظم الماء. (يطفو) يعلو.

(٤) (فمن محن الأيام) أي (بلاياها)، (ألمّ) : نزل، (حتف): موت

(٥) (يذخر) بالفتح أي يدَّخر (الصبر) هو حبس النفس عن الجزع. (للأسى) للحزن. (أبت) امتنعت. (والأربع الذرف) لكل عين مؤقان ومؤخران، وهذه هي الأربع التي تذرف الدمع، قال الزمخشري:

وقائلة ما هذه الدرر التي ... تساقط من عينيك سمطين سمطين
فقلت لها الدر الذي كان قد حشا ... أبو مضر أذني تساقط من عيني

وذلك أن الدمع يظهر من الموقين عادة، اشتد الحزن: خرج من الموقين ومن المؤخرين، فيكون من كل عين سمطين، فتكون الذرف أربعًا.

وَإِنِّي لأَرْضَى مَا قَضَى اللهُ لِي وَلَوْ
عَبَدْتُ عَلَى حَرْفٍ لأَزْرَى بِيَ الحَرْفُ[(١)]

وَلَمْ أَبْنِ حُسْنَ الظَّنِّ فِي سَيِّدِي عَلَى
شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَيَنْهَارُ بِي الجُرْفُ[(٢)]

وَلَكِنْ دَعَوْتُ ٱللَّهَ يَكْشِفُ كُرْبَتِي
فَمَا كُرْبَةٌ إِلَّا وَمِنْهُ لهَا كَشْفُ[(٣)]

فَكَمْ بُسِطَتْ كَفٌّ بِسُوءٍ تُرِيدني
فَقَالَ لَهَا الْكَافِي أَلَا غُلَّتِ الْكَفُّ[(٤)]

وَكَمْ هَمَّ صَرْفُ الدَّهْرِ يَصْرِفُ نَابَهُ
عَلَيَّ فَجَاءَ الغَوْثُ وَانْصَرفَ الصَّرْفُ[(٥)]

وَلَمْ أَعْتَصِمْ باللَّهِ إِلَّا وَمَدَّ لِي
مِنَ الْبِرِّ ظِلًّا فِي رضَاءٍ لَهُ وَكْفُ[(٦)]

---

(١) (ما قضى الله) أي ما حكم. (مع حرف) وجه. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ ﴾: أي وجه واحد. وهو أن يعبدوه عَلَى السراء دون الضراء. (لأزرى بي الحرف) لأدخل عليَّ عيبًا.

(٢) (شفا) طرف .(جرف) جانب. (هار) مشرف عَلَى السقوط. (فينهار) فيسقط .(بي الجرف) أي الجانب.

(٣) (كربتي) هي الغم الذي يأخذ بالنفس.

(٤) (الكافي) أي الله ـ تعالى. (غلت) أمسكت.

(٥) (صرف الدهر) حدثانه ونوائبه. (يصرف نابه) أي يحتد ويشتد عليَّ. (الغوث) أي المخلِّص من الشدائد.

(٦) (ولم أعتصم بالله) الاعتصام بالله هو الامتناع بلطفه من المعصية. (وَكْفُ) أي شدة.

وَإِنِّي لَمُسْتَغْنٍ بِفَقْرِي وَفَاقَتِي
إِلَيْهِ وَمُسْتَقْوٍ وَإِنْ كَانَ بِي ضَعْفُ(١)

وَفِي الْغَيْبِ لِلْعَبْدِ الضَّعِيفِ لَطَائِفٌ
بِهَا جَفَّتِ الْأَقْلَامُ وَانْطَوَتِ الصُّحْفُ(٢)

فَكَمْ رَاحَ رَوْحُ ٱللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَكَمْ
غَدَا قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ لِلنَّاظِرِ الطَّرْفُ(٣)

بِقُدْرَةِ مَنْ شَدَّ الْهَوَا وَبَنَى السَّمَا
طَرَائِقَ فَوْقَ الْأَرْضِ فَهْيَ لَهَا سَقْفُ(٤)

وَمَنْ نَصَبَ الْكُرْسِيَّ وَالْعَرْشَ وَاسْتَوَى
عَلَى الْعَرْشِ وَالْأَمْلَاكُ مِنْ حَوْلِهِ حَفُّوا(٥)

وَمَنْ بَسَطَ الْأَرْضِينَ فَهْيَ بِلُطْفِهِ
لِحَيِّ بَنِي الدُّنْيَا وَمَيِّتِهِمْ ظَرْفُ(٦)

---

(١) (لمستغن) لغني. (وفاقتي) أي حاجتي. (ومستقو) أي قوي.

(٢) (في الغيب) هو ما غاب عن الإنسان. (جفت الأقلام) أي يبست. (وانطوت الصحف) أي لفّت، وهذا كناية عن قدم المقادير فلا تبديل ولا تغيير.

(٣) (روح الله) أي رحمته. (يرتد) يرجع. (الطرف) العين.

(٤) (شد الهوا) قواه. (طرائق) جمع طريقة لأنها طرق الملائكة. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ أي سماوات.

(٥) (واستوى) أي علا وارتفع. (حفوا) أي طافوا به واستداروا، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾.

(٦) (ظرف) وعاء.

وَأَلْقَى الْجِبَالَ الشُّمَّ فِيهَا رَوَاسِيًا
فَلَيْسَ لَهَا مِنْ قَبْلِ مَوْعِدِهَا نَسْفُ(١)
وَأَلْبَسَهَا مِنْ سُنْدُسِ النَّبْتِ بَهْجَةً
مِنَ الْقَطْرِ مَا صِنْفٌ يُشَابِهُهُ صِنفُ(٢)
وَسَخَّرَ مِنْ نَشْرِ السَّحَابِ لَوَاقِحًا
إِذَا انْتَشَرَتْ دَوَّتْ سَحَائِبُهَا الْوُطْفُ(٣)
وَأَنْشَأَ مِنْ أَلْفَافِهَا كُلَّ جَنَّةٍ
بِهَا الأَبُّ وَالرَّيْحَانُ وَالْوَرْدُ وَالْعَصْفُ(٤)
وَيَعْلَمُ مَسْرَى كلِّ سَارٍ وَسَارِبٍ
وَمَا أَعْلَنُوهُ مِنْ خَطَايَا وَمَا أَخْفُوا(٥)
وَيحْصِي الْحَصَى وَالْقَطْرَ وَالنَّبْتَ فِي الثَّرَى
وَالأَحْقَافَ عَدًّا قَلَّ أَوْ كَثُرَ الْحَقْفُ(٦)

---

(١) (الجبال الشم) المرتفعة. (نسف) قلع.

(٢) (من القطر) أي المطر، وفي رواية: من النبت. (صنف) نوع. (يشابهه) يماثله.

(٣) (لواقحًا) رياحًا تلقح السحاب فيمتلئ ماء. (الوطف) نعت، وهو جمع وطفاء، يقال: سحابة وطفاء: مسترخية لكثرة مائها، أو هي الدائمة السح، طال مطرها أو قصر.

(٤) (من ألفافها) أي أشجارها الملتف بعضها ببعض. (الأب) المرعى. (والريحان) ورق الزرع. (والعصف) ساقه.

(٥) (مسرى) مسعى. (كل سار) أي معاش ليلًا. (خطايا) آثام. (أخفوا) أسرّوا.

(٦) (ويحصي) أي يعد. (والقطر) أي المطر. (في الثرى) أي التراب الندي. (والأحقاف) جمع حقف بالكسر: وهو المعوج من الرمل.

وَيَدْرِي دَبِيبَ النَّمْلِ فِي اللَّيْلِ إن سَعَتْ
وَإِنْ وَقَفَتْ مَا أَمْكَنَ السَّعْيُ وَالْوَقْفُ(١)

وَوَزْنَ جِبَالٍ كَمْ مَثَاقِيلَ ذَرَّةٍ
وَكَيْلِ بِحَارٍ لَا يُغَيِّضُهَا نَزْفُ(٢)

وَكَمْ فِي غَرِيبِ الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ مِنْ
عَجَائِبَ لَا يُحْصَى لأَيْسَرِهَا وَصْفُ(٣)

فَسُبْحَانَ مَنْ إِنْ هَمَّ وَهْمٌ يَقِيسُهُ
بِكُفْءٍ وَتَكْيِيفٍ يُلَجِّمُهُ الْكَفُّ(٤)

وَلَمْ تُحِطِ السِّتُّ الْجِهَاتُ بِذَاتِهِ
فَأَيْنَ يَكُونُ الأَيْنُ وَالْقَبْلُ وَالْخَلْفُ

إِلَهِي أَقِلْنِي عَثْرَتِي وَتَوَلَّنِي
بِعَفْوٍ فَإِنَّ النَّائِبَاتِ لَهَا عُنْفُ(٥)

خَلَعْتُ عِذَارِي ثُمَّ جِئْتُكَ عَائِذًا
بِعُذْرِي فَإِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي فَمَنْ يَعْفُو(٦)

---

(١) (ويدري) أي يعلم.
(٢) (لا يغيضها) أي لا ينقصها. (نزف) نزح.
(٣) (والملكوت) أي المملكة. (لأيسرها) لأقلها.
(٤) (بكفء) أي نظير. (يلجمه) يمنعه.
(٥) (أقلني عثرتي) اغفر زلتي. (عنف) شدة.
(٦) (خلعت عذاري) عذار الرجل: شعره النابت في موضع العذار؛ تقول للمنهمك في الغي: خلع عذاره. (عائذاً) لاجئًا إليك.

وأنْتَ غِيَاثِي عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ
وكَهْفِي إِذَا لَمْ يَبْقَ لِي في الْوَرَى كَهْفُ(١)

* * * *

وَكُلِّي مُحْتَاجٌ وَأَنْتَ لَكَ الْغِنَى

وَكُلِّيَ مُحْتَاجٌ وَأَنْتَ لَكَ الْغِنَى
ومثليَ من يُخْطي ومثلُكَ مَنْ يعفُو
وأنتَ الَّذِي أَبْدَى الوِدَادَ تكرُّمَا
ومثلُكَ منْ يرعَى ومثلِيَ منْ يَجْفُو
وما طابَ عَيْشٌ لم تكُنْ فِيهِ واصِلًا
ولم يصْفُ، لَا واللَّهِ، أنَّى له يصْفُو
عَزَمْتُ على أنْ أترُكَ الكوْنَ كُلَّهُ
وأقفُو سبيلَ الحُبِّ والمُجْتَبَى يقفُو
شُهُودُكُمُ يجلُو الحجَابَ لأنَّهُ
إذا حقَّق التحْقِيقَ صار هُوَ الكشْفُ
وما أحسنَ الأحبابَ في كُلِّ حالَةٍ
فَلِلَّهِ ما يُبْدُوا ولِلَّهِ ما يُخْفُوا

---

(١) (ملمة) أي نازلة. (وكهفي) أي ملجئي. (الورى) الخلق.

وإِنَّ الأُولَى لم يَشْهَدُوكَ بمشهَدٍ
قلوبُهُمُ عنْ نيْلِ سِرِّ الهوَى غُلْفُ
وأنتَ الَّذِي أظهَرْتَ ثُمَّ ظهرْتَ في
جَميعِ المبَادِي مِثْلَمَا شَهِدَ الْعَرْفُ
ظهَرْتَ لِكُلِّ الكَونِ فالكَوْنُ مُظْهِرٌ
وفيهِ لَهُ أيضًا كَمَا جاءتِ الصُّحْفُ
فأيُّ فؤادٍ عَنْ فؤَادِكَ ينْثَنِي
وَأَيَّةُ عينٍ بعْدَ قُرْبِكَ لَنْ تَغْفُو
وأيَّةُ نفْسٍ لم يُمِلْهَا هواكُمُ
على حُبِّكم طُرًّا نفوسُ الوَرَى وَقْفُ[١]

* * * * *

(١) لابن عطاء الله السكندري.

غَرِيبٌ عَلَىٰ بَابِ الرَّجَاءِ طَرِيحُ

غَرِيبٌ عَلَىٰ بَابِ الرَّجَاءِ طَرِيحُ ... يُنادِيكَ مَوْصُولَ الْجَوَى وينُوحُ
يَهُونُ عَذابُ الجسْمِ والرُّوحُ سالِمٌ ... فكَيْفَ ورُوحُ الْمُسْتَهَامِ جُرُوحُ
وليسَ الَّذِي يَشْكُو الصَّبَابَةَ عاشقًا ... وما كُلُّ باكٍ في الغَرَامِ قَرِيحُ
يقولون لي غنٍّ وبالقلبِ لوعةٌ ... أُغنِّي بهَا في خَلْوتي وأَنوحُ
ولي في طَرِيقِ الشَّوْقِ واللَّيلُ هائمٌ ... مَعالِمُ تَخْفَى تارةً وتَلُوحُ
ولي في مقَامِ الوَجْدِ حالٌ ولوعةٌ ... ودَمْعٌ أُداري في الْهَوَى ويَبُوحُ
وأنتَ وجودي في شُهُودي وغَيبتي ... وسِرُّكَ نُورُ النُّورِ أو هُوَ رُوحُ
وما دخلَتْ إلَّا إليك مَوَاجِدِي ... ودَاعِي الهوَى بالوالِهِينَ يَصِيحُ
بسرِّ الهوى يَغْدُو وفِيهِ يَرُوحُ ... غَرِيبٌ عَلَى بابِ الرَّجَاءِ طَرِيحُ(١)

* * * * *

(١) لطاهر أبو فاشا.

عَرَفْتُ الهَوى مُذْ عَرَفْتُ هَوَاكَا

عَرَفْتُ الهَوى مُذْ عَرَفْتُ هَوَاكَا وَأَغْلَقْتُ قَلْبِيَ عَمَّنْ سِوَاكَا
وقُمْتُ أُنَاجِيكَ، يَا مَنْ تَرَى خَفَايَا الْقُلُوبِ ولسْنَا نَرَاكَا
(أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ حُبَّ الْهَوَى وَحُبًّا لأنَّكَ أهلٌ لِذَاكَا)[١]
(فَأَمَّا الَّذِي هو حُبُّ الهوى فشُغْلِي بذِكْرِكَ عمَّنْ سوَاكَا)
(وأمَّا الَّذِي أَنْتَ أهلٌ لَهُ فَكشفُكَ لي الحُجْبَ حتى أَرَاكَا)
(فلا الْحَمْدُ في ذا ولا ذاك لِي وَلَكِنْ لكَ الحمْدُ في ذا وَذَاكَا)
وَأَشْتاقُ شوقَيْنِ شوقَ النَّوى وشوقًا لِقُرْبِ الخُطَى مِنْ حِمَاكَا
فأمَّا الَّذِي هُوَ شَوْقُ النَّوَى فَمَسْرَى الدُّمُوعِ لِطُولِ نَوَاكَا
وأمَّا اشْتِيَاقِي لِقُرْبِ الحِمَى فنارُ حَياةٍ خَبتْ فِي ضِيَاكَا
ولستُ عَلَى الشَّجْوِ أَشْكُو الهوى رَضِيتُ بما شِئْتَ لي في هَوَاكَا

* * * *

- **ويقول الشاعر**

لِغَيرِكَ ما مَددْتُ يَدَا وغيرُكَ لا يَفِيضُ نَدَى
وَلَيْسَ يَضِيقُ بابُكَ بي فكيْفَ تردُّ مَنْ قَصَدَا

---

(١) الأبيات الأربعة التي بين الأقواس من شعر «رابعة العدوية».

وركْنُكَ لم يَزلْ صَمَدَا فكيفَ تَذُودُ مَنْ وَرَدَا
ولُطْفُكَ يَا خَفِيَّ اللُّطْـ ـفِ إِنْ عادِي الزَّمَانِ عَدَا

* * * * *

عَلَىٰ قَلْبي وَضعْتُ يَدِي

عَلَىٰ قَلْبي وَضعْتُ يَدَا ونحْوكَ قَدْ مَدَدْتُ يَدَا
سَرى لَيلي بِغَيْرِ هُدَى ولا أَدْرِي لأيِّ مَدَى
يُطَارِدُنِي الأَسَى أَبَدَا ويرعَانِي الجَوَى أَبَدَا
وَيَنْشُرُنِي الهَوى رُوحًا ويطوِيني الجَوَى أَبَدَا
وأطوِي البِيدَ طَاوِيةً كأنِّي في الْفَضَاءِ صَدَى
نَهارِي والهَجِيرُ لَظًى ولَيلِي والظَّلامُ رَدَى
فَوَاكِبَدا إِذَا أُضْحِي وَإِنْ أُمسِي فَوَاكَبِدَا
وَلَيْسَ سِواكَ لي سَندٌ فَقَدْتُ الأَهْلَ والسَّنَدَا

* * * * *

عَلَىٰ عَيْني بَكَتْ عَيْني عَلَىٰ رُوحِي جنَتْ رُوحي
هَوَاكَ وبُعْدُ مَا بَيْنِي وبَيْنَك سِرُّ تَبْرِيحِي

* * * * *

صَحَا مِنْ شَجْوِهِ كَأْسِي وَقَدْ نَامَ الخلِيُّونَا

فَكَيفَ أَفرُّ مِنْ نفسي إِذَا هَامَ المُحِبُّونَا

* * * * *

حَيَائِي مِنْكَ يُبْعِدُني ودَاعِي الشَّوْقِ يُدْنِينِي
وَوَجْهُ الصَّفْحِ يُخْجِلُني ويَقْتُلُنِي ويُحْيِينِي

* * * * *

خَلَوْتُ إِليكَ يا ربِّي وقُلْتُ عَسَاكَ تَقْبَلُنِي

* * * * *

مَدَدْتُ يَدِي
إِليْكَ ومِنْكَ يَا ربَّاهْ
وَمِنْ طُولِ النَّوَى أَوَّاهْ

* * * * *

مُنَاجَاةٌ مِنْ نُونِيَّةِ الْقَحْطَانِيِّ

يـا مُـنْـزِلَ الآيَـاتِ والْـفُـرْقَـانِ ... بَيني وبَينَكَ حُـرْمَـةُ الْـقُـرْآنِ
اشْرَحْ بِهِ صَدْرِي لمعرِفَةِ الهُدَى ... واعْصِمْ به قَلْبي مِنَ الشَّيطَانِ
يسِّرْ به أَمْري وقضِّ مَآرِبي ... وَأَجِرْ بِهِ جَسَدِي مِنَ النِّيرَانِ
واحطُطْ به وِزْرِي، وأَخْلِصْ نِيَّتي ... واشدُدْ بِهِ أَزْرِي، وأَصْلِحْ شَانِي
واكْشِفْ بِهِ ضُرِّي، وحقِّقْ توبَتِي ... أَرْبِحْ به بيعِي بلا خُسْرَانِ
طهِّرْ به قلْبِي، وصَفِّ سَرِيرَتِي ... أجمِلْ به ذِكْرِي، وأَعْلِ مكاني
واقْطَعْ به طَمَعِي، وشرِّفْ هِمَّتي ... كَثِّرْ به وَرَعِي، وأَحْيِ جَنَاني
أَسْهِرْ به لَيْلِي، وأظْمِ جَوَارِحِي ... أسبِلْ بفيْضِ دُموعِهَا أجفاني
وَامْزِجْهُ يا ربِّي بلحْمِي مَعْ دَمِي ... وَاغْسِلْ به قَلْبِي مِنَ الأَضْغَانِ
أنت الَّذِي صَوَّرتني، وخلقْتَني ... وهـديـتني لِـشَـرَائِـعِ الإِيمَـانِ
أنتَ الَّذِي علَّمْتَني، ورَحِمْتَني ... وجعلتَ صَدْرِيَ واعِيَ القُرْآنِ
أنتَ الَّذِي أطْعَمْتَنِي، وسقَيْتَني ... مِنْ غَيْرِ كَسْبِ يدٍ ولا دُكَّانِ
وجَبَرْتَنِي وسَتَرْتَنِي ونَصَرْتَنِي ... وغَمَرْتَنِي بالفَضْلِ والإِحْسَانِ
أنْتَ الَّذِي آوَيْتَنِي، وحبَوْتَنِي ... وهدَيْتَنِي مِنْ حِيرَةِ الخُذْلَانِ
وزرعتَ لي بينَ القلُوبِ مَوَدَّةً ... والعَطْفَ مِنْكَ برحْمَةٍ وحَنَانِ

ونشرتَ لي في العالَمِينَ مَحاسِنًا وسترتَ عَنْ أبصَارِهِمْ عِصْيَانِي
وجعلتَ ذِكْرِي في البَرِيَّةِ شَائِعًا حتَّى جعلْتَ جَمِيعَهُمْ إِخْوَانِي
واللَّهِ لو عَلِمُوا قَبِيحَ سَرِيرَتِي لأبَى السَّلامَ عليَّ مَنْ يلقانِي
ولأعرضُوا عنِّي ومَلُّوا صُحْبَتِي وَلَبُؤْتُ بَعْدَ كرامةٍ بِهَوَانِ
لكنْ سَتَرْتَ مَعايِبِي ومثَالِبِي وحَلُمْتَ عَنْ سَقَطِي وعَنْ طُغيَانِي
فَلَكَ المحَامِدُ والمدَائِحُ كُلُّهَا بخَوَاطِرِي وجَوَارِحِي ولِسَانِي
ولقد مَنَنْتَ عَلَيَّ، ربِّ، بأَنْعُمٍ ما لي بشُكْرِ أقلِّهنَّ يَدَانِ
فَوَحَقِّ حِكْمَتِكَ التي آتيْتَنِي حتى شَددتَ بِنُورِها بُرْهَانِي
لئنِ اجْتَبَتْنِي مِنْ رِضاكَ مَعُونَةٌ حتى تُقوِّيَ أيدُهَا إِيمَانِي
لأُسَبِّحَنَّك بُكْرةً وعَشِيَّةً ولتخدمنَّكَ في الدُّجَى أرْكَانِي
ولأذْكُرَنَّكَ قائمًا أو قَاعِدًا ولأشْكُرَنَّكَ سائِرَ الأَحْيَانِ
ولأكتُمَنَّ عنِ الْبَرِيَّةِ خِلَّتِيَّ ولأشْكُوَنَّ إليك جَهْدَ زَمَانِي
ولأقْصِدنَّكَ في جَمِيعِ حَوَائِجِي مِنْ دُونِ قَصْدِ فلانةٍ وفلانِ
ولأحسِمَنَّ عَنِ الأنَامِ مَطَامِعِي بحُسَامِ يَأْسٍ لم تَشُبْهُ بَنَانِي
ولأجعلَنَّ رِضَاك أكبرَ هِمَّتي ولأضْرِبَنَّ مِن الهَوَى شَيْطَانِي
ولأكسُوَنَّ عُيوبَ نَفْسِي بالتُّقَى ولأقْبِضَنَّ عَنِ الفُجُورِ عِنَانِي

ولأمْنَعَنَّ النَّفْسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا ... ولأجْعَلَنَّ الزُّهْدَ مِنْ أعْوَانِي
ولأتلونَّ حُرُوفَ وَحْيِكَ في الدُّجى ... ولأحْرِقَنَّ بنُورِهِ شَيْطَانِي(١)

* * * * *

● ولله درّ القائل:

يَا مَنْ إِلَيْهِ جَمِيْعُ الخَلْقِ يبتهِلُ ... وَكُلُّ حَيٍّ عَلى رُحْمَاهُ يَتَّكِلُ
يَا مَنْ نَأى فَرَأى مَا في القُلُوبِ ومَا ... تَحْتَ الثَّرَى وَحِجَابُ اللَّيْلِ مُنْسَدِلُ
يَا مَنْ دَنَا فَنَأى عَنْ أنْ تُحِيطَ بِهِ الْـ ... ـأَفْكَارُ طُرًّا أوِ الأوْهَامُ وَالعِلَلُ
أنْتَ المُنَادَى بِهِ في كُلِّ حَادِثَةٍ ... وأنْتَ مَلْجأُ مَنْ ضَاقَتْ بِهِ الحِيَلُ
أنْتَ الغِيَاثُ لِمَنْ سُدَّتْ مَذَاهِبُهُ ... أنْتَ الدَّلِيلُ لِمَنْ ضَلَّتْ بِهِ السُّبُلُ
إنَّا قَصَدْنَاكَ وَالآمَالُ واقِعَةٌ ... عَلَيكَ والكُلُّ مَلْهُوفٌ ومُبْتَهِلُ
فإنْ غَفَرتَ فَعَنْ طَوْلٍ وَعَنْ كَرَمٍ ... وَإنْ سَطَوْتَ فأنْتَ الحَاكِمُ الْعَدِلُ

* * * * *

(١) من نونية القحطاني لأبي محمد الأندلسي.

فُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ

لأحمد محمد الصديق

يا ربِّ أنتَ المُسْتَعَانُ وإنَّنَا … أبدًا لِفَضْلِكَ عالةٌ فُقَرَاءُ
نَرجُوكَ في كُلِّ الأُمُورِ.. ومَا لَنَا … في غَيرِ مَنِّكَ يا كَرِيمُ رَجَاءُ
أَنتَ الغَنِيُّ وما لجُودِكَ مُنْتَهًى … بِيَدَيْكَ سِرُّ الخَلْقِ والإِحْيَاءُ
لولاكَ ما كُنَّا.. ولا كانَتْ لَنَا … دُنْيا.. ولا عَمَرَتْ بِنَا أَرْجَاءُ
لولاكَ ما خَفَقَتْ جوانحُنا ولا … رَعَشَتْ بآياتِ الهُدَى أَضواءُ
ما اهتَزَّ غُصْنٌ أَو تَرَنَّمَ شاعرٌ … أَو كَحَّلَتْ عينَ الوُجودِ ذُكاءُ
أَو سالَ قطْرٌ أَو تَرَقْرَقَ جَدْولٌ … وتلألأَتْ في الرَّوضَةِ الأَنْداءُ
لولاكَ ما كَشَفَ الحَقِيقَةَ عالِمٌ … أَو كانَ في دُنيا الوَرى حُكَماءُ
ما حَلَّقَتْ عَبرَ الفَضاءِ سَفينةٌ … أَو أَرسلَتْ ضَوْءَ النُّجُومِ سَماءُ
أَبدَعْتَ هذا الكَونَ مِنْ عَدَمٍ وَفِي … يَدِكَ التَّصَرُّفُ فيهِ كيفَ تشاءُ
ما كانَ أو سَيَكُونُ أو هُوَ كَائِنٌ … يَفنَى.. وليسَ لما سِوَاكَ بَقَاءُ

* * * * *

إِنْ كنتُ في عَرْضِ البِحَارِ فعربَدَتْ … هُوَجُ الرِّيَاحِ وَأَرْعَدَتْ أَنواءُ
أَو طِرْتُ في رَحْبِ الفَضَاءِ فخَانَني … حَظٌّ وأَوْشَكَ أَن يَحِينَ قَضاءُ

أَو شَفَّنِي هَمٌّ.. يَنوءُ بحَمْلِهِ ظَهْرِي.. وراشَتْ سَهْمَهَا الأَرْزَاءُ
أو كنتُ مقطُوعَ الأَواصِرِ نائيًا فَلِمَنْ يكونُ تَضَرُّعٌ ودُعاءُ؟!

* * * * *

ولِمَنْ تَخِرُّ جِباهُنا.. وقلوبُنا حتّى تَزولَ بِعَونِهِ البأْساءُ؟
يا ربِّ أَنتَ المُستعانُ.. وإِنَّنا أَبدًا إِليكَ جَميعُنا فُقَرَاءُ
مَنْ كانَ في حِفْظِ الإلهِ وحِرْزِهِ ذلَّتْ لَهُ العَقَبَاتُ والأَعْبَاءُ

* * * * *

أَنا إنْ ضَلَلْتُ فَمِنْكَ نُورُ هِدَايَتِي وإِذا مَرِضْتُ ففي رِضاكَ شِفاءُ
وإِذا عَطِشْتُ فمِنْ مَعِينِكَ أَستقي أَوْ جُعْتُ كانَ بما رَزَقْتَ غناءُ
وإِذا عَرِيتُ فأَنت وحدَكَ ساتِرِي وجَميلُ عفوِكَ جُنَّةٌ ورِداءُ
وإِذا تَنَكَّبْتُ الطَّرِيقَ رَجَعْتُ في نَدَمٍ إليكَ.. ففي حِماكَ نَجاءُ
وَسِعَتْ مكارِمُكَ العِبادَ بِرَحْمَةٍ وتتابَعَتْ مِنْ فَيضِكَ الآلاءُ
يا ربِّ خيرُكَ لِلْبَرِيَّةِ نازِلٌ وإِليكَ يَصْعَدُ مِنْهُمُ الإِيذاءُ
يا ربِّ حِلمُكَ لَمْ يَدَعْ لمقصِّرٍ عُذرًا فهلَّا يَرْعَوِي السُّفَهاءُ؟!
لو كانَ ربُّكَ بالعِقَابِ مُعَجِّلًا لأَتى عَلَىٰ هذِي القُرُونِ عَفَاءُ
عَجبًا.. أَيَأْنَفُ أَنْ يُمرِّغَ هامةً لِلَّهِ قَومُ ضَلالةٍ تُعَساءُ؟!

لكأَنَّ هاتِيكَ القُلُوبَ جَلامِدٌ ... وكـأنَّمـا آذانُـهُـمْ صَـمَّـاءُ!
وإلى مَتى هذا الكُنُودُ؟ تَجَرَّدِي ... وتعبَّدِي للَّـهِ يا أَهْـواءُ![1]

* * * * *

يَا إِلَهِي

بِكُلِّ الشَّوقِ في قَلْبي ... طَرَقْتُ البَابَ يا رَبِّي
وفي شَفَتي ضَراعَاتٌ ... لِقَلْبٍ ذابَ في جَنْبي
دُعـاءٌ في تَـأَلُّقِـهِ ... ضِياءٌ غَيْرُ ذِي لَهَبِ
يَسِيلُ الطُّهْرُ في دَمْعي ... لِيَغْسِلَ صِدْقُهُ ذَنْبي
وحَسْبِي أَنَّكَ الرَّحْمَـ ... ـنُ في رِضوانِهِ.. حَسْبي
تُجِيبُ ضَراعَةَ المُحتا ... جِ عِنْدَ المَوْقِفِ الصَّعْبِ
وتَهْدِي خُطْوَةَ الحَيْرا ... نِ إنْ ضَلَّتْ عَلَى الدَّرْبِ
طَلَبْتُ رِضاكَ يا رحْمَـ ... ـنُ واسْتَرْحَمْتُ في طَلبي
قصدْتُكَ يا حِمَى رُوحي ... ويا غَوْثِي مِنَ الكُرَبِ
ويا حِصْني مِنَ الأيَّا ... مِ والأيَّامُ تَعْصِفُ بي
ويا عَوْني عَلَى الإنسا ... نِ والإنْسَانُ يَغْدِرُ بي
ويَلْبَسُ ثَوْبَ إِنْسَانٍ ... لِيُخْفِيَ صُورَةَ الذِّئْبِ

---
(١) من ديوان «نداء الحق» لأحمد محمد الصديق، ص١١٥ - ١١٧، دار الضياء.

سَأَلْتُ اللَّهَ أن تَرْتا ... حَ دُنْيَانَا مِنَ اللَّهَبِ
وأنْ يَرتاحَ صِدْقُ النَّا ... سِ من دَوَّامَةِ الْكَذِبِ
وأنْ يَخْلُو رِحابُ الأرْ ... ضِ من حَمَّالَةِ الحَطَبِ
وأنْ يَرضَى رِضَاءً يُنْـ ... ـقِذُ الدنيا من الْغَضَبِ
سألتُ اللَّهَ أنْ يَهْدِي ... إلَيْنَا نِعْمَةَ الحُبِّ
وأَنْ يَسْقِي ظِماءَ الرُّو ... حِ مِنْ تَيَّارِهِ العَذْبِ
وأن يَسْرِي رَحِيقُ الحُبِّ ... مِنْ قَلْبٍ إلى قَلْبِ
فَنَسْعَدَ كُلَّما ضَمَّتْ ... خُطَانَا لمسَةُ القُرْبِ
سألْتُ اللَّهَ والْمَسْئُو ... لُ فوقَ الشَّكِّ والرِّيَبِ
هُوَ المُعْطِي بِلَا مَنٍّ ... عَطاءً غَيرَ مُقْتَضَبِ
دَعَوْتُ وَحُلْمِيَ الْمَأْمُو ... لُ يَبْدُو الْيَوْمَ عَنْ كَثَبِ
تَعَالَى اللَّهُ مِنْ دَانٍ ... إلى الدَّاعِي ومُقْتَرِبِ[1]

* * * * *

(١) قصيدة «دعائي في ليلة القدر» لمحمد التهامي، من ديوان «يا إلهي»، دار البشير.

رَبِّ إِنِّي لَكَ عُدْتُ

● قال الشاعر محمود حسن إسماعيل في قصيدته «الْعَوْدَةُ إِلَى اللَّهِ»: «في طريقي إلى النُّور ذرفت هذه الدموع...»

رَبِّ إِنِّي لكَ عُدْتُ مِنْ سَرابٍ فيه تُهْتُ
وَعَلَى وَجْهِي شَظايَا نَدَمٍ فيه انتَهَيتُ
وكُهوفٌ مِنْ خَطايَا، تحتَها نارٌ وَصمْتُ
وطُيُورٌ ذَرَفَتْ سِرِّي وَطارَتْ حَيْثُ طِرْتُ
وتلاشَتْ في زوايَا خَلَدي أَنَّى سَرَيْتُ
فإذا أَبكي، أَرَاها أَدْمُعًا ممَّا بكَيْتُ
وإذا أَشكو، أَراها كلَّ ما مِنْه اشتْكَيْتُ
واذا أهرُبُ كانَتْ كلَّ دربٍ قد سلكتُ
وإذا أَغْفُو، أَراها كلَّ حُلْم قد رأَيْتُ
وإِذا أَفزَعُ للأَوْهام، كانَتْ ما وهِمْتُ
وإذا غنَّيتُها النِّسيانَ، غنّتْ ما ذَكرْتُ
ومحَتْ ذاتي، وعادتْ لي بما كنْتُ دَفَنْتُ

رَبِّ جنِّبْني صَداها، فَهْيَ أَعدَى مَنْ عَرفْتُ
هِيَ نَفَسْي، وَهْيَ شَيْطاني الذَّي منه هربْتُ
سَكنَتْ فيَّ، وفي صحرائِهَا الكُبْرَى سَكنْتُ
وَعَلَى مِصْبَاحِهَا المَخْنوقِ في السَّفْح أَقَمْتُ
وكما شاءَتْ عَلَى الأَدْغالِ والرِّيحِ ارْتَمَيْتُ
وكما يَنْطَلِقُ الإِعْصَارُ في اللَّيل انْطَلَقْتُ
وَتَسَلَّلتُ الفِجاجَ السُّودَ فِيهِ وَمضَيْتُ
راهبًا ضلَّتْ مُسُوحِي في هُداها وضلَلْتُ
ويَحَ عُمْري ما الَّذي كُنْتُ عَلَى الرَّمْل كَتَبْتُ؟
قصَّةً.. مَا زال حَوْلي كلُّ ما فيها رَوَيْتُ
الأَسَى، والإِثْمُ، والْعِصيانُ، هَذَا ما حَمَلْتُ..
فإذا التَّوْبةُ أَلقَتْ رَحْلَها عِندي، رَحَلْتُ
وإذا الأَوْزَارُ حَطَّتْ، حَطَّ قلبي وَانتشيْتُ
وإذا ركْبُ الخَطايَا لاحَ لِلعينِ، هفَوْتُ
وكما ينتفِضُ الطَّائِرُ للْفَجرِ انتْفَضْتُ

وتَلفَّعْتُ بِسرِّي في الدَّياجِي وانسلَلْتُ
مثلَما ينْسَلُّ منِّي خاطرٌ منه بَرِمْتُ

* * * * *

هذه قصةُ بُسْتانٍ به كنْتُ عَبرتُ
حاطبًا أَجمعُ نارًا.. وأَسًى فِيمَا جَمْعتُ
ليس لي فأسٌ، ولا غَرْسٌ، ولكَنِّي احتطبْتُ
مِنْ ربيعٍ، ليس لي فيه سِوَى أَنِّي وُجدْتُ

* * * * *

ورَحيقٍ، كلُّ ما أَعْلُم..أَنِّي قد شَرِبْتُ
وعبيرٍ، كلُّ ما أَدْريهِ أَنِّي قد شَمَمْتُ
وثِمارٍ كُلُّ وَعْيِي أَنَّني مِنْها قَطَفْتُ
وغُصُونٍ ظِلُّها يَجْهَلُ عَنِّي ما جهلْتُ
بعثَرَتْ سِرِّي وعَادتْ، وَهْي للإيمَانِ بَيْتُ..
جلَّ ربِّي كلُّ هذا ما الَّذِي كنتُ ارتكَبْتُ
أَذنوبٌ؟ أَم دروبٌ في مَهاوِيهَا جُرِفْتُ؟

أَنا كذَّابٌ، ولكِنْ كُلُّ ما قُلْتُ صَدَقْتُ
نقلَتْ نفسيَ عن نفْسي الَّذِي كنتُ ادَّعَيْتُ
فهْو زُورٌ، وهْوَ حَقٌّ، وهْوَ سِرٌّ فيه حِرْتُ
أنا نَفْسِي ذلكَ الإثمُ الَّذِي مِنهُ هربْتُ
أَنا نَفْسِي ذلك الزُّورُ الَّذي مِنْه جَزِعْتُ
كلُّ ما أشْكُوهُ، مِنْها ذَنْبُهُ، مهْما بَرِئْتُ!

* * * * *

عذَّبتْني بِخطاها، وهَواهَا فاسْتجرْتُ
وإلى قُدْسٍ عَليٍّ، من ضفافِ النُّورِ طرتُ
بعدما جَرَّدْتُ ذاتِي، وَعَنِ النَّفسِ انفصَلْتُ
وإلى ٱللَّهِ بنَوْحي، وعَذاباتي، اتَّجَهْتُ
وشببْتُ الجسمَ نارًا، وهشيمًا، واشتَعَلْتُ
ربِّ! من بُقيا رمادِي، وَحصادِي، لَك جِئْتُ
رَبِّ غُفْرَانكَ! إنِّي في ظلامِي قَدْ وُئِدْتُ![1]

* * * * *

(١) من ديوان «قاب قوسين» للشاعر محمود حسن إسماعيل، نقلاً عن الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل. ص٧٥ - ٧٩.

مُنَاجَاةٌ

لِلأَمِيرِيِّ

هَاكَ نَفْسي، وكلَّ أهواءِ نَفْسي
وجَوى غُلَّتي، وتَبْريحَ بُؤْسِي
واْضْطِراعَ الطُّموحِ مِلْءَ جَنانِي
واضْطِرَابِي ما بيْنَ عَزْمٍ ويَأسِ
هَاكَ ذاتي، وأنتَ بارئُ ذاتِي
وصفاتِي وأَنْتَ مُرْهِفُ حِسِّي
بَيْنَ جِسْمي وبينَ رُوحي جِهَادٌ
أزَلِيُّ الجُذورِ مُذْ كان جِنْسي
هاكَ شَجْوِي وحَيْرَتي وحَنِيني
وأنينَ الهُمومِ في قَلْبِ أُنْسِي
قَلْبِ أُنْسِي؟ وأينَ أُنْسِيَ هذا؟
إنَّهُ الوَهْمُ في غِمارِ التَّأَسِّي
وحياتي، يا ربِّ، إنَّ حياتِي
غُرْبَةٌ في غَدي ويَوْمي وأمْسِي
ومُرادٌ مُحَلِّقٌ في الأَعَالِي
لم يَزَلْ نَحْوَهُ تَوَجُّهُ رَأسي

وفُـؤادٌ يَـؤُجُّ فيه هَـوَاهُ..
ورؤًى كـالـيـقـينِ تَمْـلأُ حَـدْسِـي

في كِيَانِي - يا ربِّ - رُوحِيَ يَشْكُو
قَلَقَ الـسَّعْيِ بين مَـهْدِي ورَمْـسِـي

أَسْبـغِ الـرَّحْـمـةَ الـرَّؤُومَ عَـلـيـهِ
وارْعَ عَـزْمِـي، ولا تَـكِلْنِـي لِـنَفْسـي

أنـتَ صَـيَّرتني لِـقَوْسِـك سَـهْمًا
كَـيْـفَ أرْمـي إنْ لَمْ أُشَـدَّ بِـقَـوْسِ

أنـتَ قَـدَّرْتَ لِـي الأمـانـةَ عِـبـئًا
فـأعِـنِّـي وامْـدُدْ بـبـأْسِـكَ بـأْسِـي

واصطنعْ لِلوُجودِ قَلْبِيَ شَمْسًا
لِأُنيرَ الـوُجُودَ ما دُمْـتَ شَـمْـسِـي(١)

* * * * *

(١) من ديوان «قلب ورب» ص٤١ - ٤٣.

رَحْمَنٌ .. وَإنْسَانٌ

لِلْأَمِيرِيِّ

أهْوَاكَ... وأغْفُلُ عَنْ مُثُلٍ عُليا لِهَواكَ .. وأهْواكا
لا نَكْصًا[١] في الدَّرْب ونَقْصًا في الحُبِّ، ونَقْضًا لِرِضَاكا
لكِنْ شَرَدَاتُ الْعَيْنِ وَقَدْ أعْشاها[٢] إشْراقُ سَناكا
ويَقيني أَنَّكَ رَحْمنٌ بالرأفَةِ عَمَّ الأَفلاكَا
وشُعوري أَنِّيَ إنْسانٌ هَلْ أُذنبُ لَوْ كُنْتُ مَلاكا؟[٣]

* * * * *

فِي الْأَعَالِي

لِلْأَمِيرِيِّ

مَعَ الشَّمْسِ في البَحْرِ أحبو رُوَيْدًا رُوَيْدًا... ويَغْمرُ نَفْسي غُروبْ
وحَوْلِي الجَمالُ.. وحَوْلِي الحَيَاةُ وذَوْقُ الحَياةِ ضُروبٌ.. ضُروبْ
وكُنْهِيَ يَنْسَابُ مِنْ أرْضِهِ ويَرْنو.. ويُصْعِدُ نَحْوَ الغُيوبْ

* * * * *

(١) نَكَصَ: نَكَصَ عَلَى عقبَيْهِ نَكْصًا: رجع إِلَى الخلْف.
(٢) أعشاها: أغبشها وأضعف نظرها.
(٣) من ديوان «قلب ورب».

يُفِذُّ هُنـاكَ... وَيـسْري هُـنـا وَيَغْدو، وقَدْ جَاذَبَتْهُ الدُّروبْ
يُغالِب في الدَّهْرِ إعْصارَهُ وكَمْ ذا يُعَاني؟ ولا.. لا يَتُوبْ
طَبِيعَةُ رُوحٍ سَماوِيَّةٍ نسيمٌ لَهُ في الأعَالِي هُبُوبْ
وجِسْمٌ إلى حَمَأٍ ينتمي يُلِحُّ عَلَيهِ غَرَامٌ دَءُوبْ
وأبسُمُ.. والنَّارُ في أضْلُعِي ويَنْمو جَنَاني.. وعُمْري يذوبْ
فيا رَبِّ .. حَتَّامَ هَذَا الشَّجَا ألوبُ.. ألوبُ.. فأنَّى أثُوبْ
إلهي إليكَ كِيانِي وشَانِي وأنْتَ حَكيمٌ بطِبِّ القُلوبْ(١)

* * * * *

خَلَايَا تُسَبِّحُ اللَّهَ

لِلْأَمِيرِيِّ

أُقَصِّرُ، يا رَبِّي، وأُذْنِبُ مُخْطِئًا وفي غَوْرِ ذَرَّاتِي وذَاتِي تَعَبُّدُ
فَذَنبيَ في سَطْحِ الإرادَةِ غَفْلَةٌ وزَيْغٌ، وعَنْ عَزْمِ السَّدادِ تَرَدُّدُ
ولكنْ خلايايَ الَّتي مِنْ نمائِها وُجُوديَ في إصعارِهِ يَتَجَدَّدُ

* * * * *

تُسَبِّحُ، لا تَنْفَكُّ، في مَحْضِ طاعةٍ وتَسْتَغْفِرُ الرَّحمنَ دَأْبًا وَتَحْمدُ

(١) من ديوان «قلب ورب» للأميري ص٦٥ - ٦٧

فأحيا، ولو في قلْبِ ذَنْبيَ خَاشِعًا ... لربيَ، أحيا ذِكْرَهُ، وأُمَجِّدُ[١]

نَلُوذُ بِاللَّهِ

لِلأَمِيرِيِّ

يُقَبِّلُ آيَاتِ الرَّجاءِ تَضَرُّعًا ... وَيَنْشَقُ منها عَرْفَ رَحْمَةِ رَبِّهِ
بها يَمْسَحُ العَيْنينَ والْقَلبَ لائِذًا ... بِمَن عنْهُ لا تَخْفَى حَقيقَةُ قَلْبِهِ
لِيَقْبَلَهُ عَبدًا أبيًّا مُجاهِدًا.. ... ويمضي بِهِ ما عاشَ في عَدْلِ دَرْبِهِ
هُوَ ٱللَّهُ يَدْعُوهُ بِذِلَّةِ ذَنْبِهِ ... هُوَ ٱللَّهُ يَدْعُوه بِعِزَّةِ حُبِّهِ
يَلُوذُ بِهِ والدَّمْعُ في زَفَراتِهِ ... يَجيشُ، لِكَرْبِ المُسْلِمينَ وكَرْبِهِ
ليكْشِفَ ضُرًّا ـ قَدْ يَكُونُ جَزاءَنَا ... وِفاقًا، ولكنَّا نَلُوذُ بِهِ.. بِهِ[٢]

* * * * *

بَيْنَ ٱلثَّرَى وَٱلثُّرَيَّا

طِرْ بِجسمي إلى سَمائِكَ حَيًّا ... يا إِلٰهي، حتَّىٰ أعيشَ نقيًّا
عكَّرتني دَنِيَّهَا «اهبطوا» بِأَذاهَا ... جرحتْ بي سُموَّ رُوحِكَ فيَّا
وجهادي لا يَنْتَهِي، وكِبَادِي ... «خضَّ» ذاتي بينَ الثَّرَى والثريَّا

---

(١) من ديوان «قلب ورب».

(٢) من ديوان «قلب ورب» ص١٠٩ ـ ١١٠.

يا لِقَلْبي، قد كِدْتُ أفْقِدُ قَلْبِي! كم يُعاني حتَّى أظلَّ أبِيًّا؟!
رحمةَ ٱللَّهِ.. أدْرِكِي.. أَدْرِكِينِي.. بادِرِي.. بادِري.. إليَّ إليَّا[١]

* * * * *

مِنْكَ إِلَيْكَ

مُخْلِصٌ، يا رَبِّ، عبدٌ مُخْلِصٌ قَلْبُهُ.. إيمانُهُ.. بين يَدَيْكْ
فأجِرْنِي مِنْ غُرورٍ لا يَنِي ناصبًا لي شَرَكًا إثْرَ شُرَيْكْ
وبِعَيْنِ الصَّوْنِ والعَوْنِ ارْعَنِي يَا إِلَهِي بكَ أقسَمْتُ عليكْ
مَالِكَ المُلْكِ، وتؤتِي المُلْكَ مَنْ شئتَ، يا ربي، فهَبْ هذا المُلَيْكْ
نُورَ رِضْوَانِكَ وامْنَحْهُ التُّقَى واصطَنِعْهُ.. إنَّهُ مِنْكَ إِلَيْكْ[٢]

* * * * *

لَا نِهَايَاتُ النُّور

إلهي.. كَمَا يَتَجَاوَزُ ضِيقُ حُدودِ السُّجُودِ.. اتِّسَاعَ المَدَى
فتعرُجُ بالرُّوحِ «سُبْحانَ رَبِّي» إلى لا نِهَايَاتِ نُورِ الهُدَى
إلهيَ! فَاجعَلْ نِهايَةَ عُمْرِي وحُفْرَةَ قبري وضِيقَ الرَّدَى

(١) من ديوان «إشراق» للأميري ص١٤٦ - ١٤٧.
(٢) من ديوان «إشراق» للأميري ص١٦٦ - ١٦٧.

كعَرْضِ جِنانِ النَّعيمِ اتِّسَاعًا وهَبْ في رِحابِكَ لي مَرْقَدَا
ونوِّرْ رُفاتي لتَبقى وتَبقى تُسَبِّحُ بارِئَها سُجَّدَا(١)

* * * * *

اَخْتِلَاجَةُ نُورٍ

إلهي! شكَاتِي وشُكْري معًا ثَناءٌ وَتَسْليمُ قَلْبٍ سَلِيمْ
وما أنا إلّا اخْتلاجَةُ نُورٍ قدِ انقدَحَتْ من سَنَاكَ الْعَظِيمْ
إذَا ما تَجَلَّيْتَ كَان الرِّضَا.. وأَمْسَتْ هُمُومِي النَّعِيمَ المُقِيمْ
فأشرِقْ وأغدِقْ وأنجِدْ وزِدْ.. فأنتَ الكرِيمُ الرؤُوفُ الرَّحِيمْ(٢)

* * * * *

إِشْرَاقٌ

يا إلهي! مِنْ رُوحِكَ الفَذِّ رُوحِي سَبَبٌ لا يَحُورُ، يَنْمو ويُوحِي
فَتَعَهَّدْ عَزْمي وَسَدِّدْ طُمُوحِي في صُدُوري وَمَدْرَجي وَنُزوحِي

* * *

فأنا، مُنْذُ كُنْتُ، صُنْعُ يَدَيْكا يا إلهي! وَمِنْكَ أمْضي إِلَيْكا

(١) من ديوان «إشراق» لعمر بهاء الدين الأميري ص١٧٤ - ١٧٥.
(٢) من ديوان «إشراق» لعمر بهاء الدين الأميري ص١٨٨ - ١٨٩.

يا مَلِيكًا قَدْ صُغْتَ مِنِّي مُلَيْكا كَيْفَ أحيا دُونَ اعتمادٍ عَلَيْكا

* * * * *

لَا بِطِّينِ التَّكوينِ، حُرًّا نَقِيًّا أنْتَ سَلْسَلْتَهُ فَعَادَ زَكِيًّا
قَد تَخَلَّقْتُ، يا إلهي سَوِيًّا عَبْقَرِيًّا، لكِنْ بِنَفْخِكَ فِيَّا

* * * * *

أنْتَ كَرَّمْتَني رِضًا وعَطَاءَ أنْتَ سَخَّرْتَ لي الثَّرى والسَّماءَ
أنْتَ أفْعَمْتَ خافِقَيَّ رَجَاءَ وَبَذَلْتَ الهُدَى، فَزِدْني مَضَاءَ

* * * * *

يا إلهي! جَاوِزْ بِيَ الآفاقَا فَمَدَاها عَنْ حُلْمِ رُوحِيَ ضَاقا
والصَّدَى اشْتَدَّ واسْتَبَدَّ وَعَاقَا والْمُنَى وَالمَنُونُ تَعْدُوْ سِبَاقَا
فاحْبُنِي مِنْ إسارِ جِسْمِي انْعِتَاقَا وارْقَ بي في السَّماءِ سَبْعًا طِباقَا
وأنِخْ لي مِنَ الهُيَامِ بُرَاقَا وارْضَ عَنِّي لِأَبْلُغَ الإِشْراقَا(١)

* * * * *

(١) من ديوان «إشراق» لعمر بهاء الدين الأميري.

تَسْلِيمٌ .. وَضَرَاعَةٌ

يـا إِلَـهِـي وكُـلُّ نُـورِكَ وجْـهٌ ... يا إِلَهِي وكُلُّ وجْهِكَ نُورُ
وَشُعَاعٌ مِنْ نورِكَ الفذِّ كافٍ ... لِـيَـبـيـدَ الـقَـتَـامُ والـدَّيـجـورُ
يا إلهي! فجُدْ عليَّ بِوَمْضٍ ... من شُعاعٍ، فالقَلْبُ قلبٌ طَهُورُ
بَـيْـدَ أنِّـي ولِـلْـحَـيَـاةِ شُـئُـونٌ ... وشـجـونٌ وَوَسْـوَسَـاتٌ غَـرُورُ
وبِنَفْسِي - وأنتَ سوَّيْتَ نفسِي - ... فِي صَمِيمِ التَّقْوَى يَلُوحُ فُجُورُ
لك أسْلَمْتُ كُلَّ نفسِي وعَقْلِي ... واختـيـارِي وَأَنْـتَ بَرٌّ غَـفُـورُ
فـتـخـيَّـرْ لِـعَـبْـدِكَ الحُرِّ دَرْبًـا ... فَهْوَ فِي مُلْتَقَى الدُّروبِ يَدُورُ
يبتَغِـي الخيـرَ، والدُّنا بِبَنِيـهَـا ... - وهْوَ مِنْهُمْ - تعجُّ فيها شُرُورُ
كم تمَنَّيْتُ لو تَصَاوَلْتُ عَنْهَا ... وتـخـطَّـيْـتُـهَـا وهِـمْـتُ أصُـورُ
فِي السَّمَاوَاتِ، فِي عوالِمِ فَيْضِ الْـ ... ـقُدْسِ، حيْثُ السَّنا.. وحيْثُ الحُبورُ
واهِ مِنْ هيكَلِي ومَحْبِسِ رُوحِي ... أنـا فِيهِ مُـكـبَّـلٌ مَـحْـجُـورُ
قاصِرٌ، عاثِرٌ إِذَا كنتُ وَحْدِي ... لابِـدٌ، راكِـدٌ، أَكَـادُ أغُـورُ
فإذا كنتَ لي أكُونُ سُلَيْمَا ... نَ تُصَاغُ الجِفانُ لي والقُدُورُ
وتَصيرُ العُروشُ قَبْلَ ارْتِدَادِ الطَّـرفِ، فِي حَوْزَتِي، وتُبْنَى القُصُورُ
وتَـكُـونُ الـدُّهُـورُ سِـفْـرًا لـتـارِيـخِـي فتشدو بما أقُولُ الدُّهُورُ

* * *

يا إلـهي! والكَونُ ضَجَّ نفورًا مِنْ فَسَادِ الوَرَى... وماذَا النُّفُورُ؟
والطَّـوَاغِـيتُ تَستبدُّ وتَسْعَى في خَرابٍ... سَعْيُ الطَّواغيتِ بُورُ
قد أضرَّتْ بالنَّاس عُصبةُ سُوءٍ لا تَنِـي تَسْتَذِلُّهُمْ وتَجُورُ
وأنـا مُـوثَـقٌ بِغُـرْبَـةِ عُـمْـرِي أَحْكَمَتْ حوليَ الرِّتاجَ صُخورُ
مَعْزِلٌ قابعٌ، عَلَى البَحْرِ، نَاءٍ وبِنَفْسِي منَ الْهُمُومِ بُحورُ
نـابضٌ، رابضٌ، كبُؤْرَةِ بُرْكَا نٍ وَقَلْبِي يغْلِي أسًى ويَفُورُ
هـذِهِ أُمَّـتِـي.. وَهَـذَا بَـلَائِـي يا إلهي! إليكَ تُرْجَى الأُمُورُ
فاصطنِعْنِي وانفخْ بِعَزمِيَ صُورًا قبلَ أن يُعجِلَ القِيامةَ صُورُ
فالنُّشُورُ المنشُودُ في هذِهِ الدُّنْـ ـيَا جِهادٌ به يكونُ النُّشورُ
يا إلـهي فجُدْ وأَشْرِقْ، وأطلِقْ قُدرتي يَنْطَلِقْ بيَ المقدُورُ[1]

* * * * *

(١) من ديوان «إشراق» للأميري ص١٩٨ - ٢٠٢.

اللَّهُ ... وَالتَّوْبَةُ

● «وشقت بزورتها لُجَّة الظَّلام.. إِلَى الشاطئ فأعياها الوصول»

وشاطئٍ في يَديْهِ كفَّارَةٌ لِلْخَطَايَا
ذَهَبتُ يومًا إِليهِ بأدمُعِي وَشَقَايَا
وبالمَعَاصِي اللَّوَاتِي صَحِبْتُها في سَرايَا
ورُحْتُ أُلقي عليْهِ تَبتُّلِي وهُدَايَا
فصِرتُ قبرًا غرِيبًا تَناهَشتْهُ المَنَايَا
زَقُّوا عَلَيْهِ غُصُونًا مُنَضَّرَاتٍ صبَايَا
وحَمَّلُوهُ طُيورًا لقَّنتُهَا من غِنَايَا
وصِرْتُ بَعْضَ صَلاةٍ تَضُمُّ بَعْضَ الخَطَايَا
وتَوْبَةً في خُطَاهَا تَمْشِي الذُّنُوبُ عَرَايَا
كَأنَّهَا مِنْ عَذَابٍ للإِثْمِ صَارَتْ مَطَايَا
أَوْ أَنَّهَا مِنْ رِيَاءٍ أضحتْ لدَيْهِ مَرَايَا
ذَهبْتُ يَومًا ونَفسي جَريحةٌ تتعَايَا
ولِلْمعاصِي عُوَاءٌ مُدَمْدِمٌ في الحَنَايَا
كأنَّه صوتُ ذِئبٍ تغافَلْتهُ الْعَشَايَا
أو فَحُّ أَفْعَىٰ شَوَتْهَا مِنَ الهجِيرِ شَظَايَا
أَو نَوْحُ ثَكْلَى أَهَاجَتْ لها القُبورُ خفَايَا

أَو وَخْزَةٌ مِنْ ضَمِيرٍ لِلْعَارِ فيهِ بَقَايَا
أَو صَرخةٌ مِنْ يَتِيمٍ تلَقَّفتْهُ الرَّزَايَا
حَمَلْتُهَا وَكَأنِّي حَمَلْتُ هَوْلَ المنَايَا
وَجِئْتُ نَدْمانَ أُزْجِي إلَى المَتَابِ خطَايَا
حَيْرَانَ ضَلَّ أَمَامِي وضَلَّ خَلْفِي ورَايَا
وضَلَّ أُفْقي وضَجَّتْ أَرْضِي لَهُ وسَمَايَا
أَبْكي وتَبْكي ويَبْكي دَمْعي ويَبْكي بُكَايَا
وفي يَدَيَّ غِنَاءٌ مُولْوِلٌ مِن أَسَايَا
وحِفْنَةٌ من دُعَاءٍ غرفْتهُ من دِمَايَا
مُهَمْهِمٌ في صبَاحِي مُزَمْزِمٌ في مَسَايَا
كأنَّه صوتُ رُؤْيَا سَجِينةٍ في الخفَايَا
أو حُزْنُ طَيرٍ غَرِيبٍ في اللَّيْلِ يَنْفُخُ نَايَا
أَو مُسْتَجِيرٌ تُلَبِّي صَداهُ نَفْسُ الرَّزَايَا
أَو مُسْتغيثٌ علَيْهِ يَردُّ صَوْتُ البَلاَيَا
أو ضارعٌ في زَوَالٍ دُعَاؤُهُ مِنْ دُعَايَا
يَقُولُ: يا ربِّ هَذَا إثْمِي وهذِي تُقَايَا
وذاكَ دَرْبي وهَذِي عَلَى الطَّرِيقِ عَصَايَا
ما كنتُ أعْمَى ولكِنْ أَعْمَى المُغَنِّي شَجَايَا
دقَّ الدُّفُوفَ فطَارَتْ إلَيهِ دُنْيَا هَوَايَا

وطِـرْتُ عـبْـدًا أُنـادِي   فِي سِـحْـرِهِ مُـشْـتَـهَـايَـا
رَبَّـاه عَـفْـوَكَ إِنِّـي   لِـلـنُّـورِ مُـدَّتْ يَـدَايَـا
نَـزَعْـتُ أَسْـرارَ قَـلْـبِـي   وجِـئـتُ أُلْـقِـي أَسَـايَـا
وأَشْـتـكِـي طَـيَّ صَـدْرِي   دَرْبًـا سَـحِـيـقَ الـطَّـوَايَـا
بِـهِ بَـدَأْتُ ولَـكِـنْ   لَمْ أَدْرِ مَـا مُـنْـتَـهَـايَـا
لم أدْرِ يـأْسِـيَ فِيهِ   ولَا عَـرَفْـتُ هُـدَايَـا
وَلَا عَـرَفْـتُ ظَـلَامِـي   وَلَا عَـرَفْـتُ ضُـحَـايَـا
ولا لِـغَـيْـرِكَ دَوَّى   يـا رَبِّ يـومًـا نِـدَايَـا
إلـيْـكَ.. أَنـتَ صَـبَـاحِـي   مُـصَـفَّـدٌ فِي مَـسَـايَـا
عَبْدانِ في الشَّوْقِ تَاهَا   وتُـهْـتُـهَـا بِـالخَطَـايَـا
فَـاسْـكُـبْ ضِـيَـاءَكَ إِنِّـي   ظَـمْـآنُ ضَـلَّ صَـدَايَـا
لَمْ أَدْرِ مِـنْ أَيِّ نَـبْـعٍ   أَسْـقِـي جَـنِـينَ الـرَّكَـايَـا
وَالـشَّـطُّ لا مَـاءَ فِيهِ   يُطْفِي اللَّظَى فِي حَشَايَا
رُحْـمَـاكَ يـاربِّ إِنِّـي   وَزَوْرَقِـي والخَطَـايَـا
فِي لُجَّةٍ لَـيْـسَ فِيهَـا   مِـنَ الـضِّـيَـاءِ بَـقَـايَـا
جـفَّـتْ وغَـاضَـتْ ولَـكِـنْ   مـا زِلْـتُ أُزْجِـي رَجَـايَـا
غَـفَـرْتَ أَمْ لَمْ.. فَـإِنِّـي   ما زِلْتُ أدْعُوكَ يَا.. يَا
* يَـــا رَبُّ !!(١)

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ص١٤١١.

تَاهَتْ فِي الْعَبِيرِ(١)

محمود حسن إسماعيل

رَبِّ سُبْحَانَكَ دومًا يا إِلَهِي
نَغْمَةٌ تسْرِي بِقَلْبِي وشِفَاهِي

* * * * *

كُلَّمَا غرَّدَ طيرٌ فِي خميلَهْ
وصفتْ لِلحُبِّ دُنيَاهُ الجمِيلَهْ

* * * * *

وتهادَى الْعِطْرُ فِي الرَّبْـ ـوَةِ من دَرْبٍ لـدَرْبِ
عَاشقًا يبحَثُ فِي البُسْـ ـتَانِ عَنْ قَلْبٍ وحُبِّ

* * * * *

نَسِيَ العِطْرُ خُطَاهُ وَخَبَا شدْوُ الطُّيُورِ
ونهلْتُ السِّحرَ والإِيـ ـمَانَ مِنْ صَمْتِ الزُّهُورِ

* * * * *

وَرَأَيتُ الحُبَّ يَنْسَا بُ دُعاءً من شِفَاهِي
وغِنَاءً مِنْ صَفَاءِ الرُّوحِ يَجْرِي يَا إِلَهِي

* * * * *

(١) من ديوان «قاب قوسين» لمحمود حسن إسماعيل.

كُلَّمَا قَبَّلَ ضَوْءُ الشَّمْسِ زَهْرَةْ
وانحنَى الغُصْنُ لَهَا ينقُلُ سِرَّهْ

* * * * *

لاحَ لي نورُكَ في كلِّ شُعَاعٍ يَتَجَلَّى
يَمْلأُ الأَيَّامَ عِطرًا وأناشِيدَ وظِلَّا
ساقِيَ الإيمَانِ منْ نُورِكَ طُفْ بالكَأْسِ وامْلا

* * * * *

واسْقِنِي واشرَبْ.. وَلَا تَحْـرِمْ من النُّورِ شِفَاهِي
فَأُغَنِّي.. ربِّ سُبْحَانَكَ دوْمًا يا إلَهِي

* * * * *

كُلَّمَا أشْرَقَ بالإيمَانِ صَدْرِي
وَهَمَتْ أشواقُهُ الكُبْرَى بثغْرِي

* * * * *

ثمِلَتْ رُوحِي مِنَ الحُبِّ ولاذَتْ عِنْدَ بَابِكْ
ورنَا قلْبِي فشَاهَدْتُ السَّنَا خلْفَ حِجابِكْ

* * * * *

قُوَّتِي مِنْكَ ومِنْهَا تَنْهَلُ الحمْدَ شِفَاهِي

وَتُغَنِّي الرُّوحُ تَسْبِيـ ـحًا وَشُكْرًا يا إلَهِي

* * * * *

إنْ يكُنْ ذَنْبِي تَوَارَى عَنْ ضَمِيرِي

وخُطَا التَّوْبَةِ تَاهَتْ فِي الْمَسِيرِ

* * * * *

فأنَا فِي كُلِّ خَطْوِي لكَ حَمْدٌ ومتَابُ

وحنينٌ ردَّدْتهُ حَولَ أيَّامِي الشِّعَابُ

* * * * *

فاسْكُبِ النُّور لِقَلْبِي وارْوِ بالسِّحْرِ شِفَاهِي

فأُغَنِّي ربِّ سبحَا نَكَ دوْمًا يَا إلَهِي

* * * * *

الْمُلْكُ لِلَّهِ

❑ [بِجَنْبَيَّ طَيْرٌ غَرِيبُ الْجَنَاحِ] لمحمود حسن إسماعيل

عَلَى الأَرْضِ نُورٌ.. وفي الأُفْقِ نورٌ..
وَفِي كُلِّ قَلْبٍ شُعَاعٌ يَدُورْ
وَلَحْنٌ يُسَبِّحُ طَيَّ الصُّدُورْ
ويستغِفُر ٱللَّهَ مِنْ كُلِّ ذَنْبِ
ويدْعُوكَ يا رَبِّ أَنْتَ الْمُلَبِّي
وَلَبَّيْكَ.. أنتَ الرَّحِيمُ الْغَفُورْ..

* * * * *

إلهي... تَبَارَكْتَ ربَّ السَّمَاءْ
مَعَ اللَّيلِ تَبْعَثُ فَجرَ الضِّيَاءْ
وتَفْتَحُ لِلْيَأْسِ بَابَ الرَّجاءْ
وما خَابَ مَنْ ظَلَّلَتْهُ يَداكْ
ولا ضَلَّ في خَطْوِهِ مَنْ دعاكْ
فَأَنْتَ السَّميعُ بِهَمْسِ الدُّعاءْ..

* * * * *

لكَ المُلْكُ والحَمْدُ.. أنتَ النَّصيرْ
وأنــتَ الأَمــانُ لمن يَـسْـتَـجِـيـرْ
وأَنتَ لِمَنْ قالَ: يا ربِّ.. نُوْر..
يَــرُدُّ الــسَّــكِـينةَ لِـلْـحـائـريـنْ
ويَـسْـكـبُ لِـلـرُّوحِ نُـورَ الـيَـقِـينْ
ويَمْحُو الأسَى مِنْ ظَلامِ الصُّدورْ..

* * * * *

إلـهي دعَـوْتُـكَ! فـاقْـبَـلْ دُعـائِـي
وناديتُ يا ربُّ.. فاسَمعْ نِدائي
وَمَن غيْرُ بَابِكَ يُحْيِي رَجائي؟
فأمضي إِلَى النُّورِ خَلْفَ الحِجابِ
صَـلاةً تُـغَـنِّـي بِـقُـدسِ الـضِّـيَـاءِ

* * * * *

بِـجَـنْـبَـيَّ طَـيـرٌ غَـريـبُ الجَنَـاحِ
يُغَنِّي، وتُـصْـغِي إِلـيـه جِـراحِـي

ويَبْسطُ كَفَّيْه عِنْدَ الصَّباحِ:
إلـٰهي! أعِنِّي، وبَارِكْ صَلاتي
وبِالعفُوِ طَهِّرْ خُطا، مَعْصِياتِي
ويا ربُّ بالنُّورِ سَاعِدْ جنَاحِي

* * * * *

إلَـٰهِي ومَا لي دعَاءٌ سِوَاكَا
ولا لي مَعَ الصُّبْحِ إلَّا ضِياكَا
ولا عَونَ لِلرُّوحِ إلَّا يَداكَا
إذا رَفْرَفَتْ كُنْتَ فيها الدُّعَاءْ
وإنْ هَتَفَتْ كُنْتَ نُورَ الرَّجَاءْ
فما لِي، ولا لِي، مُجِيرٌ عَدَاكَا!!(١)

* * * * *

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ٤/١٧٧٥ - ١٧٧٧.

الحَمْدُ لِلَّهِ

يَـا رَبَّـنـا لَـكَ الـصَّـلَاةْ
والحَمْـدُ مـن كُـلِّ الحيَـاةْ

* * * * *

مِنْ زَهْرةٍ عَلَى الغُصُونْ لَـهْـفَـانـةٍ إِلَـى نَـدَاكْ
مِنْ دَمْعَةٍ عَلَى الجُفُونْ ظَـمْـآنـةٍ إِلَـى رِضَـاكْ
مِنْ بَسْمَةٍ عَلَى العُيُونْ وَلْـهَـانَـةٍ إِلَـى ضِـيَـاكْ

* * * * *

مِنْ تـائـبٍ إِلَـى حِـمـا كَ هَـلَّـلَـتْ خُـطَـاهْ
مِـنْ ضَـارِعٍ إِلَـى عُـلا كَ كَـبَّـرتْ يَـدَاهْ

* * * * *

«يَـا رَبَّـنـا لَـكَ الـصَّـلَاةْ»
«والحَمْـدُ مـن كُـلِّ الحيَـاةْ»

* * * * *

يَـا رحـمـةً لِـلـتَّـائِـبِـيْنْ لِلعَفوِ لا نَرْجُو سِواكْ
يـا مَـوْئـلًا لِـلـحَـائِـرِيـنْ طـوبَـى لِمَن يَلْقَى هُدَاكْ
يـا غَـوْثَ كُـلِّ الـعـالَمِيْنْ حـمْـدًا لما تُـعْـطِي يَـداكْ
بِكُلِّ ما تَحْيَا الحياةُ نَعْبُدُكْ

وكُلُّ ما فوْقَ الثَّرَى يُوحِّدُكْ
وكُلُّنَا نَدْعُوكَ يَا ربَّاهْ
يا ربَّنا لكَ الصَّلاةْ
والحَمْدُ مِنْ كُلِّ الحياةْ!(١)

* * * * *

سُبْحَانَ اللَّهِ

رَبِّ سُبْحانَكَ فِي أَعْلَىٰ عُلاكْ
كُلَّما ندعوكَ.. تُعْطِينَا يَدَاكْ

* * * * *

خَيَّمَ اللَّيْلُ، فَنَادَيتُ.. إِلَهِي
فَإِذَا الكَوْنُ ضِيَاءْ
وَجَرَى الدَّمْعُ فنَادَيْتُ.. إِلَهِي
فإِذَا الدُّنيا صَفَاءْ
والرِّضَا يَغْمُرُ قَلْبِي وشِفاهِي

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل جـ٤/١٧٧٩ - ١٧٨١.

وتُنـاجِـينِي السَّـمَـاءْ
«ربِّ سُبْحَانَكَ فِي أعْلَى عُلاكْ»
«كُلَّمَا نَدْعُوكَ تُعْطِينَا يَدَاكْ»

* * * * *

كُلَّمَا تُشْرِقُ شمسٌ أو تَغيبْ
يَمْلأُ الْقَلْبَ ضِيَاكْ
وإذا ضاقَتْ مِنَ الْيَأْسِ الْقُلُوبْ
يَغْمُرُ الرُّوحَ هُداكْ
وإذا ملَّتْ مِنَ الْعَفْوِ الذُّنُوبْ
صَافَحَ النَّفْسَ رِضاكْ
«ربِّ سُبْحَانَكَ فِي أعْلَى عُلاكْ»
«كُلَّمَا نَدْعُوكَ.. تُعْطِينَا يَدَاكْ»(١)

* * * * *

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ٤/١٧٨٣ ـ ١٧٨٤.

يرحم الله محمود حسن إسماعيل حيث يقول:

أُرِيدُ لِقَاءَ ٱللَّهِ... لا لِمَتَابَةِ
فَفِي كُلِّ سِرٍّ مِنْهُ تَسْكُنُ تَوْبَتِي
أُرِيدُ لقَاءَ اللهِ... دَعْوةُ حَائِرٍ
تلاشَتْ خُطَاهُ عِنْدَ بابِ الحقيقَةِ
أُرِيدُ لِقاءَ اللَّهِ.. تَضْرَعُ راحَتِي
ويَضْرَعُ طَيْرٌ مُؤمِنٌ فِي سَرِيرَتِي
وَتَضْرَعُ أيَّامِي كَأَنَّ دُرُوبَهَا
بَسَاتِينُ، لَمْ تُمْرِعْ بِغَيْرِ الخَطِيئَةِ
إِلَهِي.. وأَنْتَ النُّورُ لَمْ يَخْبُ مَرَّةً
سَنَاهُ، إذا أعْشَى الضِّيَاءُ بَصِيرَتِي
أَعِنِّي عَلَى هَذا السّتَارِ.. فَإِنَّنِي
عَجَزْتُ، وَلَمْ تهْدَأْ براكِينُ حِيرَتِي(١)

* * * * *

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل جـ٢/١١٦٣ ـ ١١٦٤. من قصيدة «الوجه المسدود».

رَبِّ إن شِئْتَ فالفَضَاءُ مَضِيقٌ

رَبِّ إن شِئْتَ فالفَضَاءُ مَضِيقٌ   وإذا شِئْتَ فالْمَضِيقُ فضَاءُ
أنتَ أُنْسٌ لنا إِذَا بَعُدَ الأنْـ   ـسُ وأنتَ الحَيَاةُ والأحْيَاءُ
يتولَّى البِحَارَ مَهْمَا ادْلَهَمَّتْ   مِنْكَ فِي كُلِّ جَانِبٍ لَأْلَاءُ
فإذا رَاعَهَا جَلَالُكَ خَرَّتْ   هيبَةً فَهْيَ والبِسَاطُ سَوَاءُ(١)

* * * * *

وقال الفخر الرازي:

إليْكَ إلَهَ الخلْقِ وجْهِي وَوِجْهَتِي   وأنتَ الَّذي أَدْعُوهُ فِي السِّرِّ والجهْرِ
وأنتَ غِياثِي عنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ   وأنْتَ مَلاذِي فِي حيَاتِي وفِي قَبْرِي

* * * * *

إِلَيْك دُعَائِي خُفْيَةً وَتَضَرُّعَا

قال أحمد مظهر العظمة:

إِلَيْكَ دُعَائِي خُفْيَةً وتضَرُّعًا   وَحَوْلِي قُلُوبُ الكَوْنِ نَشْوَى تَضَرَّعُ
يناجِيكَ كُلٌّ خاشعًا متوَاضِعًا   وأنتَ إِلَى كُلِّ القلُوبِ تَسَمَّعُ
ورعْدٌ رَهِيبٌ قاصِفٌ ومُهَدِّدٌ   وريحٌ غَضُوبٌ عاصِفٌ ومُزَعْزِعُ

---

(١) لأحمد شوقي ـ الشوقيات ١/١٧.

ومَوجٌ تَعَالَى مُنشِدًا ومُصَفِّقًا وشَمسٌ تُوالِي لا تَكِلُّ وتَهْلَعُ
فكُلُّ صَغِيرٍ أَوْ كبِيرٍ مُسَبِّحٌ بِتَكْوِينِهِ لِلَّهِ، والعِلْمُ يخْضَعُ
دَقائِقُ مِنْ صُنْعِ الإِلَهِ كأَنَّهَا مَرايَا جَلالٍ بِالْبَدَائِعِ لُمَّعُ
فسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ مَجْدُكَ جامِعٌ وأَنْتَ لِكُلِّ الضَّارِعِينَ الْمَفْزَعُ(١)

* * * * *

● وقال البارودي:

لكَ الحَمْدُ، إِنَّ الْخَيْرَ مِنْكَ، وإِنَّني لِصُنْعِكَ يا ربَّ السَّمَاوَاتِ شَاكِرُ
فأَنْتَ الَّذِي أَوْلَيْتَنِي كُلَّ نِعْمَةٍ وهَذَّبْتَنِي حتَّى اصْطَفَتْنِي الْعَشَائِرُ
فَقَرِّبْ لِيَ الخيرَ الَّذِي أَنَا رَاغِبٌ وبَاعِدْنِيَ الشَّرَّ الَّذِي أنا حَاذِرُ
فليسَ لِمَنْ تُقْصِيهِ فِي ٱلنَّاسِ نافعٌ ولَيْسَ لِمَنْ تُدْنيهِ فِي ٱلنَّاسِ ضَائِرُ
ولا لِامرىءٍ أَلْهَمْتَهُ الرُّشْدَ خاذِلٌ ولا لِامرىءٍ أوردْتَهُ الغَيَّ ناصِرُ(٢)

* * * * *

● وقال عمر الأميري:

فَجِّرِ اللَّهُمَّ فِي عَزْ مِيَ مِنْ نُورِكَ نُورَا
واصْطَنِعْنِي، لِغَدِ الإِنْـ ـسَانِ، فِي الآفَاقِ صُورَا
حاكمًا عَدلًا، بِهَدْيِ اللَّـ ـهِ، صَبَّارًا شَكُورَا

---

(١) رقائق الشعر ص١٨.
(٢) الديوان ٢/١٢٥.

أَنَا يَاأَللَّهُ مِنْ رُو حِكَ رُوحٌ لَنْ يَحُورَا
فَأَنَا لِلْحَقِّ كَالْبُرْ كَانِ لَا يَتْرُكُ زُورَا
وعَلَى البَاطِلِ كالْبُرْ كان ويلًا وثُبُورَا
أنا جُنْدِيُّك فابعثني لأقتَادَ الدُّهورَا
وأقم حولِيَ من سرّ مقاديرك سورا[1]

* * * *

عَلَى الوَرى لَكْ فَضْلُ

قال عبد الرضا بن عبد الصمد:

عَلَى الوَرى لَكَ فَضْلُ وجُودكَ الغَمْرُ جَزْلُ
عَلَيْكَ يا ربُّ نُثْنِي بما لَهُ أَنْتَ أَهْلُ
يا مَنْ تَقَدَّس شأنًا عَنْ أَنْ يُدانِيه مِثْلُ
طُوبَى لِمَنْ حازَ قُربًا ونَالَهُ مِنْكَ وَصْلُ
وأَنْفَقَ العُمْرَ فيما لَهُ بِهِ الشَّأنُ يَغْلُو
قَومٌ لَهُمْ بِكِ شُغْلٌ ولا لَهُمْ عَنْكَ شُغْلُ
بابَ الرِّضا لازموه طَوْعًا فَعَزُّوا وجَلُّوا
وطاولوا السَّبعَ فَخْرًا وفي ذُرى العِزِّ حَلُّوا

(١) ملحمة الجهاد، ص٥٤.

يا لَيتَني كُنتُ مَعْهُمْ فَأيْنَ حَلُّوا أَحُلُّ
يا رَبُّ إن جَلَّ ذَنْبِي فالعَفْوُ مِنْكَ أَجَلُّ
وإنَّ غُفرانَ حَوْبِي عَلَيْكَ يا رَبُّ سَهْلُ(١)

* * * * *

وقال عمر بهاء الأميري في ديوانه القيِّم «مع اللَّه» ص٤٦:

غَمَرَتْنِي نَعْمَاؤه وتَبدَّتْ لِضَميري في قَلْبِ أُنْسِي وبُؤْسِي
وَتَجَلَّتْ آلاؤه فِي حَياتي واطْمأنَّتْ في كُنْهِ عَقْلي وحِسِّي
أَتَلَقَّى سَراءَهُ فِي صَباحي وأُوقَّى ضَرَّاءه حِينَ أُمْسِي
وأراني أَسْمُو بِسَعْيِي ووَعْيِي عَنْ جَزاءٍ مِنْ مَعْدِنِ الأَرْضِ بَخْسِ
حَسْبُ نَفْسي مِنَ الجَزاء شُعُورِي أَنَّني فِي الإِلَه أَبْذُلُ نَفْسِي

* * * * *

(١) سلافة العصر ص٥٢١.

مُنَّ لي بسِتار

قَدَّمتُ بَيْنَ يَديَّ نَفْسًا أَذْنَبَتْ   وأَتيتُ بَينَ الخَوفِ والإِقْرارِ
وَجَعَلْتُ أَسْتُرُ عَنْ سِواكَ ذُنُوبَهَا   حَتَّى عَييتُ فمُنَّ لي بِسِتار

* * * * *

● **قال أبو نواس:**

أيا مَنْ لَيسَ لي مِنْهُ مُجِيرُ   بِعَفْوكَ مِنْ عَذَابِكَ أَسْتَجِيرُ
أنا العَبْدُ المُقِرُّ بِكُلِّ ذَنْبٍ   وأَنْتَ السَّيِّدُ المولَى الغَفُورُ
فَإِنْ عَذَّبْتَني فَبِسُوءِ فِعْلِي   وإِنْ تَغْفِر فَأنتَ بِهِ جَدِيرُ
أَفِرُّ إِليكَ مِنْكَ وأَيْنَ إِلَّا   يَفِرُّ إِليكَ مِنْكَ المُسْتَجِيرُ(١)

* * * *

(١) الديوان ص١٩٩.

تبارَكَ ذُو الجلالِ وذو المحالِ

وقال يحيى بن معاذ ـ رحمه الله:

تبارَكَ ذُو الجلالِ وذو المحالِ   عَزِيزُ الشَّأْنِ مَحْمُودُ الفِعَالِ
فيا ذَا العِزِّ! يا ذا الجُودِ! جُدْلِي   وغيِّرْ ما ترَى من سُوءِ حالِي(١)

* * * * *

أنا إنْ تُبتُ مَنَّانِي   وإن أَذْنَبتُ رجَّانِي
وإنْ أَدبَرْتُ نادَانِي   وإنْ أَقْبَلْتُ أَدْنَانِي
وَإنْ أَحْبَبْتُ والاَنِي   وَإنْ أَخْلَصْتُ ناجَانِي
وإنْ قَصَّرْتُ عافَانِي   وإن أَحْسَنْتُ جَازَانِي
حَبيبِي أنْتَ رَحْمَانِي   ألا اصْرِفْ عنِّ أَحْزَانِي
إليْكَ الشَّوْقُ مِنْ قَلْبِي   عَلَى سِرِّي وإعْلاَنِي
فيَا أَكْرَمَ مَنْ يُرْجَى   وأَنْتَ قَدِيمُ إحْسَانِ
وما كُنتَ عَلَى هَذَا   ـ إلَهَ النَّاسِ ـ تنْسَانِي
لدَى الدُّنْيا وفي العُقْبَى   عَلَى ما كَانَ مِنْ شَانِي(٢)

* * * * *

(١) الحلية، (١٠/٣٦).
(٢) الحلية، (١٠/٦٢).

يا أرْحَمَ الرُّحَمَاءِ مَا لِي حِيلَةٌ

وقال محمد الحامد:

يا أرْحَمَ الرُّحَمَاءِ مَا لِي حِيلَةٌ إلَّا الرُّجُوعُ إلِيْكَ يَا ربَّاهُ
أنا قَدْ أسَأْتُ، وأنتَ ربٌّ غافِرٌ غَوْثَاهُ مِمَّا قد عَرَا غَوْثَاهُ
يَا سيِّدِي يا مَنْ إليهِ شِكَايَتِي أَوَّاهُ مِمَّا نابَنِي أوَّاهُ
أَدْرِكْ بلُطْفِكَ نادِمًا ذَا حَسْرَةٍ مُسْتَغْفِرًا مِمَّا جَنَتْهُ يَدَاهُ
ما لِلضَّعِيفِ إذا أَلَمَّتْ كُرْبَةٌ إلَّا الدُّعَاءُ: اللَّهُ يَاأَللَّهُ
يا رَبُّ نفِّسْ عَنْ عُبَيْدِكَ كُرْبَةً وأَرِحْهُ مِمَّا قَدْ عَنَا وَدَهَاهُ(١)

● قال أيضًا:

تَاللَّهِ بابُ العَفْوِ بابٌ وَاسِعٌ هو لِلأُلَى عكَفُوا عَلَى الأوْزَارِ
وبرَحْمَةِ الغَفَّارِ أطْمَعُ أَنْ أُرَى أَبدًا بَعِيدًا مِنْ عَذَابِ النَّارِ
يَا ربِّ إنَّ الذَّنْبَ أثقَلَ كَاهِلِي وغَدَوْتُ محسُوبًا منَ الأَشْرَارِ
بَدِّلْ بِفَضْلِكَ حالَتِي وإسَاءَتِي حَتَّى أُضَافَ لِزُمْرَةِ الأَخْيَارِ
يا قَلْبُ حُلَّ عَزِيمَةَ الإصْرَارِ والْجَأْ إِلَى الرَّبِّ الكَرِيمِ الْبَارِي
فَعَسَاهُ يَرْحَمُ مُثْقلًا بقُيودِهِ ويُحِلُّهُ أمنًا وحُسْنَ جِوَارِ(٢)

(١) مجلة حضارة الإسلام، العدد: ٣ ص ٨٣، من السنة العاشرة، من جمادى الأولى سنة ١٣٨٩هـ.
(٢) المرجع السابق.

وقال أحمد مظهر العظمة:

وَعَدْتَ إِلَهِي مَنْ دَعَاكَ تَفَضُّلًا فكُنْ لي مُعِينًا بالكِتَابِ المُنَزَّلِ
لكَ المُلْكُ والسُّلطَانُ والعَفْوُ والهُدَى فهَبْ ليَ عَفْوًا يا رَجَائِي ومَوْئِلِي
ومثْوَايَ أَكْرِمْ يوْمَ حَشْرٍ وكُرْبَةٍ بفِرْدَوْسِ إكرَامٍ وقُرْبِ مُؤمَّلِ
ورُدَّ شعُوبَ المُسْلِمِينَ برَحْمَةٍ إِليْكَ وهبْهُمْ ثَوْبَ مَجْدٍ مُؤَثَّلِ
فَقَدْ غفَلُوا عَنْ شِرْعةٍ ذَاتِ عِزَّةٍ ونُورٍ وعاشُوا فِي ظَلامٍ مُضَلِّلِ
وليسَ لَهُمْ إِلَّا نَدَاكَ ليرْجِعُوا هُداةَ المَعَالي كالزَّمانِ الأوَّلِ(١)

* * * * *

يا واحِدًا صَمَدًا بِغَيْرِ قَرِينِ

يا واحِدًا صَمَدًا بِغَيْرِ قَرِينِ ارْحَمْ ضَرَاعَةَ عَبْدِكَ المسْكِينِ
واعطِفْ عَلَيَّ إِذَا وقَفْتُ مُرَوَّعًا حَيرَانَ بينَ يدَيْكَ يوْمَ الدِّينِ
يا حَسْرَتَا بَينَ العِبَادِ إذا هُمُو خافُوا الحِسَابَ فخَفَّ عَنْهُمْ دُونِي
لا حِيلَةٌ عِنْدِي وَلَا لِي مَوْئِلٌ إِنْ خانَنِي طَمَعِي وحُسْنُ ظُنُونِي
يا رَبِّ لا تَتْرُكْ عُبَيْدَكَ هالِكًا وارحَمْ بِفَضْلِكَ عَبْرَتِي وشُئُونِي(٢)

* * * * *

(١) من ديوان «نفحات» لعبد الوهاب عزام.
(٢) بستان الواعظين، (٤٨).

يَا مُنْتَهَى أَمَلِي

● قال ابن الرومي يصف عابدًا:

بَاتَ يدْعُو الواحِدَ الصَّمَدَا ... في ظَلامِ اللَّيْلِ مُنْفَرِدَا
خادمٌ لم تُبْقِ خِدْمَتُهُ ... مِنْهُ لَا رُوحًا ولا جَسَدَا
قد جَفَتْ عَيْنَاهُ غَمْضَهُما ... والخليُّ القَلْبِ قَدْ رَقَدَا
في حَشَاهُ مِنْ مَخَافتِهِ ... حُرَقَاتٌ تَلْذَعُ الكَبِدَا
لو تَرَاهُ وهْوَ مُنْتَصِبٌ ... مُشْعِرٌ أَجْفَانَهُ السُّهدَا
كُلَّمَا مَرَّ الوَعِيدُ بِهِ ... سَحَّ دَمْعَ العَيْنِ فَاطَّرَدَا
وَوَهتْ أَرْكَانُهُ جَزَعًا ... وارتَقَتْ أَنْفَاسُهُ صُعُدَا
قائِلٌ: يا مُنْتَهَى أَمَلِي ... نَجِّنِي مِمَّا أَخَافُ غَدَا
أنا عبدٌ غرَّنِي أَمَلِي ... وكَأَنَّ المَوْتَ قَدْ وَرَدَا
وخَطِيئَاتِي الَّتي سَلَفَتْ ... لَسْتُ أُحْصِي بَعْضَهَا عَدَدَا
فَلِيَ الوَيْلُ الطَّوِيلُ غَدَا ... لَيتَ عُمْرِي قبْلَهَا نَفِدَا
وَيْحَ عَيْنِي سَاءَ ما نَظَرَتْ ... وَيْحَ قَلْبِي سَاءَ مَا اعْتَقَدَا
لَيْتَ عَيْنِي قَبْلَ نَظْرَتِهَا ... كُحِّلَتْ أجْفَانُهَا رَمَدَا
فإذَا مَرَّ الوَعِيدُ بِهِ ... كادَ يُفْنِي رُوحَهُ كَمَدَا
وإذا مرَّ الوُعُودُ بِهِ ... شَدَّ مِنْهُ القَلْبَ والعَضُدَا[1]

---

(١) ديوان ابن الرومي، (٢/٦٧٧، ٧٧٧).

إِلَيْكَ أَفِرُّ مِنْ زَلَلِي

● قال المقري:

إليكَ أَفِرُّ مِنْ زَلَلِي فِرارَ الخائِفِ الوَجِلِ
فَخُذْ بِيَدَيْ غَريقٍ في بِحارِ القَوْلِ والعَمَلِ
وَهَبْ لي مِنْكَ عَارِفَةً تُعَرِّفُ ما تَنَكَّرَ لِي
وتَهْدِيني إِلَى رَشَدي وتَمْنَعُني مِنَ الزَّلَلِ
وتَحْمِلُني عَلَى سَنَنٍ يُؤَمِّنُني مِنَ الوَجَلِ
فأنتَ دَليلُ مَنْ عَمِيتْ عَلَيْهِ مَسَالِكُ السُّبُلِ
عَلَى جَدْوَاكَ مُعْتَمِدِي فَأَنْقِذْني مِنَ الدَّخَلِ
وأَلْحِقْنِي بِجَنَّاتٍ لَدَى دَرَجاتِهَا الأُوَلِ
بِصِدِّيقٍ وفارُوقٍ وعُثْمانَ الرَّضِي وعَلِي
فأنتَ مَلاذُ مُعْتَصِمٍ وأنتَ عِمادُ مُتَّكِلِ[1]

* * * * * *

(١) نفح الطيب، (١/٦٥، ٧٥).

تَبَارَكْتَ رَبًّا هَادِيًا وَمُوَفِّقَا

قال محمد الناصر الصدام:

عَليْكَ اعْتِمَادِي في الْمُلِمَّاتِ، خالِقِي
فما لي سِوى رُحْمَاكَ عِنْدَ المضَايِقِ

فَكَمْ نِعَمٍ أولَيْتَنِي، ولطَفْتَ بِي
وكُنْتَ مجيرِي في الخُطُوبِ الطوَارِقِ

ويَسَّرْتَ لي أمْرِي وفرَّجْتَ كرْبَتِي
وكَمْ قدَمٍ لي صُنْتَها في المزَالِقِ

أَضِلُّ فتَهْدِينِي السَّبيلَ رِعَايةً
فإنَّكَ لا تخفى عَلَيْكَ حقَائِقِي

وأهفُو فتَعْفُو رَحمةً وتحنُّنًا
عَلَى مُذْنِبٍ قَدْ تابَ تَوْبَةَ صادِقِ

تَبارَكْتَ ربًّا هادِيًا ومُوَفِّقًا
لِمَنْ كان عَبْدًا مُخْلِصًا غيرَ آبِقِ

هوَ الْمُبْدِعُ البَارِي، له الأمْرُ كُلُّهُ
يُدبِّرُهُ في مَغْربٍ أو مَشَارِقِ

لِسُلْطَانِهِ تعْنُو الوُجُوهُ جلَالَةً
وخوفًا، ويُخْزَى كُلُّ عاصٍ وفَاسِقِ[1]

* * * * *

(١) ابتهالات، (١١).

يَا رَبِّ إِنِّي تَائِبٌ

● **قال العجلوني - وأبياته هذه تخميس لأبيات أبي نواس:**

يا ربِّ إنِّي تائبٌ لَكَ تَوْبَهْ   تمحُو بها ذَنْبِي وأرجُو رَحْمَهْ
فامننْ عَلَيَّ بهَا وأيْضًا رأْفَهْ   يا ربِّ إنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَهْ
فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأنَّ عَفْوَكَ أعْظَمُ

يا رَبِّ إنِّي سائِلٌ لَكَ مُوقِنُ   أنَّ النَّعِيمَ مَصِيرُ عَبْدٍ يُؤْمِنُ
حَقًّا وإنْ هُوَ بالخطَايَا يُعْلِنُ   إنْ كَانَ لا يرْجُوكَ إلَّا مُحْسِنُ
فمَنِ الَّذِي يدْعُو ويرْجُو المُجْرِمُ؟

يا ربِّ إنِّي قاصِدٌ لَكَ مُسْرِعَا   حتَّى أكُونَ ببابِ جُودِكَ مُشْرِعَا
ذَنْبِي فأرْجُو سِتْرَهُ مُتَضَرِّعَا   أدْعُوكَ ربِّ كمَا أمَرْتَ تضرُّعَا
فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فمَنْ ذَا يرحَمُ

يا ربِّ أنْتَ المُقْتَفَى والمُرْتَجَى   فِي كُلِّ أَمْرٍ نَبْتَغِيهِ ويُرْتَجَى
أنتَ الرَّحِيمُ وعفْوُ فَضْلِكَ مُرْتَجَى   ما لي إلَيْكَ وَسِيلَةٌ إلَّا الرَّجَا
وجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ أنِّي مُسْلِمُ

يا ربِّ فارْزُقْنِي حَياةً، عابِدَا   فيهَا لوَجْهِكَ، يا إلَهِي، زَاهِدَا

يا ربِّ قد أقْبَلْتُ نَحْوَكَ قاصِدًا حتَّى أكُونَ مُقَرَّبًا ومُشَاهِدَا
أرجُو بِمَنِّكَ أَنْ يَصِيرَ تَرَحُّمُ

في كُلِّ هَوْلٍ هائِلٍ يَوْمَ الوَغَى يا ربِّ فارحَمْنِي فأنْتَ المُبْتَغَى
يا ربِّ مَنْ يُقْصَدْ سِوَاكَ ويُبْتَغَى وجَميعِ أحْوَالِي، وسامِحْ مَنْ طَغَى
يَوْمًا يَشِيبُ الطِّفْلُ بَلْ والمُجْرِمُ

مِنْ قُبْحِ أَفْعالِي أنَا مُتَحَيِّرُ يا ربِّ إنِّي عاجِزٌ ومُقَصِّرُ
يا رَبِّ فارْحَمْ لا يَكُونُ تَكَدُّرُ أدعُو بِفَضْلِكَ أَنْ يكُونَ تَسَتُّرُ
في كُلِّ أحوَالِي فأَنْتَ المُنْعِمُ(١)

* * * * *

وَبِاسْمِكَ أَحْبَبْنَا نَبِيَّكَ أَحْمَدَا

جَلالُكَ يدْعُونِي إِلَى سَاحَةِ الهُدَى وفَيضُكَ يَهْدِينِي إِلَى مَنْبَعِ النَّدَا
وذِكْرُكَ نُورٌ فِي القلُوبِ ورَحْمَةٌ تَطِيبُ عَلَى الأَيَّامِ نَبْعًا ومَوْرِدَا
عَبَدْنَاكَ حُبًّا فِي الضَّمِيرِ وخَشْيَةً وَوَفَّقْتَنَا كَيمَا نُحِبَّ ونعْبُدَا
وباسْمِكَ صَلَّيْنَا وصُمْنَا هِدَايَةً وباسْمِكَ أَحْبَبْنَا نبِيَّكَ أحْمَدَا

* * * * *

(١) كشف الخفا، للعجلوني، (٢/٢٦).

● وقال آخر:

إنِّي وجَدْتُ الدَّهْرَ ليْلًا حالِكًا
فجَعَلْتُ حُبَّ اللَّهِ فِيهِ ضِيَائِي
غُفْرَانَكَ اللَّهُمَّ جِئْتُكَ نادِمًا
فهَبِ الطَّرِيقَ الحَقَّ في ظَلْمَائِي
إنْ كُنْتُ يومًا قَدْ عَصَيْتُكَ عامِدًا
فاجعَلْ جَمِيلَ الصَّفْحِ مِنْكَ جزَائِي

* * * * *

● وقال آخر:

مَولايَ جِئْتُكَ والذُّنُوبُ كَثِيرَةٌ   وطَمِعْتُ فِيكَ وأَنْتَ غَايَةُ مَقْصِدِي
ورَجَوْتُ مِنْكَ لُبَانَةً أَمْحُو بِهَا   فَحْوَى كِتَابٍ بالذُّنُوبِ مُسَوَّدِ
فأمِدَّنِي بِيَدٍ تطُولُ بها يَدِي   وصَنِيعَةٍ يُرْوَى بها قَلْبي الصَّدِي
واعْطِفْ بِزَادٍ بَعْدَ ذَاكَ مُبَلِّغٍ   وبِكُسْوَتَيْنِ لِمُنْشِئٍ ولِمُنْشِدِ
لِأَعُودَ منْكَ بِخَيْرِ ما أمَّلْتُهُ   مُتَروِيًّا مِنْ جُودِكَ المتروِّدِ

* * * * *

يا ربَّ هذا الكَوْنِ يَاأللهُ

● **قال يحيى حاج يحيى:**

يـا ربَّ هـذا الـكَـوْنِ يَـاألـلـهُ ... مَنْ ذَا دعَاكَ فمَا استَجبْتَ دُعَاهُ
اليَومَ جِئتُكَ حامِلًا لِخَطِيئَتِي ... فاغفِرْ لِعَبْدٍ ما جَنَتْهُ يَدَاهُ
ووَقَفْتُ فِي اللَّيْلِ البَهِيمِ مُنَادِيًا: ... أَلـلـهُ، يَـاألـلَّـهُ، يَـاألـلَّـهُ
إنْ كُنتُ مِمَّنْ سَارَ خَلْفَ جَهَالَةٍ ... فالعفوُ عنْدَكَ لا يَحِيدُ مَدَاهُ
يا ويْلَتِي والذَّنْبُ أثْقَلَ عاتِقِي ... فَبِأيِّ وَجْهٍ فِي غَدٍ ألْقَاهُ
إنِّي بَسَطْتُ يَدِي إلَيْكَ تضَرُّعًا ... أوَّاهُ مِمَّا قَدْ جَنَتْ أوَّاهُ
يا نَفْسُ ما هَذِي بِدَارِ إقَامَةٍ ... فحَذَارِ مِمَّنْ هَمُّهُ دُنْيَاهُ
يا مُغنِيًا هذَا الوُجودَ بِفَضْلِهِ ... حاشَا أشَكُّ بِجُودِهِ وغِنَاهُ
فاقْبَلْ - إلَهِي - تَوْبَةً مِنْ تائِبٍ ... واجْعَلْ كِتَابَ الحَقِّ فِي يُمْنَاهُ(١)

* * * * *

❑ **قال الصدام:**

يا رَبُّ إنْ ضَاقَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي ... فرجَاءُ عَفْوِكَ بَابُهُ لا يُوصَدُ
أُلطُفْ بِعَبْدِكَ فِي قَضَائِكَ إنَّنِي ... لَمْ يَبْقَ لي صَبْرٌ به أتَجَلَّدُ
فرِّجْ كُروبِي لَيْسَ لي أحَدٌ سِوى ... رَبِّي الَّذي أسْعَى إليْهِ وَأَحْفِدُ

---

(١) حضارة الإسلام، العدد الخامس، عدد رجب سنة ١٣٩٠هـ.

يا خَالِقِي يا رَازِقِي يا حافِظِي   إنِّي عُبَيْدُكَ، هل عُبَيْدُكَ يُطْرَدُ
فاللهَ أَشْهَدُ لا إلَهَ سِوَاهُ لِي   رَبًّا، ولا أرْجُو سِواهُ وأعْبُدُ(١)

* * * * *

هَبْ ذُنُوبِي لِتَوْحِيدِي

• قال أحمد بن زكريا اللغوي:

يَا ربِّ إنَّ ذُنُوبِي قدْ أحَطْتُ بِهَا
عِلْمًا، وبِي، وبِإعْلَانِي وإسْرَارِي
أنَا المُوَحِّدُ، لكِنِّي المقِرُّ بِهَا
فهَبْ ذُنُوبِي لتَوْحِيدِي وإقْرَارِي(٢)

* * * * *

(١) ابتهالات، (٩٢، ٩٣، ٩٥).
(٢) البداية والنهاية، (١١/٢٩٦).

يَا كَاشِفَ الضُّرِّ صَفْحًا عَنْ جَرَائِمِنَا

يَا كَاشِفَ الضُّرِّ صفْحًا عن جرائِمِنا لقد أحَاطَتْ بنَا - يا ربُّ - بَأْسَاءُ
نشْكُو إليْكَ خطُوبًا، لا نُطِيقُ لَهَا حملًا، ونَحْنُ بها حقًّا أحِقَّاءُ
زَلَازِلٌ تخشَعُ الصُّمُّ الصِّلَابُ لها وكيْفَ يقْوَى عَلَى الزِّلْزَالِ شَمَّاءُ
فباسْمِكَ الأعْظَمِ المكْنُونِ إن عَظُمَتْ منا الذُّنُوبُ وسَاءَ القلْبَ أَسْوَاءُ
فاسمَعْ وهَبْ وتفَضَّلْ وامْحُ واعْفُ وَجُدْ وَاصْفَحْ، فَكُلٌّ لِفَرْطِ الجَهْلِ خَطَّاءُ
فقوْمُ يُونُسَ لمَّا آمنُوا كُشِفَ الْـ ـعَذَابُ عنْهُمْ، وعمَّ القوْمَ نعْمَاءُ
ونحنُ أمَّةُ هذَا المصْطَفَى ولَنَا مِنْهُ إِلَى عفْوِكَ المرجُوِّ دعَّاءُ
هَذَا الرسُولُ الذِي لَوْلَاهُ ما سُلِكَتْ محجَّةٌ فِي سبِيلِ الله بَيْضَاءُ
فارْحَمْ، وصَلِّ عَلَى المخْتَارِ ما خَطَبَتْ عَلَى عُلا منْبَرِ الأَوْرَاقِ وَرْقَاءُ[1]

* * * *

(١) البداية والنهاية، (١٣/١٩١).

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ

● قال ابن الأقليش المتوفى ٥٥١هـ:

أسيرُ الخَطَايَا عنْدَ بابِكَ واقِفُ　　له عَنْ طَرِيقِ الحَقِّ قَلْبٌ مُخَالِفُ
قَدِيمًا عَصَى عَمْدًا، وجَهْلًا، وغِرَّةً　　ولَمْ يَنْهَهُ قَلْبٌ مِنَ اللَّهِ خَائِفُ
ثَلاثُونَ عَامًا قَدْ تَوَلَّتْ كَأَنَّهَا　　حُلُومٌ تَقَضَّتْ أو بُرُوقٌ خَوَاطِفُ
وَجَاءَ المَشِيبُ المُنْذِرُ المَرْءَ أَنَّهُ　　إذا رَحَلَتْ عَنْهُ الشَّبِيبَةُ تَالِفُ
فجُدْ بالدُّمُوعِ الحُمْرِ حُزْنًا وحَسْرَةً　　فَدَمْعُكَ يُنْبِي أَنَّ قَلْبَكَ يَأْسَفُ(١)

* * * *

● ولله در القائل:

سَبِّحِي نَفْسِي وصَلِّي　　عِنْدَ سَطْرِ العَادِيَاتِ
فإذَا القَلْبُ تَنَزَّى　　مِنْ تَبَارِيحِ الحيَاةِ
رَقْرِقِي النَّفْسَ دُمُوعًا　　واسْكُبِيهَا فِي الصَّلَاةِ
فإلَهُ الْكَوْنِ يُصْغِي　　لِلنُّفُوسِ الْبَاكِيَاتِ

* * * *

(١) عصر المرابطين، (١/٤٦٨).

فطرت حياتي عَلَى الفقر لك

● **قال عبد الرحمن حبنكة:**

فَطَرْتُ حَياتِي عَلَى الفقْرِ لَكْ وفِكْرِي وقَلْبِي عَلَى العِلْمِ بِكْ
ونَفْسِي عَلَى حُبِّ ما قَدْ وَهبْتَ ورُوحِي عَلَى الأُنْسِ فِي حَضْرَتِكْ
لِـذَلِـكَ يـا ربُّ آمَـنْـتُ بِـكْ خُضُوعًا وحُبًّا وأسْلَمْتُ لَكْ
عَلَى رغْمِ أَنْفِ الجَحُودِ الكَنُو دِ آمنْتُ بِكْ ثُمَّ آمنْتُ بِكْ
رَضِيتُكَ ربًّا فأَذْلَلْتُ قَلْبًا ورُوحًا وَلُبًّا إلَى عِزَّتِكْ
وأخْضَعْتُ نَفْسِي وفِكْرِي وحِسِّي ووَجْهِي ورَأْسِي إلَى قُدْرَتِكْ
وسَلَّمْتُ أَمْرِي بِجَهْرِي وسِرِّي وخَيْرِي وشرِّي إلَى حِكْمَتِكْ
صَلَاتِي ونُسْكِي خُشُوعِي وحُبِّي خُضُوعِي وقُرْبِي إلَى حَضْرَتِكْ
ومَحْيَايَ رَبِّي وَغُفْرَانُ ذَنْبِي وَمَوْتِي وَبَعْثِي إلَى رَحْمَتِكْ
إلَـهِـي إلَـهِـي تَـبَـارَكْـتَ فِي عُـلَاكَ فـإنِّـيَ آمَـنْـتُ بِـكْ
إلَـهِـي إلَـهِـي تَـعَـالَـيْـتَ فِي سَنَاكَ فإنِّيَ أسْلَمْتُ لَكْ[1]

* * * * *

(١) آمنت بالله، (٧، ٨).

إِلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ وَجَّهْتُ وِجْهَتِي

● **قال محمد الناصر الصدام:**

إِلَيْكَ إِلَهَ العرْشِ وَجَّهْتُ وِجْهَتِي ... فأنتَ غِيَاثِي فِي حَيَاتِي وعُمْدَتِي
فَإِنْ لمْ تُؤيِّدْنِي بِنَصْرٍ فَلَيْسَ لِي ... سِوَاكَ إِلهٌ أَرْتَجِيهِ لِنُصْرَتِي
وإِنْ يَكُ ذَنْبٌ تُبْتُ مِنْهُ يَعُوقُنِي ... فيا شُؤْمَ أَيَّامِي ويَا طُولَ حسْرَتِي
وإِحْسَانُ رَبِّي فَوْقَ ما الْعَقْلُ مُدْرِكٌ ... ورَحْمَةُ رَبِّي لا تُقَاسُ بِرَحْمَةِ
وإنِّي لأَرْجُو عَفْوَ رَبِّي وصَفْحَهُ ... ورَبِّيَ لا تَخْفَى عَلَيْهِ سَرِيرَتِي
وما المَوْتُ إِلَّا الجِسْرُ بَيْنَ حياتِنَا ... وَبَيْنَ حَيَاةِ الخُلْدِ أَسْعَدِ عِيشَةِ
صِراطٌ كَحدِّ السَّيْفِ صَعْبٌ عُبُورُهُ ... بِهِ السَّابِقُ النَّاجِي يَمُرُّ كَوَمْضَةِ
فإمَّا شَقَاءٌ لا سَعَادَةَ بَعْدَهُ ... وإمَّا نَعِيمٌ لا يُشَابُ بِشقْوَةِ

* * * * *

● **قال ابن دقيق العيد ـ رحمه الله ـ:**

عَطِيَّتُهُ إذا أعْطَى سُرُورٌ ... فإنْ سلبَ الَّذِي أعْطَى أَثَابَا
فَأيُّ النِّعْمَتَيْنِ أعُدُّ فَضْلًا ... وأحْمَدُ عِنْدَ عُقْبَاهَا إِيَابَا
أنِعْمَتَهُ الَّتِي كانَتْ سُرُورًا ... أمِ الأُخْرَى الَّتِي جَلَبَتْ ثَوَابَا

* * * * *

● وقــال:

أُفَكِّرُ في حَالِي وقُرْبِ مَنِيَّتِي ... وسَيْرِي حَثِيثًا فِي مَصِيرِي إِلَى الْقَبْرِ
فيُنْشِئُ لي فِكْرِي سَحائِبَ لِلأَسَى ... تَسِحُّ هُمُومًا دُونَهَا وَابِلُ القَطْرِ
إِلَى اللَّهِ أشْكُو مِنْ وُجُودِي فَإِنَّنِي ... تعِبْتُ به مُذْ كُنْتُ فِي مبْدَأِ العُمْرِ
ترُوحُ وتَغْدُو لِلمَنَايَا فَجَائِعٌ ... تُكَدِّرُهُ والمَوْتُ خَاتِمَةُ الأَمْرِ

اسْمَحْ لِدَمْعِكَ أَنْ يَذِلَّ لِرَبِّهِ

● قال عبد الرحمن حبنكة:

اللَّهُ رَبُّكَ أطْلِقِ الآمَالَا ... واسْأَلْهُ: رَبِّي أَصْلِحِ الأحْوَالَا
ما شِدَّةٌ إِلَّا ويَعْقُبُ لَيْلَهَا ... فَجْرٌ يُكَسِّرُ فوْقَهَا الأغْلَالَا
فإِذَا تَعَكَّرَ صَفْوُ عَيشِكَ والتَوَتْ ... طُرُقَاتُ سعْدِكَ واكتَسَتْ أهْوَالَا
فالجأْ إِلَى المَوْلَى القَدِيرِ ولُذْ بِهِ ... وأرِحْ فُؤَادَكَ واهْجُرِ البَلْبَالَا
واجْأَرْ إِليهِ بِدَعْوَةٍ تَدْعُو بِهَا ... واخشَعْ إليْهِ وطَهِّرِ الأَعْمَالَا
واسْمَحْ لِدَمْعِكَ أَنْ يَذِلَّ لِرَبِّهِ ... وأَنِبْ إليْهِ وتُبْ وكُنْ مِفْضَالَا
تَلْقَ الْهَنَاءَ قَرِيبَةً أَسْبَابُهُ ... وَالسَّعْدَ أَقْبَلَ نَجْمُهُ إقْبَالًا(١)

* * * * *

(١) ترنيمات، (١١٩).

● وقال أبو العتاهية:

سُبْحَانَ مَنْ وَسِعَ العِبَا ... دَ بعَدْلِهِ في حكْمِهِ
وبعَفْوِهِ وبعَطْفِهِ ... وبِلُطْفِهِ وبِحِلْمِهِ
وجَمِيعُ مَا هُوَ كَائِنٌ ... يَجْرِي بِسَابِقِ عِلْمِهِ
قدْ أسْعَدَ اللَّهُ امْرَءًا ... أَرْضَاهُ مِنْهُ بِقَسْمِهِ[1]

* * * * *

سُبْحَانَكَ

● قال محمد الناصر الصدام:

سُبْحَانَ رَبِّ العَرْشِ جَلَّ جلَالُهُ ... عمَّا يقُولُ العَابِثُ المُسْتَهْتِرُ
سُبْحَانَ من سَمَكَ السَّمَاءَ وَزَانَهَا ... لِلنَّاظِرِينَ بِمَا يَرُوقُ ويُبْهِرُ
سُبْحَانَ مَنْ أَرْسَى الجِبَالَ فَلَمْ تَمِدْ ... أَبَدًا بِهَا أَرْضٌ وتَطْغَى أبْحُرُ
خَلَقَ الحَيَاةَ كَمَا أَرَادَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ في ... أَكْوَانِهِ ويُدَبِّرُ
آياتُ رَبِّكَ يَطْمَئِنُّ ويَهْتَدِي ... بِظُهُورِهَا القَلْبُ النقِيُّ الأَطْهَرُ[2]

* * * *

(١) ديوان أبي العتاهية، (٣٥٩).
(٢) ابتهالات، (٢٢).

مُقِيلَ الْعَاثِرِينَ أَقِلْ عِثَارِي

● قال الشاعر:

مُقِيلَ العاثِرِينَ أَقِلْ عِثَارِي   وخُذْ لِي مِنْ بَنِي زَمَنِي بِثَارِي
وجَمِّلْنِي بِعَافِيَةٍ وعَفْوٍ   مِنَ الأمرَاضِ والعِلَلِ الطَّوَارِي
فَيَا فَرْدًا بِلَا ثَانٍ أَجِرْنِي   بِعِزٍّ عُلاكَ مِنْ ثانٍ ودَارِي
ولا تُشْمِتْ بيَ الأَعْدَاءَ وانْظُرْ   إِلَيَّ بِرَحْمَةٍ نَظَرَ اخْتِيَارِ
فإِنْ يَكُ عَقَّنِي صَحْبِي وجَارِي   فَجُودُكَ بالَّذِي أَرْجُوهُ جارِي
فَهَلْ لَكَ يا خَفِيَّ اللُّطْفِ لُطْفٌ   يَعُودُ عَلَى احْتِسَابِي واصْطِبَارِي

* * * *

يا بارِئَ الخلْقِ إيجادًا منَ الْعَدَمِ

● قال تاج الدين بن أحمد:

يا بارِئَ الخلْقِ إيجادًا منَ الْعَدَمِ
يا بادِئَ العَبْدِ بالإحْسَانِ والنِّعَمِ
يا ساتِرَ العَيْبِ يا مُبْدِي الجَمِيلِ وَيَا
ذَا الحِلْمِ واللُّطْفِ والتَّدْبِيرِ والحِكَمِ
أنتَ اللَّطِيفُ، فلا ينْفَكُّ لُطْفُكَ عنْ
قَضائِكَ المبْرَمِ المحْتُومِ في القِدَمِ
فالْطُفْ بذِي أَسَفٍ يُدْمِي أنَامِلَهُ
عَضًّا، ويَقْرَعُ منْهُ سنَّ ذِي نَدَمِ
فاغْفِرْ وسَامِحْ وقابِلْ بالرِّضَا كَرَمًا
والْعَفْوُ عن سالِفِ التَّقْصِيرِ في الخدَمِ
واجْعَلْ عَلَى قَدَمِ التوْفِيقِ سَيْرِيَ في
مُسْتَقْبَلِي واحْمِنِي مِنْ زَلَّةِ القَدَمِ
ولا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي ولا عَمَلِي
واجْعَلْ مَمَاتِي عَلَى الإِسْلَامِ مُخْتَتَمِي
وامْلَأْ فُؤَادِيَ إيمانًا يُضِيءُ إِذَا
أمْسَيْتُ فردًا رَهِينَ الرَّمْسِ والظُّلَمِ

وَأَرْضِ عَنِّي خُصُومِي يومَ لَا وَلَدٌ
يُغْنِي عَنِ الْأَبِ عِنْدَ العَادِلِ الحكَمِ
يا ذَا العَطَاءِ الَّذِي قَدْ عَمَّ نَائِلُهُ
لِلْجِنِّ والإنْسِ مِنْ عُرْبٍ ومِنْ عَجَمِ
فامْنُنْ بِإِدْخَالِنَا يا رَبِّ قاطِبَةً
جَنَّاتِ عدْنٍ بمَحْضِ الفَضْلِ والكَرَمِ(١)

* * * * *

(١) سلافة العصر، (١/١٤٧).

قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ

إذَا ما خَلَوْتَ الدَّهْرَ يومًا فلا تَقُلْ: خلوْتُ، ولكِنْ فِي الْخَلاءِ رقِيبُ
ولَا تحْسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفَلُ سَاعَةً ولا أَنَّمَا نُخْفِي علَيْهِ يَغِيبُ
لهَوْنَا عَنِ الْآثَامِ حتَّى تَتَابَعَتْ ذُنُوبٌ عَلَى آثارِهِنَّ ذُنُوبُ
فَيَا لَيْتَ أنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ ما مَضَى ويأذَنُ فِي تَوباتِنَا فَنَتُوبُ
أَقُولُ إذا ضَاقَتْ علَيَّ مَذَاهِبِي وحَلَّتْ بِقَلْبِي لِلْهُمُومِ نُدُوبُ
لِطُولِ جِنَايَاتِي وعِظْمِ خَطِيئَتِي: هَلَكْتُ، ومَا لِي فِي الْمَتَابِ نَصِيبُ
وأغْرَقُ فِي بحرِ المخَافَةِ آيِسًا وترْجِعُ نفسِي تَارَةً فَتَتُوبُ
تُذَكِّرُنِي عفوَ الكَرِيمِ عنِ الوَرَى فأحْيَا وأرجُو عفْوَهُ فأُنِيبُ
وأخْضَعُ فِي قوْلِي وأرْغَبُ سَائِلًا عسَى كاشِفُ البَلْوَى عَلَيَّ يَتُوبُ(١)

* * * * *

(١) للحسن بن هانئ، انظر: البداية والنهاية، (١/ ٢٣٢).

يَا جَلَالًا عَمَّ الْوُجُودَ بِلُطْفٍ

رَبِّ هَبْ لِي هُدًى وأَطْلِقْ لسَانِي ... وأَنِرْ خاطِرِي وثَبِّتْ جَنَانِي
كن مُعِينِي إنْ أعْجَزَتْنِي القَوَافِي ... ونصِيرِي فِي سامِيَاتِ المعَانِي
أنتَ قصْدِي، وغَايَتِي، ورجَائِي ... مالِكَ المُلْكِ، مُبْدِعَ الأَكْوَانِ
يا جَلالًا عَمَّ الْوُجُودَ بلُطْفٍ ... وَسَلَامٍ ورَحْمَةٍ وحنَانِ
واقْتِدَارًا أَحَاطَ بالْكَوْنِ علْمًا ... نظَمَتْ عِقْدَهُ يدُ الإتْقَانِ
وجَمَالًا فِي كُلِّ شيْءٍ تجلَّى ... سبَّحَ الحُسْنُ فيهِ للرَّحْمَنِ[١]

* * * * * *

نَوْحُ الحَمَامِ عَلَى الغُصُونِ شجَانِي ... ورأَى العذُولُ صَبَابَتِي فَبَكَانِي
إنَّ الحَمَامَ يَنوحُ مِنْ أَلَمِ النَّوَى ... وأَنا أَنُوحُ مَخَافَةَ الرحمنِ
ولَئِنْ بَكَيْتُ فَلَنْ أُلامَ عَلَى البُكا ... فلطالما اسْتَغْرَقْتُ فِي العِصيانِ
يا رَبِّ عَبْدُكَ من عذابِكَ مُشْفِقٌ ... بك مُسْتَجِيرٌ مِنْ لظَى النِّيرانِ
فارحَمْ تَضَرُّعَهُ إليكَ وحُزْنَهُ ... وامنُنْ عَليهِ اليَوْمَ بِالغُفْرانِ

* * * * *

(١) لإسماعيل صبري، انظر: ديوان إسماعيل صبري، (٧٢).

● **ولله در القائل :**

سَهَرِي عليكَ ألذُّ مِنْ سِنَةِ الكَرَى ... ويَلَذُّ فِيكَ تهتُّكِي بينَ الوَرَى
وَسِوَى جَمَالِكَ لا يروقُ لِنَاظِرِي ... وعَلى لِسَانِي غَيْرُ ذِكْرِكَ ما جَرَى
قَسَمًا بذاتِكَ لوْ بَذَلْتُ حُشَاشَتِي ... لِمُبَشِّرِي بِرِضَاكَ كُنْتُ مُقَصِّرَا
أنا عبدُ ذَاتِكَ لا أَحُولُ عن الْهَوَى ... يَوْمًا وإِنْ لامَ الْعَذُولُ وأَكْثَرَا

* * * * *

● **ولله درُّ القائل:**

تَصَاعُدُ أنْفَاسِي إليْكَ جَوَابُ ... وكُلُّ إشَارَاتِي إليْكَ خِطَابُ
فليْتَكَ تَحْلُو والحَيَاةُ مريرَةٌ ... وَلَيْتَكَ تَرْضَى والأنامُ غِضَابُ
ولَيْتَ الذِي بَيْنِي وبَيْنَكَ عَامِرٌ ... وبيني وبينَ العَالَمِينَ خَرَابُ
إذا صَحَّ منْكَ الوُدُّ فالكُلُّ هَيِّنٌ ... وكُلُّ الذي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ
فيا ليتَ شُرْبِي مِنْ وِرَادِكَ صَافِيًا ... وشُرْبِيَ مِنْ مَاءِ الفُرَاتِ سَرَابُ
مَتَى لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وبيْنَكَ رِيبَةٌ ... فَكُلُّ نَعِيمٍ صَدَّ عَنْكَ عَذَابُ
فَكَيْفَ تَوانَى الخَلْقُ عَنْكَ وقَدْ بَدَا ... جَمَالٌ بهِ قَدْ هامَتِ الأَلْبَابُ
أَقُولُ لِعُذَّالِي مَدَا الدَّهْرِ أَقْصِرُوا ... فَكُلُّ الَّذِي يَهْوَى سِوَاهُ يُعَابُ

* * * * *

أتيْتُ إليْكَ يَا رَبَّ الْعِبَادِ

أتيْتُ إليْكَ يَا رَبَّ الْعِبَادِ ... بإفْلاسِي وذُلِّي وانْفِرَادِي
وَهَا أَنَا واقِفٌ بالبابِ أبْكِي ... زَمانًا مَا بَلَغْتُ بِهِ مُرَادِي
عَسَى عَفْوٌ يُبَلِّغُنِي الأمَانِي ... فَقَدْ بَعُدَ الطَّرِيقُ وقَلَّ زَادِيْ
فَأَنْتَ ذَخِيرَتِي وبِكَ انْتِصَارِي ... وفِيكَ تَأَلُّهِي وبِكَ اعْتِمَادِي
وعَنْكَ إشارَتِي وإليكَ قَصْدِي ... ومِنْكَ مَسرَّتِي ولَكَ انْقِيادِي
وما لِي حيلةٌ إلَّا رَجَائِي ... وفِيكَ عَلَى المَدَى حُسْنُ اعْتِقَادِي
وَلْو أَقْصَيْتَنِي وقَطَعْتَ حَبْلِي ... وَحَقِّكَ لا أَحُولُ عَنِ الْوِدَادِ
فَجُدْ بِالعَفْوِ يا مَوْلايَ وارْحَمْ ... عُبَيْدًا ضَلَّ عَنْ طُرُقِ الرَّشَادِ

* * * * *

● **ولِلَّه دَرُّ القائل:**

عَلى أَبْوابِكُمْ عَبْدٌ ذَلِيلُ ... كَثِيرُ الشَّوْقِ نَاصِرُه قَلِيلُ
لَهُ أَسَفٌ عَلى مَا كَانَ مِنْهُ ... وحُزْنٌ مِنْ مَعَاصِيهِ طَوِيلُ
يَمُدُّ إِلَيكُمْ كَفَّ افْتِقَارٍ ... ودَمْعُ العَيْنِ مُنْهَمِلٌ يَسِيلُ
يَرَى الأحبابَ قد وَرَدُوا جَمِيعًا ... ولَيْسَ لَهُ إلى وِرِدٍ سَبِيلُ
أكُونُ نَزِيلَكم ويُضَامُ قَلْبِي ... وحَاشَا أَنْ يُضامَ لَكُمْ نَزِيلُ

فَإِنْ يُرْضِيكُمُ طَرْدِي وبُعْدِي   فصَبْرِي فِي مَحَبَّتِكُمْ جَمِيلُ
وحَقِّ ولائِكُمْ وشَدِيدِ شَوْقِي   سُلُوِّي عَنْ هَوَاكُمْ مُسْتَحِيلُ
قَضَيْتُ بِحُبِّكُمْ أَيَّامَ عُمْرِي   فلا أَسْلُو وهَلْ يُسْلَى الجَمِيلُ

* * * * *

● **ورحم الله من قال:**

يا رَبِّ عَبْدٌ خَاضِعٌ مُتَضَرِّعٌ   يَشْكُو إِليكَ بِحَالِهِ ومَقَالِهِ
يا رَبِّ عَبْدٌ مُذْنِبٌ ومُخَلِّطٌ   آوَى إِليكَ بِذُلِّهِ وسُؤالِهِ
يَا رَبِّ عَبْدٌ مُجْرِمٌ ومُقَيَّدٌ   فِي كُلِّ ذَنْبٍ مِنْ وَثِيقِ حِبالِهِ
يا رَبِّ عَبْدٌ مُخْطِئٌ ومقُصِّرٌ   فِي حالِهِ ومَقالِهِ وفِعالِهِ
يا رَبِّ عَبْدٌ نَاقِصٌ في نَفْسِهِ   فامنُنْ عَليهِ بِرُشْدِهِ وكَمالِهِ
يا رَبِّ عَبْدٌ أَوْبَقَتْهُ ذُنُوبُهُ   ولِذَا تَراهُ مُشَتَّتًا في حَالِهِ
مَا لِي سِوى عَجْزِي وقِلَّةِ حِيلتي   يا رَبِّ فارْحَمْ عاجِزًا في حَالِهِ

* * * *

● **وقال الشاعـر:**

بِذِكْرِكَ يا مَوْلَى الوَرَى نَتَنَعَّمُ   وَقدْ خابَ قَوْمٌ عَنْ سَبِيلِكَ قَدْ عَمُوا
شَهِدْنَا يَقِينًا أَنَّ عِلْمَكَ وَاسِعٌ   وأَنْتَ تَرَى ما في القُلُوبِ وتَعْلَمُ
إِلهِي تَحَمَّلْنَا ذُنُوبًا عَظِيمَةً   أَسَأْنَا وقَصَّرْنَا وَجُودُكَ أَعْظَمُ

سَتَرْنَا مَعاصِينَا عَنِ الخَلْقِ غَفْلَةً وأنْتَ تَرَانَا ثُمَّ تَعْفُو وتَرْحَمُ
وحَقِّكَ مَا فِينَا مُسِيءٌ يَسُرُّهُ صُدُودُكَ عَنْهُ بَلْ يَذِلُّ وَيَنْدَمُ
سَكَتْنَا عَنِ الشَّكْوَى حَيَاءً وهَيْبَةً وحاجَتُنَا بالْمُقْتَضَى تَتَكَلَّمُ
إذا كانَ ذُلُّ العَبْدِ بِالْحَالِ نَاطِقًا فهَلْ يَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ عَنْهُ ويَكْتُمُ
إلَهِي فَجُدْ واصْفَحْ وأَصْلِحْ قُلُوبَنَا فأَنْتَ الَّذِي تُولِي الجَمِيلَ وتُكْرِمُ
أَلَسْتَ الَّذِي قَرَّبْتَ قَوْمًا فَوافَقُوا وَوَفَّقْتَهُمْ حَتَّى أَنَابُوا وأَسْلَمُوا
فَقُلتَ اسْتَقِيمُوا مِنَّةً وَتَكَرُّمًا وأنتَ الَّذِي قَوَّمْتَهُمْ فَتَقَوَّمُوا
لَهُمْ فِي الدُّجَى أُنْسٌ بِذِكْرِكَ دَائِمًا فَهُم فِي اللَّيالي سَاجِدُون وقُوَّمُ
نَظَرْتَ إِليهم نَظْرَةً بِتَعَطُّفٍ فَعاشُوا بِها والخَلْقُ سَكْرَى وَنُوَّمُ
لَكَ الحَمْدُ عَامِلْنَا بمَا أنْتَ أَهْلُهُ وسَامِحْ وسَلِّمْنَا فأَنتَ المُسَلِّمُ

* * * *

● **ورحم الله القائل:**

قَصَدتُ بابَ الرِّضَا والنَّاسُ قَدْ رَقَدُوا وبِتُّ أَشْكُو إِلَى مَوْلايَ مَا أَجِدُ
وَقُلتُ يَا أَمَلِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ يَا مَنْ عَلَيْهِ بِكَشْفِ الضُّرِّ أَعْتَمِدُ
أَشْكُو إِليكَ أُمورًا أَنْتَ تَعْلَمُها مَا لِي عَلَى حَمْلِهَا صَبْرٌ ولَا جَلَدُ
وقَدْ بَسَطْتُ يَدِي بالذُّلِّ مُفْتَقِرًا إِليكَ يا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ

فَلَا تَرُدَّنَّهَا يا رَبِّ خائِبَةً فبَحْرُ جُودِكَ يَرْوِي كُلَّ مَنْ يَرِدُ

* * * *

● وقال الآخر:

يَا مَنْ يَرى حَالي ويَعْلمُ كُرْبَتي وتَذَلُّلِي دُونَ العِبادِ ولَوْعَتي
يَا مَنْ لَهُ أَمْرٌ وحُكْمٌ نَافِذٌ فِي خَلْقِه يَقْضِي بِكُلِّ قَضِيَّةِ
يَا مَنْ يُرَجَّى لِلشَّدَائِدِ كُلِّها ولَهُ القَضَا ولَهُ بَديعُ الحِكْمَةِ
أنتَ الكَرِيمُ الحاكمُ العَدْلُ الَّذي هُوَ عَالِمٌ بِمَذَلَّتِي وخَطِيئَتي
ولِذَا وَقَفْتُ بِبَابِكُمْ مُتَذَلِّلًا يا فَارِجَ الكُرُبَاتِ فَرِّجْ كُرْبَتي

* * * * *

إلهِـــيَ مَــنْ أدْعُو سِـــواكَ

إلهِيَ مَنْ أدْعُو سِواكَ، ومنْ لَنَا إذا مَسَّنا ضُرٌّ، أوِ انْتَابَنا عَنَا
ومَنْ نُرتجِيهِ فِي حُلولِ نَوائبٍ تَذِلُّ لَها أعْناقُنَا ونُفُوسُنَا
فَلَيْسَ لَنَا إلّا رِحَابُكَ سَيِّدِي نَعِزُّ بِه فِي كُلِّ أَمْرٍ يُذِلُّنَا
وأَسْمَاؤُكَ الحُسْنَى هيَ الغَوثُ والرَّجا نلُوذُ بِهَا حَتَّى نُلاقِي نَجَاتَنَا

اللَّهُ

فَيَا ربِّ، يَا «اللَّهُ» هبْنَا تَفَضُّلًا لِنَنْجُو مِنَ الْبَلْوَى ومِنْ سَيِّئاتِنَا

الرَّحْمَنُ

ويا رَبِّ يَا «رَحْمَنُ» فارحَمْ لِضَعْفِنَا وهَيِّئْ مدَى الأَيَّامِ نُورًا يَحُفُّنَا

الرَّحِيمُ

«رحِيمٌ» بِكُلِّ الخَلقِ وَفِّقْ سَبِيلَنَا لِنَلْقَاكَ فِي الأُخْرَى أَمَانًا لِخَوفِنَا

الْمَلِكُ

وَيَا «مَلِكٌ» مَلِّكْ لَنا كُلَّ أَمْرِنَا فَلَا نَرْتَكِبْ إِثْمًا وَلَا نَكْتَسِبْ خِنَا

الْقُدُّوسُ

وَيَا رَبِّ يَا «قُدُّوسُ» قَدِّسْ سَرِيرَتِي لِتَصْفُو مِنَ الأَكْدَارِ واسْتُرْ عُيُوبَنَا

السَّلَامُ

«سَلامٌ» فَسلِّمْنَا لِنَنْجُو مِنَ الْأَذَى ونَظْفَرَ بِالْحُسْنَى، وطَهِّرْ قُلُوبَنَا

الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ

ويا «مُؤْمِنٌ» أَمِّنْ بِفَضْلِكَ رَوْعَنَا　　«مُهيْمنُ» هيْمِنْ كُلَّ أمْرٍ يُهِمُّنا

الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ

«عزِيزٌ» إِلَهِي جُدْ لَنَا بِمَعَزَّةٍ　　وبِالجبْرِ يا «جَبَّارُ» فاجْبُرْ لِكَسْرِنا

الْمُتَكَبِّرُ

ويا رَبِّ يا قَهَّارُ، يَا «مُتَكَبِرٌ»　　عَلَوْتَ عَنِ الأَغْيَارِ لُطْفًا بِحالِنَا

الْخَالِقُ

ويا «خالِقَ» الخَلْقِ العَظِيمِ بِقُدْرةٍ　　تَجِلُّ عَنِ الأَوْصَافِ أَعْلِ لِقَدْرِنَا

الْبَارِئُ

ويا «بَارِئَ» الكَونِ الكَبيرِ بِأَسْرِهِ　　فَكَيْفَ بِأَكْوانٍ نَراهَا بِسِرِّنَا

الْمُصَوِّرُ

«مُصَوِّرُ» صَوِّرْنَا بِأَحْسَنِ صُورَةٍ　　مِنَ الخَلْقِ والأَخْلاقِ راضٍ لِفِعْلِنَا

الْغَفَّارُ

ويا رَبِّ يا «غَفَّارُ» هَبْنَا هِدَايَةً　　وَلُطْفًا وإِحْسَانًا يُمَحِّي ذُنُوبَنَا

الْقَهَّارُ

وَيَا رَبِّ يَا «قَهَّارُ» فَاقْهَرْ مُعانِدًا　　يُرِيدُ بِنَا الإِيذَاءَ واكْبحْ عَدُوَّنَا

الْوَهَّابُ

تَبارَكْتَ يَا «وَهَّابُ» مِنْ مُتَفَضِّلٍ وهَبْتَ لَنَا صِدْقَ اليَقِينِ يَحُفُّنَا

الرَّزَّاقُ

وَبِالرِّزْقِ، يَا «رَزَّاقُ» أحْسَنْتَ حَالَنَا بِفَضْلِكَ يَا مَوْلايَ أحْسِنْ مَآلَنَا

الْفَتَّاحُ

وَ«فَتَّاحُ» فَافْتَحْ مِنْ شَآبِيبِ رَحْمَةٍ عَلينَا لِمَحْوٍ مِنْ قَبِيحِ عُيوبِنَا

الْعَلِيمُ

«عَلِيمٌ» فَعَلِّمْنَا الْهُدَى نَسْتَلِذُّهُ لِنَظْفَرَ بِالْحُسْنَى لَدَيْكَ، وَبِالْمُنَى

الْقَابِضُ

وَيَا «قَابِضُ» اقْبِضْنا عَلَى خَيْرِ مِلَّةٍ لِنَحْظَى بِجَنَّاتِ الخُلودِ جَزاءَنَا

الْبَاسِطُ

ويا «باسِطُ» ابْسُطْ عِلْمَنا بِمَعَارِفٍ تُوجِّهُنا لِلحَقِّ، وابسُطْ لِرِزْقِنَا

الْخَافِضُ

ويا «خَافِضُ» اخْفِضْ مَنْ يُرِيدُ إِذَايَةً بِنَا ولَنَا ثُمَّ اعْفُ عَنَّا وعَافِنَا

الرَّافِعُ

وَيَا «رَافِعٌ» هَبْ لِي بفَضْلِكَ رِفْعَةً عَنِ الذَّنْبِ والآثَامِ وَارْفَعْ لِقَدْرِنَا

المُعِزُّ المُذِلُّ

«مُعِزٌّ» تُعِزُّ العَبْدَ مِنْ بَعْدِ ذِلَّةٍ ... «مُذِلٌّ» فأَرْجُو مِنْكَ ألَّا تُذِلَّنَا

السَّمِيعُ

«سَمِيعٌ» فأسْمِعْنا الهِدايَةَ سَيِّدِي ... نَسِيرُ بِها دَوْمًا لِيزْدادَ قُرْبُنَا

البَصِيرُ

«بَصيرٌ» بِنا فالْطُفْ بِحقِّكَ سَيِّدِي ... لِتُلْهِمَنا نُطْقَ النَّجا عِنْدَ مَوْتِنَا

الحَكَمُ العَدْلُ

ويَا «حَكَمُ» احْكُمْ بِالَّذي فِيه خَيْرُنا ... ويا «عَدْلُ» نَرْجُو مِنكَ عَدْلًا لِأَمْرِنَا

اللَّطِيفُ الخَبِيرُ

«لَطِيفٌ» بِنَا يَا رَبِّ فِي كُلِّ حالَةٍ ... «خَبِيرٌ» فأَلْهِمْنا الْهُدَى وتَولَّنَا

الحَلِيمُ

«حَلِيمٌ» بِكُلِّ الخَلْقِ تَعْفُو عَنِ الَّذِي ... أَسَاءَ فَنَرْجُو الْعَفْوَ عنْ سَيِّئَاتِنَا

العَظِيمُ

«عَظِيمٌ» تَعَالَى رَبُّنَا عَنْ مُمَاثِلٍ ... فَعَظِّمْ إلَهِي أَمْرَنَا والْطُفَنْ بِنَا

الغَفُورُ

«غفورٌ» لنا مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ مُخامِرٍ ... سَأَلْناكَ غُفْرانًا لِكُلِّ ذُنوبِنَا

وتُبْدِلُها حُسْنَى مَكانَ إِساءَةٍ ... فقَدْ قُلْتَ هَذا في كِتابِكَ رَبَّنَا

وقد تُبْتُ يا مَوْلايَ توبةَ صَادِقٍ فَلَمْ أَرْتَكِبْ إِثْمًا، ولَمْ اكتَسِبْ خَنَا

وأذلَلْتُ نَفْسِي لِلعَزيزِ، وشَدَّنِي إِلَى دينِكَ المرْجُوِّ نُصْحُكَ مُعْلَنَا

وَآمنْتُ أن لَّا رَبَّ دُونَكَ يُرْتَجَى وَمَا مِنْ إِلَهٍ أَصْطَفِيهِ إِلَهَنَا

وَهَا هِيَ أَعْمالِي إِليكَ رَغِيبَةً فَجُدْ لي أيَا مَولَايَ بِالعَطْفِ وَالهَنا

الشَّكُورُ الْعَلِيُّ

«شَكُورٌ» فوفِّقْنَا لِشُكْرِكَ سَيِّدِي «عَلِيٌّ» فَأَعْلِ شَأْنَنَا وأَمِدَّنَا

الْكَبِيرُ الْحَفِيظُ

«كَبِيرٌ» عَنِ المَخْلُوقِ والخَلْقِ كُلِّهِمْ «حَفِيظٌ» عَلَيْنَا مِنْ أُمُورٍ تَسُوءُنَا

الْمُقِيتُ الْحَسِيبُ

«مُقِيتٌ» أَقِتْنا خَيْرَ قُوتٍ تُحِلُّهُ «حَسِيبٌ» إِلَيْكَ المُنْتَهَى فِي حِسَابِنَا

الْجَلِيلُ الْكَرِيمُ

«جَلِيلٌ» فَجَلَّ اللَّهُ فِي عَلْيَائِهِ «كَرِيمٌ» سَأَلْنَاكَ الْكَرَامَةَ فَارْعَنَا

الرَّقِيبُ الْمُجِيبُ

«رَقِيبٌ» فَرَاقِبْنا لِيَصْلُحَ أَمْرُنَا «مُجِيبٌ» أَجِبْ ما نَبْتَغِيهِ، وَكُنْ لَنَا

الْوَاسِعُ الْحَكِيمُ

ويَا «وَاسِعَ» الْفَضْلِ، الْجَزِيلِ عَطَاؤُهُ «حَكِيمٌ» فَأَحْكِمْ أَمْرَنَا وفِعَالَنَا

الْوَدُودُ الْمَجِيدُ

«ودُودٌ» فَمِنكَ الوُدُّ والفَضْلُ دَائِمًا «مَجِيدٌ» فهَبْنا المَجْدَ فِي الدِّينِ والدُّنَا

الْبَاعِثُ

وَيَا «بَاعِثُ» ابْعَثْنَا بِنُورِ مُحَمَّدٍ عَلَى خَيْرِ حَالٍ فِي الْقِيَامِ شَفِيعَنَا

الشَّهِيدُ

«شَهِيدٌ» فأَشهِدْنا الْهُدَى عَنْ مَحبَّةٍ وعَنْ حُسْنِ إِيمَانٍ، وثَبِّتْ يَقِينَنَا

الْحَقُّ

ويَا «حَقُّ» يَاأَللهُ، يا وَاسِعَ الْعَطَا سَأَلْنَاكَ حَقِّقْ فِيكَ خَيْرَ ظُنُونِنَا

الْوَكِيلُ

«وَكِيلٌ» تَوَكَّلْنَا عَلَيْكَ، وحَسْبُنَا رِضَاكَ إِلَهِي أَنْتَ فِي الْكَوْنِ حَسْبُنَا

الْقَوِيُّ الْمَتِينُ

«قَوِيٌّ مَتِينٌ» قَوِّ عَزْمِي وهِمَّتِي لِطاعَتِكَ الْمُثْلَى لِنَلْقَى سُرورَنَا

الْوَلِيُّ

«وَلِيٌّ» يَلِي أَمْرِي لِأَسْعَدَ دائمًا بِلُقْيَاهُ أَحْسِنْ يا إِلَهِي خِتَامَنَا

الْحَمِيدُ

«حَمِيدٌ» لكَ الحمْدُ الَّذي أَنْتَ أَهْلُهُ عَلَى نِعَمٍ أَضْفَيْتَها لَمْ تكُنْ لَنَا
فَيا رَبِّ أَصْلِحْ حَالَنا ومَآلَنَا لِنُصْبِحَ أَهْلًا لِلَّذِي قَدْ وَهَبْتَنَا

المُحْصِي

وَيَا رَبِّ يَا «مُحْصِي» لِكُلِّ عُيُوبِنَا سَأَلْنَاكَ غُفْرانًا لِكُلِّ ذُنُوبِنَا

المُبْدِئُ

ويَا «مُبْدِئٌ» فِي كُلِّ شَيْءٍ تُرِيدُهُ بِأَحْسَنِ حَالٍ أَحْسِنَنْ لِابْتِدَائِنَا
وأوجَدْتَنَا فِي الكَوْنِ حُسْنًا ودِقَّةً لَنا مِنْ ظُهُورِ الغَيْبِ ما شِئْتَ رَبَّنا
فَأَحْسِنْ لِدُنْيانا، وأَحْسِنْ لِدِينِنَا بِرَحْمتِكَ العُظْمَى بَدأتَ نُفُوسَنا
فَهيِّئْ لَنَا ما نَرْتَجِيهِ وَكُنْ لَنَا حَفِيظًا مِنَ الآثَامِ والسُّوءِ وَالْعَنَا

المُعِيدُ

«مُعِيدٌ» أعِدْنا لِلْهِدَايَةِ وَالتُّقَى لِنَحظَى بِجَنَّاتٍ، ونظْفَرَ بالمُنَى

المُحْيِي

ويا ربِّ، يَا «مُحْيِي» العِبَادِ بقُدْرَةٍ إِلَيْكَ إِلَهِي المُنْتَهَى فَالْطُفَنْ بِنَا

المُمِيتُ

«مُمِيتٌ» لِكُلِّ الخَلْقِ بَعْدَ حَيَاتِهِمْ أَمِتْنَا إِلَهِي خَيْرَ مَوْتٍ، هَنِّنَا

الحَيُّ القَيُّومُ

ويا «حَيُّ» يَا «قَيُّومُ» هَبْنا مَعَارِفًا وَجُودًا وإِحْسَانًا ولُطْفًا يَعُمُّنَا

الوَاجِدُ

وَيَا «واجِدٌ» أوْجَدْتَنَا فِي مَهَامِهٍ يَضِلُّ بهَا السَّارِي فَأَحْسِنْ مَسَارَنَا

الْمَاجِدُ

ويا «مَاجِدٌ» مَجِّدْ بِفَضْلِكَ فِعلَنَا   لِنَلْقَاكَ رَاضٍ حُبَّنَا وَاتِّبَاعَنَا

وَهَيِّئْ لَنَا مَا نَبْتَغِيهِ وَكُنْ لَنَا   حَفِيظًا مِنَ الآثامِ والبُؤْسِ والضَّنَا

الْوَاحِدُ

ويَا «وَاحِدٌ» مِنْ غَيْرِ عَدٍّ، وغَيرُهُ   يُعَدُّ ويُحْصَى بِالثَّوَابِ أَمِدَّنَا

الصَّمَدُ

ويا «صَمَدٌ» لا يُرْتَجَى غَيْرُهُ إِذَا   بُلِينَا فنرجُو مِنْكَ عِصْمَةَ أَمْرِنَا

الْقَادِرُ

ويا «قَادِرُ» اقْدُرْ لِي جِنَانَكَ مِنَّةً   لِنَحْظَى بِرِضْوانِ الْمَلِيكِ حِيَالَنَا

الْمُقْتَدِرُ

وَ«مُقْتَدِرٌ» يَسِّرْ لَنَا فِي حَيَاتِنَا   وَأَحْسِنْ لِقَانَا رَحْمةً عِنْدَ مَوْتِنَا

الْمُقَدِّمُ الْمُؤَخِّرُ

«مُقَدِّمُ» قَدِّمْ لي السَّعَادَةَ مِنْحَةً   «مُؤَخِّرُ» أَخِّرْ كَرْبَنَا وَعَذَابَنَا

الأَوَّلُ الآخِرُ

وَيَا «أَوَّلٌ» مِنْ غَيرِ بَدْءٍ وَ«آخِرٌ»   بِغَيْرِ انْتِهَاءٍ جَلَّ شَأْنُكَ رَبَّنَا

تعَالَيْتَ يَا مَوْلَايَ عَنْ وَصْفِ واصِفٍ   وعَنْ صِفَةِ المَخْلُوقِ أَنْتَ إِلَهُنَا

الظَّاهِرُ

وَيَا «ظَاهِرًا» فِي كُلِّ شَيْءٍ بلُطْفِهِ سَأَلْنَاكَ يَا مَوْلَايَ لُطْفًا بِحَالِنَا
فَلَا نَعْدُ أحكَامًا أَمَرْتَ بِفعْلِهَا وَلَا نَعْدُ نَهْيًا أَنْتَ عَنْهُ نَهَيْتَنَا

الْبَاطِنُ

ويا «بَاطِنٌ» رَغْمَ الظُّهُورِ، وَنُورُهُ بِغَيْرِ خَفَاءٍ أَنْتَ فِي الْكَوْنِ نُورُنَا

الْوَالِي

وَيَا رَبِّ يَا «وَالِي» تَوَلَّ أُمُورَنَا لِتُنْقِذَنَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ يُصِيبُنَا

الْمُتَعَالِ

وَيَا «مُتَعَالِ» ارْحَمْ عُبَيْدَكَ إِنَّهُ ذَلِيلٌ، ويَكْفِينا إِلَيْكَ انْتِسَابُنَا
فأَنْتَ إِلَهُ الكُلِّ، يا مُتَفَضِّلٌ علَيْنَا، وَبِالإِحْسَانِ أَعْجَزْتَ أَلْسُنَا

الْبَرُّ

ويَا «بَرُّ» بِالعَاصِي ثُقِيلُ ذُنُوبَهُ فَكَيْفَ بِمَنْ قَدْ جاءَ يَدْعُوكَ مُحسِنَا
وما هُو إِحْسَانٌ وَلَكِنْ مَوَدَّةٌ فَتَسْتُرُنَا سَتْرًا جَمِيلًا، وَكُنْ لَنَا

التَّوَّابُ الْمُنْتَقِمُ

وَ«تَوَابُ» فَاقْبَلْ تَوْبَتِي وتَضَرُّعِي وَ«مُنْتَقِمُ» هَاكَ انْتَقِمْ مِنْ عَدُوِّنَا

الْعَفُوُّ

«عَفُوٌّ» فَمِنْكَ الْعَفْوُ يُرْجَى وَيُرْتَجَى فَكَفِّرْ ذُنُوبِي كُلَّهَا، وَارْأَفْنْ بِنَا

الرَّؤُوفُ

«رَؤُفٌ» بنَا فِي كُلِّ كَرْبٍ وَشِدَّةٍ   بِرأفَتِكَ العُظْمَى إِلَهِي فحُفَّنَا

مَالِكُ الْمُلْكِ

ويَا «مَالِكَ الْمُلْكِ» الْعَظِيمِ أَمِدَّنَا   بسِرٍّ نَرَى فِيهِ حقِيقَةَ أمْرِنَا

ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ

وَيَا «ذَاالْجَلَالِ» ارْحَمْ بِفَضْلِكَ سَيِّدِي   لِضَعْفِيَ، وارفَعْ فِي عُلاكَ شُئُونَنَا

ويا صاحِبَ «الْإِكْرامِ» أَكْرِمْ وِفَادَتِي   عَلَيْكَ بإحْسَانٍ يُغَطِّي ذُنُوبَنَا

فليسَ لَنَا منْ دافِعٍ لمسَاءةٍ   ولَيْسَ لنَا منْ سَاتِرٍ لعُيُوبِنَا

سألْنَاكَ يَا رَبِّي ولَيْسَ لنَا سِوَى   نَدَاكَ فَأَكْرِمْنَا وأحْسِنْ لِحَالِنَا

الْمُقْسِطُ

ويا «مُقْسِطٌ» للمُقْسِطِينَ جَزاءَهُمْ   بِحَقِّكَ تعْفُو عَنْ عَظَائِمِ جُرْمِنَا

الْجَامِعُ

وَيَا «جَامِعُ» اجْمَعْنِي بِأَحْبَابِكَ الْأُلَى   أَطَاعُوكَ فضْلًا من لدُنْكَ إِلَهَنَا

الْغَنِيُّ

«غَنِيٌّ» إِلَهِي أغْنِنِي وَتَوَفَّنِي   سَعِيدًا بِلُقْيَا مَنْ أُحِبُّ، وَرَضِّنَا

الْمُغْنِي

وَيَا «مُغْنِيًا» لِلنَّاسِ طُرًّا وَ«مُعْطِيًا»   لَهُمْ مِنْ جَزِيلِ الرِّفْدِ أَجْزِلْ عَطَاءَنَا

المَانِعُ الضَّارُّ

ويا «مَانِعُ» امْنَعْ كُلَّ شَرٍّ ينُوشُنَا وَيَا «ضَارُّ» أَبْعِدْ كُلَّ ضُرٍّ يَنُوبُنَا

النَّافِعُ النُّورُ

ويَا «نَافِعُ» انْفَعْنَا بِفَيْضِكَ سَيِّدِي ويا «نُورُ» نَوِّرْ مِنْ هُداكَ قُلُوبَنَا

الْهَادِي

وَيَا «هَادِيَ» الْعَجْمَاءِ فِي كُلِّ أَمْرِهَا ونَحْنُ بَنُو الْإِنْسَانِ نَدْعُوكَ فَاهْدِنَا
وَوَفِّقْنَ(١) يا ربِّي لِخَيْرِ شَرِيعَةٍ شَرِيعَةِ مَوْلَانَا الحَبِيبِ نَبِيِّنَا
لنلْقَاهُ رَاضٍ فِي الْقِيَامَةِ شَافِعًا لَنَا مِنْ ذُنوبٍ أَنْقضَتْ لِظُهُورِنَا

الْبَدِيعُ

«بَدِيعٌ» لِكُلِّ الخَلْقِ طُرًّا وَمُبْدِعٌ لِكُلِّ صَنِيعٍ فَاهْدِنَا رَبِّ سُبْلَنَا

الْبَاقِي الْوَارِثُ

وَيَا «بَاقِيًا» بَعْدَ الْفَنَاءِ لَكَ الْعُلَا وَيَا «وَارِثًا» لِلْمُلْكِ بَارِكْ لِإِرْثِنَا

الرَّشِيدُ

«رَشِيدٌ» فَوَفِّقْنَا إِلَى رُشْدِنَا الَّذِي أَطَاحَتْ بِهِ الآثَامُ والسُّوءُ والْعَنَا

الصَّبُورُ

«صَبُورٌ» أَعِزْنَا الصَّبْرَ فِي كُلِّ حَادِثٍ لِنَلْقَاكَ رَاضٍ فِعْلَنَا واصْطِبَارَنَا
بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى دَعَوْنَاكَ سَيِّدِي لِتُدْرِكَنَا قَبْلَ المَمَاتِ أَمِدَّنَا

(١) حذفت الألف من لفظة «ووفقنا» لضرورة الوزن.

بِنُورِ الْهُدَى نَحْظَى بِهِ ونُعِدُّهُ ... لِلُقْيَاكَ فَارْحَمْ ذُلَّنَا وَأَعِزَّنَا
وَلَمْ أَكُ أَهلًا لامْتِدَاحِكَ سَيِّدِي ... ولكنَّنِي أقْحَمْتُ نَفْسِي مِنَ الضَّنَا
وإِنِّيَ هيْمَانٌ ولَمْ أَكُ شَاعِرًا ... فبَثَّ هُيَامِي ذلِكَ الشِّعْرَ مُتْقَنَا
ولكِنَّهُ جَهْدُ المُقِلِّ فَتَارَةً ... يُوافِي وطَوْرًا لا يُوافي بِمَا جَنَى
بأسْمَائِكَ الحُسْنَى الَّتي نُوِّرَتْ بِهَا ... جِنَانُكَ نَدْعُو رَبَّنَا فَاسْتَجِبْ لَنَا
وهل بَعْد أَسْماءِ الكَرِيمِ تَوسُّلٌ ... نُبَاهِي بِهِ الأَمْلاكَ فِي الْقَدْرِ والسَّنَا
فَيَا رَبِّ يَا قُدُّوسُ يَا مُتَكَبِّرٌ ... أَتَيْنَاكَ نَشْكُو حَالَنَا وَمَآلَنَا
أَتُرْجِعْنا صُفْرَ الْيَدَيْنِ لِحَاجَةً ... إِلَى العَطْفِ لا وَاللَّهِ بَلْ أنْتَ ذُخْرُنَا
فَيَا رَبِّ وَفِّقْنِي لِأَدْعُوكَ دَائِمًا ... بِصِدْقٍ وإِخْلَاصٍ بَعِيدًا عَنِ الأَنَا
وَهَبْنِيَ إِخْلَاصًا، وَهَبْنِي تَوَاضُعًا ... وَزِدْنِي بِفَرْطِ الحُبِّ فيكَ تَفَنُّنَا
وزِدني أيا مَوْلايَ نُورًا وحِكْمَةً ... وعِلمًا، وتَوْفِيقًا، وبالْخَيْرِ خُصَّنَا
بِرَحْمتِكَ العُظْمَى الَّتي وَسِعَتْ لَنَا ... وَكُلِّ الأُلَى ضَاقَتْ بِهِمْ رَحَبَاتُنَا
سَأَلْتُكَ يا مَوْلايَ لُطْفًا بِحَالَتِي ... فَتَفْسَحُ لي بَابَ النَّجَاةِ تَحَنُّنَا
لِأَدْخُلَ فِي بَابِ الغَفُورِ مُبَرَّءًا ... مِنَ الذَّنْبِ وَالآثَامِ سِرًّا وَمُعْلِنَا
حَبِيبِي إِلَهِي أَطْلُبُ الْعَفْوَ دَائِمًا ... إِذَا لَمْ تَكُنْ لي سَيِّدِي مَنْ يَكُنْ لَنَا؟
وإِنْ أَنْتَ آخذْتَ المسِيءَ بِفِعْلِهِ ... فيَا وَيْلَنَا مِمَّا عَلَيْنَا، وَمَا بِنَا

ووالله إنِّي خَائِفٌ مِنْ مَآثِمٍ ... إذا احْتُسِبتُ لَمْ أَلْقَ عَطْفًا وَلَا هَنَا
ولكنَّني أَدْعُو الَّذِي إِنْ رجوتُهُ ... حَمَدْتُ إِيَابِي عِنْدَهُ ومَآلَنَا
يَقُولُونَ لِي مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ أَنَا الَّذِي ... طَلَبْتُ رِضَا الْمَوْلَى وَأَدْعُوهُ آمِنَا
وَأَرْجُو لِقَاهُ آمِنًا مِنْ مَخَاوِفِي ... ومُلْتَمِسًا عَفْوًا عَنِ الْإِثْمِ والضَّنَا
وقدْ وعَدَ المَوْلَى بِعَفْوٍ لِزَلَّتِي ... وأَوْعَدَ غَيْرِي مَنْ أَصَرَّ عَلَى الْخَنَا
إذا سَأَلُوا عَنِّي عَجِبْتُ لِقَوْلِهِمْ ... وقُلْتُ لَهُمْ: مَا لِي؟ أَنَا لَمْ أَكُنْ أَنَا
لَقَدْ تُهْتُ عن نَفْسِي وعنْ كُلِّ مَا أَرَى ... ولَيْسَ أَمَامِي غَيْرَ رِضْوانِ رَبِّنَا
أُرِيدُ سَلَامًا فِي الْحَيَاةِ وَرَحْمَةً ... بِأُخْرَى وَفَضْلًا مِنْ لَدُنْكَ يَحُفُّنَا
ولَيْسَ بأَعْمَالِي فَلَيْسَ بِنَافِعِي ... سِوَى رَحْمَةٍ من عِنْدِ رَبِّي تَعُمُّنَا
فَأَدْخُلُ جَنَّاتِ الْخُلُودِ بِذِلَّتِي ... فيَا ربِّ نَوِّلْنِي السَّعادةَ وَالْمُنَى
تبارَكْتَ يَاأَللَّهُ مِنْ مُتَفَضِّلٍ ... عَظِيمٍ فَنَرْجُوكَ الْهِدَايَةَ فَاهْدِنَا
وَبَارِكْ لَنَا فِي دِينِنَا وَمَعَاشِنَا ... تَعالَيْتَ يَا مَوْلَايَ لُطْفَكَ رَبَّنَا
وَصَلِّ إِلَهِي دَائِمًا كُلَّ لَمْحَةٍ ... عَلَى الْمُصْطَفَى خَيْرِ الأَنَامِ نَبِيِّنَا
وَسَلِّمْ سَلامًا لا تَنَاهِي لِحَدِّهِ ... عَلَيْهِ لِنَلْقَى فِي الْقِيَامَةِ سُؤْلَنَا

* * *

مُنَاجَـاةُ لِحَـــادِي الأَرْوَاحِ

ابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ

بِحَيَاةِ وَجْهِكَ خَيْرِ مسئُولٍ بِهِ   وبِنُورِ وَجْهِكَ يا عَظِيمَ الشَّانِ
وبحَقِّ نِعْمَتِكَ الَّتي أَوْلَيْتَهَا   مِنْ غَيْرِ ما عِوَضٍ ولا أَثْمَانِ
وبِحَقِّ رَحْمَتِكَ الَّتي وَسِعَتْ جَمِيـ   ـعَ الخَلْقِ مُحْسِنَهُمْ كَذَاكَ الجَانِي
وبِحَقِّ أسْمَاءٍ لكَ الحُسْنَى مَعَا   نِيهَا نُعُوتُ المدْحِ للرَّحْمَنِ
وبِحقِّ حَمدِكَ وهْوَ حمْدٌ واسعُ الْأَكْـــوانِ بلْ أضعَافُ ذِي الأَكْوَانِ
وبأَنَّكَ اللَّهُ الإلهُ الحقُّ مَعْـ   ـبودُ الوَرَى مُتقَدِّسٌ عَنْ ثَانِ
بَلْ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاكَ فَبَاطِلٌ   مِن دُونِ عَرشِكَ لِلثَّرَى التَّحْتَانِي
وَبِكَ الْمَعَاذُ ولا مَلاذَ سِواكَ أَنْـ   ـتَ غِيَاثُ كُلِّ مُلَدَّدٍ لَهفَانِ
مَنْ ذَاكَ لِلمُضْطَرِّ يَسْمَعُهُ سِوَا   كَ يُجِيبُ دَعوتَه معَ العِصيانِ
إِنَّا تَوجَّهنا إِليكَ لِحاجَةٍ   تُرْضِيكَ طَالِبُهَا أحقُّ مُعَانِ
فَاجْعَلْ قَضاها بَعضَ أَنعُمِكَ الَّتي   سُبِغَتْ علينا مِنكَ كُلَّ زَمَانِ
انصُرْ كِتَابَكَ والرَّسولَ ودِينَكَ الْـ   ـعَالِي الَّذي أنْزَلْتَ بِالْبُرْهَانِ
واختَرْتَهُ دِينًا لِنَفْسِكَ واصْطَفَيْـ   ـتَ مُقِيمَهُ مِنْ أُمَّةِ الإنْسَانِ
واختَرْتَهُ دِينًا لِمَنْ تَرضَاهُ مِنْ   هَذَا الوَرَى هُوَ قَيِّمُ الأَدْيَانِ

وأَقِرَّ عينَ رَسُولِكَ المَبْعُوثِ بِالــــدِّينِ الحَنِـيـفِ بِـنَـصْـرِهِ المُتَـدَانِ
وانصُرْهُ بِالنَّصْرِ العَزِيزِ كَمِثْلِ مَا قَدْ كُنْتَ تَنْصُرُهُ بِكُلِّ زَمَانِ
يا رَبِّ وانْصُرْ خَيرَ حِزبَيْنَا عَلَى حِزبِ الضَّلالِ وعَسْكَرِ الشَّيطَانِ
يا رَبِّ واجْعَلْ شرَّ حِزبَيْنَا فِدًى لِخِيَارِهِـمْ ولِعَـسْـكَـرِ الـقُـرْآنِ
يا رَبِّ واجْعَلْ حِزبَكَ المَنْصُورِ أَهْـ لَ تَـرَاحُـمٍ وتَـوَاصُـلٍ وتَـدَانِ
يا رَبِّ وارْحَمْهُمْ منَ البِدَعِ الَّتي قَدْ أُحْدِثَتْ فِي الدِّينِ كُلَّ زَمَانِ
يا رَبِّ جنِّبْهُـمْ طرَائِقَهَا الَّتِي تُفْضِي بِسَالِكِهَا إِلَى النِّيرَانِ
يا ربِّ واهْدِهِمْ بِنُورِ الوَحْيِ كيْ يَصِلُوا إِليْكَ فَيَظْفَرُوا بِجِنَانِ
يا رَبِّ كُنْ لَهُمُ وَلِيًّا نَاصِرًا واحْـفَـظْـهُـمُ مِنْ فِتْنَةِ الْفَتَّانِ
وانْصُرْهُمُ يَا رَبِّ بِالحَقِّ الَّذِي أَنْـزَلْـتَـهُ يَـا مـنْـزِلَ الـقُـرْآنِ
يا رَبِّ إِنَّـهُمْ هُمُ الْغُرَباءُ قدْ لجَئُوا إِليْكَ وأنْتَ ذو الإِحْسَانِ
يا رَبِّ قَدْ عَادَوْا لأَجْلِكَ كُلَّ هَـ ـذَا الخَلْقِ إِلَّا صَادِقَ الإِيمَانِ
قَدْ فارَقُوهُمْ فيكَ أحْوجَ مَا هُمُ دُنْيَا إِليْهِمْ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ
ورَضُوا وِلايَتَكَ الَّتي مَنْ نَالَهَا نَالَ الأَمَانَ ونَالَ كُلَّ أَمَانِي
ورَضُوا بِوَحْيِكَ مِنْ سِوَاهُ ومَا ارْتَضَوْا بسِوَاهُ مِنْ آرَاءِ ذِي الْهَذَيَانِ
يا رَبِّ ثَبِّتْهُمْ عَلَى الإِيمَانِ واجْـ ـعَـلْـهُـمْ هُدَاةَ التائِهِ الحيرَانِ
وانْصُرْ عَلَى حِزْبِ النُّفَاةِ عَسَاكِرَ الْإِثْـبَـاتِ أَهْـلَ الحقِّ والـعِـرْفَـانِ

وأقِمْ لِأَهْلِ السُنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْأَنْـصَارَ وانْصُرْهُمْ بكُلِّ زَمَانِ
واجعَلْهُمْ لِلمُتَّقِينَ أئِمَّةً وَارْزُقْهُمْ صَبْرًا مَعَ الْإِتقَانِ
تهْدِي بأمْرِكَ لا بِمَا قَدْ أحْدَثُوا وَدَعَوْا إلَيْهِ النَّاسَ بالعُدْوَانِ
وأعِزَّهُمْ بالحقِّ وانْصُرْهُمْ بِهِ نصْرًا عزِيزًا أنْتَ ذو السُّلْطَانِ
واغْفِرْ ذُنُوبَهُمْ وأصْلِحْ شأْنَهُمْ فلأنْتَ أهْلُ الْعَفْوِ والْغُفْرَانِ
ولكَ المحَامِدُ كُلُّهَا حَمْدًا كَمَا يُرْضِيكَ لَا يَفْنَى عَلَى الأَزْمَانِ
مِلْءَ السَّمَاوَاتِ العُلَى والأَرْضِ والْـ ـمَوْجُودِ بَعْدُ ومنتهى الإمكان
مِمَّا تَشَاءُ وَرَاءَ ذَلِكَ كُلِّهِ حَمْدًا بِغَيرِ نِهايَةٍ بِزَمانِ
وَعَلَى رَسُولِكَ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ والتَّسْلِيمِ مِنْكَ وأَكْمَلُ الرِّضْوَانِ
وعَلَى صَحابَتِهِ جَمِيعًا والأُلى تَبِعُوهُمُ مِنْ بَعْدِ بالإحسان

* * * * *

الْمُحِبُّونَ لِلَّهِ

كُلُّ مَحبوبٍ سِوَى اللهِ سَرَفْ

كُلُّ مَحبوبٍ سِوى اللَّهِ سَرَفْ   وَهُمُومٌ وغُمومٌ وأَسَفْ
كُلُّ مَحبوبٍ فَمِنْهُ لي خَلَفْ   ما خَلا الرَّحمنَ مَا مِنْهُ خَلَفْ
إنَّ لِلحُبِّ دَلالاتٍ إِذَا   ظَهَرَتْ مِنْ صَاحبِ الْحُبِّ عُرِفْ
صَاحِبُ الْحُبِّ حَزِينٌ قَلْبُهُ   دَائمُ الغُصَّةِ[١] مَغْمُومٌ دَنِفْ[٢]
هَمُّهُ في اللَّهِ لَا في غَيرِهِ   ذِاهِبُ الْعَقْلِ وباللَّهِ كَلِفْ
أَشْعَثُ الرَّأسِ خَمِيصٌ[٣] بَطْنُهُ   أَصْفَرُ الْوجهِ والطَّرفُ[٤] ذرِفْ
دَائِمُ التَّذْكَارِ[٥] مِنْ حُبِّ الَّذي   حُبُّهُ غَايَةُ غاياتِ الشَّرَفْ
فَإذا أَمْعنَ في الْحُبِّ لَهُ   وَعَلاهُ الشَّوقُ مما قَدْ كَشَفْ[٦]

(١) الغُصَّة: الشجى، وهو: الهَمُّ والحَزَنُ. انظر: الصِّحَاح، لإسماعيل الجوهري.
(٢) الدَّنَف، بفتحتين: المرض الملازم. انظر: القاموس المحيط.
(٣) الخَمَصَة، بالفتح: الجوعة، والمخمصة: المجاعة. انظر: القاموس المحيط.
(٤) في نسخة أخرى: وفي الطَّرف، والطَّرفُ: العَيْن، ولا يُجْمَع؛ لأنه في الأصل مصدر، فيكون واحداً وجمعًا، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾؛ أي: أبصارهم شاخصة ظاهرة، مديمو النَّظَر، لا يطرفون لحظةً؛ لكثرة ما هم فيه من الهَوْلِ والْفِكْرَة والمخافة لما يحلُّ بهم. انظر: القاموس المحيط، ومختصر تفسير ابن كثير، (٢/ ٣٠٣).
(٥) في نسخة أخرى: التذكير.
(٦) في نسخة أخرى: من داء كشف.

بَاشَرَ الْمِحْرَابَ يَشْكُو بَثَّهُ[١] وَأَمَامَ اللـهِ مَولاهُ وَقَفْ
قائِمًا قُدَّامَه مُنْتَصِبًا لَهِجًا يَتْلُو بِآياتِ الصُّحفْ
رَاكعًا طَورًا وطَورًا سَاجدًا بَاكيًا والدَّمعُ في الأَرْضِ يكِفْ
أَورَدَ القَلْبَ عَلَى حُبِّ الَّذي فيه حُبُّ اللَّهِ حَقًّا فَعَرفْ
ثُمَ جَالتْ كَفُّه في شَجرٍ يُنبتُ الحُبَّ فَسَّمى واقتَطَفْ
إنَّ ذا الحُبَّ لِمَنْ يَعْنِي بِهِ[٢] لا بِدَارٍ ذاتِ لَهوٍ وطَرَفْ
لَا ولَا الْفِرْدَوْسُ لَا يَأْلَفُهَا لَا وَلَا الْحَورَاءُ مِنْ فَوْقِ غُرَفْ

* * * * *

● وَللهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

تَشَاغَلَ قَوْمٌ بِدُنيَاهُمُ وقَومٌ تَخلَّوْ لِمَولاهُمُ
فَأَلْزمَهُمْ بَابَ مَرْضَاتِهِ وَعَنْ سَائِرِ الْخَلْقِ أَغْنَاهُمُ
فَما يَعْرِفُون سِوى حُبِّهِ وَطَاعَتِهِ طُولَ مَحْيَاهُمُ
يَصِفُّونَ بِاللَّيلِ أَقْدَامَهُمْ وعَينُ المُهَيْمِنِ تَرْعَاهُمُ
فَطورًا يُناجونَهُ سُجَّدًا وَيَبْكُونَ طَورًا خَطايَاهُمُ
إذا فَكَّروا في الَّذي أَسْلَفوا أذابَ القُلُوبَ وَأَبْكَاهُمُ
وإنْ يَسْكُنِ الخَوْفُ لَاذوا بِهِ وَبَاحُوا إِليهِ بِشَكْواهُمُ

---

(١) البثُّ: الحال، وأشدُّ الحزَن.

(٢) في نسخة أخرى: بنا.

وأضْحَوْا صِياماً عَلَى جُهدِهم تَبَارك مَنْ هوَ قوّاهُمْ
هُمُ القومُ أَعْطوا مَليكَ المُلُوكِ صِدقَ القُلُوبِ فَوالاَهُمْ
هُمُ المُجْتَبَوْن بِنِيَّاتِهِمْ أَرادُوا رِضاهُ فَأعْطَاهُمْ
وأسْكَنهم في فَرادِيسِهِ وأَعْلا المَنَازِلِ بوَّاهُمْ
فَنالوا المُرَادَ وفَازوا بِهِ فَطُوبى لَهُمْ ثُمَّ طُوبَاهُمْ

* * * * *

لا تَخْدَعَنَّ فَلِلحَبِيبِ دَلائِلُ

لَا تَخْدَعَنَّ فَلِلْحَبِيبِ دَلَائِلُ
وَلَدَيْهِ من تُحَفِ الحَبِيبِ وَسَائِلُ
مِنْها تَنَعُّمُهُ بِمُرِّ بَلَائِهِ
وسُرورُهُ في كُلِّ مَا هُوَ فَاعِلُ
فالمنعُ مِنه عَطِّيةٌ مَقْبُولَةٌ
والفَقرُ إكرامٌ وبِرٌّ عاجِلُ
وَمن الدَّلائِلِ أَنْ تَرَى مِنْ عَزمِهِ
طَوعَ الحَبِيبِ وإِنْ أَلَحَّ العاذِلُ
ومِنَ الدَّلائلِ أَنْ يُرَى مُتَبَسِّمًا
والقَلْبُ فِيهِ مِنَ الحَبِيبِ بَلابِلُ

ومِنَ الدَّلائِلِ أَنْ يُرَى مُتَفهِّمَا
لِكَلامِ مَنْ يَحْظَى لَديه السَّائلُ
وَمِنَ الدَّلَائِلِ أَنْ يُرَى مُتَقَشِّفًا
مُتَخَطِّفًا مِنْ كُلِّ مَا هُوَ قَائِلُ

* * * * *

● فقال يحيى بن معاذٍ السيد المحب:

وَمِنَ الدَّلائلِ أَنْ تَرَاهُ مُشَمِّرًا
في خِرْقَتين عَلَى شُطُوطِ السَّاحِلِ
ومِن الدَّلائِلِ حُزْنُه وَنَحيبُهُ
جوفَ الظَّلامِ فَما لَهُ مِنْ عَاذِلِ
ومِن الدَّلائلِ أَنْ تَراهُ مُسافِرًا
نَحْوَ الجِهادِ وكُلِّ فِعلٍ فَاضلِ
ومِن الدَّلائلِ زُهْدُه فِيما يَرَى
مِنْ دارِ ذُلٍّ والنَّعِيمِ الزَّائِلِ
وَمنَ الدَّلائلِ أن تَراهُ بَاكِيًا
أَنْ قَدْ رآه عَلَى قَبِيحِ فَعَائِلِ
ومِنَ الدَّلائلِ أَنْ تراه مُسَلِّمًا
كُلَّ الأُمورِ إِلَى المَلِيكِ العادِلِ

ومِنَ الدَّلائلِ أَنْ تَراه رَاضِيًا
بِمَلِيكِه في كُلِّ حُكمٍ نَازِلِ
ومِن الدَّلائلِ ضِحْكُه بَينَ الوَرَى
والقَلْبُ مَحزونٌ كَحُزنِ الثَّاكلِ(١)

* * * * *

مُحِبُّ اللَّهِ في الدُّنْيا عَلِيلٌ

مُحِبُّ اللَّهِ في الدُّنْيا عَليلُ ... تَطاوَلَ سُقْمُهُ فَدَوَاهُ دَاهُ
كَذَا مَنْ كانَ للبَارِي مُحِبًّا ... يهِيمُ بِذِكْرِهِ حَتَّى يَرَاهُ
وَيزْهَدُ في قُصُورٍ مَعَ نَعِيمٍ ... وَفِي الدُّنْيا ويَفْنَى عَنْ هَوَاهُ
وفي سُعْدَى وفي سَلْمَى ولَيْلَى ... ولا يَرْضَى بِصُحبةِ مَنْ سِوَاهُ
مِنَ الشَّوقِ يَحِنُّ حَنِينَ ثُكْلَى ... تَرِقُّ لَهُ الحِجَارةُ لَوْ تَرَاهُ
وَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَبْدَى عِتَابًا ... فَلَمَّا ذَاقَ ما ذاقَ اشْتَهَاهُ
فَسَلِّمْ للرِّجَالِ ولا تُكَابِرْ ... فَقَدْ وَضُحَ الطَّرِيقُ لِمَنْ رَآهُ

* * * * *

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي، (٣٥٧/٤).

المُحِبُّ المُتَهَجِّدُ

قَلِيلُ العَزاءِ كَثِيرُ النَّدمْ
طَويلُ النَّحيبِ عَلَى ما اجْتَرَمْ[١]

جَرى دَمْعُهُ فَبَكى جَفْنُهُ
فَصارَ البُكَاءُ بِدَمْعٍ وَدَمْ

يَخافُ الْبَيَاتَ لِهَجْمِ[٢] المَماتِ
وفَقْدَ الحَياةِ بِضُرِّ السَّقَمْ

ويُخفي مَحَبَّةَ رَبِّ العُلَا
فَتُظْهِرُ أَنْفَاسُهُ ما اكْتَتَمْ

وأَسْبَلَ مِن طَرفِه عَبرةً
عَلَى الصَّحْنِ مِنْ خَدِّه فانْسَجَمْ

وَبَاتَ مُحَارِبَ مِحْرابِهِ
وَلَمْ تَزِلْ قَدَمٌ عَنْ قَدَمْ

فَلَمَّا تَفَتَّتَ أَحْشَاؤهُ
مِن الشَّوقِ رقَّ[٣] عَليهِ الأَلَمْ

---

(١) اجترم؛ أي: أذنب، والجُرْم والجريمة: الذَّنْب، تقول: جرم واجترم؛ أي: أَذْنَبَ. انظر: القاموس المحيط.

(٢) في نسخة أخرى: يهجم.

(٣) في نسخة أخرى: رقا.

وَكَـمْ لَـيـلـةٍ رامَ فيهـا المَنَـامَ
فَـصـاحَ بِـهِ حُـبُّـهُ: لَا تَـنَـمْ
ونـاحَ عَـلَـى جَـسـدٍ نـاحـلٍ
أطـالَ الـنُّـحُـولُ بِـهِ فَـانْـهَـدمْ
أنـابَ إِلَـى الـلَّـهِ مُـسْـتَـغْـفِـرًا
فَـصـارَ لَـهُ مِـنْ أَعَـزِّ الْخَدَمْ[1]

* * * * *

(١) استنشاق نسيم الأنس، لابن رجب الحنبلي، (٩٢).

له في كل يومٍ ألفُ عِيْدٍ

المحب للّه ﷻ له في كل يوم ألف عيد؛ فالعاقل إنما يفرح بسيده ومولاه، والغافل إنما يفرح بلهوه وهواه، وكل يوم لا يُعصى اللّه فيه فهو عيد.

قَريبُ الوَجْدِ ذُو مَرمًى بَعيدِ
عَنِ الأَحْرَارِ مِنهُمْ والعَبِيدِ
غَريبُ الوَصْفِ ذُو عِلمٍ غَريبِ
كَأنَّ فُؤادَه زُبَرُ الحديدِ
لَقدْ عزَّتْ مَعَانِيهِ وجَلَّتْ
عَنِ الأبْصَارِ إلا لِلشَّهيدِ
يَرى الأعيادَ في الأوقَاتِ تَجري
لَهُ في كُلِّ يومٍ ألفُ عِيدِ[1]

* * * * *

(١) إحياء علوم الدين، (٤/٣٥٤).

عراصًا بِقُرْبِ اللَّهِ فِي ظِلِّ قُدْسِهِ

قال الجنيد ـ رحمه الله ـ:

سَرَتْ بأُناسٍ في الغُيوبِ قُلُوبُهم ... فَحلُّوا بِقُربِ الماجِدِ المُتَفَضِّلُ
عراصًا بِقُربِ اللَّهِ في ظِلِّ قُدسِهِ ... تَجولُ بِهم أَرْواحُهُمْ وَتَنَقَّلُ
مَوارِدُهُمْ فِيها عَلَى العِزِّ والنُّهى ... ومَصْدَرُهُم عنها لِما هوَ أَكْمَلُ
تَروحُ بِعزٍّ مُفردٍ مِن صِفَاتِهِ ... وفي حُلَلِ التَّوحيدِ تَمشي وتَرْفُلُ
ومِنْ بَعدِ هَذا ما تدقُّ صِفَاتُهُ ... وما كَتْمُهُ أَوْلَى لَدِيهِ وأَعْدَلُ
سَأَكتُمُ عَن عِلمي به ما يَصُونُهُ ... وأَبْذُلُ مِنه ما أرى الحقَّ يَبْذُلُ
وأُعطي عِبادَ اللَّهِ مِنْهُ حُقوقَهُمْ ... وأَمْنَحُ مِنْهُ ما أَرى المَنْحَ يفضُلُ
عَلَى أَنَّ لِلرحمنِ سِرًّا يَصُونُهُ ... إِلَى أَهلِه في السِّرِّ والصَّونِ أجملُ[1]

* * * * *

(١) إحياء علوم الدين، (٤/٣٥٤).

نَعَمْ يَا سَيِّدي

الأُنسُ بِاللَّهِ لا يَحْويه بَطَّالُ
ولَيسَ يُدْرِكُهُ بِالحَوْلِ مُحتَالُ
وَالآنِسُونَ رِجَالٌ كُلُّهُمْ نجبٌ
وَكُلُّهُمْ صَفْوَةٌ لِلَّهِ عُمَّالُ[1]

* * * * *

وَلله دَرُّ الْقَائِلِ عن محبته لله ﷻ:

ساكنٌ في القَلْبِ يَعْمُرُهُ لَسْتُ أَنْسَاهُ فَأَذْكُرُهُ
غَابَ عَنْ سَمْعِي وَعَنْ بَصَرِي فَسُوَيْدَا[2] الْقَلْبِ يُبْصِرُهُ

ويقول الآخر:

حَبيبٌ ليسَ يَعدلُهُ حَبيبُ ولا لِسواهُ في قَلْبِي نَصِيبُ
حَبيبٌ غَابَ عَنْ بَصرِي وشَخْصي ولَكنْ عَن فُؤادِي لاَ يَغيبُ

* * * * *

وأنشدَ آخر:

مَنْ عَامَلَ اللَّهَ بِتقْوَاهُ وكَانَ في الخَلْوَةِ يَرْعَاهُ

(١) إحياء علوم الدين، (٤/٣٥٩).
(٢) سويداء القلب: حبّته.

سَقَاهُ كَأْسًا مِن صَفَا حُبِّهِ   يُسْلِيهِ عَنْ لَذَّةِ دُنياهُ
فَأبعدَ الخَلْقَ وأَقْصَاهُمْ   وَانْفَردَ العَبْدُ بِمولَاهُ

* * * * *

وأنشد بعضهم أيضًا:

أَنتَ تَدْرِي يَا حَبِيبي   مَنْ حَبِيبي أنتَ تَدْرِي
ونُحولُ الجِسمِ والدَّمـ   ـعُ يَبوحَانِ بِسِرِّي
يَا عَزيزي قدْ كَتَمْتُ الحُـ   ـبَّ حَتَّى ضَاقَ صَدْرِي

* * * * *

● وَأَنْشَدَ بعضُهم:

أَبَى الحُبُّ أَنْ يَخفَى وَكَمْ قدْ كَتَمْتُهُ   فَأَصْبَحَ عِندي قَدْ أناخَ وَطنَّبَا(١)
إِذَا اشتدَّ شَوقي هَامَ قَلْبي بِذِكْرِهِ   وَإِنْ رُمْتُ قُربًا مِن حَبِيبي تَقَرَّبَا
وَيَبدو فَأَفْنى ثُمَّ أَحْيا بِقُرْبِهِ   فَيُسْعِدُنِي حَتَّى أَلَذَّ وأَطْرَبَا

* * * *

وسئل إبراهيم القصار(٢): هل يبدي المحبُّ حبه، أو هل ينطق به، أو هل يطيق كتمانه؟ فتمثل بهذين البيتين:

ظَفَرتمْ بِكِتْمَانِ اللِّسَانِ فَمَنْ مِنْكُمْ   بِكِتْمَانِ عَينٍ دَمْعَهَا الدَّهْرُ يذْرِفُ

---

(١) طنَّب: أقام.
(٢) إبراهيم بن داود أبو إسحاق القصّار، انظر ترجمته في: حلية الأولياء، (١٠/٣٥٤).

حَملتُ جِبَالَ الحُبِّ فَوْقِي وإِنَّني ... لأَعْجزُ عَنْ حملِ الْقَمِيصِ وَأَضعفُ

ولله درُّ القائل:

أَرَاكُمْ صِرْفًا فَلَمَّا مَزَجتُمْ ... بَعَدْتُمْ بِمِقْدَارِ الْتِفَاتِكُمْ عَنْهُ
وَقَالَ لَكُمْ: لا تُسْكِنُوا الْقَلْبَ غَيْرَهُ ... فَأَسْكَنْتُمُ الأَغْيارَ ما أَنْتمُ مِنْهُ

* * * * *

المُحِبُّونَ للَّهِ

لله درُّ قائلهم إذْ يقول:

أَرواحُنا فوقَ السَّمَا ... ءِ معَ الكَواكبِ سَارِيَهْ
وقُلُوبُنا مِثلُ البُدو ... رِ بِكُلِّ لَيلٍ زَاهِيهْ
وَنُفُوسُنَا أَنْفَاسُهَا ... كالطِّيبِ أمسَتْ زَاكِيَهْ
ولِسَانُنَا بَيْتُ المَعَار ... فِ والْعُلُومِ الرَّاقِيَهْ
وكُنُوزُنَا في قَلْبِنَا ... فِيها المَعَانِي غَالِيَهْ
أَعْضَاؤنا طربتْ بِحُبِّكَ ... وهْيَ تَذْكرُ صَافِيَهْ
والرُّوحُ مِنْ وجدٍ عن الـ ... أغيارِ عاشتْ نَائِيهْ
فَنِيَتْ به عَنِ غَيْرِهِ ... فَاسْتَمْسكَتْ بِالْبَاقِيهْ
شَرفتْ به وتَلذذتْ ... بِشُهُودِهِ في عَافِيَهْ
إنْ كانَ جِسمي بالفناءِ ... سُقُوفُهُ مُتَداعِيَهْ

فـالـرُّوحُ بَـعْـدَ فَـنـائِـهِ   في الخُلدِ شَمسٌ سَامِيَةْ

* * * * *

● ويقول:

قَدْ شَربْنَا مِن حُبِّهِ فَسَكِرْنَا   وَعَرَفْنَا مِنْ أينَ نأتي الجِوارَا
وَدَخَلْنَا دَارَ الْكَرامَةِ نُرْوَى   بيقينِ الْهُدَى وَكُنَّا حَيَارَى
اعْـذُرُونَـا إِذَا نَـهِـيـمُ فَـإِنَّـا   في دِيارِ الْهَوى خُلِقْنا أُسَارَى
وَتَرَانَا مِنْ حَيْثُ نَشْرَبُ في الْكَأ   سِ سُكارَى وَلَمْ نَكُنْ بِسُكارَى
نَتَحَلَّى بِالْعِلْمِ في كُلِّ نَادٍ   وَنُرَى بِالتُّقَى عَلَيْنَا إِزَارا
فَقُلوبٌ مِثْلُ الْكَواكِبِ فِيْنَا   تُظْهِرُ النُّورَ فَهْوَ لاَ يَتَوَارى

* * * * *

● ويقول:

رِجَـالٌ وَلَـكِـنْ عَـلا قَـدْرُهُـمْ
تَـبـارَكَ مَـنْ لَـهُـمُـو قَـدْ خَـلَـقْ
لَـهُـمْ هِـمَـمٌ كـالجِبالِ الـرَّواسي
وهُـمْ عِـنـدَ رَبِّـكَ نُـورُ الْـغَـسَـقْ
وَنَـارُهُـمـو في الـنَّـعِـيـمِ الْمُقِيـمِ
فَيَا عَـجَـبًـا جَـنَّـةٌ في حَـرَقْ

* * * *

ولله درُّ القائل:

مُحِبٌّ نَفى ما الْتَذَّ مِنْ غَمْضِهِ الْفِكْرُ ... فَأَعْقَبَهُ ضُرٌّ وَأَنْهَكَهُ الضُّرُّ
وَبَاتَ يُرَاعِي أَنْجُمًا بَعْدَ أَنْجُمٍ ... وَيُرعِدُ مِنْ خَوفٍ إِلَى أَنْ بَدَا الْفَجْرُ
ويَخدمُ مَوْلاَهُ بِأَلطفِ خِدْمَةٍ ... ويُسْعِدُهُ في حُسْنِ خِدمتِهِ الصَّبْرُ
بِهِ وبِمَنْ ساوَاهُ في الزُّهْدِ والتُّقى ... إِذَا الجَدبُ عَمَّ الْأَرْضَ يُسْتَنْزَلُ القَطْرُ

* * * * *

كُلِّي قُلُوبٌ

إِذَا ذَكَرْتُكَ كادَ الشَّوقُ يُتْلِفُني ... وَغَفْلَتي عَنْكَ أحزانٌ وَأَوْجاعُ
وَصَارَ كُلِّي قُلوبًا فِيكَ وَاعِيةً ... لِلسُّقْمِ فِيهَا وللآلامِ إِسْرَاعُ
فَإِنْ نَطَقْتُ فَكُلِّي فِيكَ أَلْسِنَةٌ ... وَإِنْ سِمعتُ فُكلِّي فِيكَ أَسْمَاعُ

* * * * *

وقال الشاعر:

أَنتَ الْمُقَدَّمُ في الجَمَا ... لِ فأَيْنَ مِثْلُكَ أَيْنَ؟ أَيْنَ؟

* * * *

قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ

وقال القائل:

قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ لَهَا عُيونٌ
تَرَى مَا لَا يَرَاهُ النَّاظِرُونَا
وَأَلْسِنَةٌ بِأَسْرَارٍ تُنَاجِي
تَغِيبُ عَنِ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَا
وأَجْنِحَةٌ تَطِيرُ بغيرِ رِيشٍ
إِلَى مَلَكُوتِ ربِّ الْعَالَمِينَا
وَتَرْتَعُ في رِيَاضِ الْقُدْسِ طَوْرًا
وتَشْرَبُ مِن بِحَارِ الْعَارِفِينَا
فَأَوْرَثَنَا الشَّرابُ عُلَومَ صِدْقٍ
تَرَى فِيهَا عُلومَ الأَقْدَمِينَا
شَوَاهِدُهَا عَلَيْهَا نَاطِقَاتٌ
تُبَطِّلُ كُلَّ دَعْوَى المُدَّعِينَا
عِبادٌ أَخْلَصُوا في السِّرِّ حَتَّى
دَنَوْا مِنْهُ وَصَارُوا وَاصِلِينَا

* * * * *

ولله درُّ القائل:

سَلامٌ عَلَى قَلْبٍ وَرُوحٍ ومُهْجَةٍ
سُقِينَ بِكَأْسِ الوُد فَهْيَ تُرِيدُ

ولله درُّ القائل:

كَمْ دَمْعَةٍ فيكَ لِي مَا كُنْتُ أُجْرِيهَا
وَلَيْلَةٍ لَسْتُ أَفْنَى فِيكَ أُفْنِيها
لَمْ أُسْلِمِ النَّفْسَ لِلْأَحبابِ تُتْلِفُها
إلَّا لِعِلْمِي بِأَنَّ الْحُبَّ يُحْيِيها
وَنْظَرةٌ مِنكَ يا سُؤْلي ويا أَمَلِي
أشهى إليَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
نَفْسُ المُحِبِّ عَلَى الآلامِ صابرةٌ
لَعَلَّ خَالِقَهَا يَومًا يُدَاوِيهَا
اللَّهُ يَعْلَمُ ما في النَّفسِ جَارِحَةٌ
إلَّا وذِكْرُكَ فيها قَبْلَ مَا فيهَا
ولا تَنَفَّسْتُ إلَّا كُنْتَ في نَفَسِي
تَجْرِي بِكَ الرُّوحُ مِنِّي فِي مَجَارِيها
إنْ كنتُ أضمرتُ غَدْرًا أوْ هَمَمْتُ بِهِ
يومًا فلَا بَلَغَتْ رُوحِي أَمَانِيَاهَا

أَوْ كَـانَـتِ الْـعَـيْنُ مُـذْ فَـارَقْـتُـكُـمْ
نَظَرَتْ شَيْئًا سِوَاكُمْ فَخَانَتْهَا أَمَانِيهَا
أَوْ كَانَتِ النَّفْسُ تَدْعُونِي إِلَى سَكَنٍ
سِـوَاكَ فَـاحْـتَـكَـمَـتْ فِـيـهَـا أَعَـادِيـهَـا
حَاشَا فَذِكْرُكَ نُورُ النُّورِ فِي مُهَجٍ
تَجْرِي بِكَ النَّفْسُ مِنْهَا فِي مَجَارِيهَا

* * * * *

بِنُورِ فُؤَادِي قَصَدْتُ حِمَاكَا

وَللهِ دَر الشاعر أحمد نسيرة إذ يقول:

بِنُورِ فُؤَادِي قَصَدْتُ حِمَاكَا ... وَلَا نُورَ لِلْقَلْبِ إِلَّا هُدَاكَا
بَطَنْتَ بِذَاتِكَ يَا رَبَّنَا ... وَفِي ذَاتِ ذَاتِيَ رُوحِي تَرَاكَا
رَأَيْتُكَ فِي مُهْجَتِي لَذَّةً ... وَأَعْمَيْتُ عَيْنِيَ عَمَّنْ سِوَاكَا
فَدَعْنِي أَذُبْ فِيكَ عِشْقًا وَدَعْ ... عُيُونِيَ غَرْقَىٰ بِبَحْرِ هَوَاكَا
فَإِنْ مُتُّ عِشْقًا فَذَاكَ حَيَاتِي ... وَإِنْ عِشْتُ صَبًّا كَفَانِيَ ذَاكَا
فَأَمْلَأُ أَرْضَكَ عِشْقًا كَمَا ... أَجُوبُ بِوَجْدِي رُبُوعَ سَمَاكَا
أُحِبُّكَ يَا سَيِّدِي وَٱلْهَوَىٰ ... بِهِ ٱلْقَلْبُ بَيْنَ ٱلضُّلُوعِ تَحَاكَىٰ
سَهِرْتُ فَأَضْنَيْتُ جِسْمِي بِهِ ... وَلَيْسَ تَرَى ٱلنَّاسُ مِنِّي حِرَاكَا
أَلَا أَيُّهَا ٱلْقَلْبُ قُمْ وَٱصْحَبِ ٱلرُّو ... حَ وَٱنْفُضْ بِبَحْرِ ٱلصَّفَاءِ كَرَاكَا
وَرُمْ فِي ضَجِيجِ ٱلنَّهَارِ هُدَاهُ ... وَغَنِّ بِصَمْتِ ٱللَّيَالِي بُكَاكَا
وَصِدْ عَفْوَهُ وَٱتَّخِذْ حُبَّهُ ... وَخَوْفَكَ مِنْهُ لِذَاكَ شِبَاكَا

* * * * *

مَعَ ٱللهِ ٱلَّذِي مَا لِي سِوَاهُ

وَللهِ دَر الشاعر هاشم درويش إذ يقول:

مَعَ ٱللهِ ٱلَّذِي مَا لِي سِوَاهُ ... أَكُونُ إِذَا ٱلدُّنَا لَجُّوا وَتَاهُوا
مَعَ ٱللهِ، وَإِنْ كَانَتْ جُمُوعٌ ... لِغَيْرِ ٱللهِ سَفْهًا قَدْ تَنَاهُوا
مَعَ ٱللهِ، يُؤَازِرُنَا ضِيَاءٌ ... فَنَسْبَحُ كَالْمَلَائِكِ فِي سَمَاهُ
مَعَ ٱللهِ، وَإِنْ يَبْغُوا عَلَيْنَا ... وَكَيْفَ يَخَافُ مَنْ مَعَهُ ٱلْإِلَهُ
مَعَ ٱللهِ ٱلْعَزِيزِ وَأَيُّ شَيْءٍ ... عَزِيزٌ غَيْرَهُ يُبْغَىٰ حِمَاهُ
عَلَيْهِ تَوَكُّلِي وَإِلَيْهِ قَصْدِي ... وَفِيهِ ٱلرُّوحُ تَصْفُو مِنْ صَفَاهُ
فَلَا وَٱللهِ مَا لِي غَيْرُ رَبِّي ... لِأَسْأَلَهُ وَأَسْتَدْنِي رِضَاهُ
عَلِيمٌ بِٱلْغُيُوبِ وَبِٱلْخَبَايَا ... وَبِٱلسِّرِّ ٱلدَّفِينِ وَمُحْتَوَاهُ
فَلَا فِي ٱلْخَافِيَاتِ عَلَيْهِ سِرٌّ ... وَحَتَّى ٱلرَّمْلَ قَدْ أَحْصَى حَصَاهُ
لَطِيفٌ لَيْسَ يُدْرِكُهُ بَصِيرٌ ... وَيُدْرِكُهُ ٱلضَّمِيرُ عَلَىٰ خَفَاهُ
هُوَ ٱلنُّورُ ٱلْقَدِيمُ وَلَيْسَ يَفْنَىٰ ... فَخَلِّ ٱلْقَلْبَ يَمْضِي فِي ضِيَاهُ
وَرَاقِبْ أَمْرَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ ... وَلَا تُطِعِ ٱلْخَلِيلَ إِذَا عَصَاهُ
فَلَيْسَ ٱلْخِلُّ مَنْ أَهْدَاكَ نَارًا ... تَلَظَّى، سَاءَ مَنْ كَانَتْ لَظَاهُ
أَرَى لِلْخَالِدَاتِ يَهُبُّ قَوْمٌ ... وَلَيْسَ يَنَامُ مَنْ كَانَتْ مُنَاهُ
إِلَـٰهِي سَيِّدِي يَا نُورَ قَلْبِي ... وَمَنْ يَقِفُ ٱلضَّمِيرُ عَلَى هُدَاهُ
رَأَيْتُكَ خَالِقِي فِي كُلِّ شَيْءٍ ... يُسَبِّحُ بِٱلسُّكُونِ وَقَدْ رَآهُ

إِلَـٰهًا خَالِقًا رَبًّا كَرِيمًا فَلَا يَنْفَكُّ شَيْءٌ عَنْ عَطَاهُ
تَبَارَكَ رَبُّنَا فِي كُلِّ شَأْنٍ هُوَ ٱللهُ تَجَلَّىٰ فِي عُلَاهُ
وَصَلَّىٰ رَبُّنَا أَبَدًا وَدَوْمًا عَلَىٰ طَهَ ٱلْحَبِيبِ وَمُصْطَفَاهُ

* * * * *

رَبِّ ضَاقَتْ بِيَ السَّبِيلُ

ولله در الشاعر الدكتور عدنان علي النحوي إذ يقول:

رَبِّ ضَاقَتْ بِيَ السَّبِيلُ وَدَمْعِي ... فَاضَ! كَمْ كَانَ قَبْلَ ذَاكَ عَصِيًّا
ثَقُلَتْ فَوْقَ مِنْكَبَيَّ ذُنُوبِي ... مَنْ يُزِيحُ الذُّنُوبَ عَنْ مِنْكَبَيَّا؟!
بَيْنَ جَنْبَيَّ مُهْجَةٌ يَخْفِقُ الشَّوْ ... قُ لَدَيْهَا مَعَ اللَّيَالِي غَنِيًّا
خَشْيَةُ اللَّهِ تُطْلِقُ الشَّوْقَ لَحْنًا ... وَتُغَنِّيهِ بِالرَّجَاءِ نَدِيًّا
وَمَعَ اللَّيْلِ دَمْعَةٌ تَسْكُبُ الشَّوْ ... قَ ضِيَاءً يَجْلُو الصِّرَاطَ السَّوِيَّا
بَيْنَ آمَالِ تَوْبَةٍ وَدَوَاعِي ... رَهْبَةٍ لَمْ يَزَلْ دُعَائِي خَفِيًّا
خَاشِعًا فِي تَضَرُّعٍ حَمَلَتْهُ ... رَعَشَاتٌ تَمُوجُ فِي شَفَتَيَّا

* * * * *

أَيُّ نُورٍ سَرَى يُزِيحُ ظَلَامًا ... عَنْ دُرُوبِي وَيَبْعَثُ الْقَلْبَ حَيًّا
يَغْسِلُ الْقَلْبَ مِنْ عَوَارِضِ آثَا ... مٍ فَيُحْيِيهِ بَعْدُ قَلْبًا نَقِيًّا
أَنْتَ يَا رَبِّ نُورُكَ الْحَقُّ أَغْنَى ... كُلَّ شَيْءٍ هُدًى وَمَعْنًى جَلِيًّا
مَلَأَ الْكَوْنَ بِالْجَمَالِ جَلَالًا ... وَغِنَاءً يَفِيضُ مِنْهُ زَكِيًّا
كُلُّ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يَمْضِي ... حَامِدًا خَاشِعًا إِلَيْكَ رَضِيًّا
غَيْرَ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَا زَالَ يَشْقَى ... حَائِرًا فِي هَوَاهُ يَمْضِي مُضِيًّا

نَسِيَ الْعَهْدَ، وَيْحَهُ، فَتَرَاهُ تَاهَ فِي دَرْبِهِ عَصِيًّا شَقِيًّا
جَاحِدًا غَابَ فِي الضَّلَالَةِ أَعْمَى أَوْ وَفِيًّا بِعَهْدِهِ وَتَقِيًّا
جِئْتُ رَبِّي إِلَيْكَ أَسْأَلُكَ الْعَفْـ ـوَ فَهَبْ مِنْ لَدُنْكَ عَفْوًا رَضِيًّا
لَيْسَ لِي مِنْ غِنًى سِوَى رَحْمَةِ اللَّـ ـهِ وَعَفْوٍ أَظَلُّ فِيهِ غَنِيًّا
رَبِّ إِنْ غَابَ عَفْوُكَ الْيَوْمَ عَنِّي أَيُّ شَيْءٍ تُرَاهُ يَبْقَى لَدَيَّا
الْفَقِيرُ الْفَقِيرُ مَنْ تَاهَ فِي الدَّرْ بِ شَقِيًّا وَضَلَّ جَهْلًا وَغَيًّا
وَالْغَنِيُّ الْغَنِيُّ مَنْ صَدَقَ اللَّـ ـهَ وَأَغْنَى الْحَيَاةَ مَعْنًى بَهِيًّا

* * * * *

نَعْيُ الْمُثُلِ الْعُلْيَا

أَنْعِي إِلَيْكَ قُلُوبًا طَالَمَا هَطَلَتْ ... سَحَائِبُ النُّورِ فِيهَا أَبْحُرَ الحِكَمِ
أَنْعِي إِلَيْك لِسَانَ الْحَقِّ مُذْ زَمنٍ ... أَوْدَى وَتَذْكَارُهُ فِي الْوَهْمِ كَالعَدَمِ
أَنْعِي إِلَيْكَ بَيَانًا تَسْتَكِينُ لَهُ ... أَقْوَالُ كُلِّ فَصِيحٍ مِقْولٍ فَهِمِ
أَنْعِي إِلَيكِ إِشَارَاتِ الْقُلوبِ معًا ... لَمْ يَبْقَ مِنْهُنَّ إِلَّا دَارِسُ الرِّمَمِ
أَنْعِي - وحَقِّكَ - أَخْلَاقًا لِطَائِفَةٍ ... كَانَتْ مَطَايَاهُمُ مِنْ مَكْمَدِ الْكَظَمِ
مَضَى الْجَمِيعُ فَلَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ ... مُضيَّ عادٍ وفُقْدَانَ الألى إِرَمِ
وخَلَّفُوا مَعْشَرًا يجرُونَ لُبْسَتَهُمْ ... أَعْيَى مِنَ الْبُهْمِ بَلْ أَعْيَى مِنَ النَّعَمِ

* * * * *

قَلْبٌ مُجَنَّحٌ فَوْقَ السَّماءِ

لِلأَميري

قَلْبِي وَمَا قَدْ بَثَّ قَلْـ ـبِي فِي الجَنَانِ وفِي الكِيانْ
مِنْ وَقْدَةِ الهَمِّ الْكَؤو دِ(١) يَظَلُّ يُمْعِنُ فِي الحِرَانْ!(٢)
مِنْ وَثْبَةِ العَزْمِ الصَّعُو دِ(٣) ومِنْ مُكابَدَةِ الزَّمانْ
مِنْ غَضْبَةِ الحُرِّ الصَّمُو دِ وَقَدْ رَأَى حُرًّا يُهَانْ
مِنْ لَهْفَةِ الْعَطْفِ الْوَدُو دِ مِنَ الْوَفَاءِ مِنَ الْحَنَانْ
هُوَ فِي الجَلَالِ وَفِي الْجَمَا لِ مَعًا وَفِي قَاصٍ ودَانْ
كَمْ ذَا اشْرَأَبَّ(٤) يُجَاوِزُ الْآفَاقَ يَسْبَحُ فِي الْجِنَانْ
فِي سَرْحَةِ الأَمَلِ الشَّرُو دِ رِحَابُهُ فِي اللَّامَكَانْ
قَلْبي وَبَثُّ الْقَلْبِ يَعْـ ـجَزُ أَنْ يُصَوِّرَهُ الْبَيَانْ
يَغْدُو الْمُنَىٰ يَحْدُو السَّنَا فَكَأَنَّ قلبي فَرْقَدَانْ
حَتَّى إِذَا مَا ضَاقَ عَنْـ ـهُ الْجِسْمُ وَانْعَقَدَ اللِّسَانْ
حَلَّقْتُ مِلءَ سَكِينَتِي وَتَرَكْتُ لِلْقَدَرِ الْعِنَانْ
وَسَمَوْتُ أَدْعُو مُطْمَئِنَّ الرُّوحِ ... مُرْتَاحَ الجَنَانْ

---

(١) الكَؤُود: الصَّعْبُ المُرْتقى.
(٢) الحِرَان: التوقُّف حين يُطلب الجَرْي.
(٣) الصَّعُود: الصَّاعد.
(٤) اشْرَأَبَّ: مدَّ عنقه، وارتفع لينظر.

أَدْعُـو دُعَـاءَ مُـجَـنَّـحٍ ... فَـوْقَ الـسَّـمَـاءِ لَـهُ يَـدانْ
والقَلْبُ وهْوَ أَبو القُلو ... بِ وكُلُّ مَا في الْكَوْنِ فَانْ
أَوْدَعْـتُـهُ رَبًّـا بَـرَا ... هُ[1] ورُحْتُ أغْفُو في أَمَانْ[2]

* * * * *

سَـجْـدَةٌ

للأميري

كُنْ مَعَ اللهِ، وَٱبتَغِ اللَّهَ وَحْدَهْ ... لَيْسَ إِلَّاهُ في الْعَوَالِمِ عُدَّهْ[3]
وَٱجْعَلِ اللهَ خَفْقَ قَلْبِكَ حَمْدًا ... وَرَجَـاءً وَخَـشْـيَـةً ومَـوَدَّهْ
وٱفْنَ في حُبِّهِ إِنِ ٱسْطَعْتَ تَحْيَ ... فَوْقَ عُمْرِ الحياةِ - ما شَاءَ - خُلْدَهْ
كابِدِ[4] الْوَجْدَ بالَّذِي لاَ تَرَاهُ ٱلْـ ... ـعَيْنُ وَٱجْعَلْ سَبيلَ قُرْبِكِ سَجْدَه
هُـوَ نُـورُ الـسَّـمَـاءِ والأَرْضِ ... فَٱقْبِسْ مِنْهُ وَاقْدَحْ بِهِ لِرُوحِكَ زَنْدَهْ[5]
وتَـنَـفَّـسْ بِـذِكْـرِهِ وتَـلَـبَّـثْ ... لِـتَـجـلِّـيـهِ مُـدَّةً إِثْـرَ مُـدَّهْ

(١) بَرَاه: برأه: خلقه.
(٢) من ديوان قلب وربّ، ص:٧١ - ٧٤.
(٣) عُدَّة: ما يُعَدُّ للأمر العظيم.
(٤) كابَدَ الأمر: قاسى شدته.
(٥) أقدَحَ زَنْدَهُ، قدح بالزند: ضرب به الحجر لتخرج النار منه.

ذِرْوَةُ العِزِّ والسُّمُوِّ وأوْجُ آلـ سَّعْدِ والمجْدِ أنْ تُرامِقَ[١] مَجْدَهْ
وعُلاكَ الأرْقَىٰ - أيَا حُرُّ - أنَّ اللَّهَ سَوَّاكَ مُنْذُ سَوَّاكَ عَبْدَهْ[٢]

* * * * *

غَـرِيـــبٌ

اللهُ أعْلَمُ ما يُخَبِّئُ في غَدٍ لِلعَبْدِ رَبُّهْ
قَالوا مَريجٌ[٣] جَدَارَةٍ! وجَدَارَةُ الإِنْسَانِ دَأْبُهْ
قَالُوا: مَرِيضٌ مُدْنَفٌ أوَ لَيْسَ حُبُّ اللَّهِ طِبُّهْ
قَالوا: غَريرٌ[٤] حُلْمُهُ ناءٍ وخَلْفَ الأُفْقِ دَرْبُهْ
أوَ مَا دَرَوْا أنَّ المُقَدَّ رَ كائنٌ والقُرْبَ قُرْبُهُ[٥]
قَالُوا الْهُمُومُ وَأَدْنَهُ وهُمُومُ حُرِّ النَّفسِ عَضْبُهْ[٦]
يَمْضِي يُمَارِسُ ذَاتَهُ فَيَهُونُ بالْعَزَماتِ كَرْبُهُ
قَالُوا: شَرِيدُ الدَّارِ يَحْـ يَا وَحْدَهُ وجَفَاهُ صَحْبُهْ!
لَا بَأْسَ فَلْيَجْفُ الَّذي يَجفو، فَإِنَّ اللَّهَ حَسْبُهْ

---

(١) ترَامقَ: رامَقَه: تتبَّعه بنظره وبصره.
(٢) من ديوان قلب وربّ، للأميري، (٨٧،٨٨).
(٣) مَرِيجٌ: مُتَلَبِّس.
(٤) غَرِير: قليل التَّجْرُبَة.
(٥) وَأَدْنَهُ، من الوَأْد: دَفْنُ الحيِّ.
(٦) عَضْبُه: العَضْب: الحاد، ويُراد به السيف الماضي.

قَالوا نَفَثَهُ الأَرْضُ مُذْ عَشِقَ السَّمَا، وَالذَّنْبُ ذَنْبُهْ
لَا الشَّرْقُ - مَنْبِتُهُ - لَهُ شَرْقٌ وَلَيْسَ الغَرْبَ غَرْبُهُ
لا يَسْتَجِيبُ لَهُ انْتِمَاءٌ كَوْنُهُ قَدْ ضَاقَ رَحْبُهُ!
قَصُرَتْ مَدَارِكُهُمْ وَرَاءَ الأَرْضِ يَرْبُضُ ثَمَّ شَهْبُهْ[١]
يَرْقَى الْمَعَارِجَ مِنْ ذُرَاهُ يَسِيرُ والأفلاكُ رَكْبُهْ
قالوا: غَرِيبٌ بُورِكَ الْـغُربَاءُ لِلْغُرباءِ حُبُّهُ
هِيَ غُرْبَةُ الأحْرارِ في مَلَكُوتِهَا يَرْتَاحُ قَلْبُهُ
قَالُوا وَقِيلَ وَلَا يَني يَسْعَىٰ وعِنْدَ اللَّهِ غَيْبُهْ
فاللَّهُ أَعْلَمُ ما يُخَبِّئُ في غَدٍ لِلْعَبْدِ رَبُّهْ[٢]

* * * * *

(١) شَهْبه: الشَّهْبُ: الجبل المرتفع يعلوه الثلج.
(٢) عمر بهاء الدين الأميري، ديوان قلب وربّ، (١٢٣ - ١٢٦).

قَتَلْتُ هَوَى نَفْسِي فَعِشْتُ بِلَا نفْسِ

ولله درُّ المحب لله إذ يقول:

قَتَلْتُ هَوَى نَفْسِي فَعِشْتُ بِلَا نفْسِ
وَجَافَيْتُ أُنْسي فَانْحَدَرْتُ إِلَى الأُنْسِ

وَلَمْ أَبْدِ أَمْرِي لْلعِبَادِ فطالما
كَتَمْتُ الَّذِي أَلْقَى عَنِ الجِنِّ وَ الإِنْسِ

وَأَدْرَكْتُ بِالْوجْدَانِ سِرَّ أَحِبَّتي
وَعَانَيْتُ آيَاتِ الْيَقِينِ بِلَا لَبْسِ

وَعِشْتُ زَمَانِي لَسْتُ أَحْفَلُ بِالْوَرَى
وَكَيْفَ وَقَلْبِي هَامَ فِي مَشْهَدِ الْقُدْسِ

وَعَلَّمْتُ غَيْرِي مَا أَفَادَ مِنَ الهُدَى
فَلَمْ يَبْقَ ذُو فَهْمٍ لَدَيَّ عَلَى طَمْسِ

إِذَا وُسِّد النَّاسُ الْقُبُورَ فَإِنَّني
جَعَلْتُ التُّقَى وَالذِّكْرِ بَيْنَ الْوَرَى رمْسي

وَلَمْ أَخْشَ مِنْ بَأْسٍ وَلَمْ أَخْشَ طَاغيًا
وَمَنْ يَخْشَ ذَاتَ اللَّه لَمْ يَرَ مِنْ بَأْسِ

وَهَلْ غيرُ ذَاتِ اللَّهِ لِلنَّفْسِ مَطْلَبٌ
حَرَامٌ سِوى الرَّحْمَنِ يَدْخُلُ في نَفْسِي

وَتَوَّجْتُ بِالْقُرْآنِ نَفْسِي عَقِيدَةً
أَصُونُ بِهِ نَفْسِي عَنِ الزَّيْغِ والدسِّ
ومَا اتَّخَذَتْ رُوحِي سِوَى اللَّهِ غَايَةً
فَتَمَّ الْهُدَى لِلرُّوحِ والْقَلْبِ وَالحِسِّ
وَإِنْ شَرِبَ النَّاسُ الطِّلَا فَتَصَبَّبُوا
فَسُنَّةُ خَلْقِ اللَّهِ فِي شُرْبِهَا كَأْسِي
وَإِنْ رَفَعَ الْمُثْرُونَ عُجبًا رُءُوسَهُمْ
رَفَعْتُ بِذِكْرِ ٱللَّهِ فَوْقَ الْوَرَى رأْسِي
وَإِنْ جَعَلُوا الشَّمْسَ اهْتِدَاءً لِيَوْمِهِمْ
جَعَلْتُ رِضَا رَبِّي وَآيَتِهِ شَمْسِي
وَإِنْ غَرَسُوا زَرْعًا لِنَيْلِ حَصَادِهِ
فَتَقْوَى إِلَهِ الْعَرْشِ بَيْنَ الْوَرَى غرسي
تَعَشَّقْتُ نُورَ اللَّهِ وَهْوَ بَصِيرَتِي
وَقَدْ وَضَحَ الْبُرْهَانُ مِنْ آيَةِ الْكُرْسي
وَمُذْ شَاهَدَتْ رُوحِي جَلالَكَ وَارْتَقَتْ
تَجَرَّدتُ عَنْ مَعْنايَ فِي عَالَمِ الحِسِّ
أُحِبُّكَ يَا رَبِّي مَحَبَّةَ مُوقِنٍ
وَمِنْ قُوَّةِ الإِيمَانِ أُصْبِحُ أَو أُمْسِي
فُؤَادِيَ قَدْ أَبْعَدْتُ عَنْ مَشْهَدِ الْوَرَى
فَطُهِّرَ فِي نَجْوَاكَ مِنْ ظُلْمَةِ الرِّجْسِ

أَطُوفُ عَلَى الْأَبْوَابِ قَلْبِيَ مُوجَعٌ
وَلَيْسَ سِوَى رُحْمَاكَ لِلْقَلبِ من نِطْسِ

وَأَعْدَمَنِي فِي الْحُبِّ عِلْمِي بِقَدْرِهِ
فَلَيْسَ غَرَامِي فِيهِ يُدْرِكُ عَنْ قَيْسِ

وَلَمْ أَعْشَقِ الدُّنْيَا فَتِلْكَ مَجَازَةٌ
تُهَيِّىءُ لِلأُخْرَى وَفي فَوْتِهَا عُرْسِي

لِقَاؤُكَ يَا رَحْمَنُ عِيدي وَعُدَّتِي
وَنُورُك غَيْثِي وَهْوَ لِي فِي الْوَرى أُنْسِي

وَبَحْرُكَ مِنْهُ قَدْ لَقِيتُ جَواهِري
بِشَاطِئِهِ سُفُني عَلَى لُجِّهِ غَطْسِي

وَطِيبُ الْوَرَى وَرْسٌ وَمِسْكٌ وَعَنْبَرٌ
وَطِيبِيَ مِنْ مَحْيَاكَ أَسْمَى مِنَ الْوَرْسِ

وَلَسْتُ مِنَ الدُّنْيا أميلُ إِلَى العُلا
فإِنَّ عُلا الدُّنْيَا لِأَصْحَابِهِ يُنْسِي

أُمَتِّعُ أَعْضَائِي بِذِكْرِكَ دَائِمًا
وَهَلْ غَيْرُ ذِكْر اللَّهِ يَسْكُنُ فِي نَفْسِي

وَكُلُّ رَجَائي أَنْ أُحِبَّكَ صَادِقًا
إِذِ الصِّدْقُ فِي الْوِجْدانِ مَرْتَبَةُ الْقُدْسِ

وَمَا فَضْلُهُ وَقْفٌ عَلَى أيِّ عالمِ
وَحقِّكَ مَا حُدَّ الْعَطَاءُ عَلَى جِنْسِ
إِذَا رَضِي الرَّحْمَنُ عَنْ قَلْبِ عَبْدِهِ
جَرَتْ مَركَبُ الْأَقْدَارِ مَعْهُ عَلَى الْيَبْسِ
تَخَلَّ وَلَا تَحفلْ بِجِنٍّ وَلا إنْسِ
وَعِشْ في هَوَى الرَّحْمنِ تَسْعَدُ بِالْأُنْسِ
وَأَقبلْ عَلَى مَولاكَ بِالقلبِ مخْلِصًا
وَأَسلِمْ وسَلِّمْ واتَّجِهْ طالب القُدْسِ
وخُذْ لَكَ بالإِيمَانِ أَصْدقَ وِجْهَةٍ
وَطَهِّر بِهَا نَفْسًا عَنِ الْغي وَالرِّجْسِ
تَجرَّدْ تَجِدْ مَوْلاكَ أكبرَ ناصرٍ
وفوِّضْ لَهُ مَا كانَ فِي الغدِ والأمْسِ
حياةُ الْورى حُلوٌ ومُرٌّ وَإنَّمَا
حَلا المرءُ بالتَّوحِيدِ من رِقة الحسِّ
وَمَنْ لَا يَرَى إِلَّا الإلهَ مُرَادَهُ
حرامٌ عَلَيْهِ الخوضُ في الْعرشِ والكُرْسِي
وَمَنْ يَتَعَشَّق نُورَهُ وجلَالهُ
فَلَيس لَهْ التَّشْبِيبُ بِالبدْرِ والشَّمسِ
وَإنَّكَ لَوْ عَظَّمْتَ دينَك عَالمًا
وَعَامَلْتَ بالحُسْنى وأدَّبتَ لِلنَّفسِ

وَكُنْتَ عَلَى الْأَحْدَاثِ باللَّهِ رَاضيًا
سَواءٌ عَلَيْكَ الْمَوتُ أو ساعةُ العُرْسِ

سَعِدْتَ مِنَ الدُّنْيا بِربِّك مُحسنًا
وَنِلْتَ من الْأُخرى عَطاءً بِلَا بخسِ

يَقُولُونَ لِي مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ مُوحِّدٌ
إِلَى رَبِّهِ يَسْعَى وَلَمْ يَرَ مِنْ بأْسِ

إِذَا قِيلَ لي اطْلُبْ قُلْتُ رَبِّيَ مَطْلَبي
وَإِنْ قيلَ لِي اشْرَبْ قُلْتُ أنوارُهُ كَأْسِي

وكلُّ عُهودٍ قَدْ تنَكَّسَ أَصْلُهَا
ولكنَّ عَهْدَ اللَّهِ بَاقٍ بلا طَمْسِ

سَلُوني عَنِ الْعُشَّاقِ قَدْ ذُقْتُ حُبَّهُمْ
وَإِنِّي لَهُمْ رَأسٌ إذَا كَان مِنْ رَأْسِ

وَمَا هُمْ سِوى أَعْضَاءِ جِسْمِي وَبِزَّتِي
أُصَافِحُهُمْ مَا شِئْتُ لَكِنْ بِلا لَمسِ

وَمَا حِيلَتي إِلَّا انْكِسَاريَ فِي الْحِمى
وَإِنَّ انكسَارَ الْقَلْبِ يَكْشِفُ عَنْ قُدْسِي

وحُلْوُ الْهَوَى عِندِي لِقَاءُ أَحِبَّتِي
وَمُرُّ الْهَوَى عِنْدِي وَفِي هَجْرِهِمْ تَعْسِي

وَأَعْرِفُ رَحْمَانِي وَأُدْرِكُ عَفْوَهُ
وَأَنْهَضُ معتزًّا وَمَا أَنَا بِالْمَنْسِي

وَإِنَّ حِبَالَ الْوَجْدِ تَرْبُطُ مُهْجَتِي
وَقَلْبِي بحبِّ ٱللَّهِ يَعْبَق كَالْورْسِ
وَإِنْ كُنْتُ في سَعْدٍ فَذَلِكَ فَضْلُهُ
وَإِنْ لَمْ أَكنْ مِن سَادَةِ الْعُرْبِ وَالْفُرْسِ
فَقلْ لِلَّذي يُزجي الشِّرَاعَ دعِ الْكَرَى
تَجِدْ سُفنَ الإحْسَانِ تَجْرِي عَلَى الْيَبْسِ
وَسِرْ مُوقِنًا أَنَّ الإجابَةَ لِلْهَوى
إذَا مَا دَعَا الدَّاعِي وَلَا تكُ فِي حَدْسِ
فَكُلُّ الَّذي تَرَاهُ وَالْكَونُ خلقُهُ
وَمَا نفعَ التَّفريقُ بِالنَّوْعِ والجِنسِ
حَسِبْتُ الْهَوى سَهْلًا فخُضتُ عبَابَهُ
فَطورًا بِهِ أَطْفُو وَطورًا بِهِ غَطْسِي
إِلَى أَنْ أَتتْنِي مِنْ لَدُنْهُ عِنَايَةٌ
وَصَلْتُ بِهَا بَرَّ السَّلامةِ والأُنْسِ(١)

* * * * *

- ورحم ٱللَّه من قال:

أَحِنُّ بِأَطْرَافِ النَّهَارِ صَبَابَةً وَفِي اللَّيْلِ يَدْعوني الْهَوى فأُجِيبُ

(١) للشيخ: علي عقل.

وَأَيَّامُنَا تَفْنَى وَشَوْقِيَ زائدٌ كأَنَّ زَمانَ الشَّوقِ لَيْسَ يَغِيبُ

● **وما أجمل قول القائل:**

لَا كانَ مَنْ لسِواك فِيهِ بَقيةٌ فِيهَا يُقَسَّمُ فِكْرُهُ وَيسوسُ

● **وقول المحب:**

لهَا أحاديثُ من ذِكراك تَشْغَلُهَا عَنِ الطَّعَامِ وتُلهيهَا عَنِ الزَّادِ

* * *

الْمُحِبُّونَ لِلَّهِ

قَوْمٌ تَخلَّلهم زَهْوٌ بِسَيِّدِهِمْ والْعَبدُ يَزهو عَلَى مِقْدَار مَولَاهُ
تَاهُوا بِحُبِّهِمْ عَمَّنْ سِوَاهُ لَهُ يا حُسنَ رؤيَتِهِمْ فِي حُسنِ ما تَاهُوا

● وقول القائل:

بِدَمِ الْمُحِبِّ يُباع وَصلُهُمُ فَمَنِ الَّذي يَبْتَاعُ بالثَّمنِ

● وقول المحب:

أنتَ القَتِيلُ بِكُلِّ مَن أحببْتَهُ
فَاخترْ لِنَفسِكَ فِي الْهَوى مَنْ تَصْطفي

● وقول الآخر:

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أميري زَادَنِي
حُبًّا لَهُ نَظري إِلَى الأُمَراءِ

● وقول القائل:

أُحِبُّ حَبيبًا لَا أُعابُ بِحبِّهِ
وأَحْبَبْتُمُ مَنْ فِي سِواهُ عُيوبُ

● وقول القائل:

وَحَسْبي انْتِسَابِي مِن بَعيدٍ إليكمُ وَذَلكَ حَظٌّ مِثلُهُ يُتَيَمَّمُ
إذا قِيلَ هَذا عَبدُهُمْ ومُحِبُّهُمْ تَهَلَّلَ بِشْرًا ضَاحِكًا يَتَبَسَّمُ

• ولله درٌّ من يقول:

إِذَا كَانَ حُبُّ الْهَائِمين مِنَ الْورَى
بِلَيلى وسُعدى يَسلبُ اللُّبَّ والعَقْلَا
فَماذَا عَساهُ يَصَنَعُ الْهَائِمُ الَّذِي
سَرَى قَلْبُهُ شَوقًا إِلَى الْعالمِ الأَعْلى

* * * * *

• ولله در القائل:

فَدَاخلَ هَمُّ الْقومِ لِلخَلْقِ وَحْشَةً
فَصَاحَ بِهِم أُنسُ الْجَلِيلِ إِلَى الذِّكْرِ
فَأَجْسَادُهم فِي الْأَرْضِ هَوناً مقيمةٌ
وَأَرْواحُهُم تَسْرِي إِلَى مَعْدِنِ الْفَخرِ
فَهَذَا نَعِيمُ الْقومِ إِنْ كُنت تَبْتَغِي
وَتَعَقلُ عَنْ مَولاكَ آدابَ ذِي الْقَدْرِ

* * * * *

• ولله در القائل:

أُمْسِي وَأُصْبِحُ مِن تَذْكَارِكُمْ قَلقًا   يَرْثِي لِي الْمُشْفِقَانِ الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ
قَدْ خَدَّدَ الدَّمْعُ خَدِّي مِن تَذَكُّرِكُمْ   وَاعْتَادني الْمُضْنِيَانِ الشَّوقُ وَالْكَمَدُ
وَغَابَ عَنْ مُقْلَتي نَومِي فنافَرَهَا   وخَانَني الْمُسْعِدَانِ الصَّبْرُ وَالْجَلَدُ

لا غَرو لِلدَّمْعِ أنْ تَجري غَوارِبُه ... وتَحتَهُ الخَافِقَانِ القَلبُ والكبدُ

كأنَّمَا مُهجتي نِضْوٌ بِبَلْقَعةٍ ... يَعْتَادُهُ الضَّارِيانِ الذِّئْبُ والأسَدُ

لم يَبْقَ إلَّا خَفِيُّ الرُّوحِ من جَسَدِ ... فِدَاؤك البَاقيانِ الرُّوحُ والجَسَدُ

* * * * *

● ولله در القائل:

يا من يُذَكِّرُني بِعَهْدِ أَحِبَّتي

طابَ الحديثُ بِذِكْرهم ويَطيبُ

أَعِدِ الحَدِيثَ عَليَّ من جَنَباتِهِ

إنَّ الحَديثَ عَنِ الحَبيبِ حَبيبُ

ملأَ الضُّلوعَ وَفاضَ عَنْ أَجْنَابِهَا

قلبٌ إذا ذُكِرَ الحبيبُ يَذوبُ

مَا زَالَ يَخفِقُ ضاربًا بِجنَاحِهِ

يا ليتَ شِعري هلْ تطيرُ قلوبُ

* * * * *

ولله در القائل:

خَطَراتُ ذِكْرى تَسْتَثِيرُ مَودَّتي ... وأُحِسُّ مِنْها في الفُؤادِ دَبيبَا

لَا عضوَ لي إلَّا وَفيهِ مَحبةٌ ... فكأَنَّ أَعْضَائِي خُلِقْن قُلوبَا

* * * *

أَيُّهَا الْمُعْرِضُ عَنِ الْحَبِيبِ الْوَدودِ

أَيَا صَاحِ هَذَا الرَّكبُ قَدْ سَارَ مُسْرِعَا[1]

أَيَا صَاحِ هَذَا الرَّكبُ قَدْ سَار مُسرعا ... ونحنُ قعودٌ ما الَّذِي أَنْتَ صَانِعُ
أترضى بِأَنْ تَبقَى الْمُخَلَّفَ بَعْدَهُمْ ... صَرِيعَ الأَمَاني وَالْغرامُ يُنَازِعُ
وَهَذَا لِسَانُ الْكَونِ يَنْطِقُ جَهْرَةً ... بِأَنَّ جَميعَ الكائنَاتِ قَوَاطِعُ
وأنْ لا يرى وَجْهَ السَّبيلِ سِوى امْرِئٍ ... رَمَى بالسِّوى لَمْ تَختدعْهُ الْمَطامِعُ
وَمَنْ أبصرَ الأشياءَ والحقُّ قبْلهَا ... فَغَيَّب مَصْنوعًا بِمَنْ هو صَانِعُ
بـوادِهُ أنـوارٍ لِمن كـان ذاهِـبًـا ... وتحقيقُ أسرارٍ لِمَن هُو رَاجِعُ
فَقُمْ وَانْظُرِ الْأَكْوانَ وَالنُّورُ عمَّهَا ... فَفَجْرُ التَّداني نحْوكَ اليومَ طالعُ
وَكُنْ عَبْدَهُ أَلْقِ الْقِيَادَ لِحُكْمِهِ ... وَإِيَّاكَ تَدْبيرًا فَمَا هُو نافعُ
أَتُحْكِمُ تَـدبيرًا وَغيرُك حَـاكِـمٌ ... أَأَنـتَ لأحـكـامِ الإلـهِ تُـنازِعُ
فَـمَحـو إِرَاداتٍ وكُـلِّ مَـشيئـةٍ ... هو الغَرضُ الْأَقْصى فَهَلْ أَنت سامِعُ
كَذلكَ سَار الْأَوَّلونَ فَأَدْرَكُوا ... عَلَى إِثْرِهِمْ فَليسْرِ مَنْ هُوَ تَابعُ
عَلَى نَفْسهِ فَلْيَبْكِ مَن كَانَ طَالبًا ... وَمَا لَمَستْ مِمَّنْ يُحبُّ لَوَامعُ

---

(١) لابن عطاء اللَّه السَّكَنْدري.

عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَنْ كَانَ بَاكيًا   أَيَذْهَبُ وقتٌ وَهْو بِاللَّهْوِ ضَائِعُ

قَالَ الشَّـاعِـر:

عِـبـادٌ أَعْـرَضُـوا عـنَّـا   بِـلا جُـرْمٍ وَلَا مَـعْـنَـى
أَسَـاءُوا ظَـنَّـهُـمْ فِينَـا   فَـهَـلَّا أَحْـسَـنُوا الـظَّـنَّـا
فَـإِنْ خَـانـوا فَـمَـا خُـنَّـا   وَإِنْ عَـادوا فَـقَـدْ عُـدْنَـا
وَإِنْ كانـوا قـد اسْـتَغْـنَوْا   فـإِنَّـا عَـنْـهُـمُ أَغْـنَـى

* * * *

أَيُّهَا الْمُعْـرِضُ عَنْهُـمْ

تَطْوي الْمَرَاحِلَ عَنْ حَبيبك دائبًا ... وتظَلُّ تَبْكِيهِ بِدَمْعٍ سَاجِمِ
كَذَّبَتْكَ نَفْسُكَ لَسْتَ مِنْ أَحْبَابِهِ ... تَشْكُو الْبِعَادَ وَأَنْتَ عَيْنُ الظَّالِمِ

* * * * *

● **أَيُّهَـا الْمُعْـرِضُ:**

أَيُّـهَـا الْمُعْـرِضُ عـنَّـا ... إِنَّ إِعْـرَاضَـكَ مِـنَّـا
لَـوْ أرَدْنَـاكَ جَـعَـلْـنَـا ... كُـلَّ مـا فيكَ يُـرِدْنَـا

* * * * *

● **أَيُّهَـا الْمُعْـرِضُ:**

أَتَـتْرُكُ مَـنْ تُحِـبُّ وَأَنْـتَ جَـارُ ... وَتَـطْـلُـبُـهُـم إِذَا بَـعُـدَ الْمَزَارُ
تركْتَ سُؤَالَهُمْ وهُمُ حُضورٌ ... وتَرْجُو أَنْ تُـخَـبِّرَكَ الـدِّيـارُ
فَنَفْسَكَ لُمْ وَلا تَلُمِ الْمَطَايَا ... ومُتْ كَمَدًا فَلَيْسَ لكَ اعتِذارُ

● **أَيُّهَـا الْمُعْرِضُ:**

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا فَارَقْتَهُ عِوَضٌ ... وَلَيْسَ للهِ إن فَارَقتَ مِنْ عِوَضِ

* * * * *

يَا لَاهيًا في غمْرَةِ الْجَهْلِ وَالْهَوى ... صَريعًا علَى فُرُشِ الرَّدى يتقَلَّبُ
تأَمَّل - هَدَاك ٱللَّهُ - ما ثَمَّ وانْتَبِه ... فَهَذَا شرابُ الْقَومِ حقًّا يُرَكَّبُ

وتَركِيبهُ في هَذِهِ الدَّارِ إنْ تَفُتْ فَليسَ لهُ بَعْدَ المنِيَّةِ مَطْلَبُ
فَيَا عَجَبًا منْ مُعْرِضٍ عَنْ حياتهِ وعَنْ خَطِّه الْعَالي ويَلْهو وَيَلْعَبُ
ولَو عَلِمَ المحرومُ أيَّ بضاعةٍ أَضَاعَ لأَمْسَى قَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ
ويَعْجَبُ مِمَّن باعَ شيئًا بِدونِ مَا يُسَاوي بِلَا عِلمٍ وأمرُك أعْجَبُ
لأَنَّكَ قَدْ بِعْتَ الْحياةَ وطيبَهَا بِلذَّةِ حُلْمٍ عَن قَليلٍ سَيذهَبُ
تَصُدُّ وتنأى عَنْ حَبيبِكَ دائمًا فَأيْنَ عنِ الأَحْبابِ وَيْحكَ تَذْهَبُ
سَتَعْلَمُ يومَ الحشرِ أيَّ تجارةٍ أَضَعْت إِذَا تِلك الموازينُ تُنْصَبُ

* * * * *

أَيُّهَا الْمُعْرِضُ عَنِ الملكِ الودود

مُتْ عَلى من غبتَ عنه أسفَا لَسْتَ عَنْه بمُصيبٍ خَلَفَا
لَنْ تَرى قُرَّةَ عَينٍ أَبَدَا أَوْ تَرى نَحوهُمُ مُنْصَرَفَا

* * * * *

كَمْ بَيْنَك وبَيْنَ الْمُحِبِّين

وَصَلوا إِلى مَوْلَاهُمْ وَبقِينَا وَتَنَعَّمُوا بِلِقَائِهِ وشَقِينَا
ذَهَبَتْ شَبيبتُنا وَضَاعَ شَبَابُنَا وَدَنَتْ مَنِيتُنا فَمَنْ يُنْجِينَا
فَتَجَمَّعُوا أهلَ الْقَطِيعَةِ وَالْجَفَا نَبْكِي شُهُورًا قَدْ مَضَتْ وَسِنِينَا

* * * * *

انْظُرْ إِلَى قَوْلِ مَخْلُوقٍ لمخلوقٍ

فِي قُـرْبِـنَـا نَـيْـلُ الْمُنَـى فَـتَـنَبَّـهُـوا يَـا غَـافِـلِـينَا
عَـجَـبًا لِـقَـومٍ أَعْـرَضُـوا عَـنَّـا وَقَـوْمٍ واصَـلُـونَـا
نَقَضُوا الْعهودَ وبارزُونَا بِـالـصُّـدِودِ وَكَـاشَـفُـونَـا
وَاسْتَعْذَبُوا طعمَ الْقطيعـةِ والجفَـا حـتَّـى نَـسُـونَـا
يَا وَيْحَهُمْ لَوْ قد دروا ما فَاتَهَـم لاسْتَعْطَفُونَا

* * * * *

فَمَا ظَنُّكَ أَيُّهَا الْمُعْرِضُ عَن سيدِكَ ما قدر سيدِكَ

لَا أُوَفِّي القَلْبَ حَقَّهْ

غَضَبي عَلَى نَفْسي لأَنِّي لا أُوفِّي الـقَـلْـبَ حَـقَّـهْ
أرْضىٰ الخُمولَ لَهُ وأُهْـمِلُ شَـوْقَـهُ وأُعِـقُّ ذَوْقَـهْ
أَحْيَا، كأَنْ لا قَلْبَ لي يهوى الجمالَ يذُوبُ رِقَّهْ
والقَلْبُ بَيْتُ الرَّبِّ صَا غَ من السَّنا والعِشْقِ خَفْقَهْ
فلو انْطَلَقْتُ بهِ لحَلَّقَ بـي وحَـلَّـقَ دُونَ رِبْـقَـهْ
فَسَمَوْتُ عَنْ أُفُقِ الثَّرىٰ وعَدَوْتُ مِعْرَاجي وأُفْقَهْ
لكنْ غَلَلْتُ خُطا حَيا تِي واسْتَرَحْتُ إلى المَشَقَّهْ
وربَطْتُ نَفْسي بالرَّحىٰ ودَقَقْتُ قلبي شَرَّ دَقَّهْ

وزَعَـمْـتُ أنَّ الـدَّهْـرَ أوْ ثقني لأحِملَ عَنهُ وَسْقَهْ
وَا حُزقَتى نَفْسِي عَلَى نَفْسي جَنَتْ فالعُمْرُ حُزْقَهْ
يَـا عَـبْـدَ خَـلَّاقِ الْـعَـوَا لِمِ أنْتَ أَنْتَ الحُرُّ فافْقَهْ
أَنـتَ الخَلـيـفَـةُ إنَّمـا لِمدًى وَقَدْ كُوِّنْتَ وَفْقَهْ
يَـتَسـلْـسَـلُ الـدَّورَانُ فِيهِ وَأنتَ في الدَّوَرانِ حَلْقَهْ
فاْعْرِفْ حُدُودَكَ وَهْي مِعْـ ـراجٌ فَسِيحُ الْبَوْنِ واْرْقَهْ
وَالْعَـقْـلُ مِـيزانُ الـنُّـهىٰ حَكِّمْهُ واْقْبِسْ مِنْهُ صِدْقَهْ
والـقَـلْـبُ عَـافِيَةُ الْـكِـيا نِ ولَيْس يَرْضَى العَقْلُ خَنْقَهْ
طَـهِّـرهُ بـالـتَّـقْـوى وَدَعْـ ـهُ بِوَجدِهِ لِيَبرَّ عِشْقَهْ
أطْلِقْهُ يُطْلِقْ عَنْ خُطا كَ قُيودَهَا فَتُفِذُّ طَلْقَهْ
فَـخُـطاكَ أنْـتَ جَـعَـلْـتَـها بِـخُـطـاكَ تمضي مُسْتَرَقَّهْ
وَالْـقَـلْـبُ إنْ حَـرَّرْتَـهُ لِـلَّـهِ تـنـجُ مِـنَ المَعَـقَّـهْ
هُـوَ مُـضْـغَـةٌ لـكِـنْ صَـلا حُكَ فيهِ إنْ أدْرَكْتَ عُمْقَهْ
وجَـلَـوْتَ جَـوْهَـرَهُ فـأشْـ ـرَقَ بالسَّنا واْشْتَقْتَ شَوْقَهْ
دَقَّـاتُـهُ ذِكْـرٌ صَـمُـو تٌ ناطِقٌ في كُلِّ دَقَّهْ
بـالحَمْـدِ بـالـتَّـقْـديـسِ لِـلَّـهِ الَّذي قَدْ حَفَّ خَلْقَهْ
بـالـلُّـطْـفِ بـالآلاءِ بـالإحْكَـامِ والحِكَمِ المُحَقَّهْ
بَـرأَ الـعَـوَالِمَ والخَلا ئِقَ خِلْقَةً في إثْرِ خِلْقَهْ
وجُـعِـلْـتَ يـا إنـسـانُ أكْـرَمَ خَلْقِهِ لا فَوْقَ فَوْقَهْ

تَشْكُو الضَّنىٰ وغُرورُك الدَّاءُ العَياءُ فَدَعْهُ تَنْقَهْ
وأقِمْ وُجُودَكَ في «الوُجودِ الكُلِّ» في بَصَرٍ ودِقَّهْ
وَأَنِبْ لِرَبِّك والتَزِمْ حُرًّا به ما عِشْتَ رِقَّهْ
فالكَوْنُ كَوْنُكَ باسْمِهِ مُلِّكْتَهُ وحُبِيتَ رِزْقَهْ
وبِدُونِهِ لا شَيْءَ أَنْتَ ولا تُساوي وَزْنَ بَقَّهْ
فاعْرِفْ لِنَفْسِكَ قَدْرَهَا حَقًّا وَوَفِّ القَدْرَ حَقَّهْ
بَيْنَ المَنِيَّةِ والمُنىٰ سَبَقٌ فَلو بَادَرْتَ سَبْقَهْ
فالأمْرُ ما بينَ المَنِيَّة والمُنىٰ نَفَسٌ وَشَقَّهْ[1]

* * * * *

---

(١) قصيدة «عافية الكِيَان» من ديوان «قلْب وربّ» للأميري.

قُطَيْرَةٌ

أَنَـا أقُولُ أنـا مَـاذا أكُـونُ أَنَـا قُطَيْرَةٌ طَوَّقَتْهَا غَمْرَةُ الثَّبَجِ
يَجْرِي بِيَ المَوْجُ في رَهْوٍ وفي صَخَبٍ مَدًّا وَجَزْرًا فَنَهْجُ المَوْجِ مُنْتَهَجِي
لا بلْ أَنَا قُدْرَةٌ تحيا إرادَتِهَا لولا الإرادةُ لمْ أخرجْ ولمْ أَلِجِ
فَقَدْ تَكُونُ الدُّنا بي مَرّةً خَلَكًا وقَدْ تَكُونُ سِراجًا جَلَّ في السُّرُجِ
عَمَرْتُها فَهْيَ دُوني لا حَيَاةَ لها أنا الحياةُ أنا تَهْويمَةُ الوَهَجِ
وما عَلَيَّ وقَدْ صُوِّرْتُ مِنْ حَمَأٍ إِذَا أَلَمَّتْ بِنَفْسي فَوْرَةُ الرَّهَجِ
حينًا وحينًا وحَسْبِي الرُّوحُ قَدْ نُفِخَتْ في هَيْكلي وحَبَتْني مُهْجَةَ المُهَجِ
فَضَمَّ قَلْبي برايا ٱللَّهِ قاطِبَةً ومَدَّ عَقْلي السَّما والأَرضَ بالحُجَجِ
لكنَّ عَزْمي بِسِرِّ الْكَوْنِ مُرْتَهَنٌ فاللَّهُ يَطْوي لَياله بِمُنْبَلَجِي
وكَمْ سَعَيْتُ وأمْرُ ٱللَّهِ يُمسِكني وكَمْ وَصَلْتُ بلا لأْيٍ وَلا حَرَجِ
قُطَيْرَةٌ أَنَا لَكِنِّي الخِضَمُّ إِذَا دَرَجْتُ فِيمَا يُريدُ ٱللَّهُ مِنْ دَرَجِ
وَمَا الْبِحَارُ وَهَاديها وأَطْلَسُهَا إلَّا القُطَيمَانِ قَدْ آلَتْ إلى لُجَجِ
أَنَا الخليفَةُ جلَّ الشَّأْنُ وٱنْطَلَقَتْ مِنهُ الرِّسالاتُ تَمْضي بالهُدىٰ وتَجِي
وإنَّ لي مُنْذُ أنْ قيلَ «ٱهْبِطُوا» نَصَبًا لا يَنْتَهِي وَوَغًى في كلِّ مُنْفَرَجِ
مُرَزَّأٌ صَابِرٌ أمضي عَلَى أَملٍ لَا بُدَّ أَنْ يَنْتَهِي أَمْري إلى الفَرَجِ[(١)]

* * * * *

(١) من ديوان قلب وربّ، (٧٤، ٩٤).

هذَا خَلْقُ اللَّهِ

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾

انْظُرْ إِلَىٰ صَفْحَةِ الْكَوْنِ

لِلَّهِ مَا أَحْلَاهَا وَأَرَقَّهَا وَأَرْوَعها وَأَعْمَقَهَا مِنْ قَصِيدَةٍ .....

خَرَجَتْ مِنَ القلبِ فنُقِشَتْ على القلوبِ ......

إعطاؤُها كثيرٌ، مَعَانيها غَالِيَةٌ، ثِمارها طيِّبَةٌ مُبَارَكَةٌ .....

جَزَى اللَّهُ ناظِمَهَا فضلية الشيخ إبراهيم علي بديوي ......

عميد معهد الإسكندرية الديني، ورئيس جمعية الشبان المسلمين بدمنهور خير الجزاء، وَرَحِمَهُ اللَّهُ.

وَاللَّهِ لكَأَنِّي بِدَقَّاتِ القَلْبِ تَكَادُ تَنْطِقُ وتترنَّمُ بكل بَيتٍ من أبْيَاتها:

بِكَ أَسْتَجِيرُ وَمَنْ يُجِيرُ سِوَاكَا

بِكَ أَسْتَجِيرُ وَمَنْ يُجِيرُ سِوَاكَا ... فَأَجِرْ ضَعِيفًا يَحْتَمِي بِحِمَاكَا
إِنِّي ضَعِيفٌ أَسْتَعِينُ عَلَى قُوَى ... ذَنْبِي وَمَعْصِيَتِي بِبَعْضِ قُوَاكَا
أَذْنَبْتُ يَارَبِّي وَآذَتْنِي ذُنُو ... بٌ مَا لَهَا مِنْ غَافِرٍ إِلَّاكَا
دُنْيَايَ غَرَّتْنِي وَعَفْوُكَ غَرَّنِي ... مَا حِيلَتِي فِي هَذِهِ أَوْ ذَاكَا
لَوْ أَنَّ قَلْبِي شَكَّ لَمْ يَكُ مُؤْمِنًا ... بِكَرِيمِ عَفْوِكَ مَا غَوَى وَعَصَاكَا

* * * * * *

يَا مُدْرِكَ الأَبْصَارِ وَالأبْصَارُ لَا ... تَـدْرِي لـهُ وَلِـكُـنْـهِـهِ إِدْرَاكَـا
أَتَرَاكَ عَيْنٌ(١) والْعُيونُ لَهَا مَدًى ... مَا جَاوَزَتْهُ وَلَا مَدًى لِمَدَاكَا
إِنْ لَمْ تَكُنْ عَيْنِي تَرَاكَ فَإِنَّنِي ... فِي كُلِّ شَيءٍ أَسْتَبِينُ عُلاَكَا

* * * * *

يَا مُنْبِتَ الأزْهَارِ عَاطِرَةَ الشَّذَا ... هَذَا الشَّذَا الْفَوَّاحُ نَفْحُ شَذَاكَا
يَا مُرْسِلَ الْأَطْيَارِ تَصْدَحُ فِي الرُّبَا ... صَدَحَاتُهَا تَسْبِيحَةٌ(٢) لِعُلَاكَا
يَا مُجرِيَ الْأَنْهَارِ مَا جَرَيَانُهَا ... إِلَّا انْـفِـعَـالَـةُ قَـطْـرَةٍ لِـنَـدَاكَـا

* * * * *

رَبَّاهُ هَأَنَذَا خَلِصْتُ مِنَ الْهَوَى ... وَاسْتَقْبَلَ الْقَلْبُ الْخَلِيُّ هَوَاكَا
وَتَرَكْتُ أُنْسِيَ بِالْحَيَاةِ وَلَهْوَهَا ... وَلَقِيتُ كُلَّ الْأُنْسِ فِي نَجْوَاكَا
وَنَسِيتُ حُبِّي وَاعْتَزَلْتُ أَحِبَّتِي ... وَنَسِيتُ نَفْسِي خَوْفَ أَنْ أَنْسَاكَا
ذُقْتُ الهَوَى مُرًّا وَلَمْ أَذُقِ الْهَوَى ... يَا رَبِّ حُلْوًا قَبْلَ أَنْ أَهْوَاكَا
أَنَا كُنْتُ يَا رَبِّي أَسِيرَ غِشَاوَةٍ ... رَانَتْ عَلَى قَلْبِي فَضَلَّ سَنَاكَا
واليومَ يَا رَبِّي مَسَحْتُ غِشَاوَتِي ... وَبَدَأْتُ بِالْقَلْبِ الْبَصِيرِ أَرَاكَا
يَا غَافِرَ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ وَقَابِلاً ... لِلتَّوْبِ قَلْبٌ تَائِبٌ نَاجَاكَا

---

(١) أي: في دار الدنيا؛ فمذهب أهل السنة والجماعة رؤية المؤمنين لربهم في الجنة.
(٢) في الأصل: صدحاتها إلهامُ موسيقاكا، فغيَّرْتُهَا نصحًا لقائلها.

أَتَـرُدُّهُ وَتَـرُدُّ صَـادِقَ تَـوْبَـتِـي حَاشَاكَ تَرْفُضُ تَائِبًا حَاشَاكَا
يَا رَبِّ جِئْتُكَ نَادِمًا أَبْكِي عَلَى مَا قَدَّمَتْهُ يَدَايَ لَا أَتَبَاكَا
أَخْشَى مِنَ الْعَرْضِ الرَّهِيبِ عَلَيْكَ يَا رَبِّي وَأَخْشَى مِنْكَ إِذْا أَلْقَاكَا

* * * * *

يَا رَبِّ عُدْتُ إِلَى رِحَابِكَ تَائِبًا مُسْتَسْلِمًا مُسْتَمْسِكًا بِعُرَاكَا
مَا لِي وَمَا لِلأَغْنِيَاءِ وَأَنْتَ يَا ربِّ الْغَنِيُّ وَلا يُحَدُّ غِنَاكَا
مَا لِي وَمَا لِلأَقْوِيَاءِ وَأَنْتَ يَا رَبِّي وَرَبَّ النَّاسِ مَا أَقْوَاكَا
مَا لِي وَأَبْوَابِ الْمُلُوكِ وَأَنْتَ مَنْ خَلَقَ الْمُلوكَ وقَسَّمَ الأَمْلاَكَا
إِنِّي أَوَيْتُ لِكُلِّ مَأْوًى في الْحَيَا ةِ فَما رأيتُ أَعَزَّ مِنْ مَأْوَاكَا
وَتَلَمَّسَتْ نَفْسِي السَّبِيلَ إِلَى النَّجا ةِ فَلَمْ تَجِدْ مَنْجًى سِوَى مَنْجَاكَا
وَبَحَثْتُ عَنْ سِرِّ السَّعَادَةِ جَاهِدًا فَوَجَدْتُ هَذَا السرَّ في تَقْوَاكَا
فَلْيَرْضَ عَنِّي النَّاسُ أَوْ فَلْيَسْخَطُوا أنا لَمْ أَعُدْ أَسْعَى لِغَيرِ رِضَاكَا
أَدْعُوكَ يَا رَبِّي لِتَغْفِرَ حَوْبَتِي وَتُعِينَنِي وَتُمُدَّنِي بِهُدَاكَا
فَاقْبَلْ دُعَائِي وَاسْتَجِبْ لِرَجَاوَتِي مَا خَابَ يَوْمًا مَنْ دَعَا وَرَجَاكَا

* * * * *

يَا رَبُّ هَذَا الْعَصْرُ أَلْحَدَ عِنْدَمَا سخَّرتَ يا رَبِّي لَهُ دُنْيَاكَا
عَلَّمْتَهُ مِنْ عِلْمِكَ النَّوويِّ مَا عَلَّمْتَهُ فَإِذَا بِهِ عَادَاكَا

مَا كَادَ يُطْلِقُ لِلْعُلَا صَارُوخَهُ حَتَّى أَشَاحَ بِوَجْهِهِ وَقَلَاكَا
وَاغْتَرَّ حَتَّى ظَنَّ أَنَّ الْكَوْنَ فِي يُمْنَى بَنِي الْإِنْسَانِ لَا يُمْنَاكَا
أَوَ مَا دَرَى الْإِنْسَانُ أَنَّكَ لَوْ أَرَدْ تَ لَظَلَّتِ الذَّرَّاتُ فِي مَخْبَاكَا
لَوْ شِئْتَ يا ربِّي هَوَى صَارُوخُهُ أَوْ لَوْ أَرَدْتَ لَمَا اسْتَطَاعَ حِرَاكَا
يَـأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَهْلًا وَاتَّئِدْ وَاشْكُرْ لِرَبِّكَ فَضْلَ مَا أَوْلَاكَا
وَاسْجُدْ لِمَوْلَاكَ الْقَدِيرِ فَإِنَّهَا مُسْتَحْدَثَاتُ العِلمِ مِنْ مَوْلَاكَا
اللَّهُ مَازَكَ دُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ وبِنِعْمَةِ العَقْلِ الْبَصِيرِ حَبَاكَا
أَفَإِنْ هَدَاكَ بِعِلْمِهِ لِعَجِيبَةٍ تَزْوَرُّ عَنْهُ ويَنْثَنِي عِطْفَاكَا
إِنَّ النَّوَاةَ ولِكْتُرُونَاتِ الَّتِي تَجْرِي يَرَاهَا اللَّهُ حِينَ يَرَاكَا
مَا كُنْتَ تَقْوَى أَنْ تُفَتِّتَ ذَرَّةً مِنْهُنَّ لَوْلَا اللَّهُ قَدْ قَوَّاكَا
كُلُّ الْعَجَائِبِ صَنْعَةُ الْعَقْلِ الَّذِي هُوَ صَنْعَةُ اللَّهِ الَّذِي سَوَّاكَا
وَالْعَقْلُ لَيْسَ بِمُدْرِكٍ شَيْئًا إِذَا مَا اللَّهُ لَمْ يَكْتُبْ لَهُ الْإِدْرَاكَا
لِلَّهِ فِي الْآفَاقِ آيَاتٌ لَعَـ لَّ أَقَلَّهَا هُوَ ما إليهِ هَدَاكَا
وَلَعَلَّ مَا فِي النَّفْسِ مِنْ آيَاتِهِ عَجَبٌ عُجَابٌ لَوْ تَرَى عَيْنَاكَا
والكَوْنُ مَشْحونٌ بأَسْرَارٍ إِذَا حَاوَلْتَ تَفْسِيرًا لَهَا أَعْيَاكَا
قُلْ لِلطَّبِيبِ تَخَطَّفَتْهُ يَدُ الرَّدَى يَا شَافِي الْأَمْرَاضِ مَنْ أَرْدَاكَا

قُلْ لِلْمَرِيضِ نَجَا وَعُوفِيَ بَعدَ مَا عَجزَتْ فُنُونُ الطِّبِّ مَنْ عَافَاكَا
قُلْ لِلصَّحِيحِ يَمُوتُ لَا مِنْ عِلَّةٍ مَنْ بِالْمَنَايَا يَا صَحِيحُ دَهَاكَا
قُلْ لِلْبَصِيرِ وَكَانَ يَحْذَرُ حُفْرَةً فَهَوَى بِهَا مَنْ ذَا الَّذي أَهْوَاكَا
بَلْ سَائِلِ الْأَعْمَى خَطَا بَيْنَ الزِّحَا مِ بِلَا اصْطِدَامٍ مَنْ يَقُودُ خُطَاكَا
قُلْ لِلْجَنِينِ يَعِيشُ مَعْزُولًا بِلَا رَاعٍ وَمَرْعًى مَا الَّذِي يَرْعَاكَا
قُلْ لِلْوَلِيدِ بَكَى وَأَجْهَشَ بِالْبُكَا ءِ لَدَى الْوِلَادَةِ مَا الَّذِي أَبْكَاكَا
وَإِذَا تَرَى الثُّعْبَانَ يَنْفُثُ سُمَّهُ فاسْأَلْهُ مَنْ ذَا بِالسُّمُومِ حَشَاكَا
وَاسْأَلْهُ كَيْفَ تَعِيشُ يَا ثُعْبَانُ أَوْ تَحْيَا وَهَذَا السُّمُّ يَمْلأُ فَاكَا
وَاسْأَلْ بُطُونَ النَّحْلِ كَيْفَ تَقَاطَرَتْ شَهْدًا وَقُلْ لِلشَّهْدِ مَنْ حَلَّاكَا
بَلْ سَائِلِ اللَّبَنَ الْمُصَفَّى كَانَ بَيْـ ـنَ دَمٍ وفَرْثٍ مَا الَّذِي صَفَّاكَا
وَإِذَا رَأَيْتَ الحَيَّ يَخْرُجُ مِنَ حَنَا يَا مَيِّتٍ فَاسْأَلْهُ مَنْ أَحْيَاكَا
وَإِذَا تَرَى ابْنَ السُّودِ أَبْيَضَ نَاصِعًا فَاسْأَلْهُ مِنْ أَيْنَ الْبَيَاضُ أَتَاكَا
وَإِذَا تَرَى ابْنَ الْبِيضِ أَسْوَدَ فَاحِمًا فَاسْأَلْهُ مَنْ ذَا بِالسَّوَادِ طَلَاكَا
قُلْ لِلْهَوَاءِ تُحِسُّهُ الأَيْدِي وَيخْـ ـفَى عَنْ عُيونِ النَّاسِ مَنْ أَخْفَاكَا
قُلْ لِلنَّبَاتِ يَجِفُّ بَعدَ تَعَهُّدٍ وَرِعَايَةٍ مَنْ بِالجَفَافِ رَمَاكَا
وَإِذَا رَأَيْتَ النَّبْتَ فِي الصَّحْرَاءِ يَرْ بُو وَحْدَهُ فاسْأَلْهُ مَنْ أَرْبَاكَا

وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَدْرَ يَسْري نَاشِرًا أَنْوَارَهُ فَاسْأَلْهُ مَنْ أَسْرَاكَا
وَاسْأَلْ شُعَاعَ الشَّمْسِ يَدْنُو وَهْيِ أَبْـ ـعَدُ كُلِّ شَيْءٍ مَا الَّذِي أَدْنَاكَا
قُلْ لِلْمَرِيرِ مِنَ الثِّمَارِ: مَنِ الَّذِي بالمُرِّ مِنْ دُونِ الثِّمارِ غَذَاكَا
وإذا رَأيْتَ النَّخْلَ مَشْقوقَ النَّوى فاسْأَلْهُ: مَنْ يا نَخْلُ شَقَّ نَواكا
وإذا رَأيتَ النَّارَ شَبَّ لَهِيبُهَا فاسْأَلْ لَهِيبَ النَّارِ مَنْ أَوْراكَا
وَإِذَا تَرَى الْجَبَلَ ٱلْأَشَمَّ مُنَاطِحًا قِمَمَ السَّحَابِ فسَلْهُ: مَنْ أَرْساكا
وَإِذَا تَرَى صَخْرًا تَفَجَّرَ بِالْمِيَا هِ فَسَلْهُ مَنْ بِالْمَاءِ شَقَّ صَفَاكَا
وَإِذَا رَأَيْتَ النَّهْرَ بِالْعَذْبِ الزُّلَا لِ جَرَى فَسَلْهُ مَنِ الَّذِي أَجْرَاكَا
وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَحْرَ بِالْمِلْحِ الأُجَا جِ طَغَى فَسَلْهُ مَنِ الَّذِي أَطْغَاكَا
وَإِذَا رَأَيْتَ اللَّيْلَ يَغْشَى دَاجِيًا فَاسْأَلْهُ مَنْ يَا لَيْلُ حَاكَ دُجَاكَا
وَإِذَا رَأَيْتَ الصُّبحَ يُسْفِرُ ضَاحِيًا فاسْأَلْهُ مَنْ يَا صُبْحُ صَاغَ ضُحَاكَا
هَذِي عَجَائِبُ طَالَمَا أَخِذَتْ بِهَا عَيْنَاكَ وَانْفَتَحَتْ بِهَا أُذُنَاكَا
يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَهْلاً مَا الَّذِي بِاللَّهِ جَلَّ جَلالُهُ أَغْرَاكَا(١)

* * * * *

(١) قصيدة «الشعر مع الله والذرّة» للشيخ إبراهيم علي بديوي.

سُبْحَانَ ٱللَّهِ

لَا تَمْتَرُوا فِي ذَاتِهِ   فَالْكَوْنُ مِنْ آيَاتِهِ
إِنْ ضَجَّ فِي حَرَكَاتِهِ   أَوْ نَامَ فِي سَكَنَاتِهِ
وَالصُّبْحُ فِي إِشْرَاقِهِ   وَاللَّيْلُ فِي ظُلُمَاتِهِ
والشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَا   وَالنَّجْمُ فِي رَعَشَاتِهِ
وَالجَوُّ فِي إِعْصَارِهِ   إِنْ هَبَّ أَوْ نَسَمَاتِهِ
وَالرَّعْدُ دَوَّى قَاصِفًا   وَالْبَرْقُ فِي وَمَضَاتِهِ
وَاللَّيْثُ فِي فَلَوَاتِهِ   يَخْتَالُ فِي خُطُوَاتِهِ
وَالطَّيْرُ حَلَّقَ فِي الْفَضَا   أَوْ نَامَ فِي وَكَنَاتِهِ
وَالْوَرْدُ وَالْعِطْرُ الشَّذِيُّ   يَفُوحُ مِنْ رَوْضَاتِهِ
دَانَتْ لَهُ الأَزْهَارُ والْـ   أَشْوَاكُ بَعْضُ حُمَاتِهِ
لَا تَمْتَرُوا فِي ذَاتِهِ   أَوْ تَهْزَءُوا بِدُعَاتِهِ
سُبْحَانَهُ قَدْ حقَّقَ الْـ   إِعْجَازَ فِي كَلِمَاتِهِ
لَا تَمْتَرُوا فِي ذَاتِهِ   فَالرِّزْقُ مِنْ آيَاتِهِ
سُبْحَانَهُ مِنْ خَالِقٍ   بَرٍّ بِمَخْلُوقَاتِهِ
غَمَرَ الْوُجُودَ بِفَضْلِهِ   وَأَفَاضَ مِنْ خَيْرَاتِهِ
مِنْ نَبْعِهِ الثَّرِّ الْغَزِيـ   ـرِ يَجُودُ مِنْ بَرَكَاتِهِ
نَاءَتْ بِهِ السُّحُبُ الثِّقَا   لُ فَسَالَ فِي رَبَوَاتِهِ

وَالْحَقْلُ حَانَ حَصَادُهُ نَقَتَاتُ مِنْ غَلَّاتِهِ
وَالنَّهْرُ فِي السَّهْلِ الفَسِيـ ـحِ يَرِقُّ عَذْبُ فُرَاتِهِ
وَالْغَابُ ظِلٌّ وَارِفٌ وَالرَّوْضُ فِي ثَمَراتِهِ
وَالْمَاءُ صَافٍ فِي الْغَدِيـ ـرِ يَشِفُّ فِي مِرَآتِهِ
لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ أَوْ مَرْضاتِهِ
فَالْحِلْمُ والْغُفْرانُ وَالـ ـرِّضْوَانُ بَعْضُ صِفَاتِهِ
لَا تَمْتَرُوا فِي ذاتِهِ فَالرُّوحُ مِنْ آياتِهِ
وَالصَّدْرُ فِي أَنْفَاسِهِ والقَلْبُ فِي خَفَقَاتِهِ
والثَّغْرُ فِي تَسْبِيحِهِ وَالثَّغْرُ فِي بَسَماتِهِ
وَالصَّومُ فِي رَمَضَانِهِ وَالْحَجُّ فِي مِيقَاتِهِ
وَالْمُؤْمِنُ الْبَرُّ الْكَرِيـ ـمُ مُصَدِّقًا بِزَكَاتِهِ
وَالصَّالِحُ الْعَفُّ التَّقِـ ـيُّ يَهِيمُ فِي صَلَوَاتِهِ
يَرجُو الرِّضى مِنْ ربِّهِ لِيُقِيمَ فِي جَنَّاتِهِ
وَالْفَاجِرُ الْغِرُّ الْجَهُو لُ يَتِيهُ فِي نَزَوَاتِهِ
لَا يَسْتَقِيمُ ولا يَسيـ ـرُ عَلَى طَرِيقِ هُداتِهِ
وَالْمَرْءُ فِي أَفْرَاحِهِ والمَرءُ فِي مَأْسَاتِهِ
يَمْضِي عَلَى دَرْبِ الْحَيا ةِ وَيَنْتَهِي بِمَمَاتِهِ
لَا تَمْتَرُوا فِي ذَاتِهِ فَالْمَوْتُ بَعْضُ عِظَاتِهِ
لا تَمْتَرُوا فِي ذَاتِهِ فَالْوَحْي مِنْ آياتِهِ

وَالحَقُّ مِـنْ إِلْـهَامِـهِ   وَالنُّـورُ مِـنْ مِـشْـكَـاتِـهِ
وَالعَـقْـلُ فِي إِبْـدَاعِـهِ   والـفِـكْـرُ فِي سَـبَـحَاتِـهِ
وَالْعِلْمُ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيـ   ـثِ يَـضِـجُّ فِي آلَاتِـهِ
يَـرْتَـادُ آفَـاقَ الـفَـضَـا   ءِ وَيَمْـتَـطِـي طَـيَّـاتِـهِ
وَالْبَـحْـرُ يَهْدِرُ صَاخِبًا   وَالْـفُـلْـكُ فِي جَـنَـبَـاتِـهِ
وَالذَّرَّةُ الصُّغْرَى مَصِيـ   ـرُ الْـكَـونِ فِي ذَرَّاتِـهِ
فَـخَـرَابُـهُ وَدَمَـارُهُ   إِنْ سَادَ حِقْدُ طُغَاتِهِ
وَعَمَـارُهُ وَصَـلَاحُـهُ   إِنْ سَادَ عَـقْـلُ تُـقَـاتِـهِ
كَم مِجْهَرٍ قَرَّبَتْ لَنَا الـ   أَبْـعَـادُ فِي عَـدَسَـاتِـهِ
أَوْ هَـاتِـفٍ حَـمَـلَ الْحَدِيـ   ـثَ مُـرَدِّدًا هَـمَـسَـاتِـهِ
لَا تَمْـتَـرُوا فِي ذَاتِـهِ   فَـالْـكُـلُّ مِـنْ آيَـاتِـهِ[1]

(١) قصيدة «سبحان الله»، من ديوان «في رحاب الأقصى» ليوسف العظم، المكتب الإسلامي.

سُبْحَانَ اللَّهِ

سُبْحَانَ مَنْ حَمِدَتْهُ أَلْسُنُ الْبَشَرِ   فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ وَالْآصَالِ وَالْبُكَرِ
وَفِي دُجَى اللَّيْلِ تَدْعُو ثُمَّ فِي السَّحَرِ   بِالشُّكْرِ وَالذِّكْرِ وَالْآيَاتِ وَالسُّوَرِ
تُولِيهِ حَمْدًا وَتَتْلُو بَعْدَهُ سُوَرَا

سُبْحَانَ مَنْ نَزَّهَتْهُ أَلْسُنٌ عَرَفَتْ   عَنْ كُلِّ مَا يُوهِمُ التَّشْبِيهَ إِذْ وَصَفَتْ
صَفَا لَهَا مَوْرِدُ التَّحْقِيقِ حِينَ صَفَتْ   فَلَمْ تُفَارِقْهُ حَتَّى أَثْبَتَتْ وَنَفَتْ
وَلَمْ تَدَعْ شُبْهَةً تُؤْذِي وَلَا ضَرَرَا

سُبْحَانَ مَنْ شُكْرُهُ فِي الدِّينِ مُفْتَرَضُ   وَلَيْسَ يُشْبِهُهُ جِسْمٌ وَلَا عَرَضُ
يَنْهَىٰ وَيأْمُرُ مَا فِي ذَا وَذَا غَرَضُ   فَاذْكُرْ لِنُعْمَاهُ ذِكْرًا لَيْسَ يَنْقَرِضُ
فَمَنْ تَحَدَّثَ بِالنُّعْمَى فَقَدْ شَكَرَا

سُبْحَانَ مَنْ خَضَعَ السَّبْعُ الطِّبَاقُ لَهُ   وَأَعْظَمَتْهُ قُلُوبٌ حَشْوُهَا وَلَهُ
تُرِيدُ أَنْ تَعْلَمَ الْأَبْقَى وَتَعْقِلَهُ   طُوبَى لِمَنْ أَمَّلَ الْأَبْقَى وَأَمَّ لَهُ
وَاسْتَكْثَرَ الزَّادَ لَمَّا آنَسَ السَّفَرَا

سُبحانَ مَن زَيَّنَ الْأَفْلَاكَ بِالشُّهُبِ   وَبَيَّنَ الدِّينَ بِالْآيَاتِ وَالْكُتُبِ
وَلَمْ يَدَعْنَا لَدَى لَهْوٍ وَفِي لَعِبِ   لَكِنْ نَهَانَا وَآتَانَا عَلَى الرُّتَبِ
حَتَّى انْتَهَيْنَا وَأَذْعَنَّا لِمَا أَمَرَا

سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْأَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ فَتَارَةٌ تَتَنَاءَى ثُمَّ تَأْتَلِفُ
هَذَا الظَّلَامُ بِنُورِ الصُّبْحِ يَنْصَرِفُ كَمَا الضَّلَالُ لِنُورِ الْعِلْمِ لاَ يَقِفُ
فَسَلْهُ نُورًا يُنِيرُ السَّمْعَ والبَصرَا

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْأَخْلَاقَ وَالْخِلقَا وَالشَّمْسَ وَالْبَدْرَ وَالظَّلْمَاءَ وَالْغَسَقَا
يَروقُكَ الْكُلُّ مَجْمُوعًا وَمُفْتَرِقَا وَانْظُرْ لِنَفْسِكِ وَاسْلُكْ نَحْوَهُ طُرقَا
فأَسْعدُ النَّاسِ مَنْ فِي نَفْسِهِ نَظَرَا

سُبحانَ مُنزِلَ مَاءِ المُزْنِ فِي الْمَطَرِ يُرْوِي النَّبَاتَ وَيَسْقِي يَانِعَ الثَّمَرِ
كَأَنَّمَا الزَّهْرُ تُهْدِيهِ إِلَى الزَّهَرِ إِذَا رَأَيْتَ تَلَاقِيهَا عَلَى قَدَرِ
رَأَيْتَ صُنْعَ قَديرٍ أَحْكَمَ الْقَدَرَا

سُبْحَانَ مَنْ فَجَّرَ الْأَنْهَارَ فَانْفَجرَتْ وَقَدَّرَ الْخَيْرَ فِي إِجْرَائِهَا فَجرَتْ
فَزِينَةُ الْأَرْضِ بِالْأَزْهَارِ قَدْ ظَهرَتْ وَلِلْبَصِيرَةِ عَيْنٌ كُلَّمَا نَظَرَتْ
رَأَتْ جَمَالًا وَإِجْمَالًا وَمُعْتَبِرَا

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقِ وأعْقَبَ اللَيْلَةَ اللَّيلاءَ بِالْغَسَقِ
يَا بَهْجَةَ الشَّمْسِ دُونِي عُذْتِ مِنْ فَلَقِ وَيَا سَنَا الْبَدْرِ عَارِضْ حُمْرَةَ الشَّفَقِ
حَتَّى تُعِيدَ لَنَا مِنْ لَيْلِنَا سَحَرَا

سُبْحَانَ مَنْ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ بِالْقَلمِ وَسَلَّطَ الْهَمَّ وَالْبَلْوَى عَلَى الْهِمَمِ
فَقَاوَمَتْهَا جُنُودُ الصَّبْرِ وَالْكَرَمِ ثُمَّ ابْتَلى قَلْبَ غَيْرِ الْعَارِفِ الْفَهِمِ
فَمَا أَطَاقَ وَلَا أَوْفَى وَلَا صَبَرَا

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مَنْ عَجَلِ ... فَلَيْسَ يَمْشِي إِلَى شَيءٍ عَلَى مَهَلِ
وَلَا يَقُولُ سِوى هَذَا وَذَلِكَ لِي ... مُقَسِّم الْحَالِ بَيْنَ الْحِرْصِ وَالْحِيَلِ
فَلَيْسَ تَلْقَاهُ إِلَّا ضَارِعًا حَذِرَا

سُبْحَانَ مَنْ زَانَهُ بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ... وَبِالْفَضَائِلِ وَالْإِيمَانِ وَالطَّلَبِ
فَلَا يَزَالُ حَلِيفَ الْفِكْرِ وَالتَّعَبِ ... رَامَ الْكَمَالَ فَلَمْ يَبْلُغْ وَلَمْ يَخِبِ
وَلَمْ يَرِدْ بَعْدُ فِي رِيٍّ وَلَا صَدَرَا

سُبْحَانَ مَنْ شَانَهُ بِالْكِبْرِ وَالْأَشَرِ ... يُمْسِي وَيُصْبِحُ فِي غَيٍّ وَفِي بَطَرِ
مُرَدَّدُ الْعَزْمِ بَيْنَ الْجُبْنِ وَالْخَوَرِ ... لَا يَسْتَفِيقُ مِنَ الشَّكْوَى إِلَى الْبَشَرِ
وَلَا يُزَحْزَحُ عَنْ ظُلْمٍ إِذَا قَدَرَا

سُبْحَانَ مُحْرِقِهِ فِي وَقْدَةِ الْحَسَدِ ... فَلَا يَزَالُ أَخَا غَيْظٍ وَفِي نَكَدِ
كَالْبَحْرِ يَرْمِي إِلَى الْعَيْنَيْنِ بِالزَّبَدِ ... إِذَا رَأَى أَثَرَ النُّعْمَى عَلَى أَحَدِ
يَوَدُّ لَوْ كَانَ أَعْمَى لَا يَرَى ضَجَرَا

سُبْحَانَ مَنْ خَصَّ بِالْإِيمَانِ أَنْفُسَنَا ... وَخَافَهُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ أَنْفُسُنَا
لَوْلَاهُ لَمْ نَعْرِفِ الْمَعْرُوفَ وَالْحَسَنَا ... وَلَا اسْتَفَدْنَا لِسَانًا نَاطِقًا لَسِنَا
وَلَا دَرَيْنَا أَبَاحَ الشَّرْعُ أَوْ حَظَرَا

سُبحَانَ مَنْ جَعَلَ الْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ ... وَالْحَشْرِ وَالنَّشْرِ مَنْجَاةً مِن الضَّرَرِ

فَلَا خُلُودَ مَعَ الْإِيمَانِ فِي سَقَرِ وَلَا وُصُولَ إِلَى أَمْنٍ بِلَا حَذَرِ
حَتَّى تَكُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ مُؤْتَمِرَا

سُبْحَانَ مَنْ هُوَ يَوْمَ الْفَصْلِ يَجْمَعُنَا وَلِلنَّعِيمِ بِفَضْلٍ مِنْهُ يَرْفَعُنَا
مِنْ بَعْدِ رُؤْيَةِ أَهْوَالٍ تُرَوِّعُنَا يُرَى لَهَا وَالِهًا هَيْمَانَ أَوْرَعُنَا
حَيْرَانَ عُرْيَانَ يُبْدِي كُلَّ مَا سُتِرَا

سُبْحَانَ مَنْ يَحْشُرُ الْإِنْسَانَ مُكْتَئِبَا خَوْفَ الْجَزَاءِ وَيَجْزِيهِ بِمَا كَسَبَا
وَيَحْكُمُ الْحُكْمَ يُمْضِيهِ كَمَا وَجَبَا فَالْقَاسِطُونَ إِلَى نِيرَانِهِ عُصَبَا
وَالْمُقْسِطُونَ إِلَى جَنَّاتِهِ زُمَرَا

سُبْحَانَ مَنْ خَتَمَ الْأَدْيَانَ فِي الْأَزَلِ بِالْمِلَّةِ السَّمْحَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الْمِلَلِ
أَتَى بِهَا خَيْرُ مَأْمُورٍ وَمُمْتَثِلِ مُحَمَّدٌ خَاتَمُ السَّادَاتِ وَالرُّسُلِ
وَخَيْرُ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ وَاعْتَمَرَا

صَلَّى الإلهُ عَليه مَا بَدَا قمرُ وما سَرَحَ في الدَّياجي أَنجمٌ زُهُرُ
وما تباينَتِ الأشكالُ والصُّوَرُ وما تُدُورِسَتِ الْآيَاتُ وَالسُّوَرُ
وما قضى مُؤمنٌ من حَاجَةٍ وَطَرَا

* * * * *

آياتٌ مِـنَ الدُّرَرِ(١)

تبَارَكَ اللَّهُ زَانَ الْأَرْضَ بِالدُّرَرِ وَاسْتَنْطَقَ الْحُسْنَ فِي زَهْرٍ وَفِي شَجَرِ
وَهَزْهَزَ الْأَرْضَ مِنْ نَوْمٍ لِيُوقِظَهَا وَرَشَّ فِي وَجْهِهَا الْوَسْنَانِ بِالْمَطَرِ
وَأَرْسَلَ الشَّمْسَ تُذْكِيهَا بِقُبْلَتِهَا فَاسْتَعْذَبَتْ دِفئَهَا الْمَحْفُوفَ بِالْخَدَرِ
وَحَرَّكَ الرِّيحَ مَسَّتْ شَعْرِهَا بِيَدٍ كَأَنَّهَا الطَّيْفُ يَغْشَاهَا بِلَا كَدَرِ
وَأَرْسَلَ النَّهْرَ تُطْفِي فِيهِ حُرْقَتَهَا وَتَسْتَقِي رَغَدًا يَنسَابُ بِالنَّهَرِ
وَأَبْهَجَ الطَّيْرَ فَاهْتَزَّتْ مَعَازِفُهَا تُدَغْدِغُ السَّمْعَ فِي لَحْنٍ بِلَا وَتَرِ
وَغَرَّدَ الْبُلْبُلُ الصَّدَّاحُ يُطْرِبُهَا فَيَنْتَشِي الْحِسُّ مَا فِي الْكَأْسِ مِنْ سَكَرِ(٢)
فَفَتَّحَتْ عَيْنَهَا وَالنَّوْمُ يَجْذِبُهَا وَمَسَّحَتْ ذَيْلَ طَيفٍ عَادَ لِلسَّفَرِ
وَسَبَّحَتْ رَبَّهَا الْوَهَّابَ وَاتَّكَأَتْ وَأَعْتَدَتْ(٣) مَجْلِسًا كَمْ طَابَ لِلْبَشَرِ
وَفَكَّرَتْ أَيَّ ثَوْبٍ تَنْتَقِي لَهُمُو تَحَيَّرَ الْقَلْبُ مِنْ أَثْوَابِهَا الْكُثُرِ
تَنَهَّدَتْ نَشَرَتْ أَزْهَى مَلَابِسِهَا وَقَلَّبَتْ تَصْطَفِي الْفَتَّانَ لِلنَّظَرِ
وَسَارَعَتْ لِحِلَاهَا(٤) تَنْتَقِي قَمَرًا عِقْدًا تَأَلَّقَ فِي نَجْمَاتِهِ الزُّهُرِ(٥)

(١) لمحمد عبد الله القولي، دار الأقصى، الكويت.
(٢) أي: نشوة تحصل بدون شراب مُسْكِر.
(٣) أعتدت: هيأت وأعدت.
(٤) حلاها: جمع حلية، وهي الزِّينة.
(٥) الزُّهُر: المضيئة.

تَـقَـلَّـدَتْـهُ وَفِي حَـبَّـاتِـهِ بَـهَـرٌ ... قَدْ هَيَّجَ اللُّؤلُؤَ الْوَضَّاءَ كَالْقَمَرِ
تَبَسَّمَتْ وَارْتَدَتْ ثَوْبًا يُزَيِّنُهَا ... وَصَفَّقَتْ لِلجَوَارِي اِقْتَفِي أَثَرِي
تَبَارَكَ اللَّهُ أَعْطَى الْحُسنَ مُقْتَدِرًا ... فَاخْتَالَتِ الأَرْضُ فِي وَشْيٍ مِنَ الزَّهَرِ
وَجَرْجَرَتْ ثَوْبَهَا الْمَعْطُورِ مَنْسَجُهُ ... وَأَفْرَدَتْ ذَيْلَهُ الْمَرْشُوش بِالصُّوَرِ
وَأَشْرَقَتْ بِعَطَاءِ اللَّهِ تَلْبَسُهُ ... وَتَزْدَهِي بِجَمَالٍ سَارَ فِي زُمَرِ[(١)]
تَرْنُو إِلَى الْمَاءِ تَلْقَى فِيهِ صُورَتَهَا ... وَتَنْتَشِي فَرَحًا مِنْ آيِهَا الْغُرَرِ
شَتَّى مِنَ النَّبْتِ هَذِي الأَرْضُ قَدْ وَلَدَتْ ... وَأَوْدَعَتْهَا الدُّنَا[(٢)] لِلْعيشِ وَالنَّظَرِ
فَفِي الرُّبَا[(٣)] شَجَرٌ أَفْنَانُهُ ضَحِكَتْ ... وَيَبْسُمُ الزَّهْرُ مَطْوِيًّا عَلَى ثَمَرِ
وَفِي الْبِحَارِ نَبَاتٌ رَاقَ سَاكِنَهَا ... تَحْيَا عَلَيْهِ وَيَحْمِيهَا مِنَ الْخَطَرِ
وَالنَّهرُ قِيعَانُهُ[(٤)] بِالنَّبْتِ قَدْ فُرِشَتْ ... تَبَارَكَ اللَّهُ بَثَّ الْخَيرَ فِي النَّهَرِ
وَالْمَاءُ مُدهِشَةٌ فِي الأَرْضِ صَنعَتُهُ ... وَالنَّبْتُ مُخْتَلِفٌ فِي الذَّوقِ وَالصُّوَرِ
تَبَارَكَ اللَّهُ أَعْطَى الأَرْضَ فِتنَتَهَا ... وَاسْتَنْطَقَ الشِّعْرَ آيَاتٍ مِنَ الدُّرَرِ

* * * * *

(١) في زمر: في جماعات، أي: أصناف الجمال.
(٢) الدُّنا: جمع دنيا.
(٣) الرُّبا: جمع رابية: ما ارتفع من الأرض.
(٤) قيعانه: جمع قاع: الأرض.

زَهْـرَةٌ

شَـدَّنِـي الْحُسْـنُ وَأَغْـرَى إِذْ رَأَتْ عَـيْنَايَ زَهْـرَهْ
تَـنْشُـرُ الْعِطْرَ وَتُضْـفِـي مِـنْ شَـذَا الْعِطْـرِ الْمَسَـرَّهْ
بَـهْـجَـةُ الْعَـيْنِ وَلُـطْـفًـا رَفَّ(١) إِحْـسَـاسًـا وَفِـكْـرَهْ
يَـأْسِـرُ الـرَّائِـيـنَ طَـوْعًـا يَـنْـفُـخُ الْأَرْجَـاءَ سِـحْـرَهْ
زَهْـرَةَ الـرَّوْضِ أَجِـيـبِـي مَنْ تُرَى أَهْدَاكِ نَضْرَهْ(٢)
مَـنْ تُـرَى أَنْشَـاكِ أُنْـسًـا لِمُحِـبٍّ زَادَ صَـبْـرَهْ
مَـنْ تُـرَى أَهْـدَاكِ أَلْـوَا نًا لَهَا فِي السِّحْرِ قُدْرَهْ
تَجْـذِبُ الـرَّائِـيـن طُـرًّا(٣) تَفْتِنُ الْأَلْبَابَ(٤) بُكْرَهْ(٥)
مِـنْ أُنَـاسٍ وَطُـيُـورٍ رَاقَـهَـا الْحُسْـنُ بِـزَهْـرِهْ
أَوْ هَـوَامٍ(٦) تَـنْـقُـلُ الطَّـلْـــــــعَ فَتَزْهُـو مِنْهُ دُرَّهْ(٧)
مَـنْ تُـرَى أَهْدَاكِ عِـطْـرًا تَـنْـشُـدُ الْأَحْـيَـاءُ سِـحْـرَهْ
مَـنْ تُـرَى سَـوَّاكِ شَـكْـلًا يُـرْهِـفُ الْحِسَّ بِـنَـظْـرَهْ

---

(١) رفَّ الزهر: اهتزَّ نضارةً.
(٢) النُّضْرَة: الحسن والرونق.
(٣) طُرًّا: جميعًا.
(٤) الألباب: العقول.
(٥) بُكرة: باكراً.
(٦) هوام: من نحل وفراش وغيره.
(٧) أي: ثمرة ناضرة؛ كالدُّرَّة.

مَـنْ تُـرَى أَجْـرَى حَـيـاةً فيكِ إذْ ما كُنتِ بِذْرَهْ
مَنْ تُرَى أَنْبَتَ مِنْ مَيْـ ـتٍ حَـيَـاةً وَمَـسَـرَّهْ
مَنْ تُرَى أَسْرَى بِكِ الْمَا ءَ فَكَانَتْ مِنْهُ خُضْرَهْ
زَهْـرَةَ الـرَّوضِ تُرى مَـنْ فِيكِ قَـدْ أَوْدَعَ خَـيـرَهْ
مَنْ تُرَى أَهْدَاكِ سِحْرًا زَاهِـيًـا يُـحْـسِـنُ أَسْـرَهْ
فَـأَمَـالَـتْ زَهْـرَتِـي رَأْ سًـا وَأَوْمَتْ لِي بِنَظْرَهْ
خَـالِقِـي الـلَّـهُ تَـعَـالَـى فِـيَّ قَـدْ أَوْدَعَ سِـرَّهْ
خَـالِـقِـي الـلَّـهُ تَجَـلَّـى مُـبـدِعًـا فِي كُـلِّ ذَرَّهْ

* * *

هَذِي السَّمَاوَاتُ

هَلْ تُرْسِلُ الطَّرْفَ فِي الأَكْوَانِ تَسْأَلُهَا عَمَّنْ بَرَاهَا وَأَهْدَاهَا إِلَى البَشَرِ
هَذِي السَّمَاوَاتُ مَنْ أَغْنَى مَجَاهِلَهَا وَهَيَّأَ النَّجْمَ وَالأَفْلَاكَ لِلسَّفَرِ
مَنْ حَدَّدَ السَّيْرَ لِلأَجْرَامِ(١) مِنْ أَزَلٍ(٢) فَمَا تَحِيدُ وَلَا تَهْوِي إِلَى خَطَرِ
مَنْ وَسَّعَ الْكَونَ لَا نَدْرِي لَهُ طَرَفًا وَأَوْدَعَ السِرَّ فِيمَا دَقَّ مِنْ صِغَرِ
تِلْكَ السَّمَاوَاتُ رَتْقًا قَبْلُ قَدْ وُجِدَتْ قَدْ شَقَّهَا اللَّهُ فِي لَمْحٍ مِنَ النَّظَرِ

---

(١) الأجرام: الكواكب والنجوم.
(٢) أَزَل: قِدَم.

هَذِي السُّقُوفُ عَجِيبٌ أَنَّهَا رُفِعَتْ مِنْ غَيْرِ أَعْمِدَةٍ أَوْ دُونَمَا حَجَرِ
سَمَا بِهَا اللَّهُ فِي أَمْرٍ فَقَدَّرَهَا سَبْعًا طِبَاقًا كَمَا قَدْ جَاءَ فِي السُّوَرِ
تَبَارَكَ اللَّهُ فِي خَلقٍ بَدَا عَجَبًا فَلا تَفَاوُتَ لَا تَفْرِيطَ فِي قَدَرِ
تَبَارَكَ اللَّهُ فِي صُنْعٍ وَأَبْدَعَهُ لِلنَّاظِرِينَ لِهَذَا الْكَونِ بِالْبَصَرِ
سَبْعًا طِبَاقًا كَمَا قَدْ شَاءَ زَيَّنَهَا بِالأَنْجُمِ الزُّهْرِ أَوْ بِالشُّهْبِ وَالشَّرَرِ
زَرْقَاءُ صَافِيَةٌ رَقَّ النسيمُ لَهَا كَغِنْوَةِ الْعَاشِقِ الْمُشْتَاقِ لِلقَمَرِ
بَيْضَاءُ شَاحِبَةٌ مِنْ وَشْيِ فَاطِرِهَا كَأَنَّهُ الشَّيبُ يَعلو الْهَامَ بِالْكِبَرِ
سَوْدَاءُ دَاكِنَةٌ يَجْرِي الْغَمَامُ بِهَا مِنْ دِيمَةٍ[1] خَطَرَتْ سَحَّاءَ[2] بِالْمَطَرِ
مُسْتَوْدَعُ الْغَيْبِ وَالأَسْرَارِ مِنْ قِدَمٍ وَعَالَمُ الرُّوحِ وَالتَّقْدِيسِ لِلْبَشَرِ
تَرْنُو الْعُيونُ لَهَا فِي سُؤْلِ حَاجَتِهَا فَتَسألُ اللَّهَ فِي وَقْتٍ مِنَ السَّحَرِ
تَرْجُوهُ عَوْنًا فَمَا تَلْقَاهُ أَرَّقَهَا وَأَطْبَقَ الظُّلْمُ فِي شَتَّى مِنَ الصُّوَرِ
شَكَتْ فَلَمْ تَلْقَ مَنْ يُطْفِي مَدَامِعَهَا وَيَكْشِفُ الْغَمَّ عَمَّنْ كَانَ فِي ضَرَرِ
فَلَمْ تَجِدْ غَيْرَ بَابِ اللَّهِ تَطْرُقُهُ وَالدَّمْعُ يَفْتَحُ بَابَ اللَّهِ فِي الأَثَرِ

* * * * * *

(١) ديمة: سحابة.
(٢) سحَّاء: ماطِرَة.

كِتَابُ الْكَوْنِ(١)

كَمْ فِي كِتَابِ الْكَوْنِ مِنْ عِبَرِ … لِأُولِي النُّهَى وَالْبَحْثِ وَالنَّظَرِ
فِي الْأَرْضِ فِي الْآفَاقِ قَاطِبَةً … فِي النَّفْسِ فِي الْأَصْوَاتِ فِي الصُّوَرِ
فِي ذَرَّةٍ عَمْيَاءَ هَائِجَةٍ … فِي الشَّمْسِ ذَاتِ الْوَهْجِ وَالشَّرَرِ
فِي النَّجْمِ فِي الْأَفْلَاكِ سَابِحَةً … فِي الشُّهْبِ ذَاتِ الْخَطْفِ لِلبَصَرِ
فِي الزَّهْرَةِ الْأَخَّاذِ رَوْنَقُهَا … فِي الطَّيْرِ صَدَّاحًا عَلَى الشَّجَرِ
فِي الْبَحْرِ وَالْأَمْوَاجُ صَاخِبَةٌ … تَعْلُو تَرُومُ تَنَاوُلَ الْقَمَرِ
فِي الرَّاسِيَاتِ الشُّمِّ عَمَّمَهَا … ثَلْجُ الشِّتَاءِ يَسِيلُ فِي النَّهَرِ
فِي السَّفْحِ وَالْأَعْشَابُ مَائِسَةٌ … تَرْنُو إِلَى الْوِدْيَانِ فِي خَفَرِ

* * * * *

مَاذَا أَقُولُ لِغَافِلٍ لاهٍ … عَنْ كُلِّ مَا فِي الْكَونِ مِنْ عِبَرِ
أَيَظُنُّ خَلْقَ الْكَونِ عَنْ عَبَثٍ … كَلا فَخَلْقُ الْكَوْنِ عَنْ قَدَرِ
مَا فِيهِ مِنْ وَهْنٍ وَلَا خَلَلٍ … مَا فِيهِ مِنْ وَاهٍ وَمُنْفَطِرِ
الشَّمْسُ فِي الْأَفْلَاكِ جَارِيَةٌ … كَالْأَرْضِ ذَاتِ الْمَاءِ وَالْمَدَرِ
لَا اللَّيلُ يَسْبِقُ لا النَّهَارُ وَلَا … تُفْنِي الْبِحَارُ رَوَاسِيَ الْجُزُرِ

---

(١) لخير الدين وانلي، من ديوان: النصر للإسلام، (١٣٤).

النَّبْتَةُ الْخَضْرَاءُ ضَارِبَةٌ أَطْنَابَهَا فِي الصَّخْرِ وَالْحَجَرِ
وَالزَّهْرَةُ الْبَيْضَاءُ فَائِحَةٌ وَالْجِذْرُ بَيْنَ الطِّينِ وَالْكَدَرِ
وَالْغَيْمَةُ السَّوْدَاءُ مُثْقَلَةٌ تَجْرِي بِأَطْنَانٍ مِنَ الْمَطَرِ
وَالْهِرَّةُ السَّمْرَاءُ حَانِيَةٌ فَوْقَ الصِّغَارِ الْعُمْيِ عَنْ خَطَرِ
الْكَوْنُ مُتَّسِقٌ وَمُنْتَظِمٌ كَمْ فِيهِ مِنْ ذِكْرَى لِمُعْتَبِرِ
سُبْحَانَ مَنْ بِاللُّطْفِ قَدَّرَهُ أَعْظِمْ بِقَيُّومٍ وَمُقْتَدِرِ

* * * *

تَبَارَكَ اللَّهُ(١)

تَبَارَكَ اللَّهُ كَمْ فِي الْكَوْنِ مِنْ عَجَبِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَالْأَفْلَاكِ وَالشُّهُبِ
طَيْرٌ يُهَاجِرُ مِنْ أَقْصَى الشَّمَالِ إِلَى أَقْصَى الْجَنُوبِ وَلَا يَهْتَمُّ بِالسَّغَبِ
وَيَقْطَعُ السَّمَكُ الشَّلَّالَ مُتَّجِهًا إِلَى الْمَنَابِعِ كَيْ يَفْنَى مِنَ التَّعَبِ
وَيَنْشُرُ النَّمْلُ حَبًّا كَي يُجَفِّفَهُ وَيَصْنَعُ النَّحْلُ شَكْلًا مُنْتَهَى الْعَجَبِ
وَيَحْمِلُ «الْكَنْغَرُ» الْأَبْنَاءَ يَحْفَظُهَا فِي جَيْبِهِ سَائِرًا وَثْبًا عَلَى الذَّنَبِ
وَيَرْفَعُ الْقِرْدُ أَوْلَادًا عَلَى كَتِفٍ وَيُزْقِمُ الطَّيْرُ أَفْرَاخًا ذَوِي زَغَبِ
وَيَجْأَرُ الْحُوتُ فِي الْأَعْمَاقِ مُبْتَهِجًا وَيُنْقِذُ الصَّوْتُ خُفَّاشًا مِنَ الْعَطَبِ

(١) لخير الدين وانلي، من ديوان: النصر للإسلام، (١٣٦).

وَيَسْبَحُ الْبَطُّ فِي أَعْقَابِ مَوْلِدِهِ — بِلَا مِرَانٍ وَمَاءُ النَّهْرِ فِي صَخَبِ
وَيَلْقِمُ الثَّدْيَ وَالْعَيْنَانِ مُغْمَضَةٌ — هِرٌّ وَلِيدٌ وَمَا فِي الثَّدْيِ مِنَ حَلَبِ
وَيَقْفِزُ الْمُهْرُ خَلْفَ الْأُمِّ مُرْتَجِفًا — وَلَمْ يَزَلْ عَظْمُهُ أَوْهَى مِنَ الْقَصَبِ
وَيَتْبَعُ الْكَلْبُ رِيحًا غَابَ صَاحِبُهَا — وَيَسْمَعُ الْهِرُّ هَمْسَ الْفَأْرِ فِي الْخَرِبِ
وَيُبْصِرُ الصَّقْرُ مِنْ عَلْيَائِهِ جُرُذًا — وَيُمْسِكُ الْقُنْفُذُ الْأَفْعَى مِنَ الذَّنَبِ
وَيَنْقُرُ الطَّيْرُ دُودًا غَابَ فِي غُصُنٍ — تَحْتَ اللِّحَاءِ وَمَا فِي الْغُصْنِ مِنْ ثُقُبِ
وَيُمْسِكُ الْبَجَعُ الْأَسْمَاكَ سَابِحَةً — وَيُرْسِلُ الْأُخْطُبُوطُ الرِّجْلَ عَنْ جُنُبِ
وَيَنْفُخُ الثَّعْلَبُ الْأَحْشَاءَ مُرْتَمِيًا — حَتَّى تُهَاجِمَهُ الْغِرْبَانُ عَنْ كَثَبِ
وَيَلْسَعُ الْعَنْكَبُوتُ الْجُعْلَ فِي عُنُقٍ — حَتَّى يُخَدِّرَهُ تَخْدِيرَ مُرْتَقِبِ
وَيُمْسِكُ الضَّبُّ غُصْنًا حِينَ تَدْرِكُهُ — أَفْعَى لِيَمْنَعَ بَلْعَ الرَّأْسِ كَالذَّنَبِ
تَبَارَكَ اللَّهُ لَا تُحْصَى خَلَائِقُهُ — وَكُلُّ آلَائِهِ تَدْعُو إِلَى الْعَجَبِ

* * * * *

الْكَــونُ الْبَـدِيـعُ(١)

اقْـرَأْ سُـطُورًا مِـنْ كِـتَـا بِ الْكَونِ مِنْ دُنْيَا الْجَمَالْ
فَـالْحُسْـنُ فِيهِ كَـامِـنٌ وَالْحُسْـنُ مِـرآةُ الْخَيَـالْ
فِي الـزَّهْـرَةِ الْخَالِـصَـةِ الـطُّـــهْـرِ وَفِي الْمَاءِ الـزُّلَالْ
فِي الْغُصْنِ يَرْنُو لِلْمُرُو جِ نَـدِيَّـةً مِـثْـلَ الـلَّآلْ
فِي السَّلْسَلِ الْعَذْبِ النَّمِيـ ـرِ تَحُفُّهُ خُضْـرُ الـتِّـلَالْ
فِي الْمَوْجِ يَغْشَى الْأُفْقَ تَعْلُو هُ نُـسَـيْـمَـاتُ الـشَّـمَـالْ

* * *

عَرِّجْ عَلَى النَّبعِ الْوَقُو رِ وَسَلْهُ يُنْبِئْكَ الْعُجَابْ
وَاسْـأَلْ زرافـاتِ الـطُّـيـو رِ عَنِ الْفَضَاءِ عَنِ السَّحَابْ
وَاسْتَـلْـهِـمِ الـنَّـجْـمَ الْأَنَـا شِيدَ الشَّجِيَّاتِ الْعِذَابْ
كَمْ مِنْ جَمَالٍ فِي رِحَا بِ الْكَونِ وَالْكَونُ الْكِتَابْ

* * * * *

سُـبْـحَـانَـكَ الـلَّـهُـمَّ يَـا رَبَّ الْمَحَـاسِـنِ وَالْجَـمَـالْ
أَنْتَ الْجَمِيلُ خَلقْتَ هَـ ـذَا الْكَونَ فِي أَبْهَى مِثَالْ
لَا يَسْتَطِيعُ الْعَقْلُ إِحْـ ـصَاءَ الْمَحَامِدِ وَالْكَـمَـالْ
لَا تُـدْرِكُ الْأَفْـهَـامُ سِـــرَّ الْخَلْـقِ أَوْ كُـنْـهَ الـزَّوَالْ

* * * * *

(١) لخير الدين وانلي، من ديوان: النصر للإسلام، (١٣٧ - ١٣٩).

الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ(١)

عَنْ يَمِينِي أَشْرَقَتْ شَمْسُ الضُّحَى ... فَتَوَارَى عَنْ شِمَالِي بَدْرِي
فَهُمَا ضِدَّانِ لَنْ يَجْتَمِعَا ... قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمُ الْحَشْرِ
كُلُّ مَا فِي الْكَونِ جِرْمٌ سَابِحٌ ... كَوْكَبُ الشِّعْرَى كَبَيْضِ الذَّرِّ
سَبَّحَتْ لِلَّهِ أَوْهَى ذَرَّة ... مِثْلَمَا سَبَّحَ حُوتُ الْبَحْرِ
مَا تَرَى فِي الْخَلْقِ أَدْنَى ثَغْرَةٍ ... مَا تَرَى فِي خَلْقِهِ مِنْ فَطْرِ
بَصَرًا أرْجِعْ لِتَلْقَى عَجَبًا ... يَرْجِعُ الطَّرْفُ بِدَاءِ الْحَسْرِ
صَنْعَةُ الْبَارِي الْبَرَايا أَعَجَزَتْ ... قُدْرَةُ الْمَوْلَى وَرَاءَ الْحَصْرِ
كُلُّ صُنْعٍ مُنْبِئٌ عَنْ صَانِعٍ ... أَفَهَذَا الْكَونُ صُنْعُ الدَّهْرِ
أَمْ هِيَ الصُّدْفَةُ قِدْمًا أَوجَدَتْ ... ذَرَّةً عَاشَتْ بِقَاعِ النَّهْرِ
ثُمَّ صَارَتْ بِانْقِسَامٍ كَائِنًا ... سَابِحًا فِي الْمَاءِ فَوْقَ الْقَعْرِ
ثُمَّ أَضحتْ سَمَكًا ثم غدَتْ ... زاحِفًا يَزحفُ فَوقَ البَرِّ
ثُمَّ صَارتْ حَيواناتٍ لها ... تِلكُمُ الأثْدَاءُ عِندَ الصَّدْرِ
ثُمَّ أمْسَتْ مِثلَ وطواطٍ بلا ... زَغَبٍ حَتى غَدتْ كالطَّيْرِ
ثُمَّ جاءَ النَّاسُ من قِرْدٍ له ... قُدْرَةُ المشْي وبَعضُ الفِكْرِ

---

(١) لخير الدين وانلي، من ديوان: النصر للإسلام، (١٣٧ - ١٣٩).

كـلُّ هـذا دونَ أَن يـخـلُـقَـه   خـالـقٌ فـالـطَّـوْرُ تِـلْـوَ الـطَّـوْرِ
هـكـذا أوهـامُـهـم قـد دُرِّسَـتْ   نَـظَـريـاتٍ بِـهـذا الـعَـصْـرِ
خُلِقوا مِنْ غَيرِ شَيءٍ وَيْحَهم   أَمْ هـمُ الخُلَّاقُ وَيْحَ الكفْرِ
لـيـتَـهـم يـسـتـنـقـذونَ حَـبَّـةً   من ذُبابٍ حَطَّ فوْقَ القِدْرِ
ليتَهم إِن حطَّموا جنْحًا له   أصلحوا الجنحَ الَّذِي في الظَّهْرِ
ليتَهمُ يَدرونَ كَمْ في مُخِّهم   مِنْ خَلايا قد نأَتْ عَنْ حَصْرِ
كيفَ يَدري المرءُ كوْنًا حولَه   وهـو لا يَعلمُ كُنْهَ الفِكْرِ

* * * * *

يـدُ الإبداع(١)

تَـفـوحُ رَوائـحُ الـرَّيْـحـا   نِ لا أَزْكـى ولا أَطْـيَـبْ
ويَشدُو الطيرُ في البستا   نِ لا أنـدى ولا أَطـرَبْ
ويَزهـو الزَهـرُ في الرُّما   نِ لا أبهى ولا أعْـجَـبْ
فَـجـلَّـتْ قُـدرةُ الـرَّحـمـ   ـنِ لا أَقـوى ولا أَغْـرَبْ

* * * * *

يُـنـادي الـبُـلـبُـلُ الـشَّـادي   رَفـيـقَـتَـهُ   ويُـغْـريـهـا
وتَـثْـغـو الـشَّـاةُ في الـوادي   فـلا تُـنْـسَـى بـواديـهـا

(١) لخير الدين وانلي، من المصدر السابق (١٤٠، ١٤١).

وَمَاءُ البِرْكَةِ الهادي يُعانِقُ رمْلَ شاطيها
وأَلحانٌ منَ الحادي إلى الغَيماتِ يُهْديها

* * * * *

يدُ الإبداعِ في الكَونِ بِكُلٍّ خَليقَةٍ تَظْهَرْ
مِنَ الأَصواتِ واللَّونِ إِلى الأعْراضِ فالجَوْهَرْ
فَسِرْ في الأرضِ في هَوْنِ ولا تَستَعْلِ أو تَفخَرْ
فأَنتَ أَحقُّ بِالعَوْنِ وأنتَ الأضْعفُ الأصْغَرْ

* * * * *

كِتابُ اللَّهِ مَفْتوحُ لمَنْ يَستوضحُ السِّرَّا
وَنَصرُ اللَّهِ مَمْنوحُ لراجٍ عِندَهُ النَّصْرا
وَرِزقُ اللَّهِ مَطروحُ لمَنْ قَدْ قَدَّمَ الشُّكْرا
وَفِعَلُ الخَيرِ مَسموحُ بِهِ فاستكثرِ الأجْرا

* * * * *

عَنِ الأرواحِ لا تَسأَلْ فَسِرُّ الرُّوحِ مَجهولُ
ولا تُهمِلْ ولا تَكسَلْ فراعي الضَّأْنِ مَسئولُ
وسَلْ عنْ كُلِّ ما تَجْهَلْ فهذا العِلْمُ مَبذولُ
ويَلْقَى المرءُ ما يَعْمَلْ وفَضْلُ اللَّهِ مَأْمولُ

* * * * *

تَـأَمَّـلْ صَـنْـعـةَ الخالِـقْ وكـلُّ الخَلْـقِ آيـاتُ
فـهـذا كَـوكـبٌ سَامِـقْ وهــذي الأرضُ ذرَّاتُ
وهــذا شـامـخٌ شـاهِـقْ وذاكَ الـسَّـهـلُ جنَّـاتُ
وَمَـوجٌ زاخـرٌ دافـقْ وأَحـيـاءٌ وأمـواتُ

* * * * *

وكـلُّ الـكَـونِ إِحـكـامُ منَ الأسْمَى إلى الأصْغَرْ
وديـنُ الـلَّـهِ إِسـلامُ عَـلـى أدْيـانِـهـم يَـظْـهَـرْ
وشـرعُ الـلَّـهِ أَحـكـامُ جَـلـيَّـاتٌ لِمَنْ أَبْـصَـرْ
ووحـيُ الـلَّـهِ إِلـهـامُ فَـجَـلَّ الخَالِـقُ الأَكْـبَـرْ

* * * * *

عظَمَة الكوْنِ[1]

بَديعٌ كُلُّ ما في الكوْ نِ خَلْقُ المُبْدعِ القَادرْ
جَميلٌ كُلُّ ما في الكَوْ نِ لِلمُستَمتعِ الشاعرْ
تَأمَّلْ هَل تَرى عَيْبًا بِصُنعِ المُتْقِنِ الفاطرْ
تَعالى اللّهُ ربُّ العَرْ شِ جَلَّ الباطنُ الظاهِرْ

* * * * *

تأمَّلْ زَهْرةَ التُّفا حِ ذَاتَ السِّحْرِ والعِطْرِ
وتابِعْ شَدْوَ شَحرورٍ يُناجي بَسْمَةَ الفجْرِ
وراقبْ نَملةً تَسعَى ونَحْلًا غاصَ في الزَّهْرِ
ونهْرًا فِضةً يَجري عَلى حَصْباءَ كالدُّرِّ

* * * * *

تَأمَّلْ طائرًا يَسعَى عَلَى أَفراخِهِ الزُّغْبِ
وَبطًّا سابحًا يَجري مَعَ التَّيَّارِ في حرْبِ
وشاةً طِفلَها تَدعو ثُغَاءً مُفْرحَ القَلْبِ
ومُهْرًا قافزًا يَلْهُو عَلَى بُسْطِ من العُشْبِ

* * * * * *

(١) لخير الدين وانلي، من ديوانه: النصر للإسلام، (١٤١).

طِفْلٌ

يَسُرُّ العَينَ أَن تَرنُو لِطِفْلٍ	عَظِيمُ الخلقِ أبدَعَ فيهِ شَكلَهْ
فَمِنْ رُوحِ الوُرودِ كَسَاهُ عِطرًا	ومِنْ لُطفِ النَّسيمِ أَرَقَّ ظِلَّهْ
ومِنْ أُنْسِ الطُّيورِ حَبَاه صَوْتًا	كبَوْحِ حمامَةٍ تَشَدُو لِنخلَهْ
ومِنْ ثَوبِ الفَرَاشِ أَرَقَّ لمسًا	كَأَنَّ بِلَمْسِهِ إحساسَ قُبْلَهْ
ومِنْ مَاءِ الفُراتِ أَلَذَّ شُربًا	وأَطيبَ مِنْ رَحيقٍ رَاقَ نَحلَهْ
وأَزكى مِن عَبيرِ الروْضِ صُبحًا	وَأنقى مِن بَياضِ الثَّلجِ حُلَّهْ(١)
وأُنْسٌ لِلقُلوبِ إِذَا رَأَتْهُ	تَفِيضُ بِرَحْمةٍ وتَجودُ سَهْلَهْ
فَأَيُّ عُذوبَةٍ تَلقى كَطِفلٍ	يُجرِّبُ صَوتَهُ في نُطقِ جُملَهْ(٢)

* * * * *

(١) الحلَّة: الثوب.

(٢) شعر محمد عبد الله القولي، (١٨، ١٩)، من ديوانه: خلق الله.

سَبَّحَ الرَّعْدُ!!

سَبَّحَ الرَعدُ إِلَهًا لَيسَ يُجْحَدْ خَافَهُ الخَلقُ فأَثْنى ثُمَّ مَجَّدْ
سَبَّحَ الرَّعدُ عَظِيمًا لا يُدَانَى وَقَوِيًّا قَادِرًا إِمَّا تَوَعَّدْ
أَوْمَضَ البَرقُ فَهَالَ[1] الخَلقَ طُرًّا شَقَّ ثَوبَ اللَّيلِ نارًا تَتَوقَّدْ
أَوْمَضَ البَرقُ فَشَعَّتْ مِنهُ نارٌ تُبْهِرُ الأبْصارَ في حِسٍّ تَبَلَّدْ
أَوْمَضَ البَرقُ فَأَهدَى آية الحَـقِّ ضِياءً تمنَحُ النُّورَ لأَرمَدْ
إِنْ يَشَأْ رَبُّكَ هَزَّتْ مِنهُ نارٌ أَيَّ حِصنٍ لا تُبالي بِمُمَرَّدْ[2]
أو يَشَأْ رَبُّكَ أَهْدَى مِنهُ غَيثًا لِعِطاشٍ فازدهى العَيشُ وأَسْعدْ
سَبَّحَ الرَّعدُ كَبِيرًا يتَعَالَى في جَلالٍ وجَمَالٍ يَتَفَرَّدْ
سَبَّحَ الرَّعدُ كَرِيمًا رِزْقُهُ عَـمَّ السَّمَاواتِ وَهَذِي الأَرْضُ تَشْهَدْ
وَهَبَ الرِّزقَ عِبادًا وَحَّدُوهُ وعِبادًا أَنكَرُوا الرَّبَّ المُمَجَّدْ
لَمْ تَغِبْ خَيراتُهُ عَن خَلقِهِ لَمْ يَنْسَ خَلْقًا كانَ قَدْ أَنْشا[3] وَأَوْجَدْ
خَلقُهُ كانوا عِيالًا كَيْفَ يَنسَى عائِلًا وَهْوَ الَّذي يُرجَى ويُقصَدْ
سَبَّحَ الرَّعدُ فَأزجَى[4] بِسَحابٍ فِيهِ خَيرُ الأَرضِ مَوفُورًا تَعَدَّدْ

---

(١) هَالَ: أفزع.
(٢) مُمَرَّد: محكم البناء، مُغطًّى بطبقة ملساء.
(٣) أنشا: مخففة الهمزة من: أنشأ.
(٤) أزجى: دفع وأرسل.

أطلَقَ الرَّعدُ هَزيمًا هائِلًا ضَجَّتْ له الأرضُ وما فِيها تَقَيَّدْ
أَلجَمَ الخَوفُ خُطَى النَّاسِ طَوَاها مُفْزِعًا فَالرَّعدُ لِلأرضِ تَوَعَّدْ
سَبَّحَ الرَّعدُ فأَهدَى نِعمَةً جَلَّتْ أَجابَ اللَّهُ مَنْ يَدعُو وَأَيَّدْ
سَحَّ مِنهُ الخَيرُ فَيَّاضًا فَرَوَّى بَلْقعَ[(١)] الأرضِ فَأَغنَاها وَأَسْعَدْ
طابَتِ الأرضُ بُعَيْدَ الرَّعدِ نَفْسًا وتَغَنَّى صَادحُ الرَّوْضِ وَغَرَّدْ
مَا لَدَى اللَّهِ أيَا رَعدُ سَيَبْقى أَبدًا لكنَّ زَادَ النَّاسِ يَنْفَدْ[(٢)]
أَنتَ يا رَعدُ فَمَنْ سَوَّاكَ صَوتًا يُفزِعُ الخَلقَ وَيَهدِي مَنْ تَمَرَّدْ[(٣)]
سَبَّحَ الرَّعدُ جَليلًا قالَ إِنِّي آيَةٌ كُبرى لِرَبٍّ لَيْسَ يُجْحَدْ[(٤)]

* * * * *

---

(١) البلقَع: الأرض القفر لا نبْت فيها.
(٢) ينفَدُ: ينتهي.
(٣) التمرُّد: العصيان.
(٤) من ديوان «خلق الله» لمحمد عبد الله القولي، دار الأقصى، الكويت.

مُسْلِمٌ يخاطِبُ الكوْنَ

قِفْ في الحَياة تَر الجمالَ تَبسَّمَا والطَّلَّ من ثغرِ الخَمائِلِ قَدْ هَمَى
وَشدَتْ مُطَوَّقةُ العروسِ وَرَجَّعت وتَرعرعَ الفنُّ الجميلُ وقَد نَمَا
وَسَرى النَّسيمُ يَهزُّ عِطْفَ عَبِيرِه وَالماءُ في عَطْفِ الجَداولِ تَمْتَمَا
وَتَفَتُّحَ الأزهارِ ومُعْتَنَقَ النَّدى هَدرَ الغَديرُ وكان قَبلُ مُلثَّمَا
والنَّبتُ قَد شَقَّ الثَّرى فَعيونهُ تَاقت إلى ضَوءٍ تألَّقَ في السَّمَا
والشَّمسُ أرسلتِ الأشعةَ في الفَضَا بَددًا وقبَّلتِ الجليدَ فَهمْهَمَا
وَسَرتْ طُيورُ القاعِ تُنشدُ في الرُّبا بَيتَ القَصيدِ سَعادةً وَترنُّمَا
وَالنَّحلُ قَد تَركَ الخَلِيَّةَ مُولعًا بِرَحيقِ زَهرٍ ظَلَّ يُسكبُ في اللَّمَا
وَفَراشةُ البُستانِ أَلقتْ نَفسَها فِي سُندسٍ فَوقَ البَطائحِ وُسِّمَا
وَبكى الغَمامُ مِنَ الفِراقِ مُشَامتًا فِي الأرضِ يَضْحَكُ تَرحَةً وَتلوُّمَا
وَتطَاولتْ شُمُّ الجِبالِ ونَافرتْ قِممَ التلالِ فَلم تَكنْ أَبدًا كَمَا
وَالمؤمنُ اطَّلعَ الوجودَ مُسلِّمَا أَهلًا بِمن حَازَ الجمالَ مُسلِّمَا
فَجَثتْ لِطَلعتِه الجِبالُ وَأَذْعَنتْ إِذ كَانَ مِنها في الحَقيقة أَعْظَمَا
وَقَد اشرأَبَّتْ كُلُّ كَائنةٍ لَهُ فَكأنهُ مَلكٌ يَسيرُ مُعلِّمَا
وَرَأى الحَيَاةَ بِنَظْرةٍ قُدسِيَّةٍ وَبها إلى عِزِّ المُهيمنِ قَد سَمَا

كُشفَ الحجَابُ عَنِ الْغُيوبِ فأشرَقَتْ ... سُبُلُ الهِدايةِ قَبلَهُ فتَقدَّمَا
عَرفَ الحقَيقةَ فَاسْتَنارَ بِنُورِها ... وَتَراه في عُمقِ التَّفَكُّرِ مُلْهَمَا
فِي كُلِّ مَاثِلَةٍ تَمرُّ بِعينِهِ ... عِبرٌ تُعَرِّفهُ الإلهَ الأعْظَمَا
حَبلُ الرَّجَاءِ غَدَا بِه مُتَمَسِّكًا ... أَنْعِمْ بحَبلٍ قَطُّ لَن يَتَصرَّمَا
أترى الجَمالَ بِغَيرِ مِنْظارِ التُّقَى ... حُسْنًا وَلَو مَلكتْ يَداكَ الأنجُمَا
أَتظنُّ أَنَّ الأُنسَ يَسْكُنُ بُرهةً ... قَلبًا وَلَم يَكُ في الْحَقِيقةِ مُسْلِمَا
لَا وَالَّذي جَمعَ الخَلائقَ في مِنَى ... وَبَدا فَأَعْطَى مَن أَحلَّ وأَحْرَمَا
مَا في رُبوعِ الكَونِ أَجْملُ مَنظرٍ ... مِن مُؤمنٍ لِلسَّعدِ جَدَّ ويَمَّمَا
إن مِتَّ يَا حامِي الْحَياةِ فَإنَّما ... هَيَ نَقْلةٌ تَلقَى حَياةً أَو سَمَا
في ظِلِّ رَبٍّ كُنتَ قَد وَحَّدْتَه ... تَلْقَاهُ في الأُخرَى أَبَرَّ وَأَكْرَمَا
بَلْ كَيفَ تَرحلُ وَالحَياةُ تَقُودُها ... مَا لِلعَوالِمِ حَولَ قَبرِكَ جُثَّمَا
فَاسعدْ فَقَد ظَفِرَتْ يَداكَ بِصَفْقةٍ ... واهنأْ فَإِنَّكَ بَعدُ لَنْ تَتَنَدَّمَا(١)

* * * *

(١) من ديوان «لحن الخلود»، لعائض القرني، (٢٤، ٢٥)، هجر.

رَأَيْتُ اللَّهَ

عائض القرني

إلهَ الكَونِ يُسعدُني رِضاكا ... وما لي خالقٌ أبدا سِواكَا
تَراك إذا رأيتُ الكَونَ عَيني ... وأَنتَ اللَّهُ أَعظمُ أن نَرَاكَا

* * * * *

إذا ما الفَجْرُ في الآفاقِ حاكا ... وَإذ بِالطَّلِّ مُنْسكبٌ تَباكَى
فَشوقي فِيكَ مُلْتهبٌ وَحُبِّي ... وَقَلبي دائِمًا يَهوى عُلاكا

* * * * *

وَإذْ بالماءِ في الأوهادِ يَسري ... يُتمتمُ عَن مَعانٍ لَستُ أَدري
عَساهُ يَقولُ لِلرحمَنِ شُكرًا ... فَأَنتَ اللَّهُ قَدْ أَجريتَ نَهري

* * * * *

وَتَنشَقُّ الزُّهورُ بِكُلِّ لُونِ ... تَقَولُ لَنا أَيَا قَومِي دَعُوني
أُسَبِّحُ لِلَّذي بالماءِ أَسَرى ... إليَّ وَكُنتُ في هَولِ المَنُونِ
وَهَبَّ الطَّيرُ للأرزاقِ صُبْحَا ... تُسبِّحُ وَهْيَ في الآفاقِ سَبْحَا
وَلَولا رَبُّها سَقطتْ خِفافًا ... وَأهوَى نَحوَها الصَّيادُ ذَبْحَا

* * * * *

إلَهي في جَميعِ الكَونِ شَاهدْ ... بِأنَّكَ مُوجدٌ لِلخلْقِ وَاحدْ

وَمَن جحدَ الحقيقَةَ كَذَّبوُه   كَذبْتَ لَقَد خَسِرْتَ أيا مُعَانِدْ

* * * * *

فَمُدَّ الطَّرفَ في لَوحِ السَّماءِ   وَسائِلْ وَرْدَهُ بَعْدَ انتهاءِ
أَحطتَ بِكُنْهِهِ أَمْ لَمَ تُحِطْهُ   فَأنتَ اليَومَ في دورِ الغَباءِ

* * * * *

تَرى قَمرًا فَقفْ حَتَّى تُفكِّرْ   تَرى الرَّحمنَ مِمَّا رُمتَ أكبرْ
فِمن أينَ الشُّعاعُ فَلستُ أَدْرِي   وَكَيفَ البَدرُ في الخَضرا تَكوَّرْ

* * * * * *

وَطَلَّ الفَجرُ في الدُّنيا بِشَمسِ   أَبكْرٌ هَذهِ أَمْ بِنتُ أَمسِ
فَينقَشعُ الظَّلامُ وَلم يُطِقْها   يَكِرُّ بِجُندهِ في حِينِ نُمسي

* * * * *

رَأيتُكَ خَالِقي في كُلِّ مَعنَى   كَلامُكَ بَينَ أَظْهُرِنا سَمِعنَا
وَلَولا أَنتَ مَا كُنَّا وَكانتْ   نُفُوسٌ في أَكِنَّتِنا اجْتمَعْنا

* * * * *

لَقَدْ فَجَّرتْ يَنْبوعَ المَعانِي   فَراعَ الكُفرُ مِن سِحرِ المَثاني
كَتبتَ لَكَ البَقاءَ فَدُمْتَ حَيًّا   قَديرًا مَالكًا والكُلُّ فانِي

* * * * *

أَأُذرِي الدَّمعَ أَمْ تَكْفِي شُجُوني   لِغَيرِ هَواكَ مَا سَالتْ عُيوني

فمَنْ نرجُو سِواكَ ومَنْ سَيَرحمْ　　　وَقَد أَسْلَفتُ ذَنبًا حَالَ دُوني

* * * * *

أَنا عَبدٌ فَلُطفًا يا إِلهي　　　فَلا تَنظرْ لمِالِي أَو لجِاهي
فَإِن تَغضبْ فَلَيسَ الكُلُّ يمنعْ　　　سَأُخْفي في دُعائي أَو أُبَاهِي

* * * * *

نَظرْتُ إِليكَ مِنْ جُنحِ الغُيوبِ　　　وَقَد كَثُرتْ عَلَى قَلبي ذُنُوبي
وَقَد سَارتْ خُطَايَ عَلَى طريقٍ　　　إِلى رَبِّ السَّنا أَبدًا هُروبي

* * * * *

إِليكَ عَقدْتُ بالوُثقَى حِبَالي　　　وَمِن فَيض الهُدَى شَرَفي وَمالي
بِنُورِ عُلاكَ أَمضِي في طَرِيقي　　　أَضَاءتْ مِنَ سنَى النُّور اللَّيالي(١)

* * * * *

---

(١) من ديوان: لحن الخلود، (٤٤، ٥٤).

تأمُّلات في صفحة الكون

رَقْرَقَ الطَّيْرُ لحنَه وَتَهيَّا يَسْكُبُ الشَّدْوَ بَلْسَمًا وَرْدِيًّا
خاطَبَ النَّجْمَ وَهْوَ يُومِي بِلَحْظٍ حَالمِ الْهَمسِ نَاعِمًا وَنَدِيًّا
غَارَ مِن ذوبهِ نَسيمُ الأَماسي فَانْثَنَى الخَطوُ عَاطِرًا وشَذِيًّا
وازْدَهَى الرَّوضُ بَاسِمًا بِرداءٍ مِن سُلافِ اللُّجَيْنِ ذَوبًا نَقِيًّا
حَيثُ رَاحَ السَّحابُ يُزجِي نَضَارًا جَرَّدَتْهُ البُرُوقُ مَوْجًا سَخِيًّا
وَجَبِينُ السَّماءِ يُعْتِمُ حِينًا وَهْوَ يُسدِي الرَّمِيمَ مَاءً جَنِيًّا
وَالبَوادي تَسْقِي السُّلافَ مَعِينًا بَاسِماتٍ بِها طُيوفُ الثُّرَيَّا
وَدُمُوعُ الغَمامِ تَروي غَرَاما في عُيون الزُّهورِ كَانَ خَفِيًّا
وأَذاعَتْ مَكامِنُ الأرضِ سِرًّا أَخضرَ اللَّونِ حَالِمًا نَرجِسِيًّا
وَرَنَتْ مُقلةُ النسيمِ وَأَلْقَتْ بِحديثٍ تَاقتْ لَهُ أُذنَيَّا
وَجَرَى التِّبرُ في الجداولِ هَمْسًا صَانهُ الشَطُّ رَاقِصًا بُلْبلِيًّا
وَتَحلَّتْ بِه الخَمائلُ دُرًّا مِن عَقيقِ الجُمَانِ صَاغتْ حُلِيًّا
وَاسْتطابتْ بِهِ النَّخيلُ هُيامًا وَحَنانًا مُعطراتِ المحَيَّا
وَاحْتَسَتْ ذَوْبَهُ قُلوبُ العَذارَى مِن رَشيقِ المَها شَرابًا هَنِيًّا
فَإِذَا أَدْلَجَ المَساءُ بِرفْقٍ يَمنحُ الأُفقَ حُلمَهُ السَّوسَنِيَّا

وَترى الكَوْنَ غَارِقًا في سُكونٍ بَثَّهُ الصَّمْتُ هادِئًا وطَرِيًّا
وَحَفيفُ الأَشْجارِ أَلْقَى سَلامًا عَانَقَ العُشبَ هامِسًا وَحَيِيًّا
وَتمرُّ الساعَاتُ تَنسِجُ حُلمًا في خَيالِ النِّيامِ حُلوًا شَهيًّا
فَتَحومُ المُنى وَتَطْفُو الأَمَاني وَتَمرُّ الطُّيوفُ شَيئًا فَشيًّا
وَإِذَا الفَجرُ يَنْتضي بِشُعاعٍ مِن حَنينِ الصَّباحِ غَضًّا بَهيًّا
فَتَهُبُّ الرُّبوعُ تَنفضُ شَيْئًا مِن بَقايا النُّعَاسِ كَان جِثيًّا
تَتَبارى قَوافلُ الجُهدِ نَشوى في خِضَمِّ الأَمْواجِ تَدْوي دَويًّا
تَستشفُّ العُلا تَرومُ المَعَالي تَستحثُّ الخُطَا حَدِيثًا زَكيًّا
آزرتْها مَعَ البكورِ طُيورٌ أَبدعتْ سَيرهَا نِظَامًا عَليًّا
وَالمروجُ الخَضْراءُ تَرقصُ شَوقًا كَي تَبثَّ الوفودَ لحنًا شجيًّا
فَيُغَنِّي مَعَ المُروجِ عَبيرٌ يَبعثُ الهَمْسَ في الضُّلوعِ سَريًّا
هَذهِ صَفْحَةُ الوجودِ أَمامي فَانهلوا وِرْدَها فُرَاتًا مَريًّا
وَاقْرؤوا سِرَّهَا فَفِيهَا حَدِيثٌ ونِداءٌ بِالمعجِزَاتِ تَزيًّا
وَاسْمعوا هَمْسَهَا فَفيها مَعَانٍ وَاعِظَاتٌ فَاضتْ لَها مُقلَتيًّا
وَالثمُوا عِطرَها فَفيها رَحيقٌ مِن أَريجِ الخُلودِ عَفًّا صَفيًّا(١)

* * * * *

---

(١) من ديوان «قطوف إسلامية» لصلاح نصر حسين، (١٣ - ١٥)، مكتبة المعارف، الرياض.

ولله درُّه حين يقول:

غَسلَ الموجُ لِلصخُورِ خُطاهَا

غَسلَ الموجُ لِلصخُورِ خُطاهَا وَاستراحَتْ أَحْلامُهُ في حِماهَا
وَأَطَلَّتْ شَمسُ الأصِيلِ حَياءً حِينَ ألقَتْ إِلى النَّخِيلِ رِداهَا
فَتهَادَى بِه النَّخِيلُ وَراحَتْ تَملأُ الأرضَ مِن ثِمارِ جَناها
وَأَمالتْ سَنابلُ القَمحِ رَأسًا وَهْي نَشْوى بِما يَبوحُ هَواها
وَعَلى هَمْسِها تَباهَى خَفِيفٌ مِن رَشيقِ الأَرواحِ يَحكي صَداها
وَإذا الوُرقُ غادياتٌ سُكارَى تَسْتَحِثُّ الخُطا إِلى مُنتهاها
تَتغَنَّى لَها الخَمائلُ مَرحَى وَهي تُذكي الأرِيجَ حِينَ تَراها
وَتُصفقُ جَداولُ المَاءِ نَشْوى وَالرَّذاذُ الهفهافُ فَوقَ شِفَاها
وَيَزفُّ النَّسيمُ مِن لَحَنهِ الشَّدْ وَ وَيُهدِي إلى المُروجِ شَذاهَا
فَتَدبرْ يا صاحبي آيةَ الكَوْ نِ وَكَبِّرْ رَبًّا حَباكَ هُداهَا(١)

* * * * * *

(١) قصيدة «لوحة من الطبيعة» لصلاح نصر حسين، من ديوانه «قطوف إسلامية» (٢٨، ٢٩).

أَنْتَ أَنْتَ اللَّهُ

قال عبد الغني المنشاوي:

قِفْ حِيالَ السَّمَاءِ لَيلاً وَسائلْ ... سُفنَ النَّيِّرَاتِ مَن أَجْرَاهَا
سُفنٌ مَوجهَا الأثِيرُ ولا يعْـ ... ـلَمُ إلا رُبَّانُـها مَرسَاهَا
جَاوزتْ في العيونِ حدَّ التقصِّي ... فتراهَا ولا تَكادُ تَراهَا
إنْ تُطالع أبصارُنا مُبتدَاها ... فَإلى اللَّهِ رَبِّها مُنتَهاهَا
وَاسألِ الورْدةَ اكتستْ كُلَّ لونٍ ... مَنَ كَساها ومَن حَباها شَذاهَا
ألَبسَتْها الأوراقَ كَفٌّ قَديرٍ ... فَأرتْنا لَثمَ الشِّفاهِ الشِّفاهَا
أَبرزَتْها عَذراءُ مِن خِدْرِ كُمٍّ ... في حَياءٍ توَرَّدتْ وَجْنَتاهَا
وَرَعتها مَليكةُ الزَّهرِ لَمَّا ... أَلبستها الرِّياضُ تاجَ نَداهَا
فَأَصِخْ لِلجَوابِ مِنها تَجِدْهَا ... بِاسمِ مَن حَاكها تُحرِّكُ فَاهَا
شَجراتٌ في الرَّوضِ مُشتبهاتٌ ... شَهوةٌ للآكلين فَاطعمْ جَناهَا
ذُقْتَ هَذي فما أمرَّ جَناهَا ... ثُمَّ هذي فقلتَ ما أحَلاهَا
مَا اختلافُ الطُّعومِ والماءُ فيه ... وَاحدٌ والتُّرابُ أَصْلُ غِذاهَا
صَاغها مِثلما أَرادَ بَديعٌ ... قد نَفينا عن ذَاتِه الأشْباهَا
ثُمَّ سَائِلْ بَلابلَ الأيكِ تَشْدُو ... فَيهزُّ الأَملاكَ لَحنُ غِنَاهَا

وتُنَاجي القُلُوبَ وهْيَ تُغنِّي   فَتُذيبُ القُلوبَ في نَجواهَا
مَن بَرى هَذهِ الحَناجِرَ عِيدا   نًا وأَنشَأ قِيثارةً في لُهاهَا
إنَّهُ مُبْدعٌ كَسَا الطَّيْرَ رِيشًا   وَحَباها في الجوِّ مُلكًا وجَاهَا
هَذهِ النَّملةُ الدَّقِيقَةُ خَلْقًا   كيفَ تَسعى وكَيفَ تَبني قُراهَا
هَذهِ النَّحلةُ اكتستْ حَبراتٍ   مَن طَهى شَهدَها وَسلَّ حِماهَا
قُلْ لِشَمسِ النَّهارِ منَ جَلَّاها   وَاسألِ الأرضَ مَنْ أدارَ رَحاهَا
واسألِ الرِّيحَ كَيفَ تُزجي سَحابًا   وَاسألِ السُّحْبَ كَيفَ يَهمِي حَياهَا
ضَلَّ في التِّيهِ مَن أَبى الرُّشدَ تِيهًا   يا أَخا العَقْلِ لا تَكنْ تَيَّاهَا
يَجهلُ العقلُ كُنهَهُ وَهْوَ عَقلٌ   وَجديرٌ أَن يُدركَ الأَكْنَاهَا
قُل له ما الأثيرُ وهْوَ فَضاءٌ   إن يُحمَّل رِسالةً أَدَّاهَا
ثُمَّ ما الكهرباءُ وَهْيَ قَريبٌ   مِنه وَهْوَ البَعيدُ عَنْ مَعْنَاهَا
قُلْ له ما ارتباطُ جِسمٍ بِرُوحٍ   ضَلَّ فيها دِراسةً واكْتناهَا
إنَّ خَلْفَ العُقولِ رَبًّا حَكِيمًا   أَودعَ الكائناتِ سِرَّ بَقاهَا[1]

* * * * * *

(١) الرسالة، السنة الأولى، العدد الخامس، الصفحة (٢٠).

آياتُ ربِّكَ أَسْفرتْ

قال علي عبد العظيم:

الكونُ قامَ عَلى مَلا ... يينِ المجراتِ الوِضاءِ
في كُلِّ واحدةٍ بَلَا ... يينُ الشُّموسِ عَلَى استواءِ
كُلٌّ يسيرُ بِأُفْقهِ ... دُونَ انحرافٍ والْتواءِ
هُو عَالمٌ ضخْمٌ يَعِزُّ عَلَى المَراقبِ والمَرائي
والأرضُ فيه ذرةٌ ... صُغرى تطوفُ على ذُكاءِ
والنَّاسُ فوقَ أَديمِهَا ... أَشْباهُ ذَرَّاتِ الهَباءِ
والكُلُّ جاءَ مِن الفَنا ... ءِ وسوفَ يَمضِي لِلفَناءِ
سُبْحَانَ مَنْ حازَ الكَما ... لَ ومَنْ تفرَّدَ بِالبَقاءِ

* * * * * *

يا بن الرَّدى لُذْ بالمهيـ ... ـمنِ واعْتَصِم بِالأنبياءِ
واسلكْ سبيلَ الدِّينِ تظْـ ... ـفرْ بالسعادةِ والرِّضاءِ
سَبِّحْ بِحَمْدِ اللّهِ في ... فَلقِ الصَّباحِ وفي المَسَاءِ
وانظرْ بِعَينكَ أو بِقَلْـ ... ـبِكَ مَا يَحُفُّكَ من بَهَاءِ
آياتُ رَبِّك أَسْفَرتْ ... فَدَعَتْ إِلَيه بِلا امتراءِ
آلاؤُهُ العُظْمَى تَلُو ... حُ لِكُلِّ مُسْتَمعٍ ورائي
فيها الخلاصُ مِنَ الشَّدَا ... ئدِ والشِّفاءُ لِكُلِّ داءِ

فالنَّاسُ لولا الدِّينُ كَـالْأَنعامِ مــن إبــلٍ وشــاءِ

* * * * * *

يا بْنَ الثَّرى ناداكَ ربُّــك فَـاسْـتَـمِـعْ قُـدْسَ الـنـداءِ
وأعِـدَّ رَكْـبَـكَ لِـلـرَّحِيـ ـلِ غدًا إلى دارِ البَقاءِ
فَاهبطْ أو اصعدْ ما استطعـ ـتَ فأنتَ في شركِ الفناءِ
مَهما نأيْتَ فأنتَ عن كَـفِّ المَنيَّةِ غَـيـرُ نـائِـي
لَكَ ضَجعةٌ تَحتَ الثَّرى تَـبـقـى إِلـى يَـومِ الجزاءِ
مـا أنـتَ قَـطُّ بِمُـعْـجِـزٍ في الأرضِ أو فوقَ السَّماءِ(١)

* * * * * *

وقال الأستاذ الصدام:

ما أكفرَ الإنسانَ يَجحدُ ربَّـه

ما أكفرَ الإنسانَ يَجحدُ ربَّه ودَلِيلَه في نَفْسِه لو يَشعُرُ
ظَهَرَتْ بَدائعُ صُنعِهِ في أرضهِ يَحتارُ فيها المُبْصِرُ المُتَفَكِّرُ
ما الذرُّ؟ ما الإشعاعُ؟ ما الرَّادَارُ ما هذي الصواريخُ التي لا تُقْهَرُ
إنْ أَدْرَكَتْ مِنَّا المَدارِكُ كُنْهَهَا فَغدتْ لِأَبناءِ الحَياةِ تُسخَّرُ
فاللَّهُ سَخَّرها وقدَّر كَشفَها واللَّهُ أَوْجَدَها وربُّك أقَدرُ

(١) الوعي الإسلامي، العدد (٤٧)، صَفَر سنة ١٣٩١.

مَنْ ينكرُ اللَّهَ الَّذِي آياتُهُ ... لَمَّا تَزلْ في كُلِ عَصرٍ تَظهرُ
مَا الحقُّ عِندَ أُولي النُّهى بِمُحَجَّبٍ ... الحَقُّ أَبلجُ كالصباحِ وأنورُ(١)

* * * * *

ولله در القائل:

وَالْأَرْضُ عِندَ أُولي النُّهَى لَسَطِيحَةٌ

وَالْأَرْضُ عِندَ أُولي النُّهَى لَسَطِيحَةٌ ... بِدَلِيلِ صِدقٍ وَاضِحِ الْقُرآنِ
وَاللَّهُ صَيَّرها فِرَاشًا لِلوَرَى ... وَبَنَى السَّمَاءَ بِأَحسَنِ البُنْيَانِ
وَاللَّهُ أَخبَرَ أَنَّهَا مَسطُوحةٌ ... وَأَبَانَ ذَلِكَ أَيَّمَا تِبيَانِ
أَأَحَاطَ بِالْأَرضِ المُحِيطَةِ عِلمُهُم ... أَمْ بِالجِبَالِ الشُّمَّخِ الْأَكنانِ
أَم يُخبَرُونَ بِطُولِهَا وَبِعَرضِهَا ... أَم هَل هُمَا فِي القَدرِ مُستَوِيَانِ
أَم فَجَّرُوا أَنهارَهَا وَعُيُونَهَا ... مَاءً بِهِ يُرْوى صَدَى العَطْشانِ
أَم أَخرَجُوا أَثمارَهَا وَنَبَاتَهَا ... وَالنَّخلَ ذَاتَ الطَّلعِ وَالقِنوانِ
أَم هَل لَهُم عِلمٌ بِعَدِّ ثِمَارِهَا ... أَم بِاختِلَافِ الطَّعْمِ وَالأَلوَانِ
اللَّهُ أَحكَمَ خَلْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ ... صُنعًا وَأَتقَنَ أَيَّمَا إِتقَانِ
قُلْ لِلطَّبِيبِ الفَيلَسوفِ بِزَعمِهِ ... أَنَّ الطَّبِيعةَ عِلمُهَا بُرهَانِي

---

(١) ابتهالات، (٢١، ٢٢).

أَينَ الطَّبيعَةُ عِندَ كَونِكَ نُطفَةً   في البَطنِ إذ مُشِجَتْ بِهِ المَآنِ
أَيْنَ الطَّبيعَةُ حِينَ عُدْتَ عَليقةً   في أَربَعِينَ وَأَربَعينَ ثَوانِي
أَينَ الطَّبيعَةُ عِندَ كَونِكَ مُضغَةً   في أَربَعِينَ وَقَد مَضَى العَدَدَانِ
أَتَرَى الطَّبيعَةَ صَوَّرَتْكَ مُصَوَّرًا   بِمَسَامِعٍ وَنَواظِرٍ وَبَنَانِ
أَتَرَى الطَّبيعَةَ أَخْرَجتكَ مُنَكَّسًا   مِنْ بَطنِ أُمِّكَ واهي الأركانِ
أَمْ فَجَّرَتْ لَكَ بِاللِّبَانِ ثُدِيَّهَا   فَرَضِعْتَها حَتَّى مَضَى الحَوْلَانِ
أَمْ صَيَّرتَ في وَالِدَيكَ مَحَبَّةً   فَهُمَا بِمَا يُرْضِيكَ مُغْتَبِطَانِ
يَا فَيْلَسوفُ لَقَد شُغِلْتَ عَنِ الْهُدى   بِالمَنطِقِ الرُّومِيِّ وَالْيُونَانِي(١)

* * * * *

(١) نونية القحطاني.

قال الحسن بن هانئ:

تفكَّرْ في نباتِ الأرضِ

تفكَّرْ في نَباتِ الأرضِ وانظرْ إِلَى آثارِ ما صَنعَ المَليكُ
عُيونٌ مِنْ لجينٍ شاخِصاتٌ بِأَبْصَارٍ هي الذَّهبُ السَبيكُ
عَلى قُضَبِ الزَبرجَدِ شاهداتٌ بِأنَّ اللَّهَ ليسَ لَهُ شَريكُ(١)

* * * *

قال أحمد محرم:

مَن عَلَّمَ الوَرقاءَ أن تَتَرنَّمَا

مَـن عَـلَّـمَ الـوَرقـاءَ أن تَـتَـرنَّـمَـا ومَنِ الَّذِي أَوحى البيانَ وأَلْهَمَا
سُبحانَ ربِّكَ لا مَردَّ لِفَضْلهِ أَنْ آثرَ الحُسنَى فَجاد وأَنعَمَا
خَلَقَ المَواهبَ والفُنُونَ وسَاقها رِزقًا عَلى النَّفر الكِرامِ مُقَسَّمَا
وَالرزقُ في الدُّنيا قَضاءٌ مُبرمٌ بِيدِ الَّذي عَقدَ الأمورَ وأَبرمَا
أَشقَى البَرِيَّةِ مَن أَرادَ زِيادةً وَأرادَ رَبُّكَ أَنْ يُرَدَّ ويُحْرَمَا

* * * * *

(١) للحسن بن هانئ، انظر: البداية والنهاية، (٠١/٥٣٢)

قال شوقي:

تلكَ الطَبيعةُ قِف بِنا يا ساري

تلكَ الطَبيعةُ قِف بِنا يا ساري   حَتى أُريكَ بَديعَ صُنعِ البارِي
الأرضُ حَولَكَ والسَماءُ اهْتَزَّتَا   لِـروائـعِ الآيَـاتِ والآثـارِ
مِن كُلِّ ناطقة الجَلالِ كَأَنَّها   أُمُّ الكِتابِ عَلى لِسانِ القَاري
دَلَّتْ عَلَى مَلِكِ المُلوكِ فَلمْ تَدعْ   لِأَدلَّـةِ الـفُـقَـهـاءِ والأَحْـبـارَ
مَنْ شَكَّ فِيه فَنظرةٌ في صُنعهِ   تَمحو أَثيمَ الشَكِّ والإنكارِ(١)

* * * * *

ولله در الصنعاني حيث يقول:

مَنْ ذا الَّذِي بَسطَ البَسيطةَ لِلورى

مَنْ ذا الَّذِي بَسطَ البَسيطةَ لِلورى   فَرشًا وَتوَّجها بِسَقْفِ سَمائِهِ
مَنْ ذا الَّذِي جَعلَ النُّجومَ ثَواقبًا   يَهدي بِها السَّارينَ في ظَلْمائِهِ
مَنْ ذا أَتى بِالشَّمسِ في أُفُقِ السَّما   تَجْري بِتَقْدِيرٍ عَلى أَرْجَائِهِ
مَنْ أَطلعَ القَمَرَ المُنيرَ إذا دَجى   لَيلٌ فَشابه صُبْحَهُ بِضَيائِهِ

(١) الشوقيّات، (٢/٣٦).

مَنْ ذا الَّذِي خَلقَ الخَلائقَ كُلَّها   وَكَفى الجَمِيعَ بِبرهِ وَعطائِهِ
وَأدرَّ لِلطِّفلِ الرَّضيعِ مَعَاشَه   مِن أُمهِ يَمتصُّ طِيبَ غِذائِهِ[(١)]

* * * * *

قال محمد الصدام:

عن كُنْهِك ارتدت الأوهام والفهمُ

أَنتَ الوجودُ الَّذِي مَا قَبلهُ عَدمُ   عَن كُنهِكَ ارتدَّتِ الأوهامُ والفُهُمُ
وخَالقُ البدءِ لا بَدءٌ يُحيطُ به   فَدعْ أَكاذِيبَ مَن ظَنوا وَمن رَجَموا
أَنتَ القَديرُ الَّذي مِن صُنعِ قُدرتهِ   هَذي العَوالمُ والأفلاكُ والسُّدَمُ
أَنتَ البَدِيعُ الَّذي أَبدى بَداعَتَهُ   في صُنعهِ الخلقُ والإِعْجازُ والنُّظُمُ
أَنتَ اللَّطيفُ الَّذي ألطافهُ شَمِلتْ   مَنْ في بَسيطته لو أَنهمْ عَلِموا
لَـنـا مُـجَـدَّدَةٌ نَـعْـمَـاؤه أبـدًا   وَهْوَ القَديمُ الَّذي لَمْ يُبْلِهِ القِدمُ[(٢)]

* * * * *

(١) الديوان، (٥).
(٢) ابتهالات، (١٥).

ابتهالات

وربُّكَ أحصى عدَّ أنفاسِ مَنْ مَضوا ... وأعدادَ أنفاسِ النُّفوسِ اللَّواحِقِ
لَطيفٌ خفايا لُطْفِه بِعِبادِه ... تُرَى في خَفيَّانِ الأمور الدَّقائقِ
عَلِيٌّ كَبيرٌ قاهِرٌ مُتَكَبِّرٌ ... تَعالَى عُلُوًّا عن أراجيفِ مارِقِ
يَرى في الدُّجى مَدَّ البَعوضِ جَناحَهُ ... وَيسمعُ دَقَّاتِ القُلوبِ الخَوافِقِ
وَيهدي القَطا والنَّملَ والوحشَ بِالفَلا ... لِأَوْكارِهَا في الدَّاجياتِ الغواسقِ
يَرى مَنْ لَهُ قَلبٌ بَدائعَ صُنعِهِ ... بِطرفةِ عَينٍ أو بِوَمْضةِ بارقِ(١)

* * * * *

تُسبِّحُ ذَرَّاتُ الُوجودِ بِحَمْدِهِ

قال الشاعر:

تُسبِّحُ ذَرَّاتُ الُوجودِ بِحَمْدَهِ ... وَيَسجدُ بِالتَّعظيمِ نَجْمٌ وَأشْجارُ
ويَبكي غَمامُ الغَيْثِ طَوْعًا لِأَمرِهِ ... فَتَضْحكُ مِمَّا يَفعلُ الغَيثُ أَزْهارُ
تَبارَكَ ربُّ المُلكِ والمَلكوتِ مِنْ ... عَجَائبَ يَنْظرهنَّ بَدْوٌ وحُضَّارُ
إلهي أَذقني بردَ عَفوِكَ وَاهْدِني ... إليكَ بِما يُرضِيكَ فَالدَّهرُ غرَّارُ

(١) ابتهالات، (١٢، ١٣).

وَصِلْ حَبْلَ أُنسي بِاجتماعِ أَحبَّتي ... فَفِي صَرمِ حَبْلِ الأُنسِ يَشمتُ غَدَّارُ
وَصُنْ مَاءَ وَجْهِي عَن مَقامِ مَذَلَّةٍ ... وحَصِّنْهُ مِن جَوْرِ الطُّغاةِ إِذَا جَاروا
فَإني بِتَقْصيري وفقْري وفَاقَتِي ... عَلى أَملي مِن مِصْرِ جُودِكَ أَمْتارُ
وَصَلِّ عَلَى رُوحِ الحَبِيبِ مُحَمَّدٍ ... حَميدِ المَساعي فَهْوَ في الخَلْقِ مُخْتَارُ(١)

يا مَنْ يرى مدَّ البعوضِ جناحَهَا

قال الزمخشريُّ:

يا مَن يَرَى مَدَّ الْبَعُوضِ جَنَاحَهَا ... في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ الأَلْيَلِ
وَيَرَى مَناطَ عُروقِها في نَحْرِها ... والمُخَّ في تلكَ العِظامِ النُّحَّلِ
اغْفِرْ لِعَبدٍ تَابَ عَنْ فُرطاتِهِ ... مَا كَانَ مِنهُ في الزَّمانِ الأَوَّلِ(٢)

مَنْ ذا يسُوقُ الرِّيحَ والسُّحْبا؟

قال أحمد الصافي النجفي:

مَن ذا يسوقُ الرِّيحَ والسُّحْبا ... ويُنبتُ الأزهارَ والعُشْبَا
مَن أَودعَ الأَشجارَ حُلوَ الجنَى ... ومَنْ سَقانا مَاءَنا العَذْبَا

---

(١) الديوان، (٣).
(٢) تفسير الكشاف، (١/٨٧، ٨٨).

مَن عَلَّمَ الحَيوانَ لا عن حِجًى ... عَلى بَنِيهِ العطفَ والحدْبَا
مَـن يَـرزقُ الأحـيـاءَ أَقـواتَـهـا ... وَمـن يُـؤاخـي بَـينهـا حُـبَّـا
مَـنْ كَـوَّنَ الجِسْـمَ وَأعْـطى لَهُ ... مُـحَـرِّكًـا يَـدْعـونـه قـلـبَـا
ومَنْ ومَنْ هَيْهاتَ أُحصي الَّذِي ... أَعْطَى لِمَا قَدْ هَبَّ أَوْ دبَّا(١)

* * * * *

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾

مَنْ أبدَعَ النَّاسَ في جِسمٍ بَدَا عَجَبًا ... في دِقَّةِ الخَلقِ والإحساسِ والصُّورِ
مَنْ أَكسبَ النَّاسَ عَقلًا يَهتدون بِهِ ... في مَهْمَهِ(٢) العَيشِ أوفي الكَونِ والفِكَرِ
مَنْ عَلَّمَ الخَلقَ آفاقًا ومَعرفَةً ... وَهَيَّأَ العَقلَ لِلإدراكِ والعِبَرِ
يُحَصِّلُ الفَهْمَ في شَتَّى العُلُومِ كما ... تَحظىٰ لَدَيْهِ بِمَا قَد مَرَّ مِنْ خَبَرِ
تِلكَ العُلومُ فَكيفَ العقلُ يحفظُها ... مَدَى السِنينَ ويُبْقِيهَا لِمُدَّكِرِ(٣)
والعَينُ جَوهرةٌ أَهداكَ خالِقُها ... كَيْ تَشَهدَ الفَضلَ لِلوَهَّابِ بِالبَصَرِ
والعينُ تُبصِرُ هَل تَدرِي طَبيعتَها ... فالشَّكْلُ يُدْرَكُ في لَمْحٍ مِنَ النَّظَرِ
فالعينُ تَنْقُلُهُ حَالًا إِلَى عَصَبٍ ... واللُّبُّ يَفهَمُ كُنْهَ الشَّكْلِ بالأَثَرِ

(١) الشَّلَّال، (٣٣).
(٢) المَهْمَه: المفازَة، وهي: الصحراء البعيدة.
(٣) مُدَّكِر: متذكر.

والشَّمُّ والذَوقُ والإحساسُ وَالهَفَى وغيرُ ذَاك ألا يُرجَىٰ لِمُعتَبِرِ
وظَائِفٌ أَحكَمَ الرحمنُ صَنْعتَهَا وكَرَّمَ النَّاسَ في التَّكْوينِ والصُّوَرِ
عَن سُكَّرِ الدَّمِ قَد قالوا لنا كَبِدٌ يُحدِّدُ القَدْرَ لا نخشىٰ مِنَ الخَطَرِ
فكيفَ يَحسِبُ هذا الجِسمُ حاجَتَهُ فلا تزيدُ ولا تدنُو إِلَى قِصَرِ
مَنْ نَوَّعَ الخَلقَ مِنْ أُنثىٰ ومِن ذَكَرِ كي يَستَقيمَ نِظامُ الكونِ لِلبَشَرِ
أَكُلُّ هذا صَغيرَ الشَّأنِ تَحسَبُهُ وتَستعيضُ سِواهُ تافِهَ الفِكرِ(١)

* * * * * *

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾
«الآية:٧» الشمس

لَمَسْتُ بِنفْسِيَ فِعْلَ الْحَيَاةْ وَأَحْسَسْتُ فِيها كَمِينَ الْمَمَاتْ
ويُدْهِشُنِي النُّطْقُ عِنْدَ الْكَلامْ وَيُدْهِشُنِي فَهْمِيَ الْحَادِثَاتْ
وَأُدْرِكُ أَنِّي سَمِيعٌ بَصِير فَأَعْجَبُ كَيْفَ أَتَتْنِي الصِّفَاتْ
وَأَعْجَبُ كَيْفَ يَسِيرُ الطَّعَامُ فَيَمْنَحُ جِسْمِي غِذَاءَ الْحَيَاةْ
وَقَدْ أَتَمَنَّىٰ خَفِيفَ الْمُنَىٰ فَأَعْجَزُ أَنْ أَجْلِبَ الأُمْنِيَاتْ

* * * * *

فَأَمْعَنْتُ فِي عَجْزِيَ الظَّاهِرِ
فَآمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ

---

(١) من قصيدة «صنعة الله آية»، من ديوان «خلق الله»، لمحمد بن عبد الله القولي، (٣٣، ٣٤).

وَفِي النَّفْسِ لِلْبَاحِثِ الـمُدَّكِرْ

رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرْ

فَآمَنْتُ بِهْ(١)

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾
«الآية: ٢١» الذاريات

عَجِبْتُ لِعَقْلِي وَأَحْكَامِهِ ... وَكَيْفَ أَتَتْنِي مَوَازِينُهُ
وَمِنْ أَيْنَ جَاءَتْ ضَرُورَاتُهُ ... وَمِنْ أَيْنَ جَاءَتْ قَوَانِينُهُ
فَلَا أَنَا أَعْرِفُ مَا كُنْهُهُ ... وَمَا هُوَ فِي النَّفْسِ تكْوِينُهُ
وَلَوْ أَنَّهُ ٱنْعَكَسَتْ حَالُهُ ... لَكَانَ مِنَ الخَيْرِ تَكْفِينُهُ
نَشَاطٌ مِنَ الْفِكْرِ لَا يَنْتَهِي ... ويَبْقَىٰ لَدَى النَّفْسِ تَدْوِينُهُ
مُدَوَّنَةُ النَّفْسِ أَقْوَى الشُّهُودِ ... إِذَا الْمَرْءُ دَاهَمَهُ حِينُهُ

* * * * *

عَجِبْتُ لِقَلْبِي وَأَهْوَائِهِ ... وَكَيْفَ تَجَمَّعَ بُنْيَانُهُ
وَكَيْفَ يُوَجِّهُهُ لِلْمُرَادِ ... مِنَ الْخَيْرِ والشَّرِّ إِيمَانُهُ
وَكَمْ تَلْقَهُ رِيشَةً فِي الْهَوا ... ءِ أَهْوَاؤُهُ هِيَ سُلْطَانُهُ

---

(١) من ديوان: آمنت بالله، (١٨).

عَوَاطِفُهُ ذَاتُ حُكْمٍ عَلَيْهِ وَإِنْ خَالَفَ الحُكْمَ بُرْهَانُهُ
فَطَوْرًا تُسَوَّدُ أَفْرَاحُهُ وَطَوْرًا تُسَوَّدُ أَحْزَانُهُ
وَكَمْ تَسْتَبدُّ بِهِ فِي السُّلُوكِ وَفِيمَا يُفَكِّرُ أَشْجَانُهُ
وَكَمْ لِلْمَطَامِعِ مِن سَطْوَةٍ عَلَيْهِ بِهَا ضَاعَ وِجْدَانُهُ
وأَسْبَابُ ذَلكَ عَزْلُ الْيَقِينِ وَحِينَ تُزَلْزَلُ أَرْكَانُهُ(١)

تَبَصَّرْتُ فِي حَالِيَ الظاهرِ
فآمنتُ بالخالقِ القادرِ
وفي النَّفْسِ للناظرِ المُعْتَبِرْ
روائعُ آياتِ رب البشرْ
فآمنْتُ بِهْ(٢)

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

رُبَّمَا أَعْجَبَتِي مِنْ هِبَتِي رَأْيِي وَفِكْرِي
وَتَطَاوَلْتُ إِلَىٰ مَنْـ ـزِلَةٍ مِنْ فَوْقِ قَدْرِي
وَتَصَوَّرْتُ غُرُورًا أَنَّنِي مَالِكُ أَمْرِي
أَنَّنِي أَظْفَرُ فِيمَا أَشْتَهِي مِنْ كُلِّ دَهْرِي

(١) من ديوان: آمنت بالله، (٣٩، ٤٠).
(٢) من ديوان: آمنت بالله، (٣٨).

أَنَّنِي أَمْتَازُ بِالحِيـ ـلَةِ فِي تَيْسِيرِ عُسْرِي
فَإِذَا كُلُّ غُرُورِي خَيْبَةٌ تَقْصِمُ ظَهْرِي
عِنْدَهَا سَاءَلْتُ نَفْسِي هَلْ أَنَا مَالِكُ أَمْرِي؟
هلْ أنا اخترْتُ وُجُودِي؟ هَلْ أَنَا أَنْشَأْتُ جَذْرِي؟
هَلْ أَنَا صَانِعُ فِكْرِي؟ هَلْ أَنَا حَافِظُ صَدْرِي؟
هَلْ أَنَا أَدْفَعُ عَنِّي؟ رِحْلَتِي الْكُبْرَىٰ لِقَبْرِي؟
مَا لِفِكْرِي غَارِقًا فِي وَحْلِهِ مِنْ فَرْطِ سُكْرِ؟
هَلْ تُرَىٰ يَنْفَعُنِي فِي عِيشَتِي مَذْهَبُ كُفْرِ؟
أَمْ تُرَانِي فِي عَذَابٍ مِنْهُ يُغْرِينِي بِنَحْرِي؟
هَـٰذِهِ قِصَّةُ نَفْسِي حِينَمَا رَاجَعْتُ فِكْرِي
حِينَمَا رَاجَعْتُ قَلْبِي حِينَمَا أَدْرَكْتُ فَقْرِي
قِصَّةُ الإِيمَانِ عِنْدِي أَنَّنِي لُذْتُ بِرَبِّي
حِينَمَا أَدْرَكْتُ نَفْسِي حِينَمَا رَاجَعْتُ قَلْبِي
فَتَوَجَّهْتُ إلى اللَّـ ـهِ بِإِذْعَانِي وَحُبِّي

وَفِي النَّفْسِ لِلْعَاقِلِ الْمُدَّكِرْ
رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرْ
فَآمَنْتُ بِهْ[1]

---

(١) من ديوان: آمنت بالله، (٤٧، ٤٨).

الحواس

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨) النحل. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨) المؤمنون.

ظَواهِرُ فِي الْكَوْنِ لا تَنْحصرْ ... يَحُسُّ بِهَا مَسْمَعِي وَالْبَصَرْ

أَذُوقُ مَطَاعِمها إِنْ أَرَدْتُ ... وَأَلْمَسُ أَشْيَاءَهَا فِي حَذَرْ

رَوائِحُهَا تَمْتَطِينَ الْهَوَاءَ ... وَتَصْحَبْنَهُ حَيْثُمَا يَنْتَشِرْ

فَمِنْهَا أَكُفُّ ومنها أَشُمُّ ... فَهَذَا قَبِيحٌ وهَذا عَطِرْ

وَكُلٌّ بِهِ قَاتِلٌ يُتَّقَىٰ ... وَكُلٌّ بِهِ مَا يُفِيدُ الْبَشَرْ

ظَوَاهِرُ أَصْفُو بِهَا سَاعَةً ... وأُخْرَىٰ أَكُونُ بِهَا فِي كَدَرْ

وَحَالِي بِهَا رَاغِبٌ رَاهِبٌ ... فَحِينًا أُسَاءُ وَحِينًا أُسَرْ

فَمَنْ شَقَّ سَمْعِي وَشَقَّ الْبَصَرْ ... وَمِنْ أَيْنَ لِي عِلْمُ مَا قَدْ ظَهَرْ

وَكَيْفَ أُحِسُّ بِهَذَا الْوُجُودِ ... وَكَيْفَ أَتَتْنِي الْحَوَاسُ الْكُبَرْ

مَنَافِذُ مِنْهَا شَهِدْتُ الْوُجُودَ ... وَكَانَ شُهُودِي لَهُ فِي قَدَرْ

شَهِدْتُ ظَوَاهِرَهُ والسُّطُوحَ ... وَمَا خَلْفَهَا بِالْحِجَابِ ٱسْتَتَرْ

هُنَالِكَ أَعْمَلْتُ عَقْلِي الْفَسِيحَ ... وَرَاءَ الْحُدُودِ وَرَاءَ النَّظَرْ

فَأَدْرَكْتُ سِرَّ الْوُجُودِ الْكَبِيرِ
فَآمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْمُقْتَدِرْ
ظَوَاهِرُ فِيهَا لأَهْلِ الْفِكَرْ
رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرْ
فَآمَنْتُ بِهْ(١)

* * * * *

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (٢٣) الروم.

عَجِبْتُ لِنَفْسِيَ عِنْدَ الْمَنَامْ   وفَقْدِي شُعُورِي وَفَقْدِي الْكَلَامْ
وَأُمْسِي إِذَا نِمْتُ مَيْتًا فَلَا   أُحِسُّ بِذَاتِي كَأَنِّي حُطَامْ
وَأَسْبَحُ فِي الْحُلْمِ فِي عَالَمٍ   عَجِيبِ الرُّؤَىٰ ذِي أُمُورٍ جِسَامْ
لَهُ مَنْطِقٌ وَمَقَايِيسُ لَا   تُقَاسُ بِظَاهِرِ حَالِ الأَنَامْ
فَكَمْ سَرَّنِي فِيهِ مَا لَا يَسُرُّ   وَكَمْ سَاءَنِي فِيهِ حُلْوُ الْمَرَامْ
وَيَبْدُو الْخِصَامُ بِهِ كَالْوِئَامْ   وَيَبْدُو الْوِئَامُ بِهِ كَالْخِصَامْ
سَأَلْتُ عَنِ النَّوْمِ أَهْلَ الْبُحُوثِ   فَأُنْبِئتُ بِالْمُتْقَنَاتِ الْعِظَامْ

(١) من ديوان: آمنت بالله، (٥٤، ٥٥).

مَلَايِينُ مُوصَلَةٌ فِي الدِّمَاغِ تُفَصَّلُ فِيهِ لِأَجْلِ الْمَنَامْ

بَصُرْتُ بِإِتْقَانِهَا الْبَاهِرِ

فَآمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ

وَفِي النَّوْمِ لِلنَّاظِرِ الْمُعْتَبِرْ

رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرْ

فَآمَنْتُ بِهْ[1]

* * * * *

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى * ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾

(١ - ٣) الأعلى.

بِفِعْلِ الْغَرِيزَةِ يُهْدَى الصَّغِيرْ وَبِالعَقْلِ وَالرَّأْيِ يُهْدَى الْكَبِيرْ

وَكُلُّ الْبَهَائِمِ تُهْدَى إِلَىٰ وَظَائِفِهَا بِأَدَقِّ الْمَسِيرْ

فَتَغْدُو الطُّيُورُ لأَرْزَاقِهَا بِنَفْسِ الْغَنِيِّ وَكَدِّ الْفَقِيرْ

تَطُوفُ الْخَمَائِلَ مَزْهُوَّةً وَتَعْبَثُ فِي صَفَحَاتِ الْغَدِيرْ

وَتَنْصَحُ فِي الأَرْضِ ظَلَّ الْجَمَالِ مُسَبِّحَةً لِلْبَدِيعِ الْقَدِيرْ

وَتَبْنِي عَلَى الأَمْنِ أَعْشَاشَهَا مَسَاكِنَ صَالِحَةً لِلطُّيُورْ

وَتَحْضُنُ فِي رَحْمَةٍ بَيْضَهَا وَتَرْقُبُهُ بِحَنَانٍ كَبِيرْ

---

(١) من ديوان: آمنت بالله، (٣٤).

وَتَرْعَاهُ مُضْنِيَةً نَفْسَهَا لِيَخْرُجَ ذَاكَ الْخَبِيءُ الصَّغِيرْ
فَمَنْ رَاقَبَ الطَّيْرَ فِي سَعْيِهَا لِأَفْرَاخِهَا أَدْهَشَتْهُ الأُمُورْ

تَبَصَّرْتُ فِي سِرِّهَا الْبَاهِرِ
فَآمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ
هُنَا لِذَوِي النَّظَرِ الْمُعْتَبِرْ
رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرْ
فَآمَنْتُ بِهْ(١)

* * * *

(١) من ديوان: آمنت بالله.

أعجُوبةُ الخلق

هَـزَّنِـي مَـرَأى خَـلِـيَّـهْ صـاغَـهَـا رَبُّ الـبَـرِيَّـهْ
عَـظُـمَـتْ أُعـجُـوبَـةُ ٱلْخَلْـ ـقِ لِـذِي الْعِـلـمِ قَـضِـيَّـهْ
عَـالَمٌ يَـبْـدُو صَـغِـيـرًا صَـارَ أَبْـعَـادًا قَـصِـيَّـهْ
عَـالَمٌ يَـبني حَـيَـاةً عَـظَّـمَـتْـهَـا الـبَـشَـرِيَّـهْ
وَردَةٌ تَـخـتَـالُ حُـسـنًـا زَهْـرَةٌ رَفَّـتْ شَـذِيَّـهْ[1]
صَـاغَـهـا ٱلـلَّـهُ ثِـمَـارًا تَـستَـبِـي الذَّوْقَ جَـنِـيَّـهْ[2]
بُـلـبُـلًا يَـشـدُو بِـغُـصْـنٍ بَـثَّ أنـغـامًا شَـجِـيَّـهْ[3]
ظَـبـيَـةً تَجْـرِي جَـمَـالًا تَـبـتَـغِـي أرضًـا هَـنِـيَّـهْ
سَـمَـكًا قَـد جَادَ مِنهُ ٱلْـ ـبَـحْـرُ خَـيـراتٍ طَـرِيَّـهْ
بَـشَـرًا أهـدَى لـهُ الـلَّـ ـهُ حَـيَـاةً أَبَـدِيَّـهْ
مَـنْ رَأىٰ مِـنـكـم خَـلـيَّـهْ وَدَرَىٰ كُـنْـهَ الخَلِـيَّـهْ
عَـالَمًا دَقَّ صَـغِـيـرًا وَنَمَـتْ مِـنـهُ ٱلـبَـقِـيَّـهْ
شَادَ مِثلَ الأَصْلِ جِسمًا عَـجَـزَتْ عَـنـهُ الـبَـرِيَّـهْ
فِي ٱنـقِـسـامٍ ظَـلَّ لَـكِـنْ لَـم تَـغِـبْ عَـنـهُ الـهُـوِيَّـهْ
قَـد رَأى ٱلـلَّـهَ تَجَـلَّـى خَـلـقُـهُ شَـمـسًـا سَـنِـيَّـهْ

(١) شَذية: عَطِرة.
(٢) جنية: أي وهي مقطوفة.
(٣) مُؤَثِّرة.

وَرَأى الأَجْسَامَ تُبنىٰ مِثلما قَد شَاءَ حَيَّهْ
مَنْ رَأَى مِنكم خَلِيَّهْ وَدَرَى صُنعَ ٱلخليَّهْ
يَعبُدُ ٱللَّهَ بِقَلْبِ جَاءَهُ العِلمُ هَدِيَّهْ
يَتَّقِي ٱللَّهَ فَيحظَىٰ بِجِنانٍ سَرمَدِيَّهْ
يُنصِفُ ٱلْحَقَّ بِعِلمٍ بَاتَ نُورَ البَشَرِيَّهْ
مَنْ رَأى مِنْكُم خَلِيَّهْ في صَفَاءٍ وَروِيَّهْ
سَوفَ يأتِيهِ يَقِينٌ شَعَّ أَنوارًا بَهِيَّهْ
إِنَّهُ ٱلْخَلقُ تَجَلَّى صَنعةُ الذاتِ العَلِيَّهْ
صَنعةُ الرَّحمٰنِ تَبقىٰ مِشعَلًا يَهْدِي البَرِيَّهْ[1]

* * * * *

(١) من ديوان: خلق الله، (٤٣ ـ ٤٥).

﴿وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ﴾

أَقْبِلْ فَهذِي الأَرْضُ تَنْتَظِرُ
طَالَ النَوَى والصدرُ مُستَعِرُ
باتَتْ تَشكّىٰ مِن مُفَارَقَةٍ
مُذ غِبتَ خَدَّدَ وَجْهَهَا الأَثَرُ
ترنُو إليكَ بِمُقلَةٍ كَتَمَتْ
سَكْبَ الدُّموعِ وَشَامَهَا(١) القمَرُ
تدعُو إلى ٱلرَّحمٰنِ تسأَلُهُ
غَيثًا فَقَد أَوْدَىٰ بِهَا الضَّرَرُ
أَقْبِلْ فَهَذِي الأَرْضُ تَنتظِرُ
وَتَشَوَّقَتْ لِلمُلتَقَىٰ ٱلشَّجَرُ
حَنَّتْ لِأَثْوابٍ تُزَيِّنُها
وَتَنَهَّدَتْ في جَوفِهَا ٱلثَّمَرُ
أَقْبِلْ فَهَذِي الأَرْضُ تَنتظِرُ
لُقْيَاكَ والأَطْيارُ تَستَتِرُ
فالدَّوحُ قَد غَابَتْ مَفَاتِنُهُ
والرَّوضُ ذِكرىٰ باتَ يَستَعِرُ

(١) شامها: رآها.

يَشْوِي بِصَدرِ الأرضِ زَنبقُهُ
ويَغِيبُ فِي أحشائِهَا الزَّهَرُ
والبُلْبُلُ الصَّدَّاحُ مُحتبَسٌ
فِي عُشِّهِ قَد شاقَهُ النَّظَرُ
يَشدُو لِرَوضٍ ماسَ مُزدَهِيًا
وَتَأَنَّقَتْ فِي مَيْسِهِ الصُّوَرُ
أَقْبِلْ فَهَذِي الأَرضُ تَنْتَظِرُ
والشَّاءُ غَرثَىٰ[1] لَوَّحَ الخَطَرُ
راحتْ تَشُمُّ التُّرْبَ وَالِهَةً
وَتَطَلَّعَتْ لَلْمُلْتَجا ٱلبَشَرُ
رَفَعَتْ أَكُفَّ السُّؤْلِ ضَارِعَةً
تَدْعُو كَرِيمًا خَيْرُهُ بُهَرُ
أَقْبِلْ بِأَمْرِ اللَّهِ مَرْحَمَةً
كي تَنشُرَ الأرزاقَ يا مَطَرُ
وٱسقِ العِبادَ ولا تَكُنْ نُذُرًا[2]
رَوِّ البِلادَ وَأَنتَ مُنهَمِرُ
وٱنزِلْ مِنَ السُّحْبِ الَّتي ثَقُلَتْ
بِالخَيرِ والأَفْراحُ تَزدَهِرُ

---

(١) غرثى: جائعة.
(٢) النُّذُر: الإنذار والتخويف.

وٱنــزلْ بِــأَمــرِ ٱلـلَّــهِ فِي قَــدَرٍ
لِــتَــســيــلَ أَوديَــةٌ ولا ضَــرَرُ
وٱنــزلْ رَذاذًا لانَ مَــوقِــعُــهُ
غَـيْـثًـا جَـرَى مِـن جُـودِهِ الـنَّـهَـرُ
وٱنزِلْ ولا تأسَفْ عَلَى سَرَفٍ
فَــخَــزَائِــنُ الــرَّحــمــنِ تــنــتــشِــرُ
وٱهْطُلْ خُيوطًا جَلَّ ناسِجُهَا
أَبْــدِعْ جَــمَــالَ الأرضِ يــا دُرَرُ
وٱنــزِلْ طَـهُـورًا وٱسـقِ صَـادِئـةً
أَحْــيِ المَوَاتَ لِــيـنْـعَـمَ ٱلــبَــشَــرُ
أَنـبِـتْ حَـدَائِـقَ بَـهـجَـةٍ فَـتَنَتْ
لُــبَّ الــعِــبــادِ وَأُســعِــدَ الــثَّــمَــرُ
يــا آيَــةً عَــظُــمَــتْ لِــنــاظِــرِهَــا
وَهَــدِيَّــةَ الــرحــمــنِ تُــعــتَــبَــرُ
تَهمِي كما قَد شَاءَ خالِقُها
لا تَــنــتَــحِــي بِــالحَقِّ تَــأْتَمِــرُ[1]

* * * * *

---

(١) قصيدة: أقبل بأمر الله يا مطر، من ديوان: خلق الله.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾

عَلَى صَفْحَةِ الأُفُقِ السَّاهِرِ وفي لَيْلَةِ الْبَاحِثِ الشَّاعِرِ
وَمِنْ نَظْرَةٍ تتَحَرَّى الْهُدَىٰ فَتَلْقَفُ كُلَّ هُدًى عَابِرِ
رَأَيْتُ الْكَوَاكِبَ مَبْثُوثَةً بِمَظْهَرِهَا الْفَاتِنِ السَّاحِرِ
بإتْقَانِ تَسْيَارِهَا فِي الدُّجَىٰ تَغَلْغَلْنَ فِي ٱلأُفُقِ الْغَائِرِ
تنَاءَتْ مَدًى وَتَدَانَتْ هُدًى وَرَدَّتْ سُدًى نَظَرَ النَّاظِرِ
فَأَمْعَنْتُ فِي سرِّهَا الْبَاهِرِ
فَآمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ
وَفِي اللَّيْلِ لِلْبَاحِثِ الْمُدَّكِرْ
رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرْ
فَآمَنْتُ بِهْ[١]

* * * * *

(١) من ديوان: آمنت بالله، لعبد الرحمن الميداني، (٥١).

يا ليل يا آية خالق

يا لَيلُ يا بَحرَ السُّكُونْ ماذَا طَويتَ مِنَ الْقُرونْ(١)
كَـمْ أُمَّـةٍ وَدَّعْـتَـهَـا صَارَت حَكايا أو ظُنونْ
لَمْ يَبقَ مِنـهـا شاهِـدٌ وَبَقِـيـتَ آلافَ الـسِّـنينْ
تَـتـلُـو كِـتـابَ وُجُـودِنَـا في طَيِّـهِ الـسِّـرُّ الـدَّفِينْ
في طَـيِّـهِ عِـبَـرٌ وَآ يـاتٌ تُـرَدَّدُ كُـلَّ حِـيـنْ
طَـورًا تُـلاقـي مُـعِـرضًـا أو يَهتَدِي فيها الْفَطِينْ
أَبـقـاكَ رَبُّـكَ شـاهِـدًا لِـلـنَّـاظِـرِيـنَ المُهـتَـدِيـنْ
يا لَيـلُ مَنْ يَثني عِنَـا نَكَ كَيفَما يَبغي تَكونْ
يـا طـائِـلًا مِـنْ أَمـرِهِ يا مُقْصِرًا ثَوبَ السُّكونْ
يا لَيلُ مَنْ يُوليكَ بالإ صـبـاحِ فِي حَـقٍّ مُـبِـيـنْ
أَنـشَـاكَ رَبُّـكَ رَاحَـةً يا مُسكِنًا كُلَّ العُيونْ
يا مُـؤنِـسَ الـعُـبَّـادِ في سَحَرٍ وَقَد رَفَعُوا الأَنِينْ
كَـم رَتَّـلَ الآيـاتِ عَـبـدٌ حـاذِرٌ رَيْـبَ المَنُـونْ(٢)
جَـأَرُوا إِلَـى ربِّ الـوَرَىٰ بَـارِي الخلائِـقِ أجـمـعـيـنْ
سَالَتْ دُمُوعُهمُ عَلَى الْـ ـخَدَّيْنِ مِنْ خَوفِ مَكِينْ

(١) القُرُون: جمع قرن، وهو ثمانون سنة، أو مِئة. والقرن في الناس: أهل زمان واحد.
(٢) المَنُون: جمع منية، وهي الموت.

ما أعجَبَ اللَّيلَ الّذِي خَضَعَتْ لِقُدرَتِهِ الجُفُونْ
ما زالَ يُؤْنِسُنِي فَمَا يُهدِيهِ مِنْ حِسٍّ قَمِينْ(١)
أَوْحَىٰ إليَّ بِأَلفِ مَعـ ـنًى لم أَكُنْ فِيها ظَنِينْ
فحديثُهُ الصَّمْتُ العميـ ـقُ وَصَخْبُهُ هذا السُّكُونْ
كَم فَتَّقَ الأفكارَ صَمـ ـتٌ مُوغِلٌ عَبْرَ السِّنينْ
كَمْ فَجَّرَ الإبداعَ في قَلْبٍ ثَوَىٰ فِيه حَزِينْ
يا ليلُ يا مُستودَعَ الأَسرارِ يا مَوجَ الظُّنُونْ
كَمْ مُقلَةٍ خافَتْ دَياجِيرَ الظَّلامِ المستكِينْ
حَسِبَتْهُ أشباحًا وراحَتْ تَرتجي فِيهِ المُعِينْ
لم تَدرِ أَنَّ الفَجرَ يَطـ ـرُدُهُ أَمامَ الناظِرينْ
لَم تَدرِ أَنَّ الليلَ آ يةُ خالقٍ أيًّا(٢) يكونْ(٣)

* * * * *

(١) قمين: جدير بالاهتمام.
(٢) أيًّا: هي: أي الكمالية؛ بمعنى أن الله ـ تعالى ـ يخلق الشيء الكامل.
(٣) من ديوان: خلق الله، (٤٧، ٤٨).

الْقَمَرُ

وَوَافَى مَعَ اللَّيْلِ نُورُ الْقَمَرْ يُنَاظِرُنَا مِنْ خِلَالِ الشَّجَرْ
يُذَكِّرُنَا وَجْهُهُ بِالْحَبِيبِ وَيَنْفَحُنَا بِالنَّسِيمِ الْعَطِرْ
يَلَذُّ لَنَا فِي هُدَاهُ السُّرَى وَيَحْلُو لَنَا فِي سَنَاهُ السَّمَرْ
أَنَامِلُ أَضْوَائِهِ فِتْنَةٌ تَجُسُّ الْمَشَاعِرَ جَسَّ الْقَدَرْ
فَتَتْرُكُنَا فِي بَدِيعِ الْخَيَالِ نُقَلِّبُ فِيهِ بَدِيعَ الصُّوَرْ

* * * * *

فَأَمْعَنْتُ فِي سِحْرِهِ الْبَاهِرِ
فَآمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ
وَفِي الْبَدْرِ لِلنَّاظِرِ الْمُعْتَبِرْ
رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرْ
فَآمَنْتُ بِهْ[1]

* * * * *

(١) من ديوان: آمنت بالله، (١٣).

﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾

لَقَدْ طُفْتُ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَرِّهَا إِلَى جَوِّهَا وَإِلَى بَحْرِهَا
بِأَطْوَادِهَا عَالِيَاتِ الذُّرَى وَدُونَ الْهِضَابِ إِلَى غَوْرِهَا
وَشَاهَدْتُ أَنْهَارَهَا الْجَارِيَاتِ وَنَبْعًا تَفَجَّرَ مِنْ صَخْرِهَا
وَشَاهَدْتُ أَشْجَارَهَا بَاحِثًا وَغُصْتُ إِلَى مُسْتَوَى جِذْرِهَا
وَحَرَّكْتُ ضِرْسِي عَلَى حُلْوِهَا وَحَرَّكْتُ سِنِّي عَلَى مُرِّهَا
وَنقَّلْتُ جِسْمِيَ فِي بَرْدِهَا وَقَلَّبْتُ جِسْمِي عَلَى حَرِّهَا

وَأَمْعَنْتُ فِي صُنْعِهَا الْبَاهِرِ
فَآمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ
وَفِي الْأَرْضِ لِلْبَاحِثِ الْمُعْتَبِرْ
رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرْ
فَآمَنْتُ بِهْ[1]

* * * * *

(١) من ديوان: آمنت بالله، (١٧).

الْمَاء

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة: ٦٨ - ٧٠]

أَضَاءَ عَلَى الْأَرْضِ نُورُ الْحَيَاةْ ... وَزَيَّنَهَا بِجَمِيلِ الصِّفَاتْ

بَصُرْتُ بِهِ فَإِذَا زِيْنَتُهُ ... مِنَ الْبَحْرِ وَالنَّهْرِ وَالنَّابِعَاتْ

وَتَحْمِلُهُ الْمُزْنُ عَبْرَ الْفَضَاءِ ... فَتَسْقِي الظِّمَاءَ بِشَتَّى الْجِهَاتْ

وَتَبْتَلِعُ الْأَرْضُ مِنْهُ الْكَثِيرَ ... وتُعْطِيهِ بِالْأَعْيُنِ الدَّافِقَاتْ

فَتَحْيَا بِإِمْدَادِهِ الْوَارِدَاتْ ... وَيَنْبُتُ مِنْهَا بَدِيعُ النَّبَاتْ

تَبَصَّرْتُ فِي سِرِّهِ الْبَاهِرِ

فَآمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ

وَفِي الْمَاءِ لِلنَّاظِرِ الْمُعْتَبِرِ

رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرْ

فَآمَنْتُ بِهْ(١)

* * * * *

(١) من ديوان: آمنت بالله، (٢١).

الأَقْوَاتُ

- ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾
- ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾
- ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

مَرَاشِفُ تَمْتَصُّ حُلْوَ الضِّيَاءْ لِتَصْنَعَ فِي الْأَرْضِ وَفْرَ الْغِذَاءْ
مِنَ الشَّمْسِ تَجْرِي يَنَابِيعُهُ فَتَغْمُرُ مَا حَوْلَنَا مِنْ فَضَاءْ
ضِيَاءٌ يَجُوزُ الْفَضَاءَ الْبَعِيدَ لِيَعْبُرَ مَا حَوْلَنَا مِنْ هَوَاءْ
وَلَوْلَا النَّسِيمُ وَتَكْسِيرُهُ فُيُوضَ الضِّيَاءِ لَشَدَّ اللِّقَاءْ
وَمَا كَانَ قَدْ جَاءَنَا صَالِحًا وَمَا كَانَ قَدْ جَاءَنَا فِي صَفَاءْ
وَمَا أَنْبَتَ الْحَقْلُ حُلْوَ النَّبَاتِ وَمَا كَانَ فِي الْأَرْضِ هَذَا الرُّوَاءْ
وَمَا صَلَحَتْ أَرْضُنَا لِلْحَيَاةِ عَلَى مَا نَرَاهُ بِهَا مِنْ بَهَاءْ
تَبَارَكَ مَنْ أَتْقَنَ الْحَادِثَاتِ وَمَدَّ الْحَيَاةَ بِفَيْضِ الْعَطَاءْ
فَقَدَّرَ فِي الْأَرْضِ أَقْوَاتَهَا وَأَوْدَعَهَا فِي تُرَابٍ وَمَاءْ
وَلَكِنَّهُ نَاطَ أَسْبَابَهَا بِضَوْءٍ مَنَابِعُهُ فِي السَّمَاءْ

تفكَّرْتُ بِالْمُتْقَنِ الْبَاهِرِ

فَآمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ
نِظَامٌ بِهِ لِلْفَتَى الْمُعْتَبِرْ
رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرْ
فَآمَنْتُ بِهْ(١)

* * * * *

«الْعَنْكَبُوتُ»

نَسِيجٌ عَجِيبٌ وَغَزْلٌ غَرِيبٌ　　تَجِدُّ الْعَنَاكِبُ فِي أَمْرِهِ
وَصُنْعُ الْحَرِيرِ بِأَثْدَائِهَا　　تَحَارُ الْخَلَائِقُ فِي سِرِّهِ
تَبُثُّ الْخُيُوطَ أَدَقَّ الْخُيُوطِ　　فَمَا زَادَ خَيْطٌ عَلَى قَدْرِهِ
وَتَغْزِلُ مَا بَيْنَهَا كَالَّذِي　　تَعَلَّمَ غَزْلًا مَدَى عُمْرِهِ
وَتَنْسِجُ أَبْيَاتَهَا الْمُحْكَمَاتِ　　كَفِعْلِ الْمُهَنْدِسِ فِي قَصْرِهِ
فَمِنْ أَيْنَ جَاءَ إِلَى الْعَنْكَبُو　　تِ مَا يَعْجِزُ النَّاسُ عَنْ سَبْرِهِ
وَمَا يَعْجِزُ النَّاسُ عَنْ مِثْلِهِ　　وَإِنْ عَرَفُوا السِّرَّ مِنْ خُبْرِهِ
تَبَصَّرْتُ فِي أَمْرِهِ الْبَاهِرِ
فَآمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ

(١) من ديوان: آمنت بالله، (٨٠، ٨١).

وَفِي الْـعَـنْـكَـبُـوتِ لِأَهْـلِ الـنَّـظَـرْ
رَوَائِـعُ آيَـاتِ رَبِّ الْـبَـشَـرْ
فَـآمَـنْـتُ بِـهْ(١)

* * * *

بُذُورُ النَّبَاتِ

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]

عَجِبْتُ لَهَا بِذْرَةً فِي التُّرَابِ ... تَفَتَّقُ عَنْ قُبَّةٍ مِنْ شَجَرْ
تَمِيسُ بِأَغْصَانِهَا كَالْعَرُوسِ ... مُكَلَّلَةً بِبَدِيعِ الزَّهَرْ
وَتَخْتَالُ فِي ثَوْبِهَا السُّنْدُسِيِّ ... مُحَلًّى بِأَحْلَى عُقُودِ الثَّمَرْ
تَجُودُ لِأَضْيَافِهَا بِالْعَطَاءِ ... مِنَ الظِّلِّ وَالرِّزْقِ لَا تَعْتَذِرْ
تَقُولُ: كُلُوا ثَمْرِي مَا حَمَلْـ ... ـتُ أَوْ أَحْرِقُوا عُودِيَ الْمُنْكَسِرْ
وَتَنْضُو غَلَائِلَهَا فِي الْخَرِيفِ ... لِغَسْلِ الشِّتَاءِ بِمَاءِ الْمَطَرْ
وَكَمْ تَسْتَضِيفُ الطُّيُورَ الْحِسَا ... نَ تَجْذِبُهُنَّ بِنَفْحٍ عَطِرْ

(١) من ديوان: آمنت بالله، (٧١).

وَكَمْ أَبْدَعَتْ «جَوْقَةُ» الطَّيْرِ في رُبَاهَا الْغِنَاءَ فَحَارَتْ فِكَرْ
وقَدْ لَبِسَتْ حُلْوَ زِينَاتِهَا فَطَابَ السَّمَاعُ وَلَذَّ النَّظَرْ

* * * * *

بَصُرْتُ بِإِبْدَاعِهَا الْبَاهِرِ
فَآمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ(١)

* * * * *

الأَشْجَارُ

﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾، [الرعد: ٣].

دَخَلْتُ الْحَدِيقَةَ حِينَ ازْدَهَتْ وَأَبْدَتْ مَفَاتِنَهَا لِلنَّظَرْ
وَفَاحَتْ رَوَائِحُهَا الزَّاكِيَاتُ بِأَنْفَسِ عَاطِرَةٍ تَنْتَشِرْ
وَأَدْنَتْ عَطَاءَاتِهَا الْيَانِعَاتِ بِأَجْمَلِ مَأْكُولَةٍ تَنْتَثِرْ
وَعَابَثَتِ الرِّيحُ بَعْضَ الْغُصُونِ وَهُنَّ تُغَازِلْنَ مَاءَ النَّهَرْ
وَلَيَّنَ أَطْرَافَهُ الزَّيْزَفُونُ لِتَرْفُقَ في لَمْسِ وَرْدٍ حَذِرْ
فَلَا تُسْتَثَارُ بِهِ عِفَّةٌ فَيَطْعَنَ مُجْتَازَ حَدٌّ الْخَطَرْ

(١) من ديوان: آمنت بالله، (٤٢).

وَأَدْرَكَتِ الطَّيْرُ مَا قَدْ جَرَى فَلَمْ تُخْفِ سِرًّا وَلَمْ تَنْتَظِرْ
وَبَاحَتْ بِهِ فِي رُءُوسِ التِّلَالِ وَغَنَّتْ بِهِ فِي رُءُوسِ الشَّجَرْ
وَمِنْ عَجَبٍ فِي نِظَامِ الثِّمَارِ وَفِي كُلِّ مَا خَلَقَ الْمُقْتَدِرْ
نِظَامُ ازْدِوَاجِ الْأُصُولِ الَّذِي يُشَابِهُ أَزْوَاجَنَا فِي الْبَشَرْ

* * * * *

بَصُرْتُ بِإِتْقَانِهَا الْبَاهِرِ
فَآمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ
ثِمَارٌ بِهَا لِلْفَتَى الْمُعْتَبِرْ
رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرْ
فَآمَنْتُ بِهِ

* * * * *

النَّبَاتُ

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾، [الأنعام: ٩٩].
- ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾، [طه: ٥٣].

عَجَائِبُ لَا تَنْتَهِي فِي النَّبَاتِ ... تَدُلُّ عَلَى الْخَالِقِ الْمُقْتَدِرْ
عَجَائِبُ فِي أَصْلِ تَكْوِينِهِ ... عَجَائِبُ فِي نَجْمِهِ وَالشَّجَرْ
عَجَائِبُ لَا تَنْقَضِي فِي الْجُذُورِ ... وَفِي السُّوقِ ثُمَّ بِفَيْضِ الثَّمَرْ
عَجَائِبُ تَبْدُو بِأَوْرَاقِهِ ... وَمَا جَمَعَتْ مِنْ ثُغُورٍ كُثُرْ
نَسِيجٌ بِهِ يُدْهِشُ النَّاظِرِينَ ... وَتَحْتَارُ فِيمَا حَوَاهُ الْفِكَرْ
وَمُخْتَلِفَاتٌ بِهِ لَا تُعَدُّ ... فَتَحْلُو صُنُوفٌ وأُخْرَى تَمُرْ
وَكُلٌّ لَهُ مِيزَةٌ فِي الْحَيَا ... ةِ يَعْرِفُ قِيمَتَهَا مَنْ خَبَرْ

تَبَصَّرْتُ فِي أَمْرِهِ الْبَاهِرِ
فَآمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ
نَبَاتٌ بِهِ لِلْفَتَى الْمُعْتَبِرْ
رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرْ
فَآمَنْتُ بِهْ[1]

* * * * *

(١) من ديوان: آمنت بالله، (٤٥).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ [فاطر: ٢٧].

وَفي الثَّمَرَاتِ بِأَنْوَاعِهَا وَأَشْكَالِهَا وَطُعُومٍ حِسَانْ
وَأَلْوَانِهَا الزَّاهِيَاتِ الْمِلَاحِ كَعِقْدِ اللَّآلِي وَعِقْدِ الْجُمَانْ
وَعِقْدِ الزُّمُرُّدِ إِنْ أَتْقَنُوهُ وَعِقْدِ الْعَقِيقِ أَوِ الْكَهْرَمَانْ
فَوَائِدُهَا فَوْقَ حَصْرِ الطَّبِيبِ وَأَصْنَافُهَا فَوْقَ حَصْرِ الْجِنَانْ
وَمَا قَدْ يَجِيءُ بِأَنْسَالِهَا مُهَجَّنَةً فَوْقَ حَدِّ الزَّمَانْ
وَجَارَانِ كَمْ أَسْرَفَا فِي الْفُرُوقِ وَمِنْ نَهرٍ وَاحِدٍ يُسْقَيَانْ
كَمِ اخْتَلَفَا فِي صِفَاتِ الطُّعُومِ وَرَغْمَ اخْتِلَافِهِمَا يُحْمَدَانْ
فَمَنْ أَبْدَعَ النَّابِتَاتِ الْحِسَانْ وَنَوَّعَهَا بَيْنَ سَامٍ وَدَانْ
وَوَزَّعَ فِيهَا فُرُوقَ الصِّفَاتِ عَلَى قَدْرِ حَاجَاتِ إِنْسٍ وَجَانْ

* * * * *

نَظَرْتُ إِلَى سِرِّهَا الْبَاهِرِ
فَآمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ
فَفِيهَا لِذِي النَّظَرِ الْمُعْتَبِرْ
رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرْ
فَآمَنْتُ بِهِ

* * * * *

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾

لَا تَشْتَكِي الْجُوعَ إِنْ طَالَ الْمَسِيرُ بِهَا ... فَفِي السَّنَامِ عَطاءٌ رَاحَ يَنْهَمِلُ
وَالْمَاءُ إِنْ عَزَّ فِي الصَّحْرَاءِ مَوْرِدُهُ ... فَفِي الْحَشَا حَوْضُ مَاءٍ لَيْسَ يَنْخَذِلُ
وَالْجَوُّ لَوْ مَنَحَتْهُ الشَّمْسُ بُرْقُعَهَا ... وَأَلْبَسَتْهُ رِدَاءَ الْقَيْظِ يَشْتَعِلُ
وَالرَّمْلُ لَوْ عَكَسَتْ حَبَّاتُهُ سَقَرًا ... فَخَافَهُ الطَّيرُ قَدْ عَزَّتْ بِهِ النُّزُلُ(١)
لَاسْتَهْوَنَتْهُ وَسَارَتْ فِي مَسَالِكِهِ ... مَا رَاعَهَا وَهَجٌ بَل كانَ يُحْتَمَلُ
والقَرُّ(٢) لَوْ أَنَّ رِيحَ القُطْبِ عَاصِفَةً ... هَبَّتْ عليهِ وَكَرَّ الخوفُ والوَجَلُ
وَبَاتَ كُلٌّ مِنَ الْأَحْيَاءِ مُخْتَبِئًا ... يَأْبَى الظُّهُورَ وَزَنْدُ الْبَرْدِ يَنْفَتِلُ(٣)
رَاحَتْ تَخُبُّ(٤) بِمَنْ فِي الرَّكْبِ آمِنَةً ... جِلْبَابُهَا وَبَرٌ وَالدِّفْءُ مُشْتَمِلُ
وَالأَرْضُ إِنْ خَشُنَتْ أَوْ لَانَ مَلْمَسُهَا ... فَلَا تُبَالِي لَهَا الأَخْفَافُ مُنْتَعَلُ(٥)
صَبُورَةٌ مِثْلَمَا الرَّحْمَنُ أَنْشَأَهَا ... فِي أَيِّ حَالٍ مَعَ الأَهْوَالِ تَنْتَقِلُ
قَوِيَّةٌ تَحْمِلُ الأَظْعَانَ(٦) مَاخِرَةً ... بَحْرَ الرِّمَالِ فما يُودِي(٧) بِها ثِقَلُ

(١) النُّزُل: مواضع النزول.
(٢) القَرُّ: البرد.
(٣) زند البرد: يشتد.
(٤) تخب: تسير مسرعة.
(٥) مُنتعَل: النعل.
(٦) الظعينة: المرأة في هودجها فوق الجمل.
(٧) يُودي: يُهْلِك.

سَفَائِنَ الْبَرِّ سَمَّوْها وَقَدْ صَدَقُوا ... وَاسْتَأْلَفُوهَا مَعَ الأَيَّامِ وَارتَحلُوا
سَفائِنٌ مَا شَكَتْ رِيحًا وَعاصِفَةً ... مِنَ الرِّمالِ وَما لَانَتْ لَهَا الإِبِلُ
حَوَاجِبٌ وَقَفَتْ حِصْنًا لِأَعْيُنِهَا ... وَأَرْجَعَتْ هَجَمَاتِ ٱلرَّملِ تَنْخَذِلُ
وَالأَنْفُ قَدْ شَقَّهُ الدَّيَّانُ(١) تُغْلِقُهُ ... مَتَىٰ تَشَاءُ فَلَا دَاءٌ وَلَا أَجَلُ
وَالأُذْنُ قَدْ حَفَّهَا شَعْرٌ لِيَحْرُسَهَا ... فَأَحْدَقَتْ دُونَهاالأَسْيَافُ وَالأَسَلُ(٢)
سَفَائِنٌ هُيِّئَتْ مِنْ مُبْدِعٍ سَطَعَتْ ... آيَاتُهُ ما بِها ثَلْمٌ وَلَا خَلَلُ

* * * * *

ٱلْغَزَالُ رَمْزُ ٱلْجَمَالِ

رَاقَ عَيْنِي أَنْ رَأَتْ يَوْمًا غَزَالَا ... يَقْطَعُ الرَّوْضَ مِرَاحًا(٣) وَدَلَالَا
مُرْهَفُ الحِسِّ بَرَاهُ(٤) ٱللَّهُ مِنْ لُطْـ ... ـفٍ وَأَعْطَاهُ مَعَ اللُّطْفِ جَمَالَا
يَجْذِبُ الأَنْظَارَ مِنْ ظَبْيٍ قَوَامٌ(٥) ... أَبْدَعَ ٱللَّهُ مِنَ الْحُسْنِ غَزَالَا
رَاقَنِي مِنْهُ شُرُودٌ يَحْتَوِيهِ ... يَكْشِفُ الطَّرْفُ سُهُولًا وَجِبالَا

(١) الدَّيَّان: الله تعالى.
(٢) الأَسَلُ: الرماح.
(٣) مِراحًا: شدة المرح.
(٤) بَرَأه: خلقه.
(٥) القوام: القد.

خِلْتُهُ إِذْ ذَاكَ شَيْخًا يَتَمَلَّى[(١)] فَيْلَسُوفًا زَادَهُ الْعَقْلُ اكْتِمالَا
وَاقِفًا يَرْنُو بَعِيدًا لَسْتُ أَدْرِي مَا الَّذِي قَدْ طارَ بِالظَّبْيِ خَيَالَا
شَارِدًا وَالْحُسْنُ فِطْرِيٌّ تَجَلَّى رَبُّهُ فِي خَلْقِهِ عَزَّ جَلَالَا
بَهْجَةٌ لِلْعَيْنِ يَحْبُوهَا بِأُنْسٍ يُمْتِعُ الْحِسَّ فَيَهْتَزُّ امْتِثَالَا
جِيدُهُ كَمْ أَكْسَبَ الشِّعْرَ عَطاءً جِيدُهُ لَاقَتْ بِهِ الْحَسْنَا مِثَالَا
صَادَهُ الشِّعْرُ مِثالًا لِجَمِيلٍ فَأَزْدَهى الْجِيدُ مِنَ الشِّعرِ وِصالا
ظَبْيُ[(٢)] بِٱللَّهِ الَّذِي سَوَّاكَ قُلْ لِي أَيُّ سِحْرٍ وَسَنًا فِيكَ تَلَالَا[(٣)]
مَثَّلُوا سِحْرَ الْعُيُونِ الْحُورِ دَوْمًا بِالَّذِي تُبْدِيهِ عَيْنَاكَ اخْتِيالا
رَاقَنِي يا ظَبْيُ مِنْ فِيكَ بُغَامٌ[(٤)] دَغْدَغَ السَّمْعَ أَتى سِحْرًا حَلَالَا
لَا تُبِينُ النُّطْقَ يَا ظَبْيُ وَلَكِنْ نَطَقَ الْحُسْنُ كَمَا شَاءَ (تَعَالَى)[(٥)]
إِنْ تُرِدْ شُرْبًا دَنَا مِنكَ قَطِيعٌ يَأْسِرُ الطَّرْفَ وَقَدْ تَاهَ جَمَالَا
واحِدٌ يَكْشِفُ دَرْبًا وسِواهُ يَجْعلُ الرِّيحَ إِلَى السَّمْعِ مَجالَا
تُرهِفُ السَّمْعَ إِلَى كُلِّ اتِّجَاهٍ تَتَّقِي شَرَّ الَّذِي صَالَ وَجَالَا

---

(١) يتملى: يتمتع بعمره الطويل.

(٢) أي: يا ظبيُ، منادًى بأداة نداء محذوفة.

(٣) تلالا: تلألأ.

(٤) بُغام: صوت الظبي.

(٥) تعالى: أي: الله تعالى.

قَدْ حَبَاكَ ٱللَّهُ بِالقَفْزِ نَجَاةً مِنْ عَدُوٍّ يَبْتَغِي مِنْكَ مَنَالَا
تَسْبِقُ الرِّيحَ إِذَا مَا خِفْتَ شيئًا يَحْسَبُ الباغِي كَأَنْ(١) صِرتَ خَيالَا
فَانْتَشَى الظَّبْيُ بِمَا أَهْدَاهُ ربٌّ وَزَهَا فِي عَالَمِ الْحُسْنِ اخْتِيَالَا
أَنْتَ يا ظَبْيُ لَقَدْ هِجْتَ مُحِبًّا هَلْ تُرَى تَرْضَى مِنَ الْحُبِّ سُؤَالَا
ظَبْيُ مَا أَنْتَ فَبِٱللَّهِ أَجِبْنِي تَمْتَمَ الظَّبْيُ لِمَا قَدْ قُلْتُ حَالَا(٢)
أَنَا لُطْفٌ أَلْبَسَ ٱللَّهُ إِهَابًا وَجَمَالٌ صَاغَهُ ٱللَّهُ غَزَالَا
مُبْدِعٌ قَدْ أَحْسَنَ الصُّنْعَ فَسَوَّى خَلْقَهُ آيَاتِ حَقٍّ تَتَلَالَا
مُرْهَفُ الْإِحْسَاسِ وَضَّاحُ الْمُحَيَّا آيَةٌ دَلَّتْ عَلَى ٱللَّهِ (تَعَالَى)(٣)

* * * * *

(١) مخففة من: كأَنَّ.
(٢) أي: في الحال.
(٣) من ديوان: خلق الله.

الْبِحَارُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ

يا بَحْرُ مَنْ أعْطاكَ مَقْدِرَةً ... أن تَحْمِلَ الأَمْوَاهُ[١] أَحْجَارَا
مَنْ صَيَّرَ الأَمْوَاهَ مَالِحَةً ... كي تَحْفَظَ الأَحْيَاءَ أَدْهَارَا
مَنْ أطْعَمَ الأَسْمَاكَ مَنْ حَرَّكَ ... الأَبْحارَ أَمْواجًا وَتَيَّارا
أَلْقَى إِلَيَّ البَحرُ نَظْرتَهُ ... فَوجدتُها فِي النُّطْقِ أَشْعَارَا
إِنِّي مِنَ الرَّحْمَنِ آيَتُهُ ... تَبْقَى عَلَى الأَزْمَانِ تَذْكَارَا[٢]

* * * * *

بَدَائِعُ الْبَحْرِ

تَبارَكَ ٱللَّهُ فِي الأَحْيَاءِ أَبْدَعَهَا ... وَهَيأَ الأَرْضَ فِيمَا كَانَ غايَتَها
ذَرَا[٣] بِحَارًا عَلَى الأَسْرَارِ قَدْ طُوِيَتْ ... وَيَكْشِفُ العِلْمُ بَعْضًا مِنْ مَتَاهَتِها
هَامَتْ غَرَامًا بِوَجهِ الأَرْضِ تَسْكُنُهُ ... وَٱسْتَحْوَذَتْهُ[٤] فَلَا نَدري نِهايَتَها
تَهَابُها النَّفْسُ إنْ لَانَتْ وَإِنْ غَضِبَتْ ... وَحَسْبُهَا خَطَرًا جوفٌ ولُجَّتُها[٥]

(١) الأمواه: جمع ماء، أي: أن يحمل الماء أثقالاً أعظم من الحجارة.
(٢) من ديوان: خلق الله.
(٣) ذرا: معناها: خلق.
(٤) واستحوذته، أي: غطَّت معظم وجه الأرض.
(٥) لجَّة الماء: معظمه.

حَبِيبَةٌ ما غَفَتْ(١) فِيهَا مَوائِجُها ويَحْذَرُالنَّاسُ فِي الْأَنْوَاءِ(٢) غَضْبَتَهَا(٣)

* * * * *

حِكَايَةُ النَّبْع

مَنْ نَوَّعَ الْأَرْضَ مِنْ هَشٍّ وَمِنْ صَلِدٍ(٤)
وَشَقَّقَ الصَّخْرَ يَنبُوعًا لِمُبْتَرِدِ
مَنْ أَودَعَ الْأَرْضَ أَمْوَاهًا وَأَسْكَنَهَا
مَدَى السِّنِينَ وَأَبْقَاهَا لِمُرْتَفِدِ(٥)
مَنْ أَطْلَقَ الْمَاءَ مِن بَحرٍ وَمِنْ نَهَرٍ
غَدَا سَحَابًا يَجُوبُ الْجَوَّ مِنْ أَمَدِ
أَزْجَى بِهِ اللّهُ غَيْثًا سَحَّ(٦) فِي غَدَقٍ(٧)
فَكَانَ نُعْمَى عَلَى الْأَحْيَاءِ وَالْبَلَدِ
لَاقَتْ بِهِ الْأَرْضُ مَحْيَاهَا وَفَرْحَتَهَا
وَاسْتَقْبَلَتْهُ كَلُقْيَا الْأُمِّ لِلْوَلَدِ

---

(١) غَفَتْ: نامت.

(٢) أي: في الريح والبرد والمطر.

(٣) من ديوان: خلق الله، (١٦٧ - ١٦٩).

(٤) صلْد: حجر صُلب أملس.

(٥) مرتفد: الرفد: هو العطاء، والمرتفد: طالب العطاء.

(٦) سَحَّ: سال.

(٧) غدق الماء: الغدق: الكثير.

حَتَّى إِذَا وَقَّتَ الرَّحْمَنُ مَوْلِدَهُ
تَشَقَّقَ الصَّخْرُ فَارَ الْمَاءُ كَالزَّبَدِ

نَهْرًا جَرَى لِعِبَادِ اللَّهِ يَمْنَحُهُمْ
صَفْوَ الْحَيَاةِ وَيَغْشَى الْأَرْضَ بِالرَّغَدِ

خَيْرًا جَرَى فِي فَيَافِي الْأَرْضِ فَانْقَلَبَتْ
حَدَائِقًا مُتْعَةَ الْأَنْظَارِ وَالْجَسَدِ

جَرَى عَلَى مَهَلٍ فِي السَّهْلِ مُنْبَسِطًا
فَرَقَّ مِنْهُ الْهَوَا وَانْسَابَ فِي غَيَدِ

وَالْتَفَّ فِي الْمُنْحَنَى وَالنَّبْعُ يُمْدِدُهُ
وَاسْتَبْطَأَ الْخَطْوَ فِي الْأَنْجَادِ(١) وَالسَّنَدِ(٢)

حَتَّى إِذَا رَامَ فِي مَجْرَاهُ مُنْحَدِرًا
وَاسْتَعْجَلَ الْخَطْوَ لَا يَلْوِي عَلَى أَحَدِ

تَدَفَّقَ الْمَاءُ شَلَّالًا عَلَى عَجَلٍ
فَزَيَّنَ الْأَرْضَ بِالْإِبْهَاجِ وَالْمَدَدِ

حِكَايَةُ النَّبْعِ جَلَّ اللَّهُ مُوجِدُهُ
وَآيَةُ الْحَقِّ قَدْ لَاحَتْ بِمُجْتَهِدِ(٣)

---

(١) الأنجاد: جمع نجد، وهو ما ارتفع من الأرض.
(٢) السند: هو ما ارتفع من الأرض في قُبل الجبل أو الوادي.
(٣) من قصيدة: حكاية النبع ، من ديوان: خلق الله، (١١٩ - ١٢٢).

مَمَالِكُ الثَّلْجِ!!

مَمَالِكُ الثَّلْجِ وَالْأَحْقَابُ شَاهِدَةٌ
رَايَاتِكَ الْبِيضَ وَالْبَطْحَاءُ تُسْتَلَبُ
إِنْ رَامَ جَيْشُكَ شَيْئًا بَاتَ فِي يَدِهِ
وَأُلْبِسَ الْأَسْرَ لَا يَبْقَى لَهُ نَسَبُ
فَلَا السُّهُولُ وَإِنْ شَطَّتْ جَوَانِبُهَا
وَلَا الْبِحَارُ ذَوَاتُ الْمَوْجِ يَصْطَخِبُ
وَلَا الْجِبَالُ وَإِنْ عَزَّتْ مَصَاعِدُهَا
بَلْ لَيْسَ مِنْ نَهَرٍ يَجْرِي وَيَضْطَرِبُ
كَلَّا وَلَا الْقُنَنُ(١) الشَّمَّاءُ تَمْنَعُهُ
وَلَا الشَّوَاهِقُ(٢) لَا تَرْقَى لَهَا السُّحُبُ
جَيْشٌ تَحَكَّمَ فِي الْأَجْوَاءِ تَمْلَؤُهَا
رَايَاتُهُ الْبِيضُ وَالْآفَاقُ تَقْتَرِبُ
يَرْمِي السُّهُولَ بِبَعْضٍ مِنْ عَبَاءَتِهِ
فَتَنْضَوِي تَحْتَ جُنْحِ الْجَيْشِ تُحْتَجَبُ

---

(١) القنن: جمع قننة، وهي: أعلى قمم الجبل.
(٢) الشواهق: جمع شاهق، وهو: الجبل العظيم.

يَنَامُ فِيهِ مِنَ الْأَحْيَاءِ أَضْعَفُهَا
فَلَا سُهَادَ لِغَيْرِ الثَّلْجِ يَنْتَصِبُ
مَفَازَةُ الثَّلْجِ لَكِنْ لَا غُبَارَ بِهَا
وَلَا رِمَالَ مِنَ الرَّمْضَاءِ تَلْتَهِبُ
وَلَا رِيَاحَ عَلَى جَمْرٍ قَدِ اتَّكَأَتْ
وَرَاحَ فِيهَا الرَّدَى يَلْهُو وَيُرْتَهَبُ
وَلَا جِمَالَ عَلَى شَدْوٍ قَدِ انْطَلَقَتْ
وَلَا ظَعَائِنَ فَوْقَ الثَّلْجِ تَنْسَرِبُ
وَلَا سَوَافِيَّ(١) تَمْحُو الدَّرْبَ فِي عَجَلٍ
وَلَا كَثِيبَ وَلِيدَ الرِّيحِ يَنْتَحِبُ(٢)
عَبَاءَةُ الثَّلْجِ سَرَّتْ عَيْنَ نَاظِرِهَا
وَأَمْتَعَتْهُ بِبُرْدٍ نَسْجُهُ حَبَبُ(٣)
يَبْنِي الْجِبَالَ إِذَا مَا شَاءَ خَالِقُهُ
فَتَسْتَطِيلُ وَتَغْفُو حَوْلَهَا الْقُبَبُ
فَلَا نُسُورَ عَلَى أَقْنَانِهَا رَقَدَتْ
وَمَنْ يُطِيقُ سِنَانَ الْبَرْدِ يَحْتَرِبُ

---

(١) سوافي: جمع سافياء، وهي: الريح التي تحمل تراباً.
(٢) ينتحب: يعول باكياً.
(٣) الحبَب: الماء.

وَمَنْ يُقَاوِمُ جَيْشَ الثَّلْجِ إِنْ عَصَفَتْ
رِيَاحُهُ وَعَلَا فِي وَجْهِهَا الْغَضَبُ
وَزَمْجَرَتْ تَتَّقِي الْأَحْيَاءُ صَوْلَتَهَا
وَتَخْتَبِي مِنْ بَلَاءٍ جُنَّ يَحْتَطِبُ
تُرَوِّعُ الْآمِنَ الْمَرْصُوصَ مَسْكَنُهُ
وَإِنْ تَعَانَقَ فِيهِ الصُّلْبُ وَالْخَشَبُ
تُدَمِّرُ الْحِصْنَ إِمَّا شَاءَ بَارِئُهَا
وَتَنْشُرُ الذُّعْرَ مَا رَفَّتْ لَهَا هُدُبُ
فَكَمْ سَفِينٍ عَلَى ثَلْجٍ[1] قَدِ انْحَطَمَتْ
تَقَهْقَرَ الصُّلْبُ وَالْأَخْطَارُ تُرْتَهَبُ
فَمَا الْحَدِيدُ وَإِنْ أَعلَوْا صَفَائِحَهُ
يَرُدُّ بَأْسَ جَلِيدٍ قَامَ يَسْتَلِبُ
مَاءٌ تَجَمَّدَ فَاهْتَزَّتْ بَوَاتِرُهُ
فَخَافَهَا كُلُّ حَيٍّ حِينَ تَقْتَرِبُ
وَإِنْ نَأَى غَضَبٌ[2] عَنْ حَالِهَا كَشَفَتْ
مَمَالِكُ الثَّلْجِ حُسْنًا رَاحَ يَجْتَذِبُ

---

(١) على ثلج: أي: بعد أن تحول إلى جليد.
(٢) أي: إن هدأت عواصف الثلج.

ثَوْبًا تَبَدَّتْ بِهِ الْأَصْقَاعُ حَالِمَةً
مَزْهُوَّةً وَيَهُزُّهَا بِهِ الْعَجَبُ
بَيَاضُهُ سَحَرَتْ آفَاقُهُ أُمَمًا
فَاسْتَعْذَبُوا بَرْدَهُ وَاسْتَحْوَذَ اللَّعِبُ
زَحْفٌ هُنَا دَائِرٌ وَهُنَاكَ مُكْتَشِفٌ
يَسْعَى وَمَزْلَجَةٌ(١) قَدْ خَفَّهَا الطَّرَبُ
مَرَابِعَ الثَّلْجِ مَنْ سَوَّاكِ مَمْلَكَةً
سِلَاحُهَا الْمَاءُ مَا فِي حَرْبِهِ الْعَطَبُ(٢)
لَكِ الفَيَافِي يَنَالُ الثَّلْجُ مَغْنَمَهُ
يَزِيدُ مُلْكًا لَهُ فِي كَسْبِهَا الْقُطُبُ
يَا أَنْتِ يَا آيَةً لِلَّهِ نَاصِعَةً
لِلنَّاظِرِينَ وَلَيْسَ الْحَقُّ يُحْتَجَبُ(٣)

* * * * *

(١) مكان لممارسة رياضة التزلُّج.
(٢) العطب: الموت والهلاك.
(٣) من ديوان: خلق الله.

﴿وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ﴾

رَأَيْتُهُ غَائِصًا فِي الْجَوِّ كَالأَمَلِ
هَامَ السَّحَابُ إِلَى لُقْيَاهُ بِالْمُقَلِ
نَادَيْتُهُ بِخِطَابِ النَّفْسِ أَسْأَلُهُ
عَمَّنْ بَرَاهُ وَأَبْقَاهُ إِلَى أَجَلِ
يَا رَاسِيًا أَبَدًا فِي الأَرْضِ تَحْفَظُهَا
يَا رَاسِيًا فِي فَسِيحِ الْكَوْنِ كَالظُّلَلِ(١)
تَعْلُو عَلَى الأَرْضِ وَالرَّحْمَنُ كَوَّرَهَا(٢)
وَتَشْهَدُ الْكَوْنَ لَا يَعْرُوهُ(٣) مِنْ خَلَلِ
فَصَنْعَةُ اللَّهِ جَلَّتْ عَنْ مُفَارَقَةٍ
وَهْوَ الْقَدِيرُ عَلَى الإِحْكَامِ مِنْ أَزَلِ
أَطَالَكَ اللَّهُ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ نُصُبٍ(٤)
يَدْنُو إِلَيْكَ وَلَوْ حَفُّوهُ بِالثِّقَلِ
تُحَوِّمُ السُّحُبُ الْعُلْيَا مُحَلِّقَةً
تَغْفُو خِفَافًا عَلَى جَنْبَيْكَ فِي مَهَلِ

(١) الغمام والسحاب.
(٢) أي: دوَّرها وجعلها كرة.
(٣) يعرُوه: يصيبه.
(٤) ما يُنْصَب ويُرْفَع من أعمدة وأبراج.

تُسَبِّحُ اللَّهَ فِيمَا شَاءَ مِنْ لُغَةٍ
وَتَرْتَضِي مَا حَبَاكَ[١] اللَّهُ مِنْ عَمَلِ
أَلْقَى بِكَ اللَّهُ كَيْ تَبْقَى إِلَى أَمَدٍ[٢]
وَتَحْفَظَ الْأَرْضَ مِنْ مَيْدٍ[٣] وَمِنْ زَلَلِ
أَوْحَى إِلَى النَّحْلِ أَنْ تَبْنِي الْبُيُوتَ لَهَا
فِي آمِنٍ مِنْ حِمَاكَ فَاضَ بِالْعَسَلِ
كَمْ مِنْ قُرُونٍ مَضَتْ عَايَشْتَهَا زَمَنًا
وَكَمْ شَهِدْتَ مَعَ الْأَيَّامِ مِنْ دُوَلِ
صَارَتْ حَدِيثًا وَتَبْقَى أَنْتَ مُنْتَصِبًا
تَهْدِي الْخَلَائِقَ مِنْ بَاقٍ[٤] وَمُنْتَقِلِ
وَكَمْ تَلَقَّى نَبِيٌّ فِيكَ حُجَّتَهُ
حِرَاءُ[٥] (أَحْمَدَ) آوَى خَاتَمَ الرُّسُلِ
وَكَمْ رَقَاكَ عَنِ الْمَكْرُوهِ مُبْتَعِدٌ
كَمْ عَابِدٍ صَاحَ يَاأَللَّهُ مِنْ وَجَلِ[٦]

---

(١) حباك: منحك.
(٢) أمد: مدى: زمن معين.
(٣) ميد: تحرُّك واهتزاز.
(٤) باق: إلى أمد مؤقت.
(٥) أي: غار حراء.
(٦) أي: خَوْف.

قَدْ رَاعَهُ النُّورُ قَدْ فَاضَتْ نَوَافِحُهُ
يَغْشَى الدُّنَا أَبَدًا مِنْ آيَةِ الْجَبَلِ
مَا فِي الْوُجُودِ سِوَى آيَاتِ قُدْرَتِهِ
تُهْدَى لِذِي بَصَرٍ بِالْحَقِّ مُنْشَغِلِ(١)

* * * * *

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾

قَدْ نَامَ نَاسٌ وَقُرْصُ الشَّمْسِ مُرْتَفِعٌ ... وَغَابَ عَنْهُمْ جَمَالُ الحِسِّ وَالنَّظَرِ
وَضَاعَ مِنْهُمْ كَمَالُ الْخَلْقِ تَشْهَدُهُ ... خَلَائِقُ اللَّهِ تَحْظَى مِنْهُ بِالْعِبَرِ
فِي الشَّمْسِ تَلْقَى صَنِيعَ اللَّهِ مُكْتَمِلًا ... فَلَا تَفَاوُتَ لَا تَفْرِيطَ فِي قَدَرِ(٢)
مَنْ دَوَّرَ الْأَرْضَ حولَ الشَّمسِ دائبَةً ... وَأَوْلَجَ اللَّيْلَ فِي الْإِصْبَاحِ بِالْأَثَرِ
مَنْ أَمْسَكَ الْأَرْضَ فِي شَمْسٍ تُجَاذِبُهَا ... وَقَدَّرَ النُّورَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
مَنْ أَكْسَبَ الشَّمْسَ نُورًا نَسْتَضِيءُ بِهِ ... أَلَيْسَ يَنْفَدُ هَذَا النُّورُ فِي دَهَرِ
إِنْ تَرْغَبِ الشَّمْسُ يَوْمًا أَنْ تُقَارِبَنَا ... أَوْ تَبْتَعِدْ هَلْ تَرَى لِلْخَلْقِ مِنْ أَثَرِ
مَنْ قَيَّدَ الشَّمسَ فِي بُعْدٍ تُلَازِمُهُ ... فَلَيْسَ تَطْغَى وَلَا تُودِي(٣) إِلَى ضَرَرِ

---

(١) من قصيدة: آية الجبل، من ديوان: خلق الله، (٧٢ - ٧٤).
(٢) قدْر: مقدار.
(٣) تُودِي: توصل وتنتهي.

هُوَ الْإِلَهُ الَّذِي آيَاتُهُ شَهِدَتْ أَنَّ الْحَيَاةَ بِغَيْرِ اللَّهِ لَمْ تَسِرِ[1]

* * * * *

● كَمْ فِي الشَّمْسِ مِنْ آيَةٍ، وَكَمْ فِي شُرُوقِهَا مِنْ آيَةٍ:

مَسَّتْ أَنَامِلُهَا أَرْضًا لِتُنْعِشَهَا
وَصَفَّقَ الْمَاءُ فِي بَحْرٍ وَفِي نَهَرِ
هَبَّ النَّسِيمُ فَحَيَّاهَا وَضَاحَكَهَا
وَفَتَّحَ الْوَرْدُ أَكْمَامًا عَلَى الْأَثَرِ
وَغَرَّدَ الطَّيْرُ مِنْ عِشْقٍ يُكَابِدُهُ
وَأَطْرَبَ الشَّمْسَ فَاخْتَالَتْ بِلَا بَطَرِ
وَاهْتَزَّ فَوْقَ غُصُونِ الدَّوْحِ فِي فَرَحٍ
وَرَفَّ زَهْرُ الرُّبَا فِي نَشْرِهِ الْعَطِرِ
صَحَا عَلَى سِحْرِهَا نَاسٌ وَأَسْعَدَهُمْ
شَدْوُ الْعَنَادِلِ[2] بَيْنَ الرَّوْضِ وَالشَّجَرِ
هَبُّوا وَأَلْقَوْا بَقَايَا النَّوْمِ خَلْفَهُمُ
وَوَحَّدُوا اللَّهَ بَارِي الشَّمْسِ وَالْبَشَرِ

* * *

---

(١) من ديوان: خلق الله، (٨٠ - ٨١).
(٢) جمع عندليب.

مَوْكِبُ النُّورِ

فِي خُشُوعِ الدُّجَى عَرَفْتُكَ يَـــــارَبُّ وَفِي نَجْمِهِ وَفَيْضِ السُّكُونِ
جَلَّ فِي صَمْتِهِ فَكَانَ بَيَانًا   فِي قُلُوبٍ وَعَتْهُ أَوْ فِي جُفُونِ
هَدَأَ النَّاسُ غَيْرَ قَلْبٍ شَجِيٍّ   هَبَّ مِنْ لَهْفَةٍ وَشَوْقٍ دَفِينِ
مَدَّ كَفَّيْهِ فِي حَنَايَا اللَّيَالِي   رَعَشَاتٍ مُبَلَّلَاتِ الْحَنِينِ
وَهَبَتْ لِلنُّجُومِ رَعْشَةَ شَوْقٍ   وَأَعَارَتْ لَهَا انْفِلَاتَ الشُّجُونِ
فِي شُعَاعٍ يَمُوجُ بَيْنَ ثَنَايَا   هُ رَفِيفٌ مِنَ الدُّعَاءِ الْحَزِينِ

* * * * *

أَيُّهَا النَّجْمُ مَنْ رَعَاكَ عَلَى الْأُفْـ   ـقِ وَأَلْقَاكَ فِي مَسَارٍ مَلِينِ
فَلَكٌ كَمْ جَرَيْتَ فِيهِ لِتَمْضِي   سَابِحًا فِي دَقَائِقِ التَّكْوِينِ
أَيْنَ تَمْضِي وَأَنْتَ تَسْجُدُ لِلَّـ   ـهِ خُشُوعًا عَلَى هُدَاهُ الْمُبِينِ
كَمْ مَضَى كَمْ تُرَاهُ بَعْدُ تبقَّى   أَيْنَ يَا نَجْمُ مُسْتَقَرُّ السَّفِينِ
قَدَرٌ غَالِبٌ مِنَ اللَّهِ يُمْضِي   بِهُدَاهُ دَقَائِقًا مِنْ شُئُونِ

* * * * *

كَمْ مِنَ النَّاسِ لَمْ يَرَوا فِيكَ إِلَّا   صَخْرَةً أَظْلَمَتْ وَكُتْلَةَ طِينِ
سَرَقُوا مِنْكَ نُورَكَ الْمُتَلَأْلِئَ   سَرَقُوا رَعْشَةً وَخَفْقَ حَنِينِ

سَرَقُوا دَعْوَةً وَهَمْسَ صَلَاةٍ سَرَقُوا مِنْكَ كُلَّ شَيْءٍ ثَمِينِ
سَرَقُوا نَبْضَةَ الْحَيَاةِ أَمَاتُو هَا عَلَى ظُلْمَةٍ وَمَوْجِ فُتُونِ
سَرَقُوهَا مِنَ النُّفُوسِ مِنَ الْقَلْـ ـبِ وَمِنْ فِطْرَةٍ وَنُورِ عُيُونِ
سَرَقُوهَا مِنَ الضِّيَاءِ وَرَاحُوا دَفَنُوهَا فِي ظُلْمَةٍ مِنْ سُجُونِ
أَيُّ تِيهٍ يَلُفُّهُمْ وَضَلَالٍ أَيُّ كِبْرٍ مِنَ الْهَوَى مَجْنُونِ
أَيُّ كِبْرٍ أَذَلُّ مِنْ كِبْرِ كَفَّا رٍ وَأَشْقَى مِنْ مَكْرِهِ الْمَفْتُونِ

* * * * *

وَأَفَاقَتْ مِنْ غَفْوَةِ الْوَهْمِ أَحْلَا مٌ عَلَى رَفْرَفَاتِ فَجْرٍ مُبِينِ
مَوْكِبَ النُّورِ فِي مَطَافِ جَمَالٍ وَجَلَالٍ عَلَى مَرَابِعِ غِينِ
مَوْكِبَ النُّورِ أَيُّ طَيْفٍ نَدِيٍّ مُشْرِقٍ فِيهِ أَيُّ ظِلٍّ حَنُونِ
تَفْتَحُ الزَّهْرَةُ النَّدِيَّةُ جَفْنَيْـ ـهَا دُعَاءً بِيَوْمِهَا الْمَيْمُونِ

* * * * *

أَيُّهَا الزَّهْرُ مَنْ حَبَاكَ وَمَنْ أَعْـ ـطَاكَ مِنْ نَفْحَةٍ وَمِنْ تَلْوِينِ
زُرْقَةٌ مِنْ رَوَائِعِ الْأُفْقِ مَاجَتْ وَٱحْمِرَارٌ مُضَمَّخُ التَّكْوِينِ
وَٱصْفِرَارٌ كَأَنَّهُ رِقَّةُ الشَّوْ قِ وَمِنْ جَوْهَرٍ كَرِيمٍ ثَمِينِ
وَٱخْضِرَارٌ يَمُوجُ بَيْنَ طُيُوفٍ وَرَفِيفٌ مِنْ جَدْوَلٍ وَعُيُونِ

يَا مُرُوجَ الرُّبَا تُنَادِيكِ أَعْمَاقٌ وَيَدْعُوكِ عَبْقَرِيُّ الْفُنُونِ
مَزَجَتْ سِحْرَكِ الْمُمَوَّجَ أَلْقَتْـهُ هُنَا أَوْ هُنَاكَ فَوْقَ الْغُصُونِ
بَيْنَ وَادٍ عَلَى الضِّفَافِ الحَوَانِي فِي الثَّنَايَا فِي التِّينْ والزَّيْتُونِ
فِي عُرُوقٍ غَنِيَّةٍ فِي وُرُودٍ فِي أقاحٍ هُنَاكَ أَوْ نِسْرِينِ
لَمَسَتْ رَعْشَةَ الهَوَى ثُمَّ ذَابَتْ فِي صَبَايَا مِنَ الكَوَاعِبِ عِينِ

* * * * *

أَيُّ لَوْنٍ مِنَ الخَيَالِ تَلَقَّاهُ بِوَادٍ مُرَفْرِفٍ وَحُزُونِ
وَطُيُورٍ عَلَى الأفَانِينِ أَلْحَانٌ وَرَجْعٌ مِنَ الصَّدَى والرَّنِينِ
كُلُّ لَحْنٍ صَدَى لِخَفْقَةِ لونٍ كُلُّ قَطْرٍ صَدَى لِخَفْقِ عُيُونِ
هَمَسَاتُ الدُّعَاءِ للهِ تَسْبِيحٌ وَرَجْعٌ مِنْ سِرِّهِ المَكْنُونِ

* * * * *

أَنْتَ يَا ربِّ خَالِقُ الكَوْنِ كَمْ أَلْـقَيْتَ لِلنَّاسِ آيَةً مِنْ يَقِينِ
كُلُّ مَا تَجْتَلِي العُيُونُ عَلَيْهِ هُوَ مِنْ خَفْقَةٍ لِمَاءٍ وَطِينِ
صَاغَهَا ٱللَّهُ نَفْخَةً وَحَبَاهَا نَسْمَةً مِنْ هُدًى وَفَيْضٍ مَعِينِ
سَاجِدَاتٍ للهِ فِي مَوْكِبِ النُّورِ خُشُوعًا وَرِقَّةً مِنْ حَنِينِ (١)

* * * *

(١) مواكب النور، لعدنان النحوي، من ديوان: مواكب النور، (١٤ ـ ٥٤)، المكتب الإسلامي.

وله - رحمه الله - يصف الطبيعة بعد الفجر، آية من آيات اللّه في كونه:

وَانْجَلَى مِنْ مَوَاكِبِ الفَجْرِ آيَا ... تٌ تَشُدُّ القُلُوبَ والأَبْصارَا
فالسُّكُونُ النَّدِيُّ يَنْطِقُ بالحَقِّ ... بَيَانًا عَلَى المَسَامِعِ دَارَا
وَرَفِيفُ الوُرُودِ لَيْسَ صَبَابَا ... تٍ لِدَانُ الغُصُونِ لَيْسَت عَذَارَى
والنَّدَى لم يَكُنْ دُمُوعَ الغَوَانِي ... والأَزَاهِيرُ لَمْ يَكُنَّ سَكَارَى
كَانَ نَفْحًا مِنَ الخُشُوعِ نَدِيًّا ... وَجَلالًا يَفُضُّهُ أَنْوَارَا
وَدُعَاءً يَمُوجُ فِي عَالَمِ الصَّمْتِ ... يُنَدِّي التسبيحَ والأَذْكَارَا
وَنِدَاءً عَلَى صَدَاهُ اللَّيَالِي ... رَجَّعَتْ هَدْيَهُ وَخَاضَتْ غِمَارَا
وَانْتَشَتْ زَهْوَةً فَأَغْضَتْ حَيَاءً ... وانْحَنَتْ مِنْ جَلَالِهِ إِكْبَارَا
عَالَمَ الحَقِّ والشَّذَى من طُيُوفٍ ... رَفْرَفَتْ فِي خُشُوعِهَا أَطْهَارَا
ربِّ لي تَوْبَةٌ تَرِفُّ حَنَايَا ... هَا يَطْوِي نَدِيُّهَا الأوزارا(١)

* * * * *

(١) من قصيدة: آية في السبيل، من ديوان: مواكب النور، ص (٧٠).

آفاق

وقف هناك، في ساعة من ساعات الغروب؛ ينظر إِلَى الأفق تتبدَّل فيه الألوان، حَتَّى إذا حلَّ الظلام، وغابت الألوان والطيوف، وبرزت النجوم كأنها قناديل معلقة في السماء، رأى في نفسه كذلك آفاقًا تمتد، يتبدَّل فيها الضِياء والظلمة، وحوله أمّة تغيب بَيْنَ آمالٍ وضياع.

ورأى الفجر في صفوه وهدوئه ولألائه. فَبَيْنَ آفاقِ الكون الممتدة الواسعة، وبين آفاق نفسه كذلك، رأى آيات وآيات، تتلاقى عندها كل الآفاق في مواكب، تسجد كلها للَّه خاشعة.

أَلُمّ عَلَى أَجفَانِيَ الأُفْقَ والمَدَى ... فَأَجْمَعُهُ ظِلًّا وَأَنْشُرُهُ نَدَى
تَحَيَّرَتِ الأَلْوَانُ فِيهِ كَأَنَّمَا ... نَثَرْتُ عَلَيْهِ الشَّوْقَ نَثْرًا مُجَدَدًّا
يَمُوجُ أُوارُ النَّفْسِ بَيْنَ احْمِرَارِهِ ... عَلَى شَفَقٍ غَافٍ وَذَيْلٍ تَبَدَّدَا
بَقَايَاهُ أَشْتَاتُ الضَّيَاعِ تَنَاثَرَتْ ... عَلَى خَجَلٍ هَاجَ الأسى فَتَوَرَّدَا
فَتَهْوِي الطُّيُوفُ الحُمْرُ خَلْفَ حُطَامه ... عَلَى ظُلْمَةٍ دَكْنَاءَ لَمْ تُبْقِ مَنْفَذَا
كَأَنَّ الدُّجى مَوْجٌ تَعَلَّقْنَ فَوْقَهُ ... قَنَادِيلَ كَمْ هَيَّجْنَ نَجْمًا وَفَرقَدَا
غَفَوْنَ وَمَرَّ الفَجْرُ يَطْوِي شَتَاتَهَا ... وَيَنْشُرُ مِنْ لألائِهِ مَا تَوَقَّدَا
وَإِمَّا صَفَتْ نَفْسٌ وَطَابَ بِهَا المُنى ... بَدَا الأُفْقُ صَفْوًا طَابَ حُسْنًا وَمَوْرِدَا

عَلَى زُرْقَةٍ ذَابَ الحنَانُ وَخفقُهُ ... عَلَيْهَا اصْفِرَارًا عَادَ دُرًّا وَعَسَجْدَا

* * * * *

هُنَالِكَ مَا ضَيَّعْتُ نَظْرَةَ خَاشِعٍ ... وَلَا فَقَدَتْ نَفْسِي مَعَ الأَمْنِ مُنْجِدَا

أَطُوفُ كَمَا طَافَ الجَمَالُ وأجْتَلِي ... رُؤًى عَبْقَرِيَّاتِ الجمالِ وَمَشْهَدَا

أَزَحْتُ هُمُومَ العُمْرِ أَلْقَى مَوَاكِبًا ... مِنَ الخَيْرِ فَضَّتْ دُونَهَا آيَةَ الهُدَى

تُرَجِّعُ آمَادًا مَضَيْنَ وَحِكْمَةً ... يُجَدِّدْنَ آياتٍ وَيَعْرِضْنَ مَوْلِدَا

مَوَاكِبُ فاشْهَدْ عِنْدَهَا كلَّ آيةٍ ... ورَتِّلْ عَلَى آيَاتِهَا الحَمْدَ والنَّدَى

مَوَاكِبُ ما فِي الكَوْنِ إِلَّا خُشُوعُهَا ... وكُلُّ الَّذِي بَيْنَ الضُّلُوعِ لَهُ صَدَى

* * * * *

مَدَدْتُ بِآمَالي إِلَى الأُفْقِ عَلَّنِي ... أَرَى قَبَسًا أَهْدَى إليَّ وأَرشَدَا

رَجَعْتُ وَفِي نَفْسِي دَوِيٌّ وَحَيْرَةٌ ... وَعَادَتْ بِيَ الآمَالُ تَسأَلُني يَدَا

تَقُولُ حَنَانَيْكَ الضِّيَاءُ جَمِيعُهُ ... بِذَاتِكَ فَانْشُدْ إِنْ رَغِبْتَ بِهَا الهُدَى

بِذَاتِكَ فِي عَيْنَيْكَ فِي القلبِ فِي يَدٍ ... عَلَى خَفقَاتِ الشَّوْقِ هَيَّجْنَ أَكْبُدَا

بِرَجْعَةِ أَنْفَاسٍ بِلَهْفَةِ أَضْلُعٍ ... بِإِشراقَةٍ بالعَيْشِ بالسَّعْي بالرَّدَى

هُنَا فِي بَنَانٍ دَقَّ صُنْعًا وآيَةً ... وَجَارِحَةٍ تَجْلُو لِعَيْنَيْكَ مَوْرِدَا

وَفِي فِطْرَةٍ أُوتِيتَهَا لو سَأَلْتَهَا ... عَنِ الحَقِّ قامَتْ كَيْ تُبِينَ وتَشْهَدَا

بِذَاتِكَ فِي جَنْبَيْكَ آفَاقُ عَالَمٍ ... فَسِيحٍ وَأَنْوَارٌ وَمَوْجٌ مِنَ الصَّدَى

تَأَلَّقُ أَوْ تَحْنُو بِضَوْءِ شُمُوسِهَا أَمَانًا وَتَبْتَلُّ الجَوَارِحُ بِالنَّدَى
كَأَنَّ الأَمَانِي فِي حَنَايَاكَ رَوْضَةٌ تَفَتَّحُ عَنْ زَهْرٍ وَتَهْتَزُّ بالجَدَا
تُبَلِّلُهَا نَعْمَى اليَقِينِ بِرَيِّهَا وُرُودًا وَتَسْقِيهَا البَشَائِرُ سُؤْددا
صَفَا حُسْنُهَا حتى إِذَا اضْطَرَبَ الهَوَى بِنَفْسٍ طَوَى آفَاقَهَا اللَّيْلُ أَسْوَدَا
يَمُورُ مِنَ الأَهْوَاءِ مَوْجُ ظَلَامِهَا وَيَهْدُرُ شَوْقٌ ضَجَّ فِيهَا وَأَرْعَدَا
إِذَا أَوْمَضَتْ بَيْنَ الدَّيَاجِيرِ شَهْوَةٌ رَجَعْنَ دُخَانًا خَانِقًا فِيهِ أَرْبَدَا

* * * *

رَجَعْتُ وَأَضْحَى الأُفْقُ مَهْمَا نَأَى بِهِ مَدًى عَادَ يَدْنُو مِنْ فُؤَادِيَ مُرْشِدَا
هُنَالِكَ آفَاقٌ تَمُرُّ وَهَا هُنَّا كَذلِكَ آفاقٌ تُوَاكِبُ مَوْعِدَا
تَلاقَتْ عَلَى آيَاتِهَا فَكَأَنَّمَا رَأَيْتَ بِهَا الدُّنْيَا خُشُوعًا وَمَعْبَدَا
هُوَ اَللَّه فَانْظُرْ حيثما شِئْتَ آيَةً بِهَا سُجَّدًا للهِ يَتْبَعْنَ سُجَّدَا(١)

* * * *

● ولــه:

رَبَّنَا سَبَّحَتْ لَكَ الفَلَوَاتُ
وَأَقَاصِي الأَعْمَاقِ والظُّلُمَاتُ
وَالحصى والرِّمَالُ والرَّبَوَاتُ
وَرَفِيفُ الغُصُونِ والزَّهَرَاتُ

---

(١) لعدنان النحوي، من ديوان: مواكب النور، (٧٧ - ٨١).

وَنِـداءُ الطُّـيُـورِ والـوكَـنَـاتُ
وَهَـدِيـلُ الحَمَـامِ والـهَـمَـسَـاتُ
وَحَـنَـايَـا الـضَّـمِـيـرِ والـنَّـظَـرَاتُ
مَـوْكِـبٌ رَفْـرَفَـتْ بِـهِ الآيَـاتُ

* * * * *

رَبَّـنَـا مِـنْ يَـدَيْـكَ فَـاضَ الـنَّـعِـيـمُ
والـهُـدَى مِـنْـكَ والحَنَـانُ الـرَّحِـيـمُ
وَزَكَـاةُ الـنُّـفُـوسِ مِـنْـكَ تَـقُـومُ
وَاهِـبٌ قَـادِرٌ عَـزِيـزٌ كَـرِيـمُ[1]

* * * * *

(١) من ديوان: مواكب النور، (١٢١، ١٢٢).

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾

﴿وَالصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾

طَوَى اللَّيْلُ أَسْتَارَهُ الْمُسْدَلَهْ وَلَفَّ ذَوَائِبَهُ الْمُرْسَلَهْ
وَهَبَّ ضِيَاءُ الصَّبَاحِ الْعَلِيلْ فَعَفَّى رَوَاسِيَهُ الْمُهْمَلَهْ
وَمَرَّ بِأَنْفَاسِهِ كَالْحَيَاةِ فَأَيْقَظَ أَعْيُنَنَا الْمُقْفَلَهْ
وَأَلْقَى الشَّذَا فِي بُرُودِ النَّدَى عَلَى الزَّهْرِ وَالأَغْصُنِ الْمُخْضَلَهْ
وَذَرَّ عَلَى الطَّيْرِ نَفْحَ النَّشِيدِ فَغَنَّت جَمَاعَاتُهَا الْمُقْبِلَهْ

* * * * *

فَأَمْعَنْتُ فِي حُسْنِهِ الْبَاهِرِ
فَآمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ
وَفِي الصُّبْحِ لِلنَّاظِرِ الْمُعْتَبِرْ
رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرْ
فَآمَنْتُ بِهْ

* * * * *

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّٰهَا﴾

أَضَاءَ النَّهَارُ وَصَحَّ الْعَمَلْ وَمَزَّقَتِ الشَّمْسُ ثَوْبَ الْكَسَلْ

وَأَسْرَعَ كُلٌّ إِلَى رِزْقِهِ ... يُكَابِدُهُ بِلَذِيذِ الأَمَلْ
فَتَحْظَى بِلَحْمِ الطُّيُورِ النُّسُورُ ... وَتَهْنَأُ بِالْمُنْتِنَاتِ الْجُعَلْ
وَتَسْعَدُ بِالْحِرْصِ نَمْلُ الْقُرَى ... وَلَوْ غَمَرُوهَا بِكُلِّ السَّبَلْ
بَدَائِعُ شَاهَدْتُهَا فِي النَّهَارِ ... لَهَا سَبَبٌ بِالْهُدَى مُتَّصِلْ

* * * * *

فَأَمْعَنْتُ فِي سِرِّهَا الْبَاهِرِ
فَآمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ
وَفِيهَا لِذِي النَّظَرِ الْمُعْتَبِرْ
رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرْ
فَآمَنْتُ بِهْ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾

هِيَ الشَّمْسُ فِي خَفَرٍ تُشْرِقُ ... تَكَادُ عَلَى بُعْدِهَا تُعْشَقُ
تَمُدُّ عَلَى الأَرْضِ أَسْبَابَهَا ... فَيَعْلَقُ بِالزَّهْرِ مَا يَعْلَقُ
تَمُرُّ فَتَشْطُرُ قَلْبَ السَّمَاءِ ... وَأَنْهَارُ أَنْوَارِهَا تَدْفُقُ
فَتَقْسُو عَلَى بَلَدٍ بِاللَّهِيبِ ... وَفِي بَلَدٍ نَاعِمٍ تَرْفُقُ
تَجُرُّ الْحَيَاةَ فَتُحْيِي الْبِلَادَ ... كَأَنَّ بِهَا خَالِقًا يَخْلُقُ

فَـأمْـعَـنْـتُ فِي سـرِّهَـا الـبـاهِـرِ
فـآمَـنْـتُ بـالخَالِـقِ الـقَـادِرِ
وفي الـشـمـس لِـلـنَّـاظِـرِ المُعْـتَـبِـرْ
رَوَائِـعُ آيـاتِ رَبِّ الْـبَـشَـرْ
فَـآمَـنْـتُ بِـهْ

* * * * *

يقظة الفجر

يَقْظَةَ الفَجْرِ أَيُّ سِرٍّ سَنِيٍّ ... فِي لُحَيْظَاتِكِ العِذَابِ السَّنِيَّهْ
أَيُّ رَوْحٍ يَسْرِي فَيُنْعِشُ رُوحِي ... فِي نُسَيْمَاتِكِ اللِّطَافِ النَّدِيَّهْ
أَيُّ إِشْرَاقِ نَشْوَةٍ وَصَفَاءٍ ... فِي شُعَاعَاتِ شَمْسِكِ الْعَسْجَدِيهْ
أَيُّ مَغْنًى مِنَ الجَمَالِ وَمَعْنًى ... لاحَ فِي غُرَّةِ الصَّبَاحِ البَهِيَّهْ
والضِّيَاءُ الحَيْرَانُ يَحْبُو خِلَالَ الْـ ... ـغَيْمِ فِي ثَوْبِ فِتْنَةٍ عُلْوِيَّهْ
أَيُّ مَعْزوفَةِ افْتِتَاحٍ بَهِيجٍ ... لِلنَّهَارِ الجَدِيدِ حَرَّىٰ شَجِيَّهْ
عَزَفَتْهَا فِي مَسْرَحٍ زَيَّنَتْهُ ... بِالجَمَالِ البَدِيعِ أَيْدٍ خَفِيَّهْ
فَالطُّيُورُ المِرَاحُ تَشْدُو وَتَغْدُو ... تَلْقَفُ الزَّادَ فِي هَوًى وَشَهِيَّهْ
خَالَسَتْهَا وَتَأْتَأَتْ تَشْتَهِيهَا ... وَهْيَ تَحْبُو هُرَيْرَةً مَنْزِلِيَّهْ

والغُصونُ السَّكْرىٰ بِراحِ نَدَاها تَتَمَطَّىٰ في حُلَّةٍ لُؤْلُئِيَّهْ
والحَفِيفُ الخَفِيفُ كالهَمْسِ تَحْكي فِيهِ لِلزَّهْرِ عَنْ رُؤاها العَشِيَّهْ
والفَرَاشَاتُ غَلْغَلَتْ في ثُغُورِ الزَّهْرِ والطَّلِ أَلْسُنًا عَبْقَرِيَّهْ
مَصَّتِ الشَّهْدَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَىٰ وَتَرَامَتْ عَلَى الرَّحِيقِ خَفِيَّهْ
ثُمَّ طَارتْ مَثْنَىٰ بأجنحةٍ غُرٍّ عَلَيْهَا مِنَ الزُّهورِ بَقِيَّهْ
وَمِيَاهُ الشَّلَّالِ نَشْوَىٰ تُغَنِّي باتِّسَاقٍ لُحونَها الأَزَلِيَّهْ
إنَّها خَفْقَةُ الحَيَاةِ بِقَلْبِ الْـ ـكَوْنِ لاحَتْ عَلَى مَرَايا البَرِيَّهْ
إنَّها مِنْ بَهَاءِ رَبٍّ جَمِيلٍ بارِئٍ مُبْدِعٍ هِبَاتٌ سَخِيَّةْ
كُلُّ لَحْنٍ مُنَاغِمٌ لِأَخِيهِ كُلُّ حُسْنٍ لَذٍّ يَلُفُّ نَجِيَّهْ
خَلَقَ اللَّهُ لِلبَرَايَا سَجَايَا وَبَرا الفَجْرَ لِلجَمالِ سَجِيَّهْ(١)

* * * *

---

(١) من ديوان «أذان القرآن»، لعمر الأميري، (٢١ - ٢٤).

أذان

يا أَذانَ الدِّيكِ في الإِصْـ ـبَاحِ ما أعْذَبَ جَرْسَكْ
وَأَجَلَّ الدَّرْسَ تُلْقِيـ ـهِ لِمَنْ يَفْقَهُ دَرْسَكْ
فِيهِ تَنْبِيهٌ لِغَيَّا نِ عَنِ الطَّاعَةِ أَمْسَكْ
وَنِدَاءٌ لِنَئُومِ الْـ ـفَجْرِ أَنْ لا تَنْسَ رَمْسَكْ (١)

* * * * *

إِلَهي

عَرَفْتُكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ظَهَرْ عَرَفْتُكَ مِمَّا ٱخْتَفَىٰ وَٱسْتَتَرْ
عَرَفْتُكَ مِنْ حَاضِراتِ الْوُجودِ وَمِمَّا مَضَىٰ في زمانٍ غَبَرْ
عَرَفْتُكَ مِنْ لَفَحاتِ الرِّيَاحِ وَمِنْ نَفَحاتِ نَسِيمِ السَّحَرْ
عَرَفْتُكَ مِنْ وَطْأَةِ الْحَادِثَاتِ وَمِنْ رِقَّةٍ مِثْلِ خَمْلِ الزَّهَرْ
عَرَفْتُكَ مِنْ حِكَمٍ غُلِّفَتْ بِمَظْهَرِ خَيْرٍ وَمَظْهَرِ شَرْ
عَرَفْتُكَ مِنْ كُلِّ عُمْقٍ لَدَيَّ عَرَفْتُكَ مِنْ مَسْمَعِي والْبَصَرْ
عَرَفْتُكَ مِمَّا وَرَاءِ الشُّعُورِ عَرَفْتُكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ شَعَرْ
بأنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

* * * * *

(١) من ديوان: أذان القرآن، لعمر الأميري، (٢٥).

إِلَٰهي

عَرَفْتُكَ مِنْ لَامِعَاتِ الأُفُقْ   عَرَفْتُكَ مِنْ مُوحِشَاتِ الْغَسَقْ
عَرَفْتُكَ مِنْ نَفَحَاتِ الْفَلَقْ   عَرَفْتُكَ مِنْ خَلْقِكَ الْمُتَّسِقْ
بأنَّك أنْتَ الإلَهُ الأَحَدْ

* * * *

عَرَفْتُكَ مِنْ بَهْجَةٍ فِي القَمَرْ   عَرَفْتُكَ مِنْ نِسْمَةٍ فِي السَّحَرْ
عَرَفْتُكَ مِنْ بَسْمَةٍ فِي الزَّهَرْ   عَرَفْتُكَ مِنْ نَامِيَاتِ الشَّجَرْ
بأنَّك أنْتَ الإلَهُ الأَحَدْ

* * * *

عَرَفْتُكَ مَا لَاحَ نُورٌ وَنَارْ   وَمَهْمَا يَدُرْ كَوْكَبٌ فِي مَدَارْ
عَرَفْتُكَ مَهْمَا الزَّمَان اسْتَدَارْ   وَمَهْمَا أَتَى اللَّيلُ بَعْدَ النَّهَارْ
بأنَّك أنْتَ الإلَهُ الأَحَدْ
وَأَنَّكَ أَنْتَ الْعَظِيمُ الصَّمَدْ

* * * *

إِلَٰهي

عَرَفْتُكَ بالسُّحُبِ الْهَاطِلَاتْ   لِتُحْيِيَ كُلَّ بِلادٍ مَوَاتْ
بِكُلِّ نَبَاتٍ عَجِيبِ النَّبَاتْ   بِمُخْتَلِفَاتٍ وَمُشْتَبِهَاتْ
بأنَّك أنْتَ الإلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ حِينَ سَلَكْتُ الْقِفَارْ وَسَارَ بِنَا فِي السُّهُولِ الْقِطَارْ
عَرَفْتُكَ حِينَ رَكِبْتُ الْبِحَارْ وَحِينَ جَرَتْ بي جَوارٍ كِبَارْ

بأنَّك أنْتَ الإلَهُ الأَحَدْ

* * * * *

عَرَفْتُكَ حِينَ رَكِبْتُ الْهَوَاءْ وَطَوَّفْتُ فِي جَنَبَاتِ الْفَضَاءْ
وَحِينَ تَأَمَّلْتُ هَذي السَّمَاءْ وَكُلَّ عَظِيمٍ بِهَا ذِي بَهَاءْ

بأنَّك أنْتَ الإلَهُ الأَحَدْ

وأنَّكَ أنْتَ الْعَظِيمُ الصَّمَدْ

* * * * *

إِلَهي

عَرَفْتُكَ مِنْ ذِي جَناحٍ يَطِيرْ عَرَفْتُكَ مِنْ ذِي قَوَامٍ يَسِيرْ
عَرَفْتُكَ مِنْ سَابِحٍ فِي الْغَدِيرْ عَرَفْتُكَ مِنْ زَاحِفٍ فِي الْهَجِيرْ

بأنَّك أنْتَ الإلَهُ الأَحَدْ

* * * * *

عَرَفْتُكَ لَمَّا نَظَرْتُ الجِبَالْ عَرَفْتُكَ من رائِعَاتِ الجَمَالْ
عَرَفْتُكَ حِينَ شَرِبْتُ الزُّلَالْ عَرَفْتُكَ إِذْ ظَلَّلَتْني الظِّلَالْ

بأنَّك أنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

* * * * *

عَرَفْتُكَ مِنْ لَمْسِ لِينِ الْحَرِيرْ وَمِنْ لَمْسِ ذِي قَسْوَةٍ فِي الصُّخُورْ
عَرَفْتُكَ مِن نَفَثَاتِ السَّعِيرْ وَمِنْ بَارِدٍ قَاتِلٍ زَمْهَرِيرْ

بأنَّك أنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ
وَأَنَّكَ أَنْتَ الْعَظِيمُ الصَّمَدْ

* * * * *

إِلَهِي

عَرَفْتُكَ مِنْ نَبَضَاتِ الْجَنَانْ وَمِنْ مَنْطِقٍ عَجَبٍ فِي اللِّسَانْ
عَرَفْتُكَ مِنْ حَرَكَاتِ الْبَنَانْ وأَرْشَدَنِي لِعُلَاكَ الْيَدَانْ

بأنَّك أنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

* * * * *

عَرَفْتُكَ مِنْ أَكْبُدٍ ظَامِئَاتْ عَرَفْتُكَ مِنْ مِعَدٍ جَائِعَاتْ
عَرَفْتُكَ مِنْ حَرَكَاتِ الْحَيَاةْ عَرَفْتُكَ مِنْ سَكَنَاتِ الْمَمَاتْ

بأنَّك أنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

* * * * *

عَرَفْتُكَ مِنْ مُعْجِزَاتِ السُّوَرْ وَمَا جَمَعَتْ مِنْ جَلِيلِ الْعِبَرْ
وَعَرَّفَنِي بِكَ طَهَ الأَعَزّ رَسُولُكَ أَحْمَدُ خَيْرُ الْبَشَرْ

بأنَّك أنْتَ الإلَهُ الأَحَدْ
وأنَّكَ أَنْتَ العَظِيمُ الصَّمَدْ(١)

* * * * *

أنت أنت اللَّه

تَأملْ سُطورَ الكائِنَاتِ فإنها ... مِن المَلِكِ الأعْلى إليكَ رَسَائِلُ
وَقَد خُطَّ فيها لو تأَملتَ خَطَّها ... أَلا كُلُّ شَيءٍ ما خَلا اللَّهَ باطِلُ
تُشِيرُ بإثبات الصِّفَاتِ لِرَبها ... فَصامتها يَهْدِي وَمَن هو قَائِلُ

* * * * *

ولله در شقيقي طيب القلب مرهف الحس: عبد اللَّه بن حسين العفاني حيث يقول:

أشتهي يومًا، جديدَ القلبِ، ... مـا يـذري الـذنـوبْ
باكر الصبح، بطيءَ الخَطوِ، ... مـا يـهـوى الـغُـروبْ
نَـيِّـرَ(٢) الطَّلْعَةِ(٣) أحيا ... بـين واديـة الخصيـبْ(٤)

---

(١) قصائد من ديوان: آمنت بالله، لعبد الرحمن حبنكة الميداني، دار العلم.
(٢) نَيِّر: شديد النور، والمراد: خال من الذنوب، كثير الطاعات.
(٣) الطلعة: الوجه، والمراد هنا: حسنه كله.
(٤) الخصيب: كثير النبت والعشب، والمراد هنا: خصب الطاعة.

وعلى الأيكِ[١] طيورٌ هَزَّهَا الغصنُ الرطيبْ[٢]
تُطْرِبُ الأكوانَ تسبيـ ـحًا لِغَفَّار الذُّنُوبْ
ولدى الأُفْقِ[٣] شموسٌ أدْفَأتْ بالسَّبْحِ شِيبْ[٤]
فَتَهادى[٥] الطُّهْرُ، ماءًا هادئًا، عذبًا، سكوبْ[٦]
إذْ صفا تسبيحُ شَمْسٍ رَقَّ تسبيحُ القسيبْ[٧]
ومن الزهرِ حسانٌ رَفْرَفَتْ حُسنًا وطِيبْ
سبَّح الكونُ وأبدى بعضَ ما تُخْفِي القلوبْ
ومِنَ التقوى لباسٌ أبيضٌ، حلوٌ، قشيبْ[٨]
والطِّوَى[٩] راحةُ قلبٍ فِي صلاةٍ.. فِي أُيوبْ[١٠]
زاديَ القرآنُ والتسـ ـبيحُ من قلبٍ وجيبْ[١١]
مَشْرَبِي جِلسةُ حمدٍ فِي حَنايَاها أَذوبْ

(١) الأيْك: جمع أيكة، وهي الشجر الكثير الملتف.
(٢) الرطيب: الناعم.
(٣) الأفْق: ما ظهر من نواحي الفَلَك وأطراف الأرض.
(٤) شيب: جمع أشيبْ، وهو الجبل الذي يغطيه الثلج.
(٥) تهادى: مشى فِي هدوء.
(٦) سكوب: يمشي فِي غير شق.
(٧) القسيب: صوت الماء.
(٨) قشيب: جديد.
(٩) الطِّوى : الطويَّة وهي ما استقر في القلب.
(١٠) أُيوب: رجوع وتوبة.
(١١) وجيب: خافق مضطرب.

أشـتـهـي لـيـلًا حَـنُـو نَ القلبِ، للقلبِ طبيبْ
قـائـمًـا لِـلّٰـهِ أتـلـو أسألُ العفوَ القريبْ
يحتويني الكَوْنُ: مَرْحى[1] أوبـةَ[2] الـغِـرِّ[3] الحَبيبْ
أتُـرى حَـقًّـا سـأحـيـا أمْ أمـانِـيِّ الـكَـذُوبْ[4]
عَـهْـدُنـا بـالـلّٰـه دومـاً أنَّـه ربُّ الـقُـلـوبْ

* * * * *

(١) مرحى: كلمة تقال للرجل، إذا أصاب.
(٢) أوبة: عودة وتوبة.
(٣) الغِرُّ: قليل الفطنة.
(٤) الكذوب: النفس.

رُؤًى فِي الجمال

قال الشاعر عدنان النحوي: «قال الشاعر الزنديق المشعوذ عطاء الخراساني الملقب بالمقنع الخراساني»:

خَلَقْتَ الجَمَالَ لَنا فِتْنَةً ... وَقُلْتَ لَنَا يَا عِبَادِي اتَّقُونْ
فَأَنْتَ جَمِيلٌ تُحِبُّ الجَمَالَ ... فَكَيْفَ عِبَادُكَ لا يَعْشقونْ

«وقال الشاعر المسلم عمر بهاء الأميري مُعَارضًا»:

خَلَقْتَ الجَمَالَ لَنَا نِعْمَةً ... وَقُلْتَ لَنَا يَا عِبَادِي اتَّقُونْ
وإِنَّ الجَمَالَ تُقًى والتُّقى ... جَمَالٌ وَلكنْ لِمَنْ يَفْقَهونْ
فَذوقُ الجَمَالِ يُصَفِّي النُّفُوسَ ... وَيَحْبُو العُيونَ سُمُوَّ العيونْ
وإِنَّ التُّقَى ها هُنا فِي القُلوب ... وما زَالَ أَهْلُ التُّقى يعشقونْ
ومَن خامر العِشقُ أَخلاَقَه ... تأبَّى الصِّغَارَ وعاف المجونْ

«نشرت إحدى الصحف الأبيات السابقة للخراساني، وللأستاذ الأميري، فقلت معارضًا»:

خَلَقْتَ الجَمَالَ لَنَا آيةً ... يُمَحَّصُ فيها الهَوَى واليَقِينْ
فكَمْ مِنْ جَمَالٍ به فِتْنَةٌ ... فَيُصْلى عَلَى نارِهَا الماجِنُونْ
وكَمْ مِنْ جَمَالٍ بِهِ رَحْمَةٌ ... حَنينُ القُلوبِ وَشَوْق العُيونْ
وَأَجْمَلُ آياتِهِ أَنَّهُ ... هُوَ الحقُّ والطُّهْرُ أَنَّى يَكُونْ

وفي كُلِّ نَاحِيةٍ نَفْحَةٌ مِنَ الحُسْنِ أَو آيَةٌ مَنْ حَنِينْ
تَدُلُّ عَلَى أَنَّكَ اللـ ـهُ رَبُّ الخَلَائِقِ والعَالَمِينْ
وَلَيسَ يَرَاهَا سِوَى مُحْسِنٍ وَلَيْسَ يَرَاهَا سِوَى المُتَّقِينْ
وَأَنْتَ جَمِيلٌ تُحِبُّ الجَمَالَ فَقُلْتَ لَنَا يَا عِبَادِي اتَّقُونْ

* * * * *

وخطر لي بعد مدة أَنْ أتحدث عن الجمال بصورة أوسع، تنبع من الإيمان والتوحيد؛ فقلت القصيدة التالية:

الجمال

خَلَقْتَ الجَمَالَ لَنَا آيَةً تَطُوفُ القُلُوبُ بِهَا وَالْعُيُونْ
وأَبْدَعْتَ فِي الكَوْنِ مَا تَجْتَلِي عُيُونٌ وَمَا هُوَ سِرٌّ دَفِين
وَزَيَّنْتَهُ يَا لَهَذَا الجَمَالِ وَهَذَا الجَلَالِ وَهَذَا الحَنِينْ
فَتَخْشَعُ فِي نُورِهِ أَضْلُعٌ وَتَخْفُقُ أَشْوَاقُهَا والشُّجُونْ

* * * * *

فَهذي السَّمَاءُ وَآفَاقُهَا بُرُوجٌ تُزَيَّنُ لِلنَّاظِرِينْ
فَكَمْ بَصَرٍ عَادَ مِنْهَا حَسِيرًا عَلَى خَشْيَةٍ وَهُمُ مُشْفِقُونْ
وَغَيْبٌ وَرَاءَ وُثُوبِ الخَيَالِ عَصِيٌّ عَلَيْهِ وَسَقفٌ مَتِينْ
فُطُفْ حَيْثُ شِئتَ فَآيَاتُهَا جَلَالُ المَدَى وَجَلالُ القرونْ
وَهَذي هي الأَرْضُ كَمْ جَنَّةٍ تَفَجَّرُ بَينَ جَنَاهَا العُيُونْ
ورَوْضٍ تَنَفَّسَ عَنْهُ الصَّبَاحُ شَذًا من وُرُودٍ ومِنْ يَاسِمِينْ

وَطَيْرٍ كَأَنَّ رَفِيفَ جَنَاحَيْـ ـهِ رفُّ البُكُورِ وهمْسُ الغُصُونْ
يُسَبِّح لِلهِ فِي مَوْكِبٍ خَلِيلٍ وَحَشْدٍ من الخاشِعِينْ

* * * * *

وكَمْ مِن جِبَالٍ تَشقُّ ذُرَاهَا عَنَانَ السَّماءِ وسَهْلٍ يَلِينْ
وَكَمْ أَبْحُرٍ غَيَّبَ اللَّه فِيهَا غُيُوبًا وَأَطْلَقَ فيها السَّفِينْ
وَنَـهَـرٍ تَـدَفَّـقُ أَمْـواهُـهُ يُرَوِّي الحَيَاةَ ويُغْني القُرونْ
يُزَيِّنُهَا اللَّهُ كَيْفَ يَشاءُ وَيَمْنَحُهَا عَبقَرِيَّ الفُنُونْ

* * * * *

وأَنْشَأْتَ مِنْ زِينَةٍ فِي الحياةِ لِتَبْلُوَ مِنَّا الهَوَى واليَقِينْ
وَتَبْلُوَ مِنَّا خَبَايَا الصُّدُورِ وَنَجْوَى القُلُوبِ وَهَمْسَ الجُفُونْ
فَكَمْ زِينَةٍ سَعَّرَتْ فِتْنَةً تلظَّتْ عَلَى شَهْوَةٍ أَو مُجُونْ
وكَمْ زِينَةٍ رَفَّ فيها الجَمَالُ يُطَهِّرُ أَشْوَاقَنا والحَنِينَ(١)
فَزِينَةُ هذِي الحَيَاةِ رِيَاشٌ وزهْوَةُ مَالٍ وَشَوْقُ البَنِينْ
يُبَدِّلُهَا النَّاسُ فِي سَعْيِهِمْ شُكُورَ التُّقَى أَو جُحُودَ الْفُتُونْ
فَكَمْ جاهِلٍ ضَلَّ فِي غَيِّه فَظَنَّ الجَمَالَ هَوَى المُعْتَدِينْ
وَلَهْوَ الحَرَامِ عَلَى شَهْوَةٍ تَوَاثَبُ بَيْنَ غَوَانٍ وعِينْ

* * * * *

---

(١) إشارة إلى أن كلمة زينة في القرآن الكريم لتدل على الزخرف العام، فإن كان طاهراً إيمانياً ترد لفظة الجمال، وإن كان شراً ترد لفظة فتنة.

رَفِيفُ الجَمَالِ نَوَالُ الحَلالِ وصِدْقُ الوَفَاءِ وَعَهْدٌ أَمِينْ
وأجْـمَـلُ آيَـــاتِـهِ أَنَّـــهُ هُوَ الحَقُّ وَالطُّهْـرُ أَنَّى يَكُونْ
ونورٌ تَدفَّقَ مِلءَ الوجُودِ يُزيحُ الظَّلَامَ ويَنْفِي الظُّنُونْ
وَحُـرِّيَّـةٌ أَطْـلَـقَـتْ أَنْـفُـسًـا لِتَمْضِيَ فِي مَوْكِبِ العَابِدينْ

* * * * *

سَيَبْقَى الجَمَالُ لَنَا آيَةً يَرَى ٱللَّهَ فِي صِدْقِهَا العَالمونْ
ويبقى هَوَانَا هَوَى الصَّادقِينَ فَمَا الحُبُّ إِلَّا هَوَى الصَّادقِينْ
وَمَا الحُبُّ إِلَّا زَكِيُّ الجَمَالِ نَقِيُّ الفِعَالِ وَفَاءٌ وَدِينْ
وَمَـنْ عَـرَفَ الحُبَّ لِـلَّــ ـهِ عَلَّمَهُ الحُبُّ تَرْكَ المُجُونْ

* * * * *

فَـفِـي كُـلِّ نـاحِـيـةٍ آيَـةٌ مِنَ الحُسْنِ تُجْلَى وَحَقٌّ يَبِينْ
تَـدُلُّ عَـلَـى أَنَّـكَ الـلَّــ ـهُ رَبُّ الخَلَائِقِ والعَالمِينْ
وَلَيْسَ يَرَاهَا سِوَى مُؤمِنٍ وَلَيْسَ يَرَاهَا سِوَى المتَّقِين
وأَنْتَ جَميلٌ تُحِبُّ الجَمَالَ فَقُلْتَ لَنَا يَا عِبَادِي ٱتَّقُونْ(١)

* * * * *

(١) من ديوان: مهرجان القصيد، (٧٤ - ٧٧).

أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّ السَّمَاوَاتِ

لِشَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَةَ

أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّ السَّمَاوَاتِ أَنَا الْمُسَيْكِينُ فِي مَجْمُوعِ حَالَاتِي
أَنَا الظَّلُومُ لِنَفْسِي وَهْيَ ظَالِمَتِي وَالْخَيْرُ إِنْ جَاءَنَا مِنْ عِنْدِهِ يَاتِي
لَا أَسْتَطِيعُ لِنَفْسِي جَلْبَ مَنْفَعَةٍ وَلَا عَنِ النَّفْسِ فِي دَفْعِ الْمَضَرَّاتِ
وَلَيْسَ لِي دُونَهُ مَوْلًى يُدَبِّرُنِي وَلَا شَفِيعٌ إِلَى رَبِّ الْبَرِيَّاتِ
إِلَّا بِإِذْنٍ مِنَ الرَّحْمَنِ خَالِقِنَا رَبِّ السَّمَاءِ كَمَا قَدْ جَا فِي الْآيَاتِ
وَلَسْتُ أَمْلِكُ شَيْئًا دُونَهُ أَبَدًا وَلَا شَرِيكٌ أَنَا فِي بَعْضِ ذَرَّاتِي
وَلَا ظَهِيرٌ لَهُ كَيْمَا أُعَاوِنَهُ كَمَا يَكُونُ لِأَرْبَابِ الْوِلَايَاتِ
وَالْفَقْرُ لِي وَصْفُ ذَاتٍ لَازِمٌ أَبَدًا كَمَا الْغِنَى أَبَدًا وَصْفٌ لَهُ ذَاتِي
وَهَذِهِ الْحَالُ حَالُ الْخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ وَكُلُّهُمْ عِنْدَهُ عَبْدٌ لَهُ آتِي
فَمَنْ بَغَى مَطْلَبًا مِنْ دُونِ خَالِقِهِ فَهْوَ الْجَهُولُ الظَّلُومُ الْمُشْرِكُ الْعَاتِي
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءُ الْكَوْنِ أَجْمَعُهُ مَا كَانَ مِنْهُ وَمَا مِنْ بَعْدِهِ يَاتِي
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مِنْ مَاضٍ وَمِنْ آتِي (١)

* * * * *

(١) العقود الدريَّة في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، لابن عبد الهادي، ص: ٣٧٥.

قَصِيدَةٌ فِي التَّذَلُّلِ وَالتَّضَرُّعِ

لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ الْقَيِّمِ

• **قَالَ الشَّوْكَانِيُّ عَنْهُ: «تَعْشَقُ الْأَفْهَامُ كَلَامَهُ، وَتَمِيلُ إِلَيْهِ الأَذْهَانُ، وَتُحِبُّهُ الْقُلُوبُ».**

بُنَيُّ أَبِي بَكْرٍ كَثِيرٌ ذُنُوبُهُ   فَلَيْسَ عَلَى مَنْ نَالَ مِنْ عِرْضِهِ إِثْمُ
بُنَيُّ أَبِي بَكْرٍ غَدًا مُتَصَدِّرًا   تَعَلَّمَ عِلْمًا وَهْوَ لَيْسَ لَهُ عِلْمُ
بُنَيُّ أَبِي بَكْرٍ جَهُولٌ بِنَفْسِهِ   جَهُولٌ بِأَمْرِ اللَّهِ أَنَّى لَهُ الْعِلْمُ
بُنَيُّ أَبِي بَكْرٍ يَرُومُ تَرَقِّيًا   إِلَى جَنَّةِ الْمَأْوَى وَلَيْسَ لَهُ عَزْمُ
بُنَيُّ أَبِي بَكْرٍ لَقَدْ خَابَ سَعْيُهُ   إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الصَّالِحَاتِ لَهُ سَهْمُ
بُنَيُّ أَبِي بَكْرٍ كَمَا قَالَ رَبُّهُ   هَلُوعٌ كَنُودٌ وَصْفُهُ الْجَهْلُ وَالظُّلْمُ
بُنَيُّ أَبِي بَكْرٍ وَأَمْثَالُهُ غَدَتْ   بِفَتْوَاهُمُ هَذِي الْخَلِيقَةُ تَأْتَمُّ
وَلَيْسَ لَهُ فِي الْعِلْمِ بَاعٌ وَلَا التُّقَى   وَلَا الزُّهْدُ وَالدُّنْيَا لَدَيْهِمْ هِيَ الْهَمُّ
بُنَيُّ أَبِي بَكْرٍ غَدَا مُتَمَنِّيًا   وِصَالَ الْمَعَالِي وَالذُّنُوبُ لَهُ هَمُّ[1]

* * * * *

(١) البدر الطالع، للشوكاني، (٢/١٤٥، ١٤٦).

الْمُوقِظَةُ

لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ حَجَرِ الْعَسْقَلَانِي

بُنَيَّ عَلِيٍّ قَدْ تَفَاقَمَ وِزْرُهُ فَلَيْسَ عَلَى مَنْ خَاضَ فِي عِرْضِهِ وِزْرُ
بُنَيَّ عَلِيٍّ مِثْلَمَا قَالَ رَبُّهُ ظَلُومٌ كَنُودٌ شَأْنُهُ الْغَدْرُ وَالْمَكْرُ
بُنَيَّ عَلِيٍّ خَابَ وَاللَّهِ سَعْيُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الصَّالِحِينَ لَهُ ذِكْرُ
بُنَيَّ عَلِيٍّ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالتُّقَى وَيَغْفَلُ عَمَّا يَقْتَضِي النَّهْيُ وَالْأَمْرُ
بُنَيَّ عَلِيٍّ قَدْ غَدَا مُتَصَدِّرًا لِفَقْدِ أُولِي الْعَلْيَا وَأَنَّى لَهُ الصَّدْرُ
بُنَيَّ عَلِيٍّ صَارَ يُفْتِي وَيَجْتَرِي عَلَيْهَا وَلَا فَهْمٌ لَدَيْهِ وَلَا ذِكْرُ
بُنَيَّ عَلِيٍّ لَيْسَ يَذْكُرُ إِذْ نَشَا ذَلِيلًا يَتِيمًا مَا لَهُ فِي الْوَرَى قَدْرُ
بُنَيَّ عليٍّ صَارَ مِنْ بَعْدِ يُتْمِهِ وَحَظُّ الْيَتَامَى عِنْدَهُ النَّهْرُ وَالْقَهْرُ
بُنَيَّ عَلِيٍّ صَارَ مِنْ بَعْدِ ذُلِّهِ عَزِيزَ أُنَاسٍ دَأْبُهُ البَأْوُ وَالْفَخْرُ
بُنَيَّ عَلِيٍّ صَارَ مِنْ بَعْدِ جَهْلِهِ عَلِيمًا وَبَعْدَ الْقِلِّ صَارَ لَهُ وَفْرُ
بُنَيَّ عَلِيٍّ كُلُّ مَا يَشْتَهِي جَرَى عَلَى وَفْقِ مَا يَهْوَى وَلَيْسَ لَهُ شُكْرُ
بُنَيَّ عَلِيٍّ مَا أَحَبَّ رَأَى وَلَا يَمِيلُ إِلَى التَّقْوَى فَهَلْ يُؤْمَنُ الْمَكْرُ
بُنَيَّ عَلِيٍّ صَارَ لِلْأَمْرِ مَالِكًا وَهَيْهَاتَ عَنْ قُرْبٍ لَقَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ
بُنَيَّ عَلِيٍّ قَدْ أَتَاهُ نَذِيرُهُ وَلَيْسَ لِمَنْ جَاءَ النَّذِيرُ لَهُ عُذْرُ

بُنَيٌّ عَلِيٌّ جَازَ فِي الْعُمْرِ سِنَّ مَنْ ... مَضَى مِنْ أَبٍ وَابْنٍ كَذَا الْعَمُّ وَالصِّهْرُ
بُنَيٌّ عَلِيٌّ مَا الَّذِي تَرْتَجِيهِ مِنْ ... سِوَى اللَّهِ هَيْهَاتِ انْقَضَى الأَمَلُ الغِرُّ
إِلَهِي أَنَا الْخَطَّاءُ لِلذَّنْبِ عَامِدًا ... وَكَمْ نِلْتُ أَطْمَاعًا وَمَا كُنْتُ أَضْطَرُّ
إِلَهِيَ قَدْ خَوَّلْتَنِي فَوْقَ مَا أَنَا ... لَهُ الأَهْلُ وَالتَّقْصِيرُ وَصْفِيَ وَالْعُذْرُ
إِلَهِيَ كَمْ من نِعْمَةٍ إِثْرَ نِعْمَةٍ ... أَزَلْتَ بِهَا بُؤْسِي فَمَا مَسَّنِي الضُّرُّ
إِلَهِي فَمَا قَابَلْتُ بِالشُّكْرِ نِعْمَةً ... وَلَكِنْ بِجَهْلٍ لَاحَ لِلنِّعَمِ الْكُفْرُ
إِلَهِيَ كَمْ نَجَّيْتَنِي مِنْ مُلِمَّةٍ ... فَأَذْعَنَ لِي فِي سَيْرِيَ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ
إِلَهِي أَنَا الْعَبْدُ الْمُسِيءُ وَأَنْتَ يَا ... إِلَهِي الْمَلِيكُ الْمُحْسِنُ الْمُنْعِمُ الْبَرُّ
إِلَهِيَ أَنْتَ الرَّبُّ شِيمَتُكَ الْغِنَا ... وَإِنِّي لَعَبْدُ السُّوءِ شِيمَتِيَ الْفَقْرُ
إِلَهِيَ عَامِلْنِي بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ ... فَلِلذَّنْبِ فِي ظَهْرِي إِذَا لَمْ تُعِنْ وَقْرُ
إِلَهِي تَدَارَكْنِي بِرَحْمَتِكَ الَّتِي ... يُقَابِلُهَا مِنْ فَيْضِ فَضْلِكَ لِي الْجَبْرُ
إِلَهِي كَمَا أَنْعَمْتَ زِدْ وَأَدِمْ وَلَا ... تُغَيِّرْ فَتُشْمِتْ بِي عَدُوًّا بِهِ غَمْرُ
إِلَهِي بِذَنْبِي بُؤْتُ فَاغْفِرْهُ لِي عَسَى ... أَكُونُ كَمَنْ فِي الْحَشْرِ أَوْجُهُهُمْ زُهْرُ
إِلَهِيَ كَمْ عَبْدٍ أَدَمْتَ سُرُورَهُ ... فَوَافَاكَ بَعْدَ الْمَوْتِ بِالْعَفْوِ يَنْسَرُّ
إِلَهِيَ فَاجْعَلْنِي بِرُحْمَاكَ مِنْهُمُ ... فَإِنَّ شَفِيعِي أَحْمَدُ الْمُصْطَفَى الطُّهْرُ
فَلَا عَمَلٌ أَرْجُو سِوَى حُبِّهِ وَمَنْ ... إِلَيْهِ انْتَمَى عُسْرِي بِحُبِّهِمُ يُسْرُ[1]

(١) الجواهر والدرر، في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، للسخاوي، (٢/٨٨٦ - ٨٨٨).

«إِلَهِي سَيِّدِي»

لِلْإِمَامِ شَيْخِ عَصْرِهِ، شَيْخِ الْإِسْلَامِ، رَضِيِّ الدِّينِ

إِلَهِي سَيِّدِي رَبِّي أَغِثْنِي وَخُذْ بِيَدِي وَمِنْ بُعْدِي أَجِرْنِي

إِلَهِي قَدْ جَنَيْتُ وَأَيُّ عَبْدٍ ضَعِيفِ الْخَلْقِ مِثْلِي لَيْسَ يَجْنِي

إِلَهِي لَيْسَ أَجْدَرُ بِالْخَطَايَا وَبِالتَّقْصِيرِ وَالزَّلَّاتِ مِنِّي

إِلَهِي لَوْ أَتَيْتُ بِكُلِّ ذَنْبٍ فَلَا أَوْلَى بِعَفْوٍ مِنْكَ عَنِّي

إِلَهِي أَنْتَ ذُو صَفْحٍ جَمِيلٍ وَجُودٍ وَاسِعٍ وَعَظِيمِ مَنِّ

إِلَهِي مَا عَصَيْتُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا أَبَدًا أَطَعْتُ بِغَيْرِ إِذْنِ

إِلَهِي إِنْ أُطِعْ فَبِمَحْضِ فَضْلٍ وَإِنْ أَعْصِ فَمِنْ نَقْصٍ وَوَهْنِ

إِلَهِي مَا لِعَبْدٍ حُجَّةٌ فِي تَحَمُّلِهِ الْجِنَايَةَ وَالتَّجَنِّي

إِلَهِي إِنَّ حُجَّتَكَ الَّتِي قَدْ عَلَا بُرْهَانُهَا مِنْ غَيْرِ طَعْنِ

إِلَهِي لَيْتَنِي لَوْ كُنْتُ عَبْدًا بِلَا خَطَأٍ وَهَلْ يُجْدِي التَّمَنِّي

إِلَهِي لَيْتَنِي لَا كُنْتُ إِذْ لَمْ أُطِعْكَ وَلَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي

إِلَهِي إِنَّ خَوْفِي زَادَ لَوْلَا رَجَائِي مُتُّ مِنْ هَمٍّ وَحُزْنِي

إِلَهِي مَنْ يُنَاقَشْ فِي حِسَابٍ يُعَذَّبْ مِنْهُ يَا رَبِّي أَقِلْنِي

إِلَهِي أَنْتَ قَهَّارٌ حَلِيمٌ بِحَقِّكَ مِنْكَ يَا ذُخْرِي أَعِذْنِي

إِلَـهِـي لَـيْـسَ إِلَّا أَنْـتَ رَبِّـي فَـلَا أَبَـدًا بِـغَـيْـرِكَ تَمْـتَـحِـنِّـي
إِلَـهِـي إِنْ أَسَـأْتُ بِـغَـيْـرِ عِـلْـمٍ فَإِنِّي فِيكَ قَدْ أَحْسَنْتُ ظَنِّي
إِلَهِي أَنْتَ قَدْ حَقَّقْتَ فَقْرِي إِلَيْكَ وَلَيْسَ شَيْءٌ عَنْكَ يُغْنِي
إِلَـهِـي إِنَّـنِـي أَخْـشَـى وَأَرْجُـو أَمَانًا مِنْكَ فَامْنُنْ لِي بِأَمْنِ
إِلَـهِـي غَـيْـرُ بَـابِـكَ فِي أُمُورِي إِذَا مَا ضِقْتُ ذَرْعًا لَمْ يَسَعْنِي
إِلَـهِـي قَـدْ رَجَـعْـتُ إِلَيْكَ عَمَّا سِوَاكَ فَلَا إِلَى غَيْرٍ تَكِلْنِي
إِلَـهِـي مَـنْ سِـوَاكَ يُـزِيـلُ هَـمِّـي وَمَنْ أَدْعُوهُ مُضْطَرًّا يُجِبْنِي
إِلَهِي لَسْتُ أُحْصِي مَا بِهِ قَدْ مُنِحْتُ مِنَ الْعَطَاءِ بِلَا تَعَنِّي[1]

* * * *

(١) الكواكب السائرة، (١/٣٣ ـ ٣٥).

دُعَاءٌ في جَوفِ اللَّيل ودَمْعَةٌ

إِلَهي وَهذا اللَّيْلُ أَلْقَى حِبالَهُ ودافَعَ أَمواجًا مِنَ الظُّلُماتِ
فَهَبْ لِيَ نُورًا مِنْ لَدُنْك يَشُقُّ لي سَبيلًا وَيُنْجيني مِن الْحُفُراتِ
إِذَا كَشَفَتْ ضَعْفي اللَّيالي وَصَرْفُها لِتَطْحَنَ مِنْ كِبْرِي وَمِنْ نَزَواتي
فَمَنْ لِيَ يَا رَبِّي سِوَاكَ يَمدُّني بِعَزْمٍ ويُعْطي القَلْبَ فَيْضَ ثَبَاتِ
إِلَـٰهِي وَهذي فِتْنَةٌ بَعْدَ فِتْنَةٍ تُفَجِّرُ بُرْكَانًا مِنَ الشَّهَواتِ
فَهَبْ لي يَقِينًا يُلْجِمُ النَّفْسَ عَنْ هَوًى وَيُقْحِمُهَا الطَّاعَاتِ والهَبَوات
وَجَهْلِي فَكَمْ سَدَّ المَنَافِذَ دُونَني وَأَوْقَعَني في الشَّرِّ مِنْ كَبَواتي
فَهَبْ لِيَ عِلْمًا مِنْ كِتَابِكَ أَتَّقي بِهِ الشرَّ أَوْ أَنْجُو مِنَ الشُّبُهاتِ
وَمِنْ سُنَّةٍ تَهْدي فُؤادِي وَحِكْمَةٍ تَقُود لِخَيْرٍ وَاسِعِ البَرَكَاتِ
وَمِنْ دَمْعَةٍ في اللَّيْلِ يَنْزَاحُ دُونَها ظلامٌ وَتُزْوِي المَوْجَ مِنْ عَتَماتِ
تَدَفَّقَ مِنْ لألائِها النُّورُ غامِرًا فَشَقَّ ضِياءَ الفَجْرِ مِنْ عَبَراتي
أَعِنِّي فَأَرْوِي اللَّيْلَ مِنْ دَمْع تائِب وخفَقةِ قوَّام عَلَى رَكَعَاتِ
فَلَولاكَ مَا صَلَّيْتُ والقَلْبُ مَا نَوى صِياماً وَلا هَلَّلْتُ في عَرَفاتِ
سَأَلْتُكَ يَا رَبِّي وَمَا أَنا سائلٌ سِوَاك وَمِنْ كفَّيْك فَيْضُ هِبَاتِ
رَجَوْتُك لا أَرْجُو سِواك وَذِلَّتي إِليكَ وَهَمِّي أَو دَوِيُّ صَلاتي

لِتَدْفَعَ عَنِّي ظُلْمَ نَفْسي لنَفْسِها وَشِرَّةَ أَهْوائي ونَهْجَ غُواةِ
وَتَدْفَعَ عَنِّي السُّوءَ مِنْ كُلِّ ظالِمٍ وَتُنْجِيَنِي مِنْ طُغْمَةٍ وَعُتَاةِ
إذا لم أَكُنْ أَقْوى على رَدِّ ظُلْمِهم فَأَخْذُكَ أَخْذٌ قَاصِمُ الفَقَراتِ
وَتُرْشِدَني لِلحَقِّ أَنْهَجُ دَرْبَهُ جَلِيًّا وَأَمْضي صَادِقَ الخُطُوَاتِ
وَأُسْلِمَ للرَّحمَنِ أَمْرِي جَمِيعَهُ وَأُخْبِتَ في سِرِّي وَفِي جَهَراتي
وَأَخْشَعَ وَالدُّنْيا خشُوعٌ وَأَوْبَةٌ وتَسْبيحُ أَكْوَانٍ ورَجْعُ شُدَاة
وَإِنَّك تَعْفُو عن كَثيرٍ فَنجِّني بعَفْوك دَون العفْوِ أَيْنَ نَجاتي
وَهَبْ لِيَ يَا رَبِّي بِفَضْلِكَ رَحْمَةً لِتَغْسِلَ مِنْ إثمي ومِنْ سَقَطاتي
وَهَبْ لِيَ أَمْنًا يَمْلأُ القَلْبَ بِشْرُه سَكِينَةَ إِيمانٍ وَعَزْمَ ثَبَاتِ
إلهي وَهذي أُمَّتي في سُبَاتِها وَقَدْ مُزِّقَتْ في مَهْمهٍ وَشَتاتِ
أَغِثْنَا إلهي والمصائِبُ أَقْبَلَتْ تَلاطُمَ طُوفَانٍ وَزحْفَ مَماتِ
أَغِثْنَا وَقَدْ ضاعَتْ دِيَارٌ وَسَاحَةٌ وَأَطْبَقَ «أَعْدَاءٌ» عَلى رَبواتِ
أَغِثْنا وَقَدْ مَاجَ الفُجُورُ ودنَّسَتْ أَفَاعِيلُهُ السَّاحاتِ والعَرَصاتِ
أَغِثْنَا فَمنْ يُنْجي سِوَاك وَقَدْ وَهَتْ نُفُوسٌ ومَاتَتْ نَخْوَةُ العَزَماتِ(١)

* * * * * *

(١) ديوان: جِرَاح عَلَى الدرب، لعدنان النحوي، ص:٢١.

بَرْقٌ في مَنام لَيْلَةِ قَدْر

أبَرْقٌ وكَيْفَ وما أرْعَدا ... أمِ النُّورُ في البَوْنِ حُرًّا بدا
ومِنْ أيّ أُفْقٍ ثَرًى أمْ ذُرًا ... ومِنْ أيِّ نَبْعٍ أفاضَ النَّدى
تَراءى ولا لَيْسَ مِنْ وِجْهة ... فلا لا ثَرًى لا ذُرًا لا مَدَى
أمِنْ غَوْرِ قَلبي وأيْنَ انْتَهى ... وأنّى أكانَ لَهُ مُبْتدا
وفي لَيْلَةِ القَدْرِ غفْوًا وَصحْوًا ... متى كَمْ وكَمْ أزَلًا سَرْمَدا
وَلوْ كان مِنْ غَوْرِ قَلْبي انبرى ... يُعانِقُ وَمْضَ السَّنا الأبْعَدا
لَكانَتْ خلاياي قدْ أشرَقَتْ ... بأنوارِهِ رُكَّعًا سُجَّدا
وكُنْتُ تَغلْغلْتُ في العالَمين ... ولا بَابَ يَحْجبُني مُوصَدا
وأُسْمِعْتُ - لا مِنْ فَمٍ - نَغْمَةً ... جِنَانيّةً ما لها مِنْ صَدَى
تَزُفُّ ليَ المَجْدَ والسَّعْدَ في ... تَجَلٍّ وتُورِدُني المَوْرِدا
إذا كِدْتُ أزلَقُ عَنْ أوْجِهِ ... تَبدَّتْ وَمدَّتْ لِجَذْبي يَدا
ولاحَ الجلالُ وفَاحَ الجَمَالُ ... وقَدْ بهرتْني الرُّؤى خُرَّدا
وأُوقِظْتُ والنُّورُ في أعيني ... فَلُبْتُ على حُلْمِيَ المُسْعِدَا
وَدُرْتُ بِرأْسِيَ في حَيْرةٍ ... أجوبُ السَّماواتِ مُسْتَرْشِدا
وكانَ الدُّجى قَدْمَضى وانْقَضى ... ولا نَجْمَ ثَمَّ بِهِ يُهتَدَى
وقَالَ ليَ القَلْبُ إنِّي هُنا ... لَدَيَّ السَّنا والمُنى والجَدَا
فَمِلْتُ إلى لا نهاياتِهِ ... وبادَرَني خَفْقُهُ مُنْجِدا

وأفْقَمَ بالذِّكْر كُنهي رِضًا وأدْنَى لِمُنطَلقي الفَرقَدا
نَضا عَنْ كِيَاني حِجابَ الهوى وعَينيَّ غَطَّى فَلَمْ تَشْهَدا
وبَصَّرَ عَقْلي بِسِرِّ الدُّنا وقَدْ صاغَها رَبُّها مَعْبَدا
وذَرَّاتُــــهـــا ذَرَّةً ذَرَّةً تُصَلِّي فَتابَعَها واقْتَدى
وهَامَ بِهِ الوَجْدُ غابَ «الأَنَا» فلا مِنْ زَمانٍ ولا مِنْ مَدى
وعُدْتُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا إلى جُذوري وعايَشْتُها مُصْعِدا
ولكنْ برُوحيَ شَوْقي بَكَى وذَوْقي زَكا وقَصِيدي شَذَا(١)

* * * * *

(١) من ديوان: قلب ورب، للأميري، (٣١٥ - ٣١٩).

دُعَائِي فِي لَيْلَةِ القَدْرِ

بِكُلِّ الشَّوقِ في قَلْبي طَرَقْتُ البَابَ يا رَبِّي
وَفي شَفَتي ضَراعَاتٌ لِقَلْبِ ذابَ في جَنْبي
دعاءٌ في تَألُّقِهِ ضِياءٌ غَيْرُ ذي لَهَبِ
يَسِيلُ الطُّهْرُ في دَمْعي لِيَغْسِلَ صِدْقُهُ ذَنْبي

* * * *

وحسبي أنَّك الرَّحمَـ ـنُ في رِضْوانِهِ حَسْبي
تُجيبُ ضراعةَ المحتا جِ عِنْدَ المَوْقِفِ الصَّعْبِ
وتهدي خُطْوَةَ الحيرا نِ إنْ ضلَّتْ على الدَّرْبِ
طَلَبْتُ رِضَاكَ يَا رَحْمَا نُ واسْتَرْحَمْتُ في طَلَبي
قصدْتُك يا حِمَى رُوحي ويا غَوْثي من الكُرَبِ
ويا حِصْني من الأيَّا مِ والأيَّامُ تَعْصِفُ بي
ويا عَوْني عَلَى الإِنْسَا نِ وَالإِنْسَانُ يَغْدرُ بي
ويلبَسُ ثَوْبَ إنسانٍ ليُخفِيَ صُورةَ الذِّئْبِ
سألتُ اللَّهَ أن تَرْتا حَ دُنيانا مِنَ اللَّهَبِ
وأنْ يَرتاحَ صِدْقُ النَّا سِ من دَوَّامَةِ الكَذِبِ
وأنْ يَخلو رِحاب الأرْ ضِ من حَمَّالَةِ الحَطَبِ
وأنْ يَرضَى رضاءً يُنْـ ـقِذُ الدُّنْيا مِنَ الغَضَبِ
سألتُ اللَّه أنْ يَهْدي إلينا نِعْمَةَ الحُبِّ

وأن يَسْقي ظِماء الرُّو ... حِ مِنْ تَيَّارِهِ العَذْبِ
وأن يَسْري رحيقُ الحُبْـ ... ـبِ مِنْ قَلْبٍ إلى قَلْبِ
فَنَسْعد كُلَّما ضمَّتْ ... خُطَانَا لَمْسَةُ القُرْبِ

* * * * *

سألتُ اللَّهَ والمسئُو ... لُ فوقَ الشَّكِّ والرِّيَبِ
هو المُعْطي بلا مَنٍّ ... عَطاءً غيرَ مُقْتَضَبِ
دعوتُ وحُلْمِيَ المأمُو ... لُ يَبْدو اليومَ عن كَثَبِ
تعالى اللَّهُ مِنْ دانٍ ... إلى الدَّاعي ومُقْتَرِبِ[1]

* * * *

(١) من ديوان: يا إلهي، لمحمد التهامي، (٧، ٨).

إِنَّهُ اللَّهُ

لَيلةَ القَدْرِ والتَّجَلِّي بُرُوجٌ   وعُروجٌ سَامٍ سَنًا وسَنَاءُ
نُطْفَةُ الحُسْنِ أسْرَةٌ تَتَنَامَى   وَذُرَاها فَوْقَ السَّمَاءِ سَمَاءُ
جَلَّ في الحُسْنِ مُبْدِعُ الحُسْنِ ذاتًا   وصِفاتٍ وَرَبُّهُ المِعْطَاءُ
نافِخُ الرُّوحِ مِنَّةً مِنْهُ إنْسا   نًا سَوِيًّا والأَصْلُ طِينٌ وَمَاءُ
يا لَسِرِّ الإنْسانِ تَرْبُو بِهِ الدُّنْـ   ـيا حياةً وَتُعْمَرُ الغَبْراءُ
يا لِفِكْرِ الإنْسانِ لَوْلاهُ ما غِيـ   ـصَ بِبَحْرٍ ولا ٱسْتُشِفَّ فَضَاءُ
يا لِقَلْبِ الإنْسانِ يَخْفقُ حُبًّا   وحَنانًا فتخفقُ الأعْضَاءُ
وتَعُمُّ الوجُودَ نَفْحَةُ وَجْدٍ   نُعْمَيَاتٌ يَشِعُّ منها الصَّفاءُ
جَلَّ خَلَّاقُنَا بأحْسَنِ تَقْوِيـ   ـمٍ وَجَلَّتْ هِباتُه الآلاءُ
في الدُّنَا والرُّنا فُيوضٌ فيوضٌ   لا نهاياتُها بَهاءٌ بَهاءُ
إنَّهُ اللَّه لَيْلَةَ القَدْرِ هَلْ لي   مِنْ تَجَلِّيكَ نَفْحَةٌ سَرَّاءُ
أتسامَى بها إلَيهِ مُنيبًا   خَاشِعًا ضارِعًا سَبِيلِي الدُّعاء
فَهْو طِبِّي وَرُوحُ قَلْبي وحِبِّي   وحَياتي هُوَ الرَّجَاءُ الرَّجَاءُ[1]

* * *

(١) من ديوان: إشراق، لعمر بهاء الدين الأميري.

سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى(١)

أيُّ سرٍّ يُودِي بِدُنْيا حُدُودِي كُلَّمَا هِمْتُ في تَجَلِّي سُجُودِي
كَيْفَ تَذْرُوا «سُبْحَانَ رَبِّي» قُيُودِي كَيْفَ تَجْتَازُ بِي وَرَاءَ السُّدُودِ
كَيْفَ تَسْمُو بِفِطْرَتِي وَوجُودِي عَنْ مَفَاهِيمِ كَوْنِيَ الْمَعْهُودِ
كَيْفَ تَرْقَى بطِينَتِي وَجُمُودِي في سماواتِ عالَمٍ مِنْ خُلُودِ
أَتُـرَاهَـا روحًـا مِـنَ الْمَعْـبُـودِ قَدْ جَلَتْ ذَاتَهَا لِعَيْنِ شُهُودِي

* * * * *

سَجَدْتُ فَانْكَشَفَتْ

أَرْسلْتُ في صفحاتِ الفَجْرِ ناطِقَةً سُطُورُهَا بين تَلْمِيحٍ وتَصْرِيحِ
أرسلْتُ نظرةَ قلْبٍ لائبٍ وَلِهًا يرنو جَواهُ لِإلهامٍ وتوضيحِ
فذَكَّرَتْني نجُومُ الفَجْرِ في خَفَرٍ هَديَ السَّمَاءِ بأنْ أَنْسَى تَبَارِيحِي
سَجَدْتُ مُمْتَثِلًا للَّهِ فَانْكَشَفَتْ ورَدَّدَ القَمَرُ الوضَّاءُ تسْبِيحِي
كأنَّما كنتُ في سِجْنِ الحُدُودِ وما سَجَدْتُ إِلَّا لإطلاقي وتسْرِيحِي

* * * * *

---

(١) من ديوان: مع الله، للأميري، (٩٧).

ذُرًى

يُلِمُّ بِكَ الضَّنَى أو لا يُلِمُّ مُكَابَدَةُ الجِهادِ عَلَيك حَتْمُ
إذا لم يَصْنَعِ الحرُّ المعالي فإنَّ حياتهُ زَيْغٌ وَوَهْمُ
فَيَمِّمْ شَطْرَ نور النّور واْصْعَدْ فأوَّلُ دَرْبِكَ المنشودِ نَجْمُ
وَمَرْماهُ مَعارِجُ في ذراها وميضُ سنَا السَّنا يدْنُو ويسْمُو
تَعَرَّضْ مِنْهُ للنَّفحاتِ واْدْأَبْ بعَزْمِ الرُّوحِ إنْ أَعْياكَ جِسْمُ[1]

* * * *

سَبْحَةٌ فِي الْمَقَامِ

أَبا الأنبياءِ عليكَ الصَّلاةُ عليكَ السَّلامُ أبا الأنبياءْ
وقفتُ أصلِّي أمام المقامِ وفي مقلتيَّ السَّنا والسَّناءْ
وللبيتِ مِلءُ جَناني جلالٌ ونشوةُ وجْدٍ ووجدُ انْتِشَاءْ
يُلازِمُنِي راكعًا ساجدًا وَيكْحَلُ عَينيَّ مِنْهُ البَهاءْ
تألَّقتِ الآيُ في ثوبِهِ تُمِدُّ النُّجومَ العُلا بالضِّياءْ
ولِلنَّاسِ مِنْ حَوْلِهِ زَحْمَةٌ تُوَثِّقُ بَيْنَ ذَويها الإِخاءْ
مُبارَكَةُ القَصْدِ تَسْعى إلى رِضا اللَّهِ مُفْعَمَةً بالرَّجاءْ

---

(١) من ديوان: إشراق، للأميري، (١٦١، ١٦٨، ١٦٩)

وكانتْ تُراوِدُني ذِكْرياتٌ ... تَلامَعُ فيها وُجوهٌ وضاءْ

على أنَّني في هُيامِ السُّجودِ ... يُحلِّقُ بي في عَنانِ السَّماءْ

فَكُنْتُ أطوفُ وكانت تَطُوفُ ... وكانَ التَّجلِّي وكان الدُّعاءْ

وأُنْسيتُ نَفْسي وغابَ زماني ... وغابَ مكاني وغابَ الثَّواءْ

تجنَّحَ قلبي وأصْعَدَ يسمُو ... فَرِدْتُ الفضاءَ وجُزْتُ الفَضَاءْ

وبتُّ وكلُّ كِيَانِيَ وَمْضٌ ... كأنِّيَ رُوحٌ سخيُّ العَطَاءْ

ومالَ عليَّ أخٌ يَبْتَغي ... مَكانِي يقولُ أَطَلتَ البكاءْ

فَجُلْتُ بِرَأسي وساءَلْتُ نَفْسِي ... أَهذا أنا يا غباءَ الذَّكاءْ

أراني كأنِّي مِنَ النُّورِ خَلْقٌ ... جديدٌ ولسْتُ بِطِينٍ ومَاءْ

وقُمْتُ على قَدَمَيْ نسمتَينِ ... صَفِيًّا يَهيمُ مَعَ الأَصْفِيَاءْ

وعاودتُ ذاتي رُوَيْدًا رُوَيْدًا ... وعادَ أنايَ حبيسَ الإنَاءْ

سُكُونُ الدُّجى وغُرامُ الشَّجا ... ونارُ العَنَاءِ وبَرْدُ الصَّفاءْ

وراجعْتُ ما كان مِنْ غَابِرِي ... ومِنْ حَاضِري فاعْتَرَانِي حَياءْ[(١)]

إلَّا اللَّه

باهَى عَبِيدُ حُطَامٍ بانتمائِهِمُ ... إلى العظيمِ فلانٍ وابتغَوْا جاها

والحُرُّ عَبْدُكَ يا ربَّ العَوالِمِ لا ... لا ينتمي وبغَيْرِ اللَّهِ ما باهَى

* * * * *

(١) من ديوان: إشراق، للأميري، (٦٦ - ٦٩).

تَوْحِيدٌ وَتَجْرِيدٌ(١)

مدايَ مدَى عقْلِي وقلبي ووِجْدَاني ... يَضِيقُ عنِ ٱسْتِيعَابِ أسْرَارِ إِيمَانِي
ويَشْتَدُّ فَيْضُ النُّورِ مِلْءَ جَوارحي ... ويَنْمُو إذا ما ٱشتَدَّ إِطباقُ أجْفَاني
ولَكِنَّني مَهْمَا تجاوَزَ بي سنًّا ... جَنَانيَ مِنْ أُكوانِ ما بعد أَكْوَانِي
يُرَدِّدُ كُنْهُ الحَقِّ في نَبْضِ فِطْرَتي ... وَغَوْرِ خلايا خِلْقَتي وعُلا شَاني
يُرَدِّدُ مِنْ «كُلِّيَّتي» مِنْ أرومَتي ... مِنَ الحَمَأِ المَسْنونِ مُذْ حُمَّ إبَّاني
يُرَدِّدُ تَكْويني الَّذي فيه أوْمَضَتْ ... إرادةُ ربٍّ للخِلافَةِ رَبَّانِي
يُرَدِّدُ بالتَّمْجيدِ تَوْحيدَ مَنْ سمَا ... وجَلَّ عَنِ التَّحْديدِ تَوْحيدَ مَنَّانِ
أُوَحِّدُهُ في لا نِهاياتِ ذَاتِهِ ... وَأَعْبُدُهُ منذُ ٱنْبِلَاجَةِ وِجْدَاني
وما بَيْنَ تَوْحيدي «وتَجْريدِ» مُدَّعٍ ... وُلُوجًا بِبَحْرٍ مِنْ سنًا دونَ شُطْآنِ
لَبَوْنٌ كما بَيْنَ الحَقِيقَةِ والسُّدَى ... وَكَمْ من سَفاهٍ لاحَ في شكْلِ عِرْفانِ
وَكَمْ مِن غرُورٍ شَذَّ عَنْ نَهْجِ عَقْلِهِ ... ويُحْسَبُ إِنْسَانًا وَلَيْسَ بِإِنْسَانِ
نَمَا في «أَنَاهُ» الكِبْرُ فَٱمْتَدَّ شامِخًا ... ونَدَّ عَنِ الرُّجْعَى بِتَسْويلِ شَيْطَانِ
وذابَ «الأَنَا» بي مُذْ أَنبْتُ وإِنَّهُ ... لَعَقْلٌ وَفَضْلٌ مِنْ عِنَايَةِ رَحْمَنِ
لَهُ دينُهُ شَابَ الغُرورُ يَقِينَهُ ... فَغَامَ ولي دِينٌ وَدِينيَ نُورَاني

---

(١) من ديوان: إشراق، للأميري، (٢٠٦ - ٢٠٩).

أَلَا إِنَّ «بَحْرَ الوَحْدَةِ» الحقَّ ذَاتَهُ ... مَحَجَّتُهُ البَيْضَاءُ تَوْحِيدُ دَيَّانِ
فَدَعْ عَنْكَ أَوْهَامَ «التَفَلْسُفِ» وٱسْتَقِمْ ... لِتسْلَمَ سدِّدْ والتَزِمْ هَدْيَ قُرآنِ
لَكَ الأُسْوَةُ المُثْلى بِنَهْجِ مُحَمَّدٍ ... وَنَهْجُ رَسُولِ اللَّهِ في الكَوْنِ ربَّاني

* * * * * *

مِلْءُ الْيَقِينِ(١)

عَبَدْتُ ومِلْءُ يَقينِ اليَقِينْ ... وأخلَصْتُ أخْلَصْتُ لِلَّهِ دينْ
عَقِيدَةُ لُبٍّ وإيمانُ قَلْبٍ ... وصِحَّةُ دَرْبٍ وعَزْمٌ مَتينْ
وتَصْميمُ حُرٍّ وهَدْيٌ ورأْيٌ ... وَوَعْيٌ وسَعْيٌ قَمينٌ قَمينْ
ولكنَّ ذاكَ أجَلْ كلُّ ذاكَ ... مِنَ اللَّهِ فَضْلٌ ونورٌ مُبِينْ
حَبَانِيَ عَقْلًا أَرَانِيَ رُشْدًا ... لهُ الحَمْدُ والمَجْدُ في العالمِينْ

* * * * *

(١) من ديوان: إشراق، للأميري، (ص:١٧٦: ١٧٧)

«أَرَاكَ جَمِيلًا فِي فِعَالِكَ كُلِّها»[١]

أراكَ جميلًا حِينَ تَرْضَى وَتَغْضَبُ وَحِينَ تُمَنِّي بِالوِصَالِ وَتَعْتِبُ
وَحِينَ تُعافِيني مِنَ الْهَمِّ والضَّنَى وَحِينَ دِمَائي مِنْ جِراحِيَ تَثْعَبُ[٢]
وَإِنْ يَكُ جِسْمِي مِلْءَ عَطْفَيْه صحَّة وَإِنْ تكنِ الأَسْقَامُ تَضْوِي وتُعْطِبُ
وَإِنْ غَمَرَتْني منْكَ حُسْنَى تَسُرُّني وَإِنْ هُدَّ منِّي لِلمَصَائِبِ مَنْكَبُ
وفي الضُّرِّ والنُّعْمَى وفي المَنْعِ والعَطَا وفي الأَمنِ والأَحْزانِ تأتي وتذْهَبُ
أَرَاكَ جَمِيلًا في فِعَالِكَ كُلِّهَا فَهَلْ أنتَ راضٍ أم تُرَى أنتَ مُغْضَبُ
ولكنَّ ظنِّي فيكَ أنَّكَ مُعْتِقِي وَأَنَّكَ تُدْنِيني ولستَ تُعَذِّبُ
فَيا رَبِّ هبْ لي منكَ صبرًا ورحْمَةً وَيا رَبِّ حبِّبْني بما فيَّ تَكْتُبُ
وَيا رَبِّ زِدْني عنكَ فَهْمًا لمِحْنَتي وثبِّتْ يَقِيني فيكَ فالْقَلْبُ قُلَّبُ
وزِدْنيَ إِحْسَانًا بما أنتَ أهلُهُ وحسِّنْ فِعَالِيَ أنتَ نعْمَ المؤدِّبُ
وَأَنْزِلْ عَلَى قلْبِي الجَرِيحِ سَكينَةً وَأَحْسِنْ خِتَامِي ليسَ لي عَنْكَ مَذْهَبُ

* * * * *

(١) من ديوان: هكذا علَّمتني الحياة، (٧٨).
(٢) تثعب: تسيل.

وَذَكَرْتُ ربّي

وَذَكَرْتُ ربِّي واْستَغَثْتُ مُسَلِّمًا تَسليمَ راجْ
وذَكَرْتُ «كوثَرَهُ» الفُرَاتَ وماءَنا المِلْحَ الأُجاجْ
وَذَكَرْتُ جَنَّتَهُ كأَنَّ بِمَسْمَعي مِنْها ثُؤَاجْ
وذَكَرْتُ رَحْمَتَه فَفَاضَ الضِّيقُ وانْشَرَحَ المِزاجْ
واشْتَدَّ حُسْنُ الظَّنِّ في حَدْسي بخلَّاقي ورَاجْ
بَرَقَ اليَقِينُ بِفِقْهِ قَلْبيَ أَنَّني لا شَكَّ ناجْ
وَصَحا عَلَى شَفَتِي الدُّعاءُ فَصِحْتُ حيَّ عَلَى اْنْفِرَاجْ
ها قد مَضَى اللَّيْلُ المَديدُ فلا مَنَاصَ مِنِ اْنْبِلَاجْ
وشَعَرْتُ في أغوارِ كُنْهِيَ باْرْتياحِ واْبْتِهَاجْ(١)

* * * *

تَوَّابٌ كَرِيمٌ

إِلٰهِيَ لوْ أَنْفَقْتُ عُمْرِيَ ساجِدًا
أُقَدِّسُ ما وَفَّيْتُ حَمْدَكَ يا رَبِّي

(١) من ديوان: إشراق، للأميري.

وفي ذُرْوَةِ الإحْسَانِ والفَضْل والجَدَا
نَداكَ بأنْ أَوْدَعْتَ حَمْدَكَ في قَلْبي
فَظَلَّ وَجِيبِي الْمُستمِرُّ مُقدِّسًا
عُلاكَ ولو أنِّي مُقيمٌ على ذَنْبِ
وذنْبيَ ما ذَنْبي سوى عَبَثِ الهَوَى
بِقِشْرِ جَنًى لا يَسْتَطِيلُ إلى اللُّبِّ
على أنَّ ذَنْبَ المؤمِنِ الحُرِّ يَنْتهي
إلى التَّوْب والرَّحْمَنُ يَجْزي على التَّوْبِ[1]

* * * *

وَكَانَ التَّجلِّي[2]

أيا يا سنًا فاقَ كُنْه السَّنا ... وعَمَّ السماواتِ عَمَّ الدُّنا
تخطَّى مَدَانا ومَحْسُوسَنَا ... وزادَ وأعْجزَ أفْهَامَنَا
وأمْعَنَ في لا نهاياتِهِ ... وأشرقَ أغْدَقَ فوْقَ المُنَى
إلى قَبَسٍ مِنْ شُعاعاتِهِ ... شَعَرْتُ بقلبي سما وادَّنىٰ
وكنتُ أُصَلِّي فكانَ التَّجَلِّي ... وما عُدْتُ أَدْرِي أنا ما أنا

* * * *

(١) من ديوان: قلب ورب، للأميري، (٣٠٣ - ٣٠٤)
(٢) من ديوان: إشراق، (١٦٢ - ١٦٣).

مُنَاجَاةٌ وَتَجَلِّيَاتٌ(١)

أَخُمولٌ في تضاعيفِ خَلايايَ أَقَامَا
أم مَلالٌ كِظِلالِ اليأْس في عَيْنيَّ غَامَا
أم هوًى حُلْمٌ قصيٌّ بثَّ في قِلْبي هُيَامَا
فتراخَيْتُ كَمَنْ بَادَرَهُ دِفْءٌ فَنَامَا
وتناءَىٰ قِصْدُهُ عَنْهُ كآلٍ يَتَرَامَى

* * * * *

ظَمَأٌ أجَّ بأعماقي إلى رَشْفَةِ حُبِّ
وجوًى يَلْحَقُ بي يطلبُني في كُلِّ دَرْبِ
وَأُوارٌ بَلْ سُعارٌ لا يَنِي يُحْرِقُ قَلْبِي
كلَّما آنستُ نورًا شَرَدَ القلبُ وَهَامَا
نَصَبٌ لا ينتهي يُشعِلُ أَغْواري أُوامَا
زَفْرَتي شَوقٌ وتَوْقٌ ومناجاةٌ لحَدْسي
أنا في رَبْتٍ وكَبْتٍ والتَّلظِّي نبضُ حِسِّي

(١) من ديوان: إشراق، للأميري، (١٢٤ - ١٢٨).

ما الَّذي أصنع يا ربِّي قد اسْتَنزَفْتُ نَفْسِي
ضاقَ بي صدْري وقد أَلْجَمني صبري لجَامَا
لَمْ أُطِقْ شِدَّتَهُ الْقُصْوَى فَأرْخيْتُ الزِّمَامَا
فَأَنَا في الذَّنْبِ والتَّوْبِ معًا أصْحُو وأَغْفُو
لَيْتَهَا التَّقوى فَلِلتَّقْوَى عُيونٌ لا تَرِفُّ
هِيَ في القِسْطَاسِ «كُلٌّ» وَأَنَا نِصْفٌ وَنِصْفُ

* * * * *

يا إلهي عَبْدُك الخطَّاءُ قد صلَّى وَصَاما
وتَراخَى عزمُهُ لكنَّهُ لَمْ يَجْنِ ذاما

* * * * *

أنا مذُ قُدِّر أن أُخْلَقَ من ماءٍ وطينْ
وأُسَوَّى وأَنَا في رَحِمِ الْغيبِ جَنينْ
روحيَ المارِدُ في قُمقم أَقْدَاري رهينْ
فأنا في كَبَدٍ حُمِّلتُ أعباءً جِسامَا
وَحُبيتُ العقلَ والعاقلُ يأْبَى أنْ يُسَامَا

* * * * *

والَّذي حُمِّلْتُهُ - والأَمرُ للَّه - الأمانهْ

إنَّها قُدْسٌ رَزَاحٌ وهْي حِرْزٌ وَحَصَانهْ
خالقي كنْ ليَ وامنحني اقتداراً وقمانهْ
إنَّني دونكَ مُختلٌّ فسدِّدني لِزامَا
أكُنِ الكُفْءَ وقد بوَّأْتَني أنتَ المقَاما

* * * * *

وَرَحى الدُّنيا .... وكمْ دارتْ وما زالت تدورُ
وعلى دولابِها كرَّتْ عصورٌ وعصورْ
والجَدا منها سُدًى والحَلُّ ظِلٌّ وعبُورُ
وَعَلَى أشداقِها يزدحم الغفلَى ازْدحامَا
ليعبُّوا اللَّذةَ الوهمَ فَتُصْلِيهِمْ ضِرَامَا

* * * * *

إنها تزداد ما دارت ضجيجًا واتِّقَادَا
كلَّما أمَّلَ منها الغِرُّ هَوْنًا تتَمَادَى
تَتَلقَّى النَّاسَ أفواجًا وتُلقيهِمْ فُرادى
ولَقَدْ تحصدُهم حصدًا وترميهم رُكامَا
ضلَّ مَنْ فِي سَكْرَةٍ عن جَهْرةِ الحَقِّ تَعَامَى

* * * * *

كلَّما أوهقني وِزْرِي ولَيْلُ الهمِّ عَسْعَسْ
ودَجَتْ دنيايَ حتَّى كِدتُ من دُنيايَ أيأسْ
أشرَق الإيمانُ فِي قَلبي وفي عَقِلي تنَفَّسْ
فَنَضَا عَنِّي اغترابًا مِلءَ نَفْسي يَتَنَامَى
ورَمَى عن عزميَ الغُلَّ ، فَجَلَّى وتَسَامَى

* * * * *

يا إلهي! مُرْهَقٌ يرجو بذكرِ ٱللَّهِ راحهْ
مُثْخَنُ الروِّح جَوًى قَدْ يُبرئُ الوجدُ جراحهْ
وتَجَلِّي الذِّكْرِ قَدْ يُطلقُ لِلعَاني سَرَاحهْ
فَإِذَا مَا انْسَجَمَ الذِّكرُ مع الدَّمْعِ انسِجَامَا
أَصْبَحتْ نارُ الجوى فِي الْقلبِ بردًا وسلامَا

* * * * *

بَيْنَ الخَوْفِ وَالرَّجَاءِ(١)

هي السَّاعاتُ تَخْتَرِمُ الأماني وتُدْني في تَسَرُّبِها الأوانا
وتَسْتَدْعي مِنَ الْواعي بِدَارًا وإعْدَادًا لِيَسْتَبِقَ الزَّمانَا
فَمَا لي لا أُبالي واللَّيالي تُنَبِّهُني بأَنَّ الوَعْدَ حانَا
وأنَّ ٱللَّهَ وَقَّتَ لي قُدُومي وَيطْوِي خُطْوَتي آنًا فآنا
أتَضْطَرِبُ المشاعِرُ في كِيانِي ويَغْمُرني شَجًى فَعَمَ الكِيانا
ويُرْبِكُني التَّهَيُّبُ عَنْ مُضيٍّ إلَى الهَدَفِ الّذي مَلَكَ الجَنَانا
وألْبَثُ في تَعِلَّات وُهَاةٍ وأزْعُمُ أنَّ قَصْدي لا يُدانَى
وحَتَّامَ التَّحَيُّرُ والتَّواني وَسَيْفُ الوَقْتِ يَقْطَعُ مَنْ تَوَانَى
ولا أدْري وقَدْ أنْفَقْتُ عُمْري متى أصْحو فَخَيْطُ الفَجْرِ بانَا
غَدًا قَدْ أَلْطُمُ الخَدَّينِ حُزْنًا وما الجَدْوَى وَمَا قَدْ كَان كَانَا
أيا رَبًّا بِرَحْمَتِهِ تَوَلَّى خَلائِقَ مُلْكِهِ وَرَعى وَصَانا
عُبَيْدُكَ لا يَني يَدْعُو وَيَرْجُو وَمَا خَابَ العُبَيْدُ بكَ اسْتَعانَا
هُوَ الخَطَّاءُ والنَّزَغَاتُ شَتَّى يُغَالِبُها وَتُوسِعُهُ حِرانا
أعِنْهُ عَلَى تَجاوُزِ ما يُعاني فأنْتَ وَلِيُّ مَنْ أكدى وَعانَى

---

(١) من ديوان: إشراق، للأميري، (٢٤٦ - ٢٥٠).

لَقَدْ قَرُبَ اللِّقَاءُ، فَكَيْفَ يَرْقَى إلَيْكَ وَذَنْبُهُ أرْبَى وَرَانَا
تَجَلَّ عَلَى عَزِيمَتِهِ لِيَسْمُو مِنَ الْوَهَدَاتِ يَمْتَشِقُ الرِّعَانَا
وأشْرِقْ في جَوارِحِهِ لِيَغْدُو بِمَجْدِكَ في الوُجُودِ أعَزَّ شَانَا
لَقَدْ غَلَبَ الرَّجَاءُ عَلَيه لَمَّا رَأى آلاءَكَ الْجُلَّى عِيَانَا
فَأَنْتَ هدَيتَهُ الإسلامَ دِينًا عَلَى تَوحِيدِ قُدسِكَ فاسْتَبَانَا
وأنتَ قدِ اصطَفَيْتَ له انتِمَاءً إلَى النَّسب المُعَلَّى لا يُدانى
وأَنْتَ خلقتَه عبدًا أبيًّا مِنَ الأحرارِ يأنَفُ أن يُهانَا
وَأَنْتَ وهبتَه الذَّوقَ المُصفَّى وأنتَ حبوتَه النَّفْسَ الحَصانا
وأنتَ جَعَلْتَه عفًّا كَرِيمًا وَلَو أرخَتْ له الدّنيا العِنانا
أجَلْ لَكِنَّه الخطَّاءُ مَهْما تحرَّى رُشْدَهُ يهوَى الحِسَانا
وَهَا قَدْ جَاءَ معترفًا مُقِرًّا يعوذُ يلوذُ فامنحْهُ الأمَانَا

* * * * *

إِلَى أَيْنَ ؟[١]

إِلهي قَدِ استيأسْتُ لَكِنَّ مَأْملي
بِنَصْرِكَ لَمْ يفتُرْ وَلَمْ يَتَبدَّلِ
فما شَكَّ إيماني بأَنَّك رَاحِمي
ولا ظَنَّ قَلْبِي قَطُّ أَنَّك خاذِلي
عَلَى أَنَّني فِي الكَونِ حَيْرانُ سادِرٌ
أدورُ عَلَى نفسي بعَزمٍ مكبَّلِ
وفي روحيَ الوثَّابِ تَغلي صَبابتي
ويزفِرُ تَوْقي فِي صميم تبتُّلي
يَقُول رفيقي ليس برًّا ولا تُقًى
صِيَامَكَ فاسْتَرْخِصْ بِحُكْمِ التَّرَحُّلِ
أَصُومُ وِجَاءً لَيْسَ برًّا وَلَا تُقًى
وإِذْ بي أَرَى صَومي يفوِّر مِرجَلِي
وَأَيْن التُّقى منِّي وَقَدْ خَامَرتْ دمي

---

(١) من ديوان: إشراق، للأميري، (٥٧ ـ ٦٢).

لواعجُ تُضْنِينِي وتُذكي تقلقلي
أُرَتِّـلُ قُـرآنَ الـبـيـانِ تَـشَـافيًا
وأنـظـرُ فيهِ نَـظـرةَ المتـأمِّـلِ
فأغبط مُوسَى فِي «شعيبٍ» وبِنْتِهِ
وأسرَحُ فِي الأحلام سرحة مجتَلِ
وَأقرأ فِي آياتِ «يوسفَ» عِبرةً
فأحدِرُ فِي الآيات غيرَ مُرتَّلِ
وَأرنو إِلَى أمر «الأَمَانَةِ» مشفقًا
عَلَى كاهِلي لَو كَان يَصلُح كاهلي
وَأَبثُ مَا بَيْنَ المَخَافَةِ وَالرَّجَا
وَأَذْكر تَفْرِيطي وأُبدِي تَذَلُّلي
فَيَنْسابُ من عَيْنَيَّ دمعيَ مُرْسَلًا
وعَهْدِي بِدَمْعِي جَائِشًا غيرَ مُرْسَلِ
إِلَهِي قدِ استشرَى وطَالَ تشرُّدي
إِلَى أين أمضي أنتَ أدرَى بِمَنْزلي

لَقَدْ ضاقتِ الدُّنيا عَلَيَّ بِرُحْبِها
فلسْتُ أَرى فيها غِناء المُؤَمَّلِ
هَوَايَ هَوًى فِي العقل، يرنو إِلَى العُلا
بعيدًا بِوَجْدٍ فِي العُلا مُتَأَصِّلِ
وآخَرُ فِي قَلْبي يُؤَجِّجه الصَّدى
وبُعْدُ المدى فِي لَهْفَةِ الْمُتعَجِّلِ
ومِلءُ كِياني ثَورةٌ عُمَرِيَّةٌ
وَقَدْ قصَّرَتْ عمَّا أريد وسَائِلِي
تولَّى شبابُ العُمْرِ والمجدُ والهوَى
مُرادٌ عَزِيزُ النَّيْلِ عَذْبُ التَّخيُّلِ
وَمَاذا حياةُ المرءِ فِي الْوهْم والرُّؤى
وما مَوردُ الآلِ الكَذُوبِ بمنَهلِ
أصومُ وفي «باريس» فِطرٌ مُحَبَّبٌ
وحُسنُ «جنيفا» مُنية المتغزِّلِ
تخلَّفَ عن عبءِ «الخلافة» أهلُها

وناءَ بِحُرٍّ صادقِ العَزمِ أَعزَلِ

وباتَ غَريبَ الرُّوحِ مَنْ صَان نَفْسَه

عن الرَّيْنِ والنَّهجِ الخسيسِ المُرذَّلِ

أأُلزِمُ نَفْسِي بِالحَياةِ بِمَعْزِلٍ

عنِ النَّاسِ ما جَدوى حَياتي بِمَعْزِلِ

وَفي عُنُقي مُذْ كُنتُ لِلَّهِ بَيْعَةٌ

أُجاهِدُ هَلْ وحدي أُجَاهِدُ «هَيت لي»

فلسْتُ أُبَالي - حِينَ أَلْقَاكَ ثَابِتًا

عَلَى عَهْدِكِ الْقُدْسيِّ - ما قال عُذَّلي

إِلَهِي وَلَكِنْ لِلجِهادِ دُروبُهُ

وَهَا أَنَذَا لَبَّيْكَ هَيِّىءْ وذَلِّلِ

إِذَا شِئْتَ أَصْلَحْتَ الوجودَ وَإِنْ تَشَأْ

قَلَبْتَ الدُّنا طُرًّا بِحَبَّةِ خَرْدَلِ

خَرِيطةَ حَالِي يا إِلَهِي بَسَطْتَهَا

كَمَا هِي فارحمْ واهْدِ خطوَ تحوُّلي

وَهَذي همومي كاللَّظى قد تسرَّبَتْ

مِنَ الْقَلْبِ فِي أَرْجاءِ جِسْميَ تَغْتَلِي

إِذَا لَمْ تَجُدْ ربِّي عَلَيَّ بِنَفْحةٍ

لِتَجْلُوَهَا هَيهَاتَ هَيْهَاتَ تَنْجَلي

* * * * *

مُحاسَبَةٌ وَضَرَاعَةٌ(١)

أُحَاسِبُ نَفْسِي لَيْلَةً إِثْرَ لَيْلَةٍ وأَنْظُرُ فِي يَومِي وَكَيفَ تَصَرَّمَا
أَأَدَّيْتُ حَقَّ ٱللَّهِ أَوْ بعضَ حَقِّهِ أَأَجدَيتُ هَلْ شَأْنُ الدُّنا بي تقدَّمَا

* * * * *

فَيا بَهجتي لَمَّا أَرى أَنَّ حِقْبَةً مِنَ العُمْرِ كانَتْ بالجدا الحَقِّ عامرهْ
ويا حَسْرتِي لـمَّا أرى هَرْجَها سُدًى غُثَاءٌ بديدٌ والحصيلةُ خاسِرَهْ

* * * * *

يُطالِبُ قَلْبي الْعَقْلَ أَنْ يَزنَ الخطُا وَأَنْ يَفْقَه القَصْدَ الَّذي خُلِقَا لهُ
وأَنْ يَقدَحَ العَزْمَ السَّديدَ مُصَمِّمًا ويمضي إِلَى ما القلْبُ يَرجُو مَنَالَهُ

* * * * *

وإِنِّي لأَدْعو ٱللَّهَ فِي كُلِّ زَفْرَةٍ ونَبْضَةِ نَفْسٍ دَعْوَةَ الْمُتَضَرِّعِ
وكلِّي يقينٌ أنّهُ الـمُسْتَجِيبُ لي فآياتُه تحيا مَعِي مِلْءَ مَسْمَعي

* * * * *

لأَدْعوهُ بالرُّوحِ الَّذي هُوَ رُوْحُهُ وَرُوحي ولولا نَفْخُهُ بيَ لم أكُنْ

---

(١) من ديوان: إشراق، للأميري، (٢٣٤ - ٢٣٦).

لأَدْعوهُ وهوَ الخَالِق البارِئُ الَّذي إِذَا ما أرادَ الأمرَ حَقَّقَهُ بِـ « كُنْ»

* * * * *

لأدْعوهُ مِنْ أَعْماقِ كُنْهِي الَّذِي بِهِ تَجَشَّمْتُ حَمْلي لِلأَمانَةِ مَاضِيَا
بأنْ يَتولَّى نَجْدَتِي مَدَّ رِحْلتي إِلَيه لأَرْقى حَيْثُ أَلقاهُ رَاضِيَا

* * * * *

فِي عَالَمِ الأَنْوارِ(١)

فِي كُلِّ خَطْوةٍ شَوطٍ كُنتُ أُطْلِقُهَا قَدْ كنتُ أشعرُ أنِّي مُطلِقٌ بَدني
مِنَ الْكثافةِ مِنْ أَسْدَافِ حَلْكَتِها من الكُدُورة في جِسْمِي وَمِنْ عَفَني
وَأَنَّني كُلَّما اشتدَّ الْوجِيبُ عَلَى قَلْبي وفي سَبَحاتِ الْوَجدِ قلَّبَني
سَمَا دُعَائي بِرُوحِي فارْتقى ورنا وَزاد حتَّى ادَّنى فَاجتزتُ مُرْتَهَني
وهِمْتُ فِي عالمِ الأنوارِ منبلجًا محرَّرًا مِن حدودِ الأَرْض والزَّمَنِ

* * * *

(١) من ديوان: إشراق، للأميري، (٢١٣ - ٢١٤).

عَلَى مَذْهَبِ الحُبِّ[١]

وَقَائِلَةٍ بَادِرْ صَلاتَكَ مُسْرِعًا لَقَدْ كادَ وَقْتُ الْفَجْرِ أنْ يتَسَرَّبَا
فَقُلْتُ صَلاتِي وَقْتُهَا العُمْرُ كُلُّهُ ومَشْرِقُهُ فِي الحُبِّ عَانَقَ مَغْرِبَا
حَرِيصٌ عَليها أنْ أُقيمَ أداءَها وَلَا أبتغي منها سِوَى ٱللَّهِ مَأْرَبا
فقالتْ وَهَذا الحُكْمُ فِي أَيِّ مَذْهَبٍ فَقُلْتُ كفى بالحُبِّ لِلصَبِّ مَذْهَبَا
فَقَالَتْ أَلَسْتُمْ أُسْرَةً حَنَفِيَّةً فَقلتُ اعتنَاقي لَيْسَ أُمًّا ولا أَبَا
مَذَاهِبُ دِينِ ٱللَّهِ شتَّى وكُلُّهَا لَهَا الفَضْلُ مَا دامَتْ عَلَى الحقِّ تُجْتَبَى
وَأمَّا أنا فالحُبُّ فِي ٱللَّهِ مَشربي وأكْرِمْ بِهِ بَيْنَ المذَاهِبِ مَشْرَبا
تُصَلِّي بِهِ ذَرَّاتُ قَلْبيَ خافِقًا ويحيا جَناني، بَلْ كِياني مُؤَوِّبا
أُناجي بِهِ رَبِّي الحَبِيبَ مُوَلَّهًا وأرْفَعُ رَأْسِي خاشِعًا مُتَأَدِّبا
وأشعُرُ فِي أجْوائِهِ بِرِضَا التُّقى بَرِيئًا بلا ذَنْبٍ ولَوْ كُنْتُ مُذْنِبا

* * * *

(١) من ديوان: قلب ورب، للأميري، (٢١٣ - ٢١٤).

أَسِيْرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ

لِلْحَافِظ ابْنِ الْفَرَضِي

هو: الإمام الشهيد أبو الوليد؛ عبد اللَّه بن محمد الأزدي الفرضي، قتله البربر؛ وهو متعلق بأستار الكعبة، ومن شعره:

أَسيرُ الخطايَا عندَ بَابِكَ واقفُ
عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ

يخافُ ذُنوبًا لم يغبْ عنكَ غَيُّهَا
وَيرجوكَ فيها وهو راجٍ وخائِفُ

ومَن ذَا الَّذي يُرجى سِواكَ ويُتقى
وَمَا لكَ فِي فَصلِ القَضاءِ مخالفُ

فيا سيِّدي لا تُخْزِني فِي صَحِيفَتِي
إِذَا نُشِرتْ يومَ الحِسابِ الصَّحائفُ

وَكُنْ مُؤنِسي فِي ظُلْمةِ القبْرِ عِندَما
يَصدُّ ذَوو القُرْبَى ويَجْفُو المُوالِفُ(١)

لَئِنْ ضاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الواسعُ الَّذي
أُرَجِّي لِإسْرافي فَإِنيَ تَالفُ(٢)

* * *

(١) الموالف: المحبُّ والعشير.
(٢) البداية والنهاية، لابن كثير، (١١/٣٧٥).

بِمَوقِفِ ذُلٍّ دونَ عِزَّتِكَ الْعُظْمَى

بِمَوقِفِ ذُلٍّ دونَ عِزَّتِكَ العظمى ... بِمَخفِيِّ سِرٍّ لَا أُحيطُ بِهِ عِلما
بِإطرَاقِ رَأسِي بِاعْتِرَافي بِذِلَّتي ... بِمَدِّ يَدِي أَسْتَمْطِرُ الجودَ والرَّحمَا
بِأَسْمائِكَ الحُسْنَى الَّتي بعضُ وَصْفِهَا ... لِعِزَّتِهَا يَسْتَغْرِقُ النَّثْرَ والنَّظْمَا
بِعَهدٍ قَدِيمٍ مِنْ «ألستُ بِرَبِّكُمْ» ... بِمَنْ كان مَجْهولًا فَعَرَّفَتْهُ الأسما
أَذِقْنَا شرابَ الأنسِ يا من إِذَا سقى ... مُحِبًّا شَرابًا لَا يُضَامُ وَلا يَظْمَا

* * * *

سُبْحَةٌ(١)

أخافُك حتَّى لا أَرَى فِيك مَطْمَعًا ... ولو كُنتُ مِنْ كُلِّ المَثالبِ خَالِيَا
وَأَرْجُوكَ حتَّى لَا أَرَاكَ مُعذِّبي ... وَلَوْ كُنْتُ مُخْتَالًا وفظًّا وعاصِيَا
وَأَهْواكَ حَتَّى مَا أُبالي بِعَالَمي ... وإِنْ يكُ جِسْمِي دَائِمًا فِيهِ غَادِيَا
وهبتُكَ أَحْبَابي وَأَهْلِي وَرَغْبَتي ... وَبِعْتُكَ أَنْفَاسي ونَفْسِي وَمَالِيَا
وَأرضى بِمَا تَقْضِي وَلَو كَان مَصْرَعِي ... وَلَسْتُ بمنَّانٍ ولسْتُ مُغالِيَا

* * *

(١) من ديوان: القادمون الخضر، لسليم عبد القادر، (٥١).

مُنَاجَاةُ أَسِيرٍ(١)

أَتَيْتُكَ أُعْلن ذُلِّي وَفَقْرِي وَأَسْفَحُ فَوْقَ رِيَاضِكِ زَهْرِي
أَتَيْتُ أُنَاجِيكَ أَسْلُو وُجُودِي وَأَنْشُرُ كالْفَجْرِ سرِّي وَجَهْرِي
أَتَيْتُكَ أَنتَ حَبيبي وربِّي وَأَنت مُحيِّرُ قَلْبِي وفِكْرِي
جمالُك أَيُّ جَمَالٍ عَجِيبٍ تَذُوبُ بِهِ مُهْجَتِي أيُّ سِحْرِ
جَلالُكَ أَيُّ جَلالٍ مَهِيبٍ يُبَارِكُ خَيْرِي ويُلجِمُ شرِّي
إِلَهِي إِذَا ضَاعَ عُمْرِي وَرُوحِي تُسَبِّحُ بِاسْمِكَ مَا ضَاعَ عُمْرِي
أَطِيرُ إِلَيْكَ هزار هُيَامٍ وَأَحمِلُ صَوتِي الْخَجُولَ وَطُهْرِي
أَسِيرُ إِلَيكَ سَفِينَةَ شَوقٍ يُدافِعُها الْمَوجُ فِي كلِّ بَحْرِ
وَأَرْكُضُ نَحْوَكَ رَاهِبَ لَيلٍ وَأَجْرِي وحولي الْعَوَاصِفُ تَجْرِي
فَكُنْ لي حِمَايَ وَكُنْ لِي هُدَايَ وَكُنْ لي قُوايَ وَزَادِي وذُخْرِي

* * * * * *

أَتيتُكَ والْحُزْنُ يَعْصِرُ قَلْبِي وَحَولي الدُّجَى مُكْفَهِرٌّ كَبِئْرِ
أَتَيتُكَ هَلْ مِنْ إِلهٍ سِوَاكَ فَأَسْرِي إِليهِ وَأَيَّان أَسْرِي
وَقَدْ أَثْقَلَتْ قَدَمَيَّ الْقُيودُ وَأَمَّا الذُّنوبُ فَأَثْقلن ظَهْرِي

(١) من ديوان: القادمون الخضر، لسليم عبد القادر، (٢٤، ٢٥).

وَمَا غَـيـرُ ذَاتِـكَ تُـدْرِكُ ذَاتِـي   وَلَا غَيْرُ عِلْمِكَ يَسْبِرُ غَوْرِي
أَتَيْتُك أَنتَ القَدِيرُ الرَّحـيمُ الْـ   كَرِيمُ وعِفتُ الملُوكَ لِغَيرِي

* * * * *

أَتَيتُـكَ والحبُّ يُحرِق رُوحِي   وتحتَرِقُ الـكَلِمَاتُ بِثغْرِي
فَلي ألفُ نجوى وَلي ألفُ شَكوى   وَعِنْديَ ألفُ قَصيدَةِ شِعْرِ
تلاشَتْ جَمِيعًا سِوى خاطرٍ   شَرودِ الخُطَا في خَيالي الأغرِّ
يَجُوبُ حُقُولَ الرِّضى والأمانِ   وَيُنْشِدُ كالطَّيرِ في كلِ بَرِّ
إلَهِي إِذَا كُنْتَ تَرْضَى بِأَسْرِي   وما يَعْتَرِينِي فَلَا فُكَّ أَسْرِي
فَكَمْ مِحْنَةٍ ذُقْتُهَا في هَوَاكَ   ومَا ضاقَ صَدْرِي وَلَا عِيلَ صَبْرِي
عَـرَفْـتُ الحيـاةَ ممـرًّا إِلَـيْـكَ   وليسَتْ مُنَاي وَلَا مُستقرِّي
وَأَفْـرَحُ أَنِّـيَ مِـلْـكُ يَـدَيْـكَ   وأَنِّـي إليـك أُفـوِّضُ أَمـرِي

* * * * *

دُعَاءٌ(١)

يَا رَبِّ هَذَا دُعَائِي كَيْفَ أَرْفَعُهُ ... إِلَيْكَ وَهْو عَلَى الآثَامِ مَحْمُولُ
لَوْلَا التَّأَمُّلُ فِي رُحْمَاكَ مَا انْفَرَجَتْ ... نَفْسٌ وَلَا كَانَ لِلْمَلْهُوفِ تَجْمِيلُ
يَا رَبِّ! أَنْتَ وَلِيِّي فَاهْدِنِي سُبُلًا ... إِلَى الرَّشَادِ، دُعَائِي فِيكَ مَأْمُولُ
يَا رَبِّ! أَنْتَ الَّذِي أَرْجُو مَعُونَتَهُ ... فِي كُلِّ أَمْرِي رَجَائِي فِيكَ مَوْصُولُ
كَمْ دَمْعةٍ سُفِحَتْ فِي اللَّيْلِ سَارِبَةٍ ... وَكَمْ تَرَدَّدَ فِي جَنْبَيَّ تَعْلِيلُ
وَكَمْ تَنَفَّسَ صُبْحٌ مَا نَسَائِمُهُ ... إِلَّا ابْتِهَالٌ إِلَى الرَّحْمنِ مَتْبُولُ
وَمَا نِدَاهُ سِوَى دَمْعٍ أُكَفْكِفُهُ ... يا رَبِّ عَلَّ دُعَائِي مِنْكَ مَقْبُولُ
خَفْقُ القُلُوبِ دُعَاءٌ أَنْتَ تَسْمَعُهُ ... ولِلْجَوَارِحِ تَسْبِيحٌ وَتَهْلِيلُ

● **وللَّه درُّ القائلِ:**

بِوَجْهِكَ لا تُعذِّبْني فإنِّي ... أُؤَمِّل أَنْ أَفُوزَ بِخَيرِ دَارِ
وأَنتَ مُجاوِرُ الأَبرارِ فِيهَا ... ولَوْلا أَنتَ ما طابَ المزارُ(٢)

● **وَما أحلى قول الشَّاعر:**

لا تأنَسَنَّ بِمَن تُوحِشْكَ نَظرتُهُ ... فَتُمْنَعَنَّ مِنَ التَّذْكارِ فِي الظُّلَمِ
واجهَدْ وَكِدَّ وكُنْ فِي الليلِ ذَا شَجنٍ ... يَسْقيكَ كأْسَ وِدَادِ العِزِّ والكَرَمِ

(١) من ديوان: الأرض المباركة، لعدنان النحوي، (٦١، ٦٢).
(٢) في الشعر إقواء؛ وهو: اختلاف حركة الروي بكسر وضم.

● **قال الشاعـر:**

أَلَا يا عَيْنُ ويحَكِ أَسْعِدِيني   بطُولِ الدَّمْعِ فِي ظُلَمِ اللَّيالي
لعلَّكِ فِي القيامةِ أَنْ تَفوزِي   بِخَيْرِ الدَّهْر فِي تلكَ الْعَلالِي

* * *

هَجَرْتُ الْورَى فِي حبٍّ من جادَ بالنِّعَمْ

هَجَرتُ الوَرَى فِي حُبٍّ من جادَ بالنِّعمْ
وعِفْتُ الكَرَى شَوْقًا إليه فلم أَنَمْ
وموَّهْتُ دَهْرِي بالجنُونِ عَنِ الوَرَى
لأَكتمَ مَا بي مِنْ هَواه فما انْكَتمْ
فَلَمَّا رَأَيتُ الشَّوقَ وَالحبَّ بَائِحًا
كَشَفْتُ قِنَاعي ثم قُلتُ: نَعم نعمْ
فَإِنْ قِيلَ مَجْنُونٌ فقد جَنَّني الهوَى
وإِنْ قيل مِسقامٌ فما بِيَ مِن سَقَمْ
وحقِّ الهوى والحُبِّ والعهدِ بيننَا
وحُرمةِ رُوحِ الأُنسِ فِي حِندس الظُّلَمْ
لَقَد لامَني الواشُون فيك جَهَالةً
فقلتُ لِطَرْفي أَفصِحِ العُذرَ فَاحْتَشَمْ
فَبِالْحِلْمِ يَا ذَا المنِّ لا تُبعِدَنَّني
وقَرِّبْ مَزاري مِنْكَ يَا بارِئَ النَّسَمْ[1]

* * *

(١) صفة الصفوة، (٤/٥٧، ٥٩، ٢٤٩).

وَزَادِي قَلِيلٌ

وَزادي قَلِيلٌ مَا أَراهُ مُبلِّغي ... أَلِلزَّادِ أَبْكي أَم لِطُول مَسافتي
أَتَحْرقني بِالنَّارِ يا غايةَ المُنى ... فأَين رَجائي فيك أَيْنَ محبَّتي

● للهِ درُّ القائِلِ:

مَن شاوَرُوه فأَبدَى السِّرَّ مُجْتَهِدًا ... لم يَأْمَنوه عَلَى الأَسْرارِ مَا عَاشا
وَبَاعَدوهُ فلم يَسْعَدْ بِقُرْبِهُمُ ... وَأَبدَلُوهُ مِنَ الإِيناسِ إِيحاشَا
لا يصطَفُونَ مُذيعًا بعضَ سرِّهِمُ ... حاشا وِدادَهُمُ مِن ذالِكُمْ حَاشَا(١)

● وَعَنِ المحبين قال الشاعر:

وَلَهُ خَصَائِص مُصْطَفَوْن لحبِّه ... اختارهُم في سالفِ الأَزمانِ
اختارهُم من قَبل فِطرة خَلْقِهِ ... فهمُ ودَائعُ حكمةٍ وبيانِ

● ولله درُّ الشاعر:

لم يُبقِ خَوْفُك لي دَمْعًا ولا جَلَدَا ... لا شكَّ أَني بهذا ميِّتٌ كَمَدَا
عبدٌ كئيبٌ أَتَى بالعَجْزِ مُعْتَرِفًا ... وناره تَحرقُ الأَحْشاءَ والكَبِدَا
ضَاقتْ مَسَاكِنُهُ فِي الأَرضِ مَنْ وجَلٍ ... فَهَبْ لَهُ مِنْك لُطفًا إن لَقِيكَ غدَا

* * *

(١) صفة الصفوة، (٤/٢٧٦، ٣٠٢، ٣٢٤).

المُشْتاقُ

وَمُـشْـتَـاقٍ ولَـيْـسَ لـه قَـرارُ نَـفُـورٌ لـيـسَ يمـلِـكُـهُ الـعِـذارُ
قَضَى وَطَرًا به فَأَفادَ عِلْمًا فـنَـهْـمَـتُـهُ الـتَّـعَـبُّـدُ والـفِـرارُ
ألا صَبْرًا عَلَى دُنياكَ صَبْرًا فكلُّ أُمورِها فيها اعْتِبَارُ(١)

● مَا أحلى قول القائل:

فَلَا واللَّهِ ما طابَتْ حَياةٌ سِوى بالقُرْبِ مِنْ كَنَفِ الحَبِيبِ
فَلا تَخْتَرْ سِوى دارٍ لِسُعْدَى وَعَدٍّ عنِ الأَجارِعِ والكثِيبِ
ومَا لَاقَى الأَحِبَّةُ مِثْلَ بُعْدٍ تَفَتَّتُ مِنْهُ حَبَّاتُ القُلُوبِ
وَمَنْ يَعْشَقْ مُعَزَّزَةً شَرُودًا فلا يَسْأَمْ مُقَاسَاةَ الْكُرُوبِ
ودونَكَ فاسْتَبِقْ نَحْوَ الْمَعَالِي وَلا تَرْضى بِدُونٍ منْ نَصِيبِ
ولا تَقْنَعْ بِغَيْرِ الْعِزِّ مَرْقًى وَسَدِّدْ نَحْوَهُ سَهَمَ الْمُصيبِ
وَأَنْهِضْ هِمَّةً إنْ لَمْ تُثِرْهَا أَقَمْتَ بِمَوْطِنِ النَّكْسِ الكئِيبِ
ولا تَيْأَسْ وَإِنْ طَالَتْ لَيَالٍ فَكَمْ شَمسٌ بَدَتْ بَعْدَ الغُرُوبِ
ولا تَسْأَمْ مِنَ التَّدَآبِ يَوْمًا فَإِنَّ العِزَّ فِي ذَاكَ الدُّءُوبِ
وَلَا تَحْزَنْ إذَا مَا فَاتَ فَانٍ فذاكَ الفتحُ في نظَرِ الأَرِيبِ

---

(١) صفة الصفوة، (٤/٣٦٠، ٣٦٧، ٣٧٣).

ولا ترضَى بِغَيْرِ ٱللَّهِ ذُخْرًا فَنِعْمَ الرَّبُّ مِنْ مَوْلًى مُجِيبِ
ولا تشْكُو لِغَيْرِ ٱللَّهِ ضُرًّا فَلَيْسَ لِغَيْرِهِ كَشْفُ الكُرُوبِ
ولا تركَنْ لِغَيْرِ ٱللَّهِ يَوْمًا فتَقْطَعْ عنكَ نَفْحَاتِ الغُيُوبِ
فَكَمْ من كُرْبةٍ عَظُمَتْ وَجلَّتْ تَجلَّتْ فِيكَ عَنْ فَرَجٍ قَرِيبِ
ولا يَمْنَعْكَ ذنْبٌ مِنْ رَجَاءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفَّارُ الذُّنُوبِ
ولا تحزنْ إذا ما ضاقَ عَيشٌ فتُحْرَمُ رُتْبَةَ الرَّجُلِ اللَّبِيبِ
وَكَمْ لُطْفٍ خَفِيٍّ فِي كَفَافٍ وَكَمْ لِلَّهِ مِنْ سِرٍّ غَرِيبِ
وَكَمْ مِنْ مِحْنَةٍ فِي الْيُسْرِ تُرْدِي وَتَمْنَعُ عَنْكَ مَوْفُورَ النَّصِيبِ
وَلَابِسِ حُلَّةٍ لِلْوَفْرِ يَزْهُو وَيَلْهُو عَنْ مُرَاقَبَةِ الرَّقِيبِ
يُجَهِّلُهُ الْغِنَى وَصْفَ افْتِقَارٍ أَحَاطَ بِهِ فَعَجْبُكَ مِنْ عَجِيبِ
أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ فَرْدٌ فَتَخْشَى قَهْرَ عَلَّامِ الْغُيُوبِ
أَلَمْ يَخْلُقْهُ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ مُهِينٍ إِنْ يَدَعْ نَهْجَ الْأَرِيبِ
أَلَمْ يُودِعْهُ فِي الْأَرْحَامِ دَهْرًا أَلَمْ يُخْرِجْهُ مِنْ غَمِّ الْكُرُوبِ
أَلَمْ يُجْرِي لَهُ الثَّدْيَيْنِ رِزْقًا وَعَرَّفَهُ التَّنَاوُلَ لِلنَّصِيبِ
أَلَمْ يُنْعِمْ عَلَيْهِ بِمَهْدِ لُطْفٍ وَأَعْطَاهُ مَوَدَّاتِ الْقُلُوبِ
وَهَذَا الْمَهْدُ لَيْسَ لَهُ بَرَاحٌ يُسَائِرُهُ إِلَى وَقْتِ الْمَشِيبِ

وَأَسْقَطَ عَنْهُ تَكْلِيفًا وَأَمْرًا ... إِلَى أَنْ يَرْتَدِي ثَوْبَ الْأَرِيبِ(١)
فَحِينَ أَتَى الْبُلُوغُ أَتَى بَلَاغٌ ... مِنَ الرَّحْمَنِ يُنْذِرُ مِنْ قَرِيبِ
رَضِيعَ اللُّطْفِ لَا تَنْسَى وِدَادِي ... وِدَادًا كَانَ فِي غَيْبِ الْغُيُوبِ(٢)
رَبِيئَةَ فَضْلِنَا وَالْجُودِ أَسْرِعْ ... وَلَا تَجْنَحْ إِلَى مَرْأًى قَشِيبِ
لَطِيفَةَ كَوْنِنَا لَا تَنْسَ عَهْدِي ... وَيَوْمَ «أَلَسْتُ» فَاذْكُرْ يَا حَبِيبِي
وَقَدْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَثِيقًا ... وَحِفْظُ الْعَهْدِ مِنْ شِيَمِ اللَّبِيبِ
أَلَمْ أَجْعَلْكَ سِرًّا فِي وُجُودِي ... وَنُقْطَةَ دَارَةِ الْأَمْرِ الْغَرِيبِ
أَلَمْ أُظْهِرْ صِفَاتِي فِيكَ جَهْرًا ... وَأَسْتُرْ ذَاكَ بِالْأَمْرِ الْعَجِيبِ
أَلَمْ يَأْتِيكَ إِرْسَالِي وَأَمْرِي ... فَلَيْتَكَ لَوْ أَجَبْتَ لِمُسْتَجِيبِ
أَتَاكَ كَلَامُنَا لِتَجِدَّ سَيْرًا ... لِحَضْرَتِنَا وَتَعْمَلَ فِي الدُّءُوبِ
كَلَامٌ لَيْسَ يُشْبِهُهُ كَلَامٌ ... وَهَيْبَتُهُ تُقَلْقِلُ لِلْقُلُوبِ
لَطَائِفُهُ عَلَى الْأَسْرَارِ أَحْلَا ... مِنَ الْعَذْبِ الْجَنِيِّ الْمُسْتَطِيبِ
إِذَا تُلِيَتْ مَثَانِيهِ أُدِيرَتْ ... كُئُوسُ اللُّطْفِ مِنْ كَنَفِ الْحَبِيبِ
وَأَيَّةُ آيَةٍ تُلِيَتْ تَرَاهَا ... عَرُوسَ الْحُسْنِ تُجْلَى لِلَّبِيبِ
وَأَنْوَارٌ وَأَسْرَارٌ تَرَاهَا ... إِذَا أَلْقَيْتَ سَمْعَكَ مِنْ قَرِيبِ

(١) لَطَائِف المِنَن، (٢٦٨).
(٢) لَطَائِف المِنَن، (٢٦٩).

إِذَا نَادَيْتَ «كَلَّا يَا عِبَادِي» تَرَى الْأَسْرَارَ تُسْرِعُ لِلْقَرِيبِ
وَلَيْسَ إِجَابَتِي قَوْلًا وَلَكِنْ بِبَذْلِ الْجُهْدِ فِي طَوْعِ الْحَبِيبِ
وَقَدْ أَرْسَلْتَ خَيْرَ الْخَلْقِ طُرًّا لِيَمْحُوَ نُورُهُ رَيْنَ الْقُلُوبِ
أَتَى بِالْمَنْهَجِ الْمُخْتَارِ يَدْعُو إِلَى الرَّحْمَنِ بِالسِّرِّ الْغَرِيبِ
أَتَى وَالْأَرْضُ قَدْ مُلِئَتْ ظَلَامًا بِشَمْسِ هُدًى تَنَزَّهُ عَنْ غُرُوبِ
وَخَصَّصَهُ الْإِلَهُ بِكُلِّ فَضْلٍ وَأَعْطَاهُ مَوَدَّاتِ الْقُلُوبِ
وَقَالَ وَمَنْ يُطِعْ خَيْرَ الْبَرَايَا يُطِعْنِي هَكَذَا فِعْلُ الْحَبِيبِ
وَفِيمَا قَالَ لَمَّا بَايَعُوهُ فَخَارٌ بَانَ لِلْفَطِنِ الْأَرِيبِ
أَزَالَ الْكَافَ كَافٍ ذَاكَ كَافٍ وَحَسْبُكَ مِنْهُ مِنْ سِرٍّ عَجِيبِ
هُوَ السَّبَّاقُ غَايَاتِ الْمَعَالِي هُوَ الْكَشَّافُ أَزْمَاتِ الْكُرُوبِ
وَأَنَّ الْقَوْلَ يَقْصُرُ عَنْ عُلَاهُ كَفَاهُ ثَنَاءُ عَلَّامِ الْغُيُوبِ
فَصَلَّى رَبُّنَا أَبَدًا عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْغُرُوبِ
عَلَى آلِ النَّبِيِّ وَكُلِّ صَحْبٍ صَلَاةً لَا تَمَلُّ مِنَ الدُّءُوبِ

* * * * *

رحم اللَّه المحبين ورحم أيامهم

وَقَفْتُ عَلَى التَّوْبَادِ حِينَ رَأَيْتُهُ فَكَبَّرَ لِلرَّحْمَنِ حِينَ رَآنِي
فَقُلْتُ لَهُ أَيْنَ الَّذِينَ عَهِدْتُهُمْ حَوَالَيْكَ فِي أَمْنٍ وَحِفْظِ زَمَانِ
فَقَالَ مَضَوْا وَاسْتَوْدَعُونِي دِيَارَهُمْ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ

* * * *

• **قال الشاعر في كلام المحبين:**

خُذْ مِنْ كَلَامِي مَا يَلِذُّ جَنَاهُ وَيَنُمُّ كَالْمِسْكِ الْعَبِيقِ شَذَاهُ
ذِكْرَ الإِلَهِ الْزَمْ هُدِيتَ لِذِكْرِهِ فِيهِ الْقُلُوبُ تَطِيبُ وَالْأَفْوَاهُ

* * * *

مَوْلَايَ أُنْسُكَ لَمْ يَدَعْ لِي وَحْشَةً

مَنْ كَانَ فِي الْمَلَكُوتِ يَسْرِي فِكْرُهُ ... فَالْفَوْزُ بِالْحُسْنَى ثَوَابُ سَرَاهُ
سُبْحَانَ مَنْ خَرَقَ الْحِجَابَ لِعَبْدِهِ ... وَهَدَاهُ مَنْهَجَ قَصْدِهِ فَرَآهُ
سُبْحَانَ مَنْ مَلَأَ الْوُجُودَ أَدِلَّةً ... لِيَلُوحَ مَا أَخْفَى بِمَا أَبْدَاهُ
سُبْحَانَ مَنْ لَوْ لَمْ تَلُحْ أَنْوَارُهُ ... لَمْ تُعْرَفِ الْأَضْدَادُ وَالْأَشْبَاهُ
مَوْلَايَ أَنْتَ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الَّذِي ... فِي حَضْرَةِ الْمَلَكُوتِ شَاهَدْنَاهُ
مَوْلَايَ أُنْسُكَ لَمْ يَدَعْ لِي وَحْشَةً ... إِلَّا مَحَا ظُلُمَاتِهَا بِسَنَاهُ
مَوْلَايَ عَبْدُكَ لَا يَخَافُ تَعَطُّشًا ... أَيَخَافُهُ وَالْحَقُّ قَدْ رَوَّاهُ؟
مَوْلَايَ لَا آوِي لِغَيْرِكَ أَنَّهُ ... حُرِمَ الْهُدَى مَنْ لَمْ تَكُنْ مَأْوَاهُ
أَنْتَ الَّذِي خَصَّصْتَنَا بِوُجُودِنَا ... أَنْتَ الَّذِي عَرَّفْتَنَا مَعْنَاهُ
لَمْ أُفْشِ مَا أَوْدَعْتَنِيهِ فَإِنَّهُ ... مَا ذَاقَ سِرَّ الْحَقِّ مَنْ أَفْشَاهُ[1]

* * * * *

---

(١) لَطَائِف المِنَنِ، (٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦).

مَنْ فَاتَهُ مِنْكَ وَصْلٌ حَظُّهُ النَّدَمُ

مَنْ فَاتَهُ مِنْكَ وَصْلٌ حَظُّهُ النَّدَمُ وَمَنْ تَكُنْ هَمْسَهُ تَسْمُو بِهِ الْهِمَمُ
وَنَاظِرٌ فِي سِوَى مَعْنَاكَ حُقَّ لَهُ يَقْتَصُّ مِنْ جَفْنِهِ بالدَّمْعِ وَهْوَ دَمُ
وَالسَّمْعُ إِنْ جالَ فِيهِ مَنْ يُحَدِّثُهُ سِوَى حَديثِكَ أَمْسَى وَقْرُهُ الصَّمَمُ
فِي كُلِّ جارِحَةٍ عَيْنٌ أَرَاكَ بِها مِنِّي وَفي كُلِّ عُضْوٍ بالثَّناءِ فَمُ
فَإِنْ تكَلَّمْتُ لَمْ أَنْطِقْ بِغَيْرِكُمْ وَكُلُّ قَلْبِيَ مَشْغُوفٌ بِحُبِّكُمْ
أَخَذْتُمُ الرُّوحَ مِنِّي في مُلاطَفَةٍ فَلَسْتُ أَعْرِفُ غَيْرًا مُذْ عَرَفْتُكُمْ
نَسِيتُ كُلَّ طَرِيقٍ كُنْتُ أَعْرِفُها إِلَّا طَرِيقًا تُؤَدِّينِي لِرَبْعِكُمْ

* * * *

● ولله در القائل:

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ٱللَّهُ لا رَبَّ غَيْرُهُ حَبيبٌ لِقَلْبٍ غابَ عَنْ كُلِّ مَقْصِدِ
هَنِيئًا لِمَنْ قَدْ نالَ حُبَّ حَبِيبِهِ وَخاضَ بِتَرْكِ الغَيْرِ أَكْرَمَ مَوْرِدِ
نَعِيمٌ بِلا حَدٍّ لَدَيْهِ مُجدَّدٌ عَلى عَدَدِ الأَنْفَاسِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ

* * * *

أَبى الْقَلْبُ إِلَّا أَنْتَ

وَحَقِّكَ لَوْ أَفْنَيْتَ قَلْبِي صَبابَةً ... لَكُنْتَ عَلى هذا حَبِيبًا إِلَى قَلْبِي
أَزِيدُ عَلى عَذْلِ العَذولِ تَشَوُّقًا ... وَوَجْدًا عَلى وَجْدٍ وَحُبًّا إِلَى حُبِّ
أَبى القَلْبُ إِلَّا أَنْتَ فِي كُلِّ حالَةٍ ... حَبِيبًا وَلَوْ دارَتْ عَليه يَدُ الكَرْبِ
فَلا تَبْتَلِيهِ بِالبِعَادِ فَإِنَّما ... تَلَذُّ أَنْفاسِ المُحِبِّينَ بِالقُرْبِ[1]

* * *

ذِكْرُ اللَّهِ عَيْشُ الْمُحِبِّينَ

بِالقُوتِ إِحْياءُ الجُسُومِ وَذِكْرُهُ ... تَحْيَا بِهِ الأَلْبَابُ وَالأَرْوَاحُ
هوَ عَيْشُهم وَوُجودُهُمْ وَحَياتهُمْ ... حَقًّا وَرُوحُ نُفُوسِهِمْ وَالرَّاحُ

* * * * *

سَهَرُ الْعُيُونِ لِغَيْرِ وَجْهِك بَاطِلُ

سَهَرُ الْعُيُونِ لِغَيْرِ وَجْهِكَ بَاطِلُ ... وَبُكاؤُهُنَّ لِغَيْرِ فَقْدِكَ ضائِعُ
أَيُظَنُّ أَنِّي فِيكَ مُشْتَرِكُ الهَوَى ... هَيْهاتَ قَدْ جَمعَ الهَوى بِكَ جامِعُ
بَصَرِي وسَمْعي طائِعانِ وَإِنَّما ... أنا مُبْصِرٌ بِكَ فِي الحَياةِ وسَامِعُ

---

(١) إيقاظ الهمم في شعر الحكم، (٢٨٣، ٥١٥، ٣٢٥، ٤٢٥).

وما أطيب قول القائل:

سُرورِي بِكُمْ أضْحَى يَجِلُّ عَنِ الوَصْفِ
وَقُـرْبِـيَ مِـنْـكُـمْ بِـالمَوَدَّة والـعَـطْـفِ
وأَنْتُم مَعي حَيْثُ اسْتَقَلَّ بيَ الهَوَى
فَلي بِكُمُ شُغْلٌ عَنِ الدَّانِ والإِلْفِ
سُوَيْداءُ قَلْبِي أصْبَحَتْ حَرَمًا لكُمْ
تَطوفُ بها الأسْرارُ مِنْ عالمِ اللُّطْفِ
رَسائِلُ ما بَيْنَ الـمُحِبِّينَ أصْبَحَتْ
تَجِلُّ عَنِ التَّعْرِيفِ والرَّسْمِ والعُرْفِ
رسَـائِـلُ جاءَتْـنـا بِـرَيَّا جِـنَـابِـكُـمْ
عَوَارِفُ عُرْفٍ فاقَ كُلَّ شذا عَرْفِ(١)

* * *

(١) إيقاظ الهمم في شعر الحكم، (٢٨٣، ٥١٥، ٣٢٥، ٤٢٥).

سَبَحَاتُ فكرِي فِي عُلاكَ حَيَاةُ

سَبحاتُ فِكْرِي في عُلاكَ حياةُ يا مَنْ لَهُ التَّقْدِيسُ والصَّلَوَاتُ
وحُضُورُكَ الأسنَى بِعَيْنِ بَصِيرتي هُوَ مِنْ لَدُنْكَ تَفَضُّلٌ وهِبَاتُ
وتأمُّلي لِعَظِيمِ صُنْعِكَ قُدْرَةً وجَلالِ عِزِّكَ لِلقُلُوبِ حَيَاةُ
ولِيَاذُ قَلْبِي في حِمَاكَ تعوُّذًا مِنْ كلِّ زَيْغٍ قُرْبَةٌ وَنَجَاةُ
يا مَنْ تَنزَّهَ أَنْ يَكُونَ كَمِثْلِه شيءٌ تقدَّسَ وصفُهُ والذَّاتُ
يَا مَنْ لَهُ تَعنُو الوجُوهُ تَذلُّلا والخَلْقُ في مَلَكُوتِهِ إِخْبَاتُ
وجَمِيعُ ما في الكَونِ قبْضَةُ كَفِّهِ والكُلُّ في حُسْبانِهِ ذرَّاتُ
أنْتَ الْعَلِيُّ فَلَيْسَ فوْقَكَ كَائِنٌ ولَكَ الْكَمَالُ الحَقُّ والإثْبَاتُ
أنت العظِيمُ فليْسَ ملْكُكَ زائِلًا ولكَ الخلائِقُ أعْبُدٌ ودعَاةُ
أنتَ الكرِيمُ فما التَجا لَكَ سَائِلٌ فرددْتَهُ أو نَالَهُ إعْنَاتُ
رَبُّ الوجُودِ ومنْشِئُ الأكْوَانِ مِنْ عدمٍ بِـ«كُنْ» فانْدَاحَتِ الحرَكَاتُ
وتَوَاشَجَتْ بَينَ الحَيَاةِ أوَاصِرٌ وتعدَّدَتْ في كنْهِهَا النَّظَرَاتُ
ما بينَ مفتُوحِ البَصِيرَةِ مُهْتَدٍ تَدْعُوهُ لِلحَقِّ المُبِينِ عِظَاتُ
أوْ رَاكِبٌ مَتْنَ الضَّلالِ مُهَوِّمٍ سارَتْ بِهِ الأهْوَاءُ والنَّزَعَاتُ

لِلكُلِّ مِيعَادٌ يرِفُّ معَ الْهَنَا أو تَلْتَظِي في قَلْبِهِ الحسَرَاتُ

* * * * *

يا رَبُّ مَنْ أَنَا في مَطَارِحِ يَقْظَتِي ورُؤَى شَبَابِي والْحَيَاةُ سُبَاتُ؟
أمِنَ المُزُونِ الوُطْفِ كُنْهُ تَفَكُّرِي مَاءً قُرَاحًا يقْتَضِيهِ نَبَاتُ؟
ومُرَوْنَقًا مثْلَ الرَّبِيعِ نَضَارَةً وعَلَيْهِ من هَزَجِ الطُّيُورِ شِيَاتُ!
أمْ أنَّنِي بِطَبِيعَتِي وبِطِينَتِي قدْ كانَ منِّي ما عسَاهُ هنَاتُ؟
فالنَّفْسُ دَومًا في صِرَاعِ حَيَاتِهَا تجْتَاحُهَا الرَّغَبَاتُ والرَّهَبَاتُ

* * * * *

بصَّرْتَنَا نَحْنُ العبادَ بِدَرْبِنَا وجَزَاؤُنَا إِنْ نَهْتَدِ الْجَنَّاتُ
فالخيِّرونَ إِلَى نِدَائِكَ أَسْرَعُوا لم يُعْمِهِمْ طمَعٌ ولا شَهَوَاتُ
وذَوُو الضَّلالَةِ أدلَجُوا في غَيِّهِمْ لَمْ تُثْنِهِمْ عَنْ غَيِّهِمْ مَثُلاتُ
رُحْمَاكَ رَبِّي فالْحَيَاةُ ذَمِيمَةٌ وأَذَمُّ مِنْهَا أنْ يَعِزَّ جُنَاةُ

* * * * *

عفوًا إلهي إِنْ أَتَيْتُكَ رَاجِيًا وأنا الَّذِي بِذُنُوبِهِ يَقْتَاتُ
غُفْرَانُ ذَنْبِي والذُّنُوبُ كَثِيرَةٌ أَنْتَ الْغَفُورُ إِذَا أَتَاكَ عُصَاةُ(١)

(١) لعبد الله بن عبد العزيز بن إدريس، كتاب: من الشعر الإسلامي الحديث، (٥٦، ٦٦).

ما أرق قول القائل:

بلَانِي الحُبُّ فِيكَ بِمَا بَلَانِي ... فَشَأْنِي أن تُفِيضَ غُرُوبَ شَانِي
أَبِيتُ اللَّيْلَ مُرْتَفِقًا أُنَاجِي ... بِصِدْقِ الوَجْدِ كاذِبَةَ الأَمَانِي
فتَشْهَدُ لي عَلَى الأَرَقِ الثُّرَيَّا ... ويَعْلَمُ ما أجِنُّ الفَرْقَدَانِ
فيَا وَلَعَ العَوَاذِلِ خَلِّ عَنِّي ... ويَا كَفَّ الْغَرَامِ خُذِي عِنَانِي

* * * * *

من كَانَ يخْشَى اللَّهَ

من كَانَ يخْشَى اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ ... فلْيُكْثِرِ العَبَرَاتِ فِي الخَلَوَاتِ
فلَعَلَّهُ بَعْدَ التَّذَكُّرِ والبُكَا ... بُدِلَتْ لَهُ العَبَرَاتُ بالْحَسَنَاتِ
وتُخَفَّفُ الأَوْزَارُ عَنْ مَنْشُورِهِ ... يوْمَ الحِسَابِ ومَوْقِفِ الحَسَرَاتِ(١)

للَّهِ أجْفَانُ عَينٍ فِيكَ سَاهِرَةٌ

للَّهِ أَجْفَانُ عَينٍ فِيكَ سَاهِرَةٌ ... شَوقًا إِلَيْكَ وقَلْبٌ بالغَرَامِ شَجِ

* * *

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين، (٧١١).

هُمُ الرِّجَالُ

أرواحُهُمْ خشَعَتْ لِلَّه في أدَبٍ   قلوبُهُمْ مِنْ جَلالِ اللَّهِ في وَجلِ
نجْواهُمُ: رَبَّنَا جِئْنَاكَ طَائِعَةً   نُفُوسُنَا وعَصَيْنَا خَادِعَ الأَمَلِ
إذا سَجَى اللَّيْلُ قَامُوهُ وأَعْيُنُهُمْ   مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ مِثْلُ الجَائِدِ الهَطِلِ
هُمُ الرِّجَالُ فلَا يُلْهِيهُمُ لَعِبٌ   عَنِ الصَّلَاةِ ولا أُكْذُوبَةُ الكَسَلِ[1]

* * * *

(١) رقائق، (٧١).

إنِّي فَزِعْتُ إلَيْكَ فَارْحَمْ عَبْرَتِي

ذَكَرَ الوَعِيدَ فَطَرفُهُ لا يَهْجعُ وجَفَا الرُّقادَ فَبَانَ مِنْهُ المِضْجَعُ
لَمَّا تَيَقَّنَ صِدْقَ ما جَاءتْ بِهِ الآيَـــاتُ صَادَ إِلَى الإنابةِ يُسرِعُ
فجَفَا الأَحِبَّةَ فِي مَحَبَّةِ رَبِّهِ وسَمَا إِليْهِ بِهِمَّةٍ ما يُقْلِعُ
وتمتَّعتْ بِوِدَادِهِ أعْضَاؤُهُ إِذْ خَصَّهَا مِنْهُ بِودٍ يَنْفَعُ
كَمْ فِي الظَّلَامِ لَهُ إِذَا نَامَ الْوَرَى مِنْ زَفْرَةٍ فِي إِثْرِهَا يَتَوَجَّعُ
ويقُولُ فِي دَعَوَاتِهِ: يا سَيِّدِي أَلْعَيْنُ يُسعِدُهَا دُمُوعٌ رُجَّعُ
إِنِّي فَزِعتُ إِلَيْكَ فَارْحَمْ عَبْرَتِي وإليكَ مِنْ ذُلِّ الخَطِيئَةِ أَفْزَعُ
مَنْ ذَا سِوَاكَ يُجِيرُنِي مِنْ ذِلَّتِي يَا مَنْ لِعِزَّتِهِ أَذِلُّ وأَخْضَعُ
فامْنُنْ علَيَّ بِتَوْبَةٍ أحْيَا بِهَا إِنِّي بِمَا اجْتَرَأَتْ يَدَايَ مُرَوَّعُ
قَلَّ التَّصَبُّرُ عَنْكَ يا مَنْ حُبُّهُ فِي الجَارِحَاتِ سِقَامُهُ بي يُسْرِعُ

مُتَيَّمٌ فِي حُبِّهِ

كَيْفَ اصْطِبَارُ مُتَيَّمٍ فِي حُبِّهِ قِدَمًا لِكَاسَاتِ الْهَوَى يَتَجَرَّعُ
لَاحَتْ وَعَنْ صِدْقِ المَحَبَّةِ مَا بَدَتْ لِلنَّاظِرِينَ نُجُومُ لَيْلٍ تَطْلُعُ(١)

(١) بحر الدموع، لابن الجوزي، (٤٣١).

عَجَبًا أن تَرَى مَعَ الخَوْفِ أَمْنًا

عَجَبًا أن تَرَى مَعَ الخَوْفِ أَمْنًا ومَعَ اللَّيْلِ شُعْلَةً مِنْ يَقينِ
ما قَسا قَلْبُهُ ولَكِنْ لَدْيهِ دَمْعَةٌ لم تَجِفَّ بَيْنَ الجُفُونِ
خَشْيَةٌ في الفُؤادِ تَعْصِرُ دَمْعًا ذَوَّبَتْهُ عَلَى مَطَافِ الحَنِينِ
رَقَّ في خَشْيَةٍ فَفَاضتْ عَلَيهِ رَحْمَةُ اللَّهِ في حِمًى مَأْمُونِ
كُلَّمَا أَقْبَلَ الدُّجَى وطَوَاهُ أشْرَقَتْ مِنْهُ سَجْدَةٌ مِنْ جَبِينِ
في خُشُوعِ الدُّجَى عَرَفْتُكَ يَا رَبُّ وفي نَجْمِهِ وفَيْضِ السُّكُونِ
جَلَّ في صَمْتِهِ فَكَانَ بَيانًا في قُلوبٍ وعَتْهُ أو في جُفُونِ
هَدَأَ النَّاسُ غَيْرَ قَلْبِ شَجِيٍّ هَبَّ مِنْ لَهْفَةٍ وَشَوْقٍ دَفِينِ
مَدَّ كَفَّيْهِ في ثَنَايَا اللَّيَالِي رَعَشاتِ مُبَلَّلاتِ الحَنِينِ
وَهَبَتْ للنُّجُومِ رَعْشَةَ شَوقٍ وأَعَادَتْ لها انْفِلاتَ الشُّجُونِ
في شُعَاعٍ يموجُ بَيْنَ ثَنَايَاهُ دَفِيقٌ من الدُّعَاءِ الحَزِينِ[1]

* * * * * *

(١) من قصيدة: موكب النور، من ديوان: موكب النور، للدكتور/ عدنان النحوي، (٥٥ ـ ٥٨).

هَبَّ من لَيْلِهِ جَفَتْهُ الْمَضَاجِعْ

هَبَّ من لَيْلِهِ جَفَتْهُ الْمَضَاجِعْ
وَدَعَاهُ نِداءُ قَلْبٍ خَاشِعْ
وَطَيُوفٌ عَلَى الجُفُونِ الدَّوامِعْ
رَعَشاتٌ مِنَ الأَكُفِّ الضَّوارِعْ

* * * * *

قَدْ صَفَا القَلْبُ مَا رَأَى فيه حِقْدَا
وخَلَا مِنْ هَوًى وَأَقْبَلَ زُهْدَا
تَرَكَ النَّاسَ كَيْ يَرَى ما أَعَدَّا
لِيَرَى نَفْسَهُ رَأَى الأَمْرَ جِدَّا

* * * * *

غَنِيَتْ أَنْفُسٌ وَلَانَتْ قُلُوبُ
ودُعاءٌ مَعَ الضُّلُوعِ يَذُوبُ
وأَكُفٌّ تَمُوجُ دَمْعٌ وَجِيبُ
وَطُيُوفٌ تَلُمُّهُنَّ الغُيُوبُ

* * * * * *

رَبَّنَا ... سَبَّحَتْ لَكَ الْفَلَوَاتُ

وأقَاصِي الأَعْمَاقِ وَالظُّلُمَاتُ

والحَصَى والرِّمَالُ والرَّبَوَاتُ

ورَفِيفُ الْغُصُونِ والزَّهَرَاتُ

ونداءُ الطُّيُورِ والوَكَنَاتُ

وَهَدِيلُ الحَمَامِ والْهَمَسَاتُ

وَرَفِيفُ الضَّمِيرِ والنَّظَرَاتُ

مَوْكِبٌ رَفْرَفَتْ بِهِ الآيَاتُ

* * * * *

وَمَضَى اللَّيْلُ فِي صَدَى دَعَوَاتِهْ

والنُّجُومُ الزَّهْرَاءُ رَعْشَةُ ذَاتِهْ

ونَسِيمٌ غَفَا عَلَى عَبَراتِهْ

وصَحَا يَنْثُرُ النَّدَى فِي رُبَاتِهْ

* * * * *

تَلْمَسُ الأُفْقَ فِي هَوًى وحَنِينِ

يُـوقِـظُ الـنُّـورَ مِـنْ مَـرَاقِـدِ لِـينِ
يُـوقِـظُ الـعِـطْـرَ فِـي مَـرَابِـعِ غِـينْ

* * * * *

مَوْكِبُ الفَجْرِ فَضَّ مِنْ ألْحَانِهْ
رَجَّـعَـتْـهَـا الـرُّبَـى شَـذَا ألْـوَانِـهْ
حَـائِـرَاتٍ تَـعَـثَّـرتْ بِـجِـنَـانِـهْ
فَـإِذا هُـنَّ عَـبْـقَـرِيٌّ بَـيَـانِـهْ(١)

* * * * *

ولله در القائل:

أَلُـوذُ بِـبَـابِ مَـنْ أَدْعُـوهُ فَـرْدًا وآمُلُ أَنْ أُقَرَّبَ مِنْ حَبِيبِي
إذا نَـامَـتْ عُـيُـونُ النَّـاسِ طُـرًّا قَرَعْتُ البَابَ بِالقَلْبِ الكَئِيبِ

* * * * *

سبحانك أنت أنت، سبحانك قدَّستك ألسن التماديح، وأفواه التسابيح

(١) للشاعر: عدنان النحوي.

رحلة في موكب الجلال

للدكتور ناصر بن مسفر الزهراني
حفظه الله

المقدمة:

هذه معلقة ربانية، ومديحة إلهية، وومضات إيمانية، ولقد كانت أمنيتي أن أعطر لساني بشيء من الثناء عليه، وأضمخ بياني بعبير من عبق الانكسار بين يديه، وأتوِّج شعري بيسير من المدح فيه؛ فهو نور الحياة، وضياء الوجود، ومعنى البيان، وفخر القوافي، وذكره عطر القصائد، وعنوان المحامد.

آمل أنني قد حزت قصب السبق، وأن يكون لي في مدحه لسان صدق؛ فهذه رسالة صادقة من قلب محب إلى حبيب العارفين، وأنيس المستوحشين، ورب العالمين، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء: ٧٨ - ٨٥].

قرِّبوا ريشتي وهاتوا دواتي   واتركوني من التي واللواتي
لم يعد في فؤاد مثلي مكانٌ   للتغني بالحب والغانيات
كم تأملت من أعاجيب حُبٍّ   وغرامٍ في الأعْصُر الخاليات
لأناس ذابوا هُيامًا وشوقًا   وافتتانًا بروعة الفاتنات

كم فؤادٍ بلوعة الحب يُكوى | وصريعٍ للأعين القاتلات
فإذا بالغرام يغدو حديثًا | والمُحِبُّون كومةً من رفات
قصص في مجالس الأنس تُروى | ثم تُلقى في حيِّز المهملات
فتعاليت عن غرامٍ بئيس | دنيويٍّ مآله لانبتات
وسقيت الفؤاد من نهر حُبٍّ | يوقظ القلب من عميق السُّبات
كم شفى الحبُّ غلَّة من نفوس | وسقاها من سلسبيلِ فُرات
فاستمع يا زمان هذا مُحب | سوف يتلو أنشودة للرُّواة
يا خلايا الفؤاد يا كل نبضٍ | هات ما عندكم من الحب هاتِ
حَدِّثِينَا عن الهوى حَدِّثِينَا | وأبيني بأصدق البينات
أشعلي جذوة الهوى في نفوس | عن مراقي سعودها لاهيات
هذه نفحة من الطهر تسري | في فضاء يعج بالمغريات
ضَجَّ هذا الفضاء مما دهاه | من جحيم الآثام والمنكرات
وإذا بُثَّ في البرايا خطايا | جاءك البثُّ عابقًا من قناتي
هذه باقة من الورد نشوى | من أزاهير قلبي العاطرات
هذه قصة من الحب تُتْلَى | في حروف فتَّانة ساحرات
ومعان الجوى بمحراب روحي | ذاكرات لربها ساجدات

هذه غرفة من الحب تسقي بـرواهـا ضـمـائـرًا صـاديـات
هـذه نـسـمـة شـذاهـا تجـلـى في سماء الهوى بمسكٍ فتات
وسُلاف البيان يحلو مذاقًا لـقـلـوب شـفـافـةٍ مـرهـفـات
بِعثُ ذاتي على حبيب قريب من فؤادي ومنه حبي وذاتي
تـاه لُبِّي وذاب قـلـبي لـربي فهو حبي وسَلوتي في حياتي
ولـه كـل ذرَّة في كـيـانـي ومماتي ومنسكي وصلاتي
يا مرادي هَذِي ترانيم حب من فيوض المشاعر الخاشعات
أنت أهل الثناء والمجد فامنن بـجـمـيـل مـن الـثـنـاء المُوَاتـي
مـا ثـنـائـي عـلـيـك إلا امتنان ومـثـال لـلأنـعـم الـفـائـضـات
يـا مـحـب الـثـنـاء والمدح إِني من حيائي خواطري في شتات
ذابت النفس هيبةً واحترامًا وتأبَّتْ عن بلع ريقي لهاتي
حـبنا وامـتـداحـنـا لـيـس إلا ومضة منك يا عظيم الهبات
لو نظمنا قلائدًا من جمانٍ ومـعـانٍ خـلابـةٍ بـالمئـات
لو برينا الأشجار أقلام شكرٍ بمـداد مـن دجـلـةٍ والـفـرات
لـو نـقـشـنـا ثـنـاءنـا مـن دمـانـا أو بـذلـنـا أرواحـنـا الـغـالـيـات
لـو نُـشِـرْنـا في ذاتـه أو رُمـيـنـا بـرمَـاح فـتَّـاكـةٍ مـشـرعـات

أو جهدنا نفوسنا في قيامٍ وصيامٍ حتى غدت ذاويات
أو مزجنا نهارنا بدجانا في صلاةٍ وألسن ذاكرات
أو قطعنا مفاوزًا من لهيبٍ ومشينا بأرجل حافيات
أو سجدنا على شظايا رصاص أو زحفنا زحفًا على المرمضات
أو بكينا دمًا وفاضت عيون بلهيب المدامع الحارقات
ما أبَنَّا عن همسة من معانٍ في حنايا نفوسنا ماكنات
أو أتينا لِذرَّة من جلالٍ أو شكرنا آلاءك الغامرات
أي شيءٍ يقوله الشعر لما يتغنى بخالق الكائنات
ما نسجناه من بيان بديع ليس إلا خواطرًا قاصرات
هُدِيَ الشعرُ لاقتناص المعاني إنما الطيبون للطيبات
أي شيء أَتْقَى وَأَنْقَى وَأَرْقَى من حروف بمدحه مُترعات
فالقُ الحب والنوى جَلَّ شانًا وضياء الدجى ونور السُّرَاة
قابض باسط معزٌّ مذلٌّ لم يزل مُرْغِمًا أنوفَ الطغاة
شافع واسع حكيم عليم بالنوايا والغيب والخاطرات
خافضٌ رافعٌ بصير سميع لدبيبٍ للنمل فوق الحصاة
يهتف العابدون من كل جنس وبلادٍ على اختلاف اللغات

لم يغب عنه همسة أو هتاف ... للمنادين من جميع الفئات
نـافـعٌ مـانـعٌ قـوي شـديـدٌ ... قاصم ظهر كلِّ باغٍ وعات
كـم تَـأَلَّى ذوو عـنـادٍ وكـفـرٍ ... فاستحالت عروشهم خاويات
كم أتى بطشه فأردى شعوبًا ... لاهـيـات في دورهـا آمـنـات
ظاهرٌ باطنٌ حسيبٌ رقيبٌ ... ليس يخفى عليه مثل القذاة
أوَّلٌ آخـرٌ عـلـيٌّ غـنـيٌّ ... كيف نحصي آلاءه الوافرات
بـاعـثٌ وارثٌ كـفـيـل وكـيـل ... وأمـان لـلأنـفـس الخائـفـات
وجميلٌ جَمَالُه فَاضَ طهرًا ... وصـفـاءً يـرف بـالمُبْدَعـات
بارئ حافظٌ حميدٌ مجيدٌ ... فارج الْهَمِّ كاشف المعضلات
الـولـيُّ المتـين مـا خَـابَ ظـنٌّ ... لنفوس في فضله طامعات
مؤمنٌ محسنٌ شكورٌ صبورٌ ... لـلأذى والجحـود والافـتـئـات
خـالـقٌ رازقٌ سـمـيع مـجـيـب ... ويـداه تـفـيـض بـالأعـطـيـات
السلام القدوس كم من فيوضٍ ... نَـتَـفَـيَّـا ظـلالـهـا الـوارفـات
ولـه الـكـبـريـاء هـل مـن ولـيٍّ ... غـيـره قـد أبـاد كـلَّ الـولاة
مستوٍ فوق عرشه في علوٍّ ... وقـريـبٌ بـجـوده لـلـعُـفـاة
ليس شيء كمثله فَهْو ربٌّ ... من يضاهيه في صفات وذات

ما أتى من صفاته فَهْو حقٌّ وكمال برغم أنف النُّفاةِ
إِنه الواحد الذي لا يُضَاهى في معاني أسمائه والصفات
ناصرٌ قادرٌ على كل شيء وهُو حَيٌّ منزه عن سبات
قاهرٌ غالبٌ قويٌّ عزيزٌ ونصير للمهتدين الهداة
غافرٌ راحمٌ حليمٌ تجلَّى حلمه في عطائه للجُناة
تتألَّى عليه بعض البرايا وتراها في فضله راتعات
مرسل البرق منزل الغيث صفوًا وهْو محيي العظام بعد الفتات
صمد تصمد البرايا إِليه وأنيس الضمائر الموحشات
المليك القدير ذو الطول بُشرى لمحبي توحيده بالعِدات
ما أتوا كاهنًا ولم يستغيثوا بقبور مطمورةٍ في الكفات
قَصْدُهم أو دعاؤهم ليس إِلا للكريم العظيم ذي المقدرات
تلك فحوى العقيدة الحق تُتْلى بوضوحٍ في كُتْبِه المُنْزلات
يا نبي الهدى ويا خير صوت حين يُتلى مُتَيِّمًا لِلْحُداة
يا محبًّا تعلَّم الحبُّ منه ثم آتى ثمارَه الناضجات
ما رأينا في دفتر المجد أسمى منك حبًّا برغم كيد الوشاة
صُغْتَ للدهر قصة من نضالٍ وفعالٍ أبية ذائعات

وحروفٍ منسوجةٍ من ضياءٍ ما تُوارى عن شاشة الذاكرات:
لو رميتم مفاتح الأرض عندي وأتيتم بالشمس والمقمرات
ليس في شِرْعة الهوى من نكوصٍ أو عهودٍ مأجورة مُشتراة
والأمورُ الصِّعاب تبدو لِعَيْنيْ في رضى من أُحِبُّه هَيِّنات
فإذا أظلم الدجى قام يدعو ويناجي بأدمع واكفات:
يا إلهي إن كنتَ راضٍ فإني لا أبالي بما أتو من أذاتي
ومضى ثابت الخطى لا يبالي بالتحدي والمكر والشائعات
أورق الحبُّ والرضى في قلوب بَثَّ فيها معنى التقى والأنَاة
(أُحُدٌ) و(الأحزاب) و(الفتح) تروي أروع الحب لِلأُبَاة الكُمَاة
بسيوفٍ غيورة صارمات وخيول إلى الوغى ضابحات
كم رءوس تَعجَّب الموتُ منها ودماءٍ منثورة عابقات
أمهر الحبَّ جعفرٌ وخُبيبٌ بنفوس من أجله زاهقات
يُبتلى آل ياسر ثم تُهدى للمنايا (سُمَيَّة) الساميات
ضَمَّخت سِكة الهوى للصبايا بعبير من هِمَّة القانتات
إنها درَّةٌ بعِقدٍ مضيءٍ يتحلى بالكُمَّل المحصناتِ
وبلال في وَقْدَة الرمل يُلْقى لينادي بـ (لاتهم) أو (مَنَاة)

كلما أمعنوا عذابًا ينادي: (أَحَدٌ) لم تُطق سواها شفاتي
و(أبو جابر) يُنادى كفاحًا ويُمَنَّى بأحسن الأمنيات
و(حَبيبٌ) يُبَضَّع الجسم حَيًّا بسيوف غدَّارة خائنات
لم يَلِنْ عزمُه وما صاغ حرفًا من خضوعٍ أو ذلةٍ لِلْغُواة
سَطَّروا قصة الهوى بحروف سوف تبقى عن البلى خالدات
هكذا الحب لوعة وامتثال واشتياق يُصاغ في تضحيات
مبدع الكون يا لها من عقول عن تملِّي آياته ذاهلات
واسع الفضل كيف تُرجى نجاةٌ لنفوسٍ عن هديه معرضات
هائماتٍ في غفلةٍ عن هداه غارقاتٍ في حمأة الموبقات
وقلوبٍ كئيبة كيف تسلو وَهْيَ من فيض حبه مقفرات
كيف يسري معنى الرضى في نفوس من شذى طيف أنسه خاليات
كم بهذا الوجود مما نراه من صنوفٍ بفضله شاهدات
لو تأملت صفحة الكون مما بثَّ فيه من رائع المعجزات
أرسِلِ الفكرَ في فضاءٍ بعيد وسماءٍ تَعُجُّ بالنَّيِّرات
هل رأيت السماء والشمس تزهو في ضحاها والبدر في الحالكات
هل تأملت منظر النجم لما يسحر العين في دجى المظلمات

كلـهـا الأرض والمجرات تبـدو عند ربي كَحَلْقة في فلاة
هل تأملت روعة الروض لما يـتـبـدى بـأروع المزهـرات
مـن غـصـون ريَّـانـة وورود وفـروع زكـيـة مـثـمـرات
وخـريـر المياه يُـبـدي لحونًـا يتهادى بين الربى والنبات
وغناءً يسري إلى كل قلب لـطـيـور صـدَّاحـة شـاديـات
ورُخـاءً مـأمـورةً مـن ريـاح حين تمضي إلى الربى لاقحات
كم ترى من حدائق مفعماتٍ بـغـصـون قـطـوفـهـا دانـيـات
وحـقـول جـمـيـلـة لحبـوب تتجلى في أبدع السنبلات
هـل تـأمـلـت أنـهـرًا وبـحـورًا كم بها من عوالم سابحات
هـذه الـفـلـك آية هـل تـراهـا وهْي تفري عبابه ماخرات
مـنـظـر مـذهـل فـلـول الـبـرايـا تمتطيه بأضخم الباخرات
رابط الجأش كم طوى في حشاه من ضحايا أمواجه العاتيات
لم تـغـيِّـرْه حـادثـات الـلـيـالـي والـبـرايـا مـا بـين غـاد وآت
هل تأملت أمة النحل تغدو لعبير من الشذى راشفات
ثم تُهدي بطونُها من رضابٍ وشـفـاءٍ لأنـفـس مـزمـنـات
في بـنـاءٍ مُـعَـقَّـدٍ هـنـدسـيٍّ يتحدى خوارق الهندسات

هل تأملت عالم النمل فيه روعة في فلوله المنشَرات
في نظام ودقة لا تبارى وتفان في الكسب والاقتيات
ليس للخامل الكسول احترام في قوانين عيشها الصارمات
وألوفٌ من الخلائق تمضي في دروب مرسومة واضحات
من فراش وزاحفٍ وطيور وأليف يُقنى ومن كاسرات
وإذا جفت العيون السواقي واستحالت رياضنا مجدبات
وبدا وجه أرضنا مكفهرًّا قابلتك الغيوم بالبشريات
فإذا بالمغيث يزجي سحابًا ويفيض الثجّاجُ من معصرات
تكتسي الأرض حُلَّة من نضارٍ في وجوه وضاءةٍ مبهجات
لو تأملت أبدع الصنع فيما بين جنبيك من بديع العظات
من فؤاد ومنطق واعتدال والنهى والدلائل الباهرات
والبلايينِ من خلاياك تمضي والكُرَيَّاتِ أضخمِ الناقلات
لو تأملت في كتاب كريم في معاني آياته المحكمات
في الضحى والأنعام والنحل فَيْضٌ من ضياءٍ والنور والذاريات
من يعيد الرِّوَاء للأرض لما يطمس الجدبُ أوجهًا ضاحكات
من يعافي المريض من بعد سُقْمٍ وقنوطٍ من طِبٍّ مستشفيات

من يبثُّ السرور في كل بيتٍ بالبنين الأطهار أو بالبنات
من يسلي النفوس بالصبر لما تُبتلى بالنوازل القاصمات
من يغيث القلوب مما دهاها من هموم بئيسة جاثمات
من يواري عيوبنا من حبانا بستورٍ من سِتْره مُسْدلات
من هدى العقل لاكتشاف بديع لعلوم عجيبة مذهلات
كلما زادت العقول اكتشافًا وابتكارًا تتيه في المهمهات
علمها واكتشافها ليس إلا قطرةً من بحوره الزاخرات
إن في ساحة العلوم اهتداءً ودليلًا للأنفس الحائرات
كم هدينا بفضله لعلوم بمزايا توحيده هاتفات
إن في مسرح الحياة اعتبارًا في ثنايا آياتها الماثلات
يا جهولًا بربه يا غفولًا عن صريح الآيات والبينات
كم ترى في حياتنا من فنون ورسوم خلابة هائمات
أين عيناك عن تملِّي جمال في أفانين فضله الناطقات
في جمال الأكوان في كل همس في بديع المسموع والمُبْصَرَات
في شروق للشمس أو في غروب في نجوم مطلةٍ آفلات
في انبلاج الصباح في هدأة الليل في لحون الشُّداة

في سحاب مسخر في غمام ... في بروق براقة ضاحكات
في سكون الصحراء في رسـ ... ـمة الوادي وفي ذرى الراسيات
في هتاف الطيور من كل فن ... في غناء الحمائم الساجعات
في الشذى في الندى في الورود في ... بسمة الفجر في سكون البيات
في الربا في الضحى في الأنهار في ... طلعة البدر في الزواهر الحالمات
في التقاء البحرين ملحًا أجاجًا ... ليس يبغي على الزلال الفرات
في رحيق الأزهار في نفحة العـ ... ـطر في رياضها الناضرات
في دلال المِلاح في رِقَّـ ... ـة الحُبِّ في المحاجر الآسرات
في قدود فتَّانة في خدودٍ ... في ثغور وضَّاءة باسمات
في جمال الغزال في جفـ ... ـلة الظبْي في عيون المهاة
في اختيال الطاووس في عا ... لم البحر في علوِّ البزاةِ
في هدير الجِمال في سطـ ... ـوة الأسْد في انطلاقة الصافنات
في خفاء الأرواح في قِصْـ ... ـصَةِ النوم في حديثنا والسكات
في بديع الألوان في نغمـ ... ـة الصوت في قلوبنا الخافقات
في اختلاف الأذواق في بسـ ... ـمة المرء في دموعه الذارفات
في صنوف الأرزاق من كل طعم ... في فيوضات جوده المغدقات
في مذاق الثمار في با ... سق النخل في الجنى في النواة

إنه اللّه سلوةً وضياءً في سماء العبَّاد والعابدات
عد إلى ظلة الظليل التماسًا للندى والرضى وحسن الصِّلاة
حيث يكسوك حُلَّة من حنان وأمان في هجمة العاديات
وترنم بذكره فهو غرس سوف تجني ثماره اليانعات
إنَّ صِدْقَ المحب يبدو جليًّا في عيون بالدمع مغرورقات
وامتثالًا لأمره واحترامًا لمواثيق حبه المُبْرَمات
وقيامًا بحقه من صلاة وصيام ومنسك وزكاة
هذه همستي إلى كل قلب عاشق للرضى وَهَذِي وَصَاتي
ونداءٌ مضمَّخٌ بعبير لأناس يَسْتَرْوِحون العظات
فاعمر الوقت بالتراتيل وانصب تحت جنح الدجى وحين الغداة
واغنم العمر فالمنايا خفايا كم دهى الخطب أنفسًا غافلات
ليس تُغْنيك توبة أو بكاء حين تُمنى بهجمة النازعات
إنه موعد وما عنه مأوى لو سكنت البروج والناطحات
أين أهل السلطان والجاه ممن تاه فخرًا في الأعصر الماضيات
أَوَلَمْ يفتك الردى بقصورٍ وديارٍ بأهلها آهلات
كدَّر الموت صفوهم ثم بادوا وتجلت رسومهم دارسات

أيـن مَـن غـرَّه جـمـال ومـال   من كبار السادات والسيدات
سكنوا باطن الثرى بعد عزٍّ   في ظلال المنازل الشامخات
أكل الترب حسنهم وتمشى الـ   ـدُّود يرعى في أعظم باليات
إن في سرعة الزمان اعتبارًا   كيف تمضي أيامه خاطفات
فـلـتـبـادر إلـى اغـتـنام الـلـيـالـي   ولحوق بالركب قبل الفوات
حين تمضي إلى إله عظيم   وعـلـيـم بـالجهـر والخافيات
جامع الناس في مقام رهيب   ومعيد العظام بعد الشتات
في مـقـام تـكـون فيه الـبـرايـا   خاضعات لـربها مهطعات
فيه تجثو قوافل الناس خوفًا   ويـحـل الـذهـول بالمرضعات
لـو رأيـت الأبـنـاء ولَّـوا فِـرارًا   عـن نـداء الآبـاء والأمـهـات
هـلـعٌ يمطر الورى فاستكانوا   في وجيفٍ وأعين شاخصات
وبـكـاءٍ وحـرقـةٍ ثـم يـدنـو   كوكب الشمس من حفاةٍ عراة
لـيـس لـلـمـرء مـلـجـأ فيه إلا   بمزايا أعـمـالـه الـصـالحات
ولمن واجـهـوا فـلـول الخطـايـا   بدروع من التقى سابغات
ودعـاةٍ لـهـديـه في الـبـرايـا   بـقـلـوب رفيقـةٍ راحـمـات
يـقـطـف المؤمـنـون أزهـار أمـن   ويـرون الـبـشـائـر المرضيـات

حـورُ عـينٍ وسـنـدسٌ وثـمـارٌ وفيوض مـن أنـهـر جـاريـات
في نعيم لا ينقضي ومزيدٍ لـوجـوه لـربـهـا نـاظـرات
يـا إلـهـي إني مـقـرٌّ بـذنـبـي وخـطـايـا جـوارح مـسـرفـات
ما جهلت المقام أو كان قلبي مشرئبًّا إلى دروب العصاة
ضَعْفُ نفسي وحسن ظني بربي جرَّني للقصور في واجباتي
يـا رحـيـمًـا بـعـبـده يـا عـفـوًّا يا مـحـل الآمال والمكرمات
يـا إلـهـي ومـن إلـيـه اتجـاهـي يا ربيع الأفكار والذكريات
رضِّني بالقضاء وامنن بفضل وببردٍ للعيش بعد الوفاة
يا منى خاطري وسلوى فؤادي ليس إلا إلى رضاك التفاتي
منك حولي وقوتي واتكالي يا نصيري فلا تكلني لذاتي
جُدْ على عبدك المُرَجِّيْ نوالًا من عطايا آلائك المشرقات
واهد قلبي يا خالقي وارض عني فالرضى منك منتهى الأمنيات
يَقْصُر اللفظ عن بيان لحِبٍّ ومعان في مهجتي مُضْمَرات
أنت ألبستني من الفضل ثوبًا بل ثيابًا فضفاضةً ضافيات
يا غياث الملهوف من كل كرب يا معينًا للمرء في المعضلات
لا تـدعـنـي لحـادثـات الـلـيـالي وأجرني مما به الغيب آتِ

وقني من لهيب نار تلظى بسياج من التقى والثبات
يا جوادًا بلطفه يا عفوًّا لرزايا كبائرٍ أو هَنات
يا ملاذًا تهفو البرايا إليه والمرجَّى لِفَكِّ أَسْرِ العُناةِ
امح عني صحائفًا من ذنوب واعف عني يا غافر السيئات
فاقتراف الذنوب عنوان ضعفي والتمادي في غَيِّها من سماتي
يا أنيسي وعُدتي واعتمادي وملاذي في ظلمة النائبات
وسروري وبهجتي ورجائي وضيائي في مُدلجِ الحالكات
هذه لوعتي وَهَذِي دموعي واشتياقي وقصتي وشِكَاتي
أبتغيها ذخرًا ليوم عظيم يا إِلهي لعل فيها نجاتي
وصلاةً زكية وسلامًا للنبي الكريم خير الدعاة

مُحِبٌّ نفىٰ ما التَذَّ مِنْ غَمْضِهِ الفِكْرُ

محبٌّ نَفَى ما الْتَذَّ من غمْضِهِ الفِكْرُ ... فأَعْقَبَهُ ضُرًّا وأنْهكَهُ الضُّرُّ
وباتَ يُرَاعِي أنجُمًا بعْدَ أنْجُمٍ ... ويُرْعِدُ مِنْ خَوفٍ إِلَى أَنْ بَدَا الفَجْرُ
ويَخْدُمُ مَولاهُ بأَلْطَفِ خِدْمَةٍ ... ويُسْعِدُهُ فِي حُسْنِ خدمَتِهِ الصَّبْرُ
بِهِ وَبِمَنْ سَاوَاهُ فِي الزُّهْدِ والتُّقَى ... إِذَا الجَدْبُ عَمَّ الأَرْضَ يُسْتَنْزَلُ الْقَطْرُ
مُحِبٌّ خَلا بالْحُبِّ خِلْوَةَ واجِدٍ ... خَلَا بِحَبِيبٍ والظَّلَامُ لَهُ سِتْرُ
يَقُولُ بَذَلْتُ الحُبَّ يا مُنْتَهَى الْمُنَى ... ويا نُورَ قَلْبِي أَنْتَ لي سَيِّدِي ذُخْرُ
فلا تُخْزِنِي يَا رَبُّ وارْحَمْ تَضَرُّعِي ... فقدْ - وَعَظِيمِ الْعَفْوِ - أَثْقَلَنِي الْوِزْرُ
وَقَدْ خِفْتُ مِنْ يَوْمِ الْمَعَادِ مَخَافَةً ... تَيَقَّنْتُ أني لَيْسَ لي فِيهِمَا عُذْرُ
بِفَضْلِكَ زِدْنِي مِنْكَ قُرْبًا وأَدْنِنِي ... إِلَيْكَ دُنُوًّا لا يُغَيِّرُهُ الدَّهْرُ
شِفَائِي مقَامِي فِي الْهَوَى وَهْوَ قَاتِلِي ... وَبَيْنَ سِقَامِي والشِّفَا يَنْفُدُ العُمْرُ
وفي كَبِدِي مما أقَاسِي مِنَ الهَوَى ... ومِنْ زَفَرَاتِ الْحُبِّ يَا وَاجِدِي جَمْرُ
غَزَا الحُبُّ قَلْبِي قَاصِدًا بِجُيُوشِهِ ... لِيَأْسِرَهُ قَسْرًا فَأَذْهَلَهُ الأَسْرُ
وحَقِّكَ لا أَنْسَاكَ مَا دُمْتُ بَاقِيًا ... وهَلْ يُتَسَلَّى مَنْ مَحَبَّتُهُ فَخْرُ[1]

* * *

(١) لأحمد زيد البحراني، انظر: استنشاق نسيم الأنس، لابن رجب الحنبلي، (١٠٤،١٠٥).

دعاء المحبين القانتين

اللَّهُمَّ، احْمِلْنا في سُفُنِ نَجاتِكَ، ومَتِّعْنا بِلَذِيذِ مُناجاتِكَ، وَأَوْرِدْنا حِياضَ حُبِّكَ، وأَذِقْنا حَلاوَةَ وُدِّكَ وَقُرْبِكَ، واجْعَلْ جِهادَنا فِيكَ، وَهَمَّنا في طاعَتِكَ، وأَخْلِصْ نيَّاتِنا في مُعامَلَتِكَ، فَإِنَّا بِكَ ولَكَ، ولا وَسِيلَةَ لَنا إِلَيْكَ إِلَّا أَنْتَ.

سُبْحانَكَ، ما أَضْيَقَ الطُّرُقَ عَلى مَنْ لَمْ تَكُنْ دَلِيلَهُ! وما أوضَحَ الحَقَّ عِنْدَ من هَدَيْتَهُ سبِيلَهُ!

انْقَطَعَتْ إِلَيْكَ هِمَّتِي، وانْصَرَفَتْ نَحوكَ رَغْبَتِي، فَأَنْتَ ـ لا غَيْرُكَ ـ مرادِي، ولك ـ لا لسواك ـ سهَرِي وسُهادِي، ولِقاؤُكَ قُرَّةُ عَيْنِي، وَوَصْلُكَ مُنى نَفْسِي، وَإِلَيْكَ شَوْقِي، وَفِي مَحبَّتِكَ وَلَهِي، ورِضاكَ بُغْيَتِي، وَرُؤْيَتُكَ حاجَتِي، وجِوادُكَ طَلَبِي، وقُرْبُكَ غايَةُ سُؤْلِي، وَفِي مُناجَاتِكَ رَوْحِي وَرَاحَتِي، وعِنْدَكَ دَواءُ عِلَّتِي، وشِفاءُ غُلَّتِي، وبَرْدُ لَوْعَتِي، وكَشْفُ كُرْبَتِي، فَكُنْ أَنِيسِي في وَحْشَتِي، وَمُقِيلَ عَثْرَتِي، وغافِرَ ذَلَّتِي، وَقَابِلَ تَوْبَتِي، ومُجِيبَ دَعْوَتِي، وَوَلِيَّ عِصْمَتِي، وَمُغْنِيَ فاقَتِي، وَلا تَقْطَعْنِي عَنْكَ، ولا تُبْعِدْنِي مِنْكَ، يا نَعِيمِي وَجَنَّتِي.

إِلهِي، مَنْ ذَا الَّذِي ذَاقَ حَلاوَةَ مَحبَّتِكَ، فَرامَ مِنْكَ بَدَلًا، وَمَنْ ذَا الَّذِي أَنِسَ بِقُرْبِكَ، فَابْتَغَى عَنْكَ حِوَلًا.

إِلهِي، فَاجْعَلْنَا مِمَّنِ اصْطَفَيْتَهُ لِقُرْبِكَ، وَوِلايَتِكَ، وَأَخْلَصْتَهُ لِوُدِّكَ وَمَحبَّتِكَ،

وَشَوَّقْتَهُ إِلَى لِقَائِكَ، وَرَضَّيْتَهُ بِقَضَائِكَ، وَمَتَّعْتَهُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَحَبَوْتَهُ بِرِضاكَ، وَبَوَّأْتَهُ مَقْعَدَ الصِّدْقِ فِي جِوارِكَ، وَخَصَصْتَهُ بِمَعْرِفَتِكَ، وَأَهَّلْتَهُ لِعِبادَتِكَ، وَهَيَّمْتَ قَلْبَهُ لإِرادَتِكَ، وَاجْتَبَيْتَهُ لِمُشاهَدَتِكَ، وَأَخْلَيْتَ وَجْهَهُ لَكَ، وَفَرَّغْتَ فُؤادَهُ لِحُبِّكَ، وَرَغَّبْتَهُ فِيما عِنْدَكَ، وَأَلْهَمْتَهُ ذِكْرَكَ، وَأَوْزَعْتَهُ شُكْرَكَ، وَشَغَلْتَهُ بِطاعَتِكَ، وَصَيَّرْتَهُ مِنْ صالِحِي بَرِيَّتِكَ، وَاخْتَرْتَهُ لِمُناجاتِكَ، وَقَطَعْتَ عَنْهُ كُلَّ شَيْءٍ يَقْطَعُهُ عَنْكَ.

اَللَّهُمَّ، اجْعَلْنا مِمَّنْ دَأْبُهُمُ الارْتِياحُ إِلَيْكَ، وَالْحَنِينُ، وَدَهْرُهُمُ الزَّفْرَةُ والأَنِينُ، جِباهُهُمْ ساجِدَةٌ لِعَظَمَتِكَ، وَعُيونُهُمْ ساهِرَةٌ فِي خِدْمَتِكَ، وَدُمُوعُهُمْ سائِلَةٌ مِنْ خَشْيَتِكَ، وَقُلُوبُهُمْ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحَبَّتِكَ، وَأَفْئِدَتُهُمْ مُنْخَلِعَةٌ مِنْ مَهابَتِكَ، يا مَنْ أَنْوارُ قُدْسِهِ لأَبْصارِ مُحِبِّيهِ رائِقَةٌ، وَسُبُحاتُ وَجْهِهِ لِقُلُوبِ عارِفِيهِ شائِقَةٌ، يا مُنى قُلُوبِ الْمُشْتاقِينَ وَيا غايَةَ آمالِ الْمُحِبِّينَ، أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُوصِلُنِي إِلَى قُرْبِكَ، وَأَنْ تَجْعَلَكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا سِواكَ، وَأَنْ تَجْعَلَ حُبِّي إِيَّاكَ قائِدًا إِلَى رِضْوانِكَ، وَشَوْقِي إِلَيْكَ ذائِدًا عَنْ عِصْيانِكَ، وَامْنُنْ بِالنَّظَرِ إِلَيْكَ عَلَيَّ، وَانْظُرْ بِعَيْنِ الْوُدِّ وَالْعَطْفِ إِلَيَّ، وَلا تَصْرِفْ عَنِّي وَجْهَكَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ الإِسْعادِ وَالْحُظْوَةِ عِنْدَكَ، يا مُجِيبُ، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

يا مَنْ لا يَفِدُ الْوافِدُونَ عَلَى أَكْرَمَ مِنْهُ، وَلا يَجِدُ الْقاصِدُونَ أَرْحَمَ مِنْهُ، يا خَيْرَ مَنْ خَلا بِهِ وَحِيدٌ، وَيا أَرحمَ مَنْ أَوى إِلَيْهِ طَرِيدٌ، إِلَى سَعَةِ عَفْوِكَ مَدَدْتُ يَدِي، وَبِذَيْلِ كَرَمِكَ أَعْلَقْتُ كَفِّي، فَلا تُولِنِي الْحِرْمانَ، وَلا تُبْلِنِي بِالْخَيْبَةِ

وَالْخُسْرانِ، فَيا مُنْتَهى أَمَلِ الآمِلِينَ، وَيا غايَةَ سُؤْلِ السَّائِلِينَ، وَيا أَقْصى طِلْبَةِ الطَّالِبِينَ، وَيا أَعْلَى رَغْبَةِ الرَّاغِبِينَ، وَيا وَلِيَّ الصَّالِحِينَ، وَيا أَمانَ الْخائِفِينَ، وَيا مُجِيبَ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ، وَيا ذُخْرَ الْمُعْدَمِينَ، وَيا كَنْزَ الْبائِسِينَ، وَيا غِياثَ الْمُسْتَغيثينَ، وَيا قاضِي حَوائِجِ الْفُقَراءِ والْمَساكِينِ، وَيا أَكْرَمَ الأَكْرَمِينَ، وَيا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، لَكَ تَخَضُّعِي وَسُؤالِي، وَإِلَيْكَ تَضَرُّعِي وَابْتِهالِي، أَسْأَلُكَ أَنْ تُنِيلَنِي مِنْ رَوْحِ رِضْوانِكَ، وَتُدِيمَ عَلَيَّ نِعَمَ امْتِنانِكَ، وَها أَنَا بِبابِ كَرَمِكَ واقِفٌ، وَلِنَفَحاتِ بِرِّكَ مُتَعَرِّضٌ، وَبِحَبْلِكَ الشَّدِيدِ مُعْتَصِمٌ، وَبِعُرْوَتِكَ الْوُثْقى مُتَمَسِّكٌ.

إِلهِي، ارْحَمْ عَبْدَكَ الذَّلِيلَ، ذَا اللِّسانِ الْكَلِيلِ، وَالْعَمَلِ الْقَلِيلِ، وَامْنُنْ عَلَيْهِ بِطَوْلِكَ الْجَزِيلِ، وَاكْنُفْهُ تَحْتَ ظِلِّكَ الظَّلِيلِ، يا كَرِيمُ، يا جَمِيلُ، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

إلـهي :

ما أَطْيَبَ طَعْمَ حُبِّكَ! وَما أَعْذَبَ شِرْبَ قُرْبِكَ، فَأَعِذْنا مِنْ طَرْدِكَ وَإِبْعادِكَ، وَاجْعَلْنا مِنْ أَخَصِّ عارِفِيكَ، وَأَصْلَحِ عِبادِكَ، وَأَصْدَقِ طائِعِيكَ، وَأَخْلَصِ عُبَّادِكَ، يا عَظِيمُ، يا جَلِيلُ، يا كَرِيمُ، يا مُنِيلُ، بِرَحْمَتِكَ وَمَنِّكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

* * * * * *

سبحانك شاهد كل نجوى

- سُبْحَانَكَ - اللَّهُمَّ - وَحَنانَيْكَ.
- سُبْحَانَكَ - اللَّهُمَّ - وَتَعَالَيْتَ.
- سُبْحَانَكَ - اللَّهُمَّ - وَالْعِزُّ إزارُكَ.
- سُبْحَانَكَ - اللَّهُمَّ - وَالْعَظَمَةُ رِداؤُكَ.
- سُبْحَانَكَ - اللَّهُمَّ - وَالْكِبْرِياءُ سُلْطانُكَ.
- سُبْحَانَكَ مِنْ عَظِيمٍ، ما أَعْظَمَكَ!.
- سُبْحَانَكَ، سُبِّحتَ في الأعْلى، تَسْمَعُ وَتَرى ما تَحْتَ الثَّرى.
- سُبْحَانَكَ، أَنْتَ شَاهِدُ كُلِّ نَجْوى.
- سُبْحَانَكَ، مَوْضِعُ كُلِّ شَكْوى.
- سُبْحَانَكَ، حاضِرُ كُلِّ مَلأٍ.
- سُبْحَانَكَ، عَظِيمُ الرَّجاءِ.

* * * * *

أحبابنا

أحبَابَنَا أنا ذَاكُمُ العَبْدُ الَّذِي ... رَاعَيْتُمُوهُ نَاشِئًا ووَلِيدًا

حالَتْ بِهِ الأحْوَالُ بعْدَ فِرَاقِكُمْ ... فَرَمَى بِأُسْرَتِهِ وَجَاءَ فَرِيدًا

● **أخي: تب من غَدَراتِكَ؛ حتى لا يُقال لك يومًا: «هذا فراق بيني وبينك».**

شَجَاكَ الفِرَاقُ فَمَا تَصْنَعُ   أتَصْبِرُ لِلبَيْنِ أم تَجْزَعُ
إذا كُنْتَ تَبْكِي وهُمْ جِيرَةٌ   فكَيْفَ تكُونُ إذَا ودَّعُوا

● **أخي:**

وَصَلُوا إِلَى مَوْلَاهُمُ وَبَقِينَا   وَتَنَعَّمُوا بِوِصَالِهِ وَشَقِينَا
فَتَجَمَّعُوا أَهْلَ الْقَطِيعَةِ والجَفَا   نَبْكِي شُهُورًا قَدْ مَضَتْ وَسِنِينَا

● **أخي:**

مَا فِي الصِّحَابِ أَخُو وَجْدٍ تُطَارِحُهُ   حَدِيثَ حُبٍّ وَلَا صَبٌّ تُجَارِيهِ
إِلَيْكَ عَنْ كُلِّ قَلْبٍ فِي أَمَاكِنِهِ   سَاهٍ، وَعَنْ كُلِّ دَمْعٍ فِي مَآقِيهِ

❑ **سيدي وإلهي:**

فَرُوحِي وَرَيْحَانِي إِذَا كُنْتَ حَاضِرًا   وَإِنْ غِبْتَ فَالدُّنْيَا عَلَيَّ مَحَابِسُ
إِذَا لَمْ أُنَافِسْ فِي رِضَاكَ وَلَمْ أَغِرْ   لِدِينِكَ فِيمَنْ - لَيْتَ شِعْرِي - أُنَافِسُ

❑ **ولله در القائل:**

كَثُرَ فِيكَ اللُّوَّمُ   فَأَيْنَ سَمْعِي مِنْهُمُ
قَالُوا: سَهِرْتَ وَالْعُيُو   نُ السَّاهِرَاتُ نُوَّمُ
وَلَيْسَ مِنْ جِسْمِكَ إِلَّا جِلْدَةٌ وَأَعْظُمُ
وَمَا عَلَيْهِمْ سَهَرِي   وَلَا رُقَادِي لَهُمُ
خُذْ أَنْتَ فِي شَأْنِكَ يَا   دَمْعِي وَخَلِّ عَنْهُمُ

وأخيرًا

فَيَا حُبَّهُمْ زِدْنِي جَوًى كُلَّ لَيْلَةٍ ... وَيَا سَلْوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدُكِ الْحَشْرُ

❏ **يا عجباً من خليٍّ يعذل الشجي، وَيْحَكَ! خلِّ شانه وشانه:**

بِقَلْبِي مِنْهُمُ عَلَقُ ... وَدَمْعِي فِيهِمُ عَلِقُ

وَبِي مِنْ حُبِّهِمْ حُرَقُ ... لَهَا الْأَحْشَاءُ تَحْتَرِقُ

وَمَا تَرَكُوا سِوَى رَمَقِي ... فَلَيْتَهُمُ لَهُ رَمَقُوا

* * * * *

● **أخي: قال عتبة الغلام:**

مَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَحَبَّهُ، وَمَنْ أَحَبَّ اللَّهَ أَطَاعَهُ، وَمَنْ أطَاعَ اللَّهَ أَكْرَمَهُ، وَمَنْ أَكْرَمَهُ أَسْكَنَهُ فِي جِوَارِهِ، وَمَنْ أَسْكَنَهُ فِي جِوَارِهِ، فَطُوبَاهُ وَطُوبَاهُ، وَطُوبَاهُ وَطُوبَاهُ.

● **أخي:**

«عَفْوُهُ يَسْتَغْرِقُ الذُّنُوبَ، فَكَيْفَ رِضْوَانُهُ؟! وَرِضْوَانُهُ يَسْتَغْرِقُ الْآمَالَ فَكَيْفَ حُبُّهُ؟! وَحُبُّهُ يُدْهِشُ الْعُقُولَ فَكَيْفَ وُدُّهُ؟! وَوُدُّهُ يُنْسِي مَا دُونَهُ فَكَيْفَ لُطْفُهُ؟!».

● **إلهي:**

«لِي مَا بَقِيتُ حَوْلَكَ دَنْدَنَةٌ، وَبِالضَّرَاعَةِ إليك هَمْهَمَةٌ، لِأَنِّي مُحِبٌّ، وَكُلُّ مُحِبٍّ بِحَبِيبِهِ مَشْغُوفٌ، وَعَنْ غَيرِ حَبِيبِهِ مَصْرُوفٌ».

إلهي

إِليكَ وإلَّا لا تُشَدُّ الرَّكَائِبُ ومِنكَ وإلَّا فالمُؤَمِّل خائِبُ
وَفِيكَ وإلّا فالغرامُ مُضَيَّعٌ وعَنْكَ وإلَّا فالمُحَدِّثُ كاذِبُ

* * * * *

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين

وكتبه الفقير إِلَى عفو ربِّه المشتاق إِلَى جواره

سيد بن حسين العفاني
جمهورية مصر العربية
محافظة بني سويف
قرية بني عفان
ت: ٠٨٢٤٩٢٥٢٢
ص.ب: ١٢٣

* * * * *

فهرس المراجع

- ديوان «قلبٌ وربٌّ»، للشاعر عمر بهاء الدين الأميري.
- ديوان «إشراق»، للشاعر عمر الأميري.
- ديوان «مع الله»، للشاعر عمر الأميري.
- ديوان «أذان القرآن»، للشاعر عمر الأميري.
- ديوان «ملحمة الجهاد»، لعدنان النحوي، طبع. دار النحوي.
- ديوان «مواكب النور»، لعدنان النحوي، المكتب الإسلامي.
- ديوان «مهرجان القصيد»، لعدنان النحوي.
- ديوان «الأرض المباركة»، لعدنان النحوي.
- ديوان «جراح عَلَى الدرب»، لعدنان النحوي.
- ديوان «فِي رحاب الأقصى»، ليوسف العظم.
- ديوان «نداء الحق»، لأحمد محمد الصديق، دار الضياء.
- ديوان «يا إلهي»، لمحمد التهامي، دار البشير.
- ديوان «قاب قوسين»، محمود حسن إسماعيل.
- ديوان «نفحات»، عبد الوهَّاب عزَّام.
- ديوان ابن الرومي.
- ديوان البرعي.
- ديوان أبي العتاهية.
- ديوان إسماعيل صبري.
- ديوان «آمنت بالله»، عبد الرحمن حبنكة، دار العلم.
- ديوان «النصر للإسلام»، خيرالدين وانلي.

- ديوان «خلق الله»، محمد عبد الله القولي، دار الأقصى، الكويت.
- ديوان «لحن الخلود»، عائض القرني.
- ديوان «قطوف إسلامية»، صلاح نصر حسين، مكتبة المعارف، الرياض.
- ديوان «هكذا علمتني الحياة».
- ديوان «القادمون الخضر»، سليم عبد القادر.
- «الأعمال الكاملة»، محمود حسن إسماعيل.
- «الشوقيات»، أحمد شوقي.
- «ابتهالات».
- «شعر الإمام الشافعي»، عبد العزيز سيد الأهل.
- «الرقائق»، محمد أحمد الراشد.
- «الروض الأنف»، السهيلي، دار الكتب الحديثة.
- «سلافة العصر».
- «من الشعر الإسلامي الحديث»، دار البشير.
- «البداية والنهاية»، لابن كثير.
- «استنشاق نسيم الأنس»، لابن رجب الحنبلي، طبع المكتب الإسلامي، دار الخاني، الرياض.
- «إحياء علوم الدين»، للغزالي.
- «نفح الطيب»، المقري.
- «كشف الخفا»، العجلوني.
- «بستان الواعظين»، لابن الجوزي.
- «صفة الصفوة»، لابن الجوزي.
- «بحر الدموع»، لابن الجوزي.
- «بستان الواعظين ورياض السامعين»، لابن الجوزي.

- «إيقاظ الهمم في شعر الحكم».
- «لطائف المنن»، لابن عطاءالله السكندري، كتاب الشعب.
- «الكواكب السائرة»، لابن الغزي.
- «البدر الطالع»، للشوكاني.
- «العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية»، لابن عبد الهادي.
- «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر»، للسخاوي.
- «تفسير الكشاف»، للزمخشري.
- مجلة «حضارة الإسلام».
- مجلة «الوعي الإسلامي».
- مجلة «الرسالة».
- ديوان «شموخ في زمن الانكسار»، لعبد الرحمن العشماوي، مكتبة الأديب.
- ديوان «إنها الصحوة، إنها الصحوة»، لمحمود مفلح، طبع. دار الوفاء.
- «مدائح إلهية»، لابن الصنعاني، طبعة السلفية.
- ديوان «جراح وكلمات»، لأحمد محمد الصديق.
- «النونية الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»، لابن القيم، طبعة مكتبة ابن تيمية.
- «طريق الهجرتين»، لابن قيم الجوزية، طبعة السلفية.
- «أبو مَدْين الغوث»، للدكتور عبد الحليم محمود باختصار، دار المعارف.
- «النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة»، للشيخ محمد إسماعيل المقدم، دار الإيمان.

* * * * *

* تحت الطبع للمؤلف:

١ ـ رائق الشهد من شعر الدعوة والزهد، الجزء الثاني.

٢ ـ حسن الطلب في بيان الأدب.

٣ ـ شذا الريحان، ذكر جنة الرحمن.

٤ ـ بكاء الأفئدة، من نار اللّٰه الموقدة.

٥ ـ عيش السعداء بين الخوف والرجاء.

٦ ـ تعطير الأنفاس من حديث الإخلاص.

٧ ـ الثمار الباسقات من حديث الصالحات.

٨ ـ نسائم الأسحار من فضائل الصحابة الأبرار.

٩ ـ فرسان النهار.

١٠ ـ زهر الجنان من حياة شيوخ الإسلام.

١١ ـ عبق النسرين من حياة المجددين.

١٢ ـ البدر المنير في الأحاديث التي حكم عليها الحافظ ابن كثير.

١٣ ـ الثمر الداني من تصحيح وتضعيف ابن حجر العسقلاني.